تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد على

بحث أجيز لدرجة الماجستير مع مرتبة الشرف الأولى من جامعة فاروق الأول
ونال جائزة البحث الأدبى لسنة ١٩٤٦ من مجمع فؤاد الأول الملكى للغة العربية

من أى ناحية نظرت إلى هذا البحث ألفيته كامل العدة، متين الأركان، جلى العرض، صادق الحكم، والخلاصة أن الكتاب لمؤرخ ومفكر، أديب، وجمع أمانة التحقيق إلى سلامة الرأى إلى سعة الاطلاع .

انطون الجميل

تأليف

الدكتور جمال الدين الشيال

أستاذ التاريخ الاسلامى المساعد بجامعة فاروق الأول

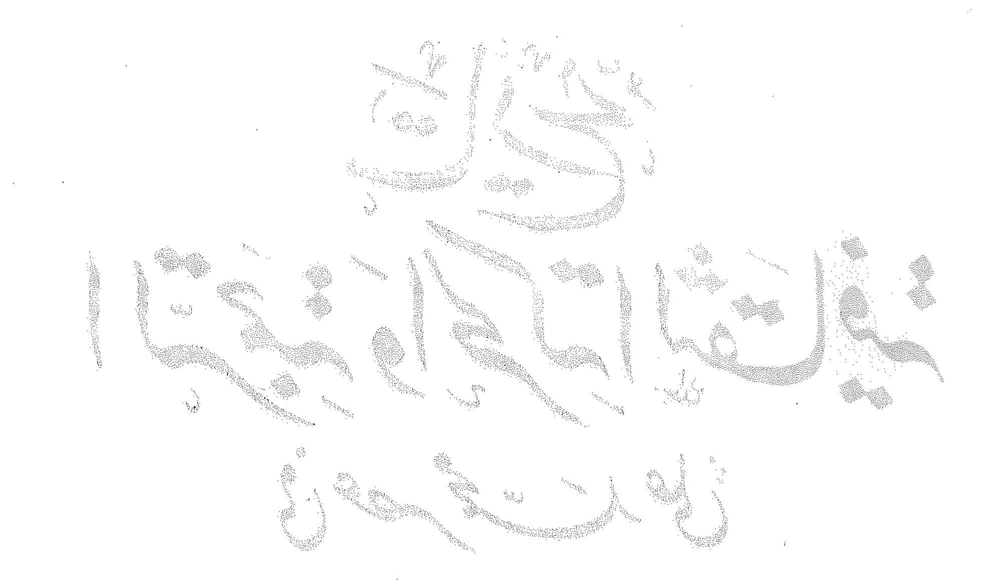
الناشر
دار الفكر العربى

١٩٥١

مطبعة الاعتماد بمصر



محمد على الكبير
منشىء مصر الحديثة



تقارير حضرات الأساتذة أعضاء مجمع فؤاد الأول الملكى للغة العربية الذين قرأوا الكتاب ورشحوه لنيل جائزة المجمع

للبحث الأدبى فى أبريل سنة ١٩٤٦

١

تقرير فقيد الأدب والصحافة وصاحب الفضل الأكبر فى توجيهى لكتابة هذا البحث

المغفور له الأستاذ انطون الجميل باشا

«عنوان الكتاب » تاريخ الترجمة فى مصر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر » ، وهو كذلك تاريخ خطواتها الأولى فى سبيل تحررها ، أو تاريخ العلماء والأدباء الذين كفلوا بوادر نهضتها ، أو تاريخ محاولتها الخروج من عزلتها وتعرفها بالغرب لوصل ما انقطع من حضارتها ، أو تاريخ الوسيلة المثلى التى اصطنعها محمد على فى إقالة عثرتها. فمن أى ناحية نظرت إلى هذا البحث ألفيته كامل العدة ، متين الأركان ، صادق الحكم . والخلاصة أن الكتاب لمؤرخ ومفكر وأديب ، جمع أمانة التحقيق إلى سلامة الرأى إلى سعة الاطلاع .

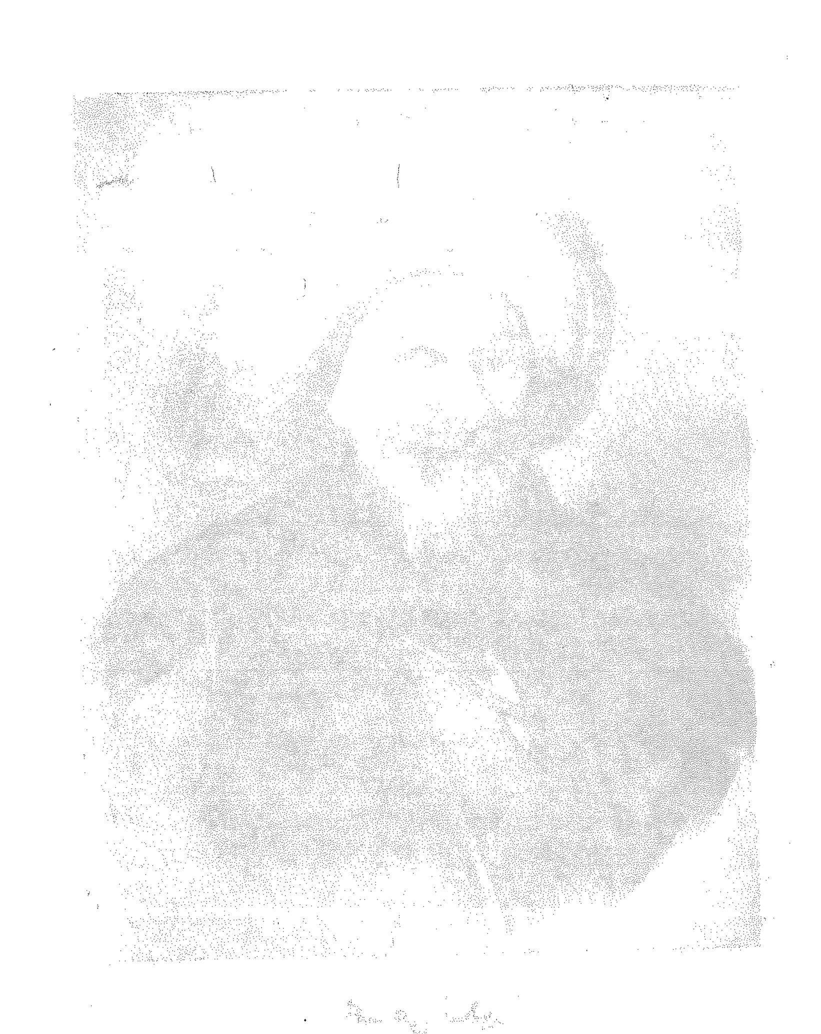
ثلاث ملاحظات تتصل بهذا التعدد فى نواحى النظر إلى الموضوع :

١ — هى نواح متآلفة متكاملة ، وهى فى تمازجها تلقى ضوءا قويا على موضوع البحث كيفما سميته ، وبأى طابع وسمته .

٢ — بديهى أن المؤلف لا يطرق موضوعا يعد من الذرا فى حوادث التاريخ ، بل يتناول ما يسميه الفرنسيون « التاريخ الصغير » أى تاريخ التفاصيل التى تمت إلى الحوادث الخطيرة ، ويساهم جلاؤها فى توضيح الفكرة العامة التى تخلص من تلك الحوادث .

فجميع الموضوعات التى يدور عليها الكتاب تدخل فى نطاق « التاريخ الصغير » : (اتصال العلماء المصريين بعلماء الحملة الفرنسية ، وسيلة محمد على فى النقل عن الغرب ، المدارس والبعثات فى أوائل القرن التاسع عشر ، العلوم والفنون التى شملتها حركة الترجمة ، المترجمون السوريون ، القواميس والمعاجم ، الطبع والنشر . . . . . إلخ) ، على أن تداخل النواحى المختلفة التى ينظر منها المؤلف إلى موضوع كتابه ينطوى على ميزتين :

(ا) يهيىء المؤلف التنويع فى مواضع السرد والشرح مما ينفى عن القارىء الملل .



(ب) يهيء للقارىء أن يدرك كثيرا من الطرائف التى يأتيه بها المؤلف إلى عدة نواح معا مما يزيد هذه الطرائف معنى وقيمة .

٣ — لولا التمازج بين هذه النواحى المتقاربة لكان الموضوع جافا قلما يثير شوق القارىء إلى الاستزادة من الالمام به وتعمق جوانبه ، وهو بهذا الانسجام موضوع شائق يروق الخيال ببحثه التاريخى ويسر الحساسية بمعناه الوطنى ، ويستهوى العقل بجانبه الأدبى والعلمى .

* * *

ذلك من حيث الموضوع فى ذاته ، أما التأليف فهو كامل الترتيب والوضوح .

للبحث كتابان ينقسم كل منهما إلى أبواب وفصول تقسيما منطقيا ظاهرا .

والمقدمات التى يمهد بها للكتابين ولبعض فصوله تركز الفكرة الآتى شرحها ، وهذا وكل فصل مسبوق بخلاصة تنبئك عما يدور عليه .

ويعجبك بخاصة :

١ — دقة البحث ، يرد كل حكم إلى مصدره ، ويؤيد كل رأى بأسانيد ، شأن المؤرخ المحقق الأمين .

٢ — اختيار التفصيلات ، هذا الاختيار فن : فكثيراً ما تطمر الزوائد فكرة عامة ، فمن أمارات الفطنة واللباقة اختيار التفصيل ، أو المثل الأوفى معنى والأظهر مغزى ، وقد وفق المؤلف فى ذلك أى توفيق .

٢

ومن تقرير

حضرة صاحب العزة الأستاذ الدكتور ابراهيم بيومى مدكور بك

يقع هذا البحث فى نحو ٣٧٠ صفحة من القطع الكبير ، ويشتمل على ثلاثة أبواب وملاحق ، وتحت كل باب عدة فصول ؛ وفى الباب الأول يؤرخ المؤلف للترجمة فى عهد الحملة الفرنسية ، مبينا ما حدث حينذاك من ترجمات رسمية وعلمية ؛ وفى الباب الثانى — وهو دعامة الكتاب — يعرض للترجمة فى عهد محمد على ، فيتحدث عن البحوث العلمية ، والمترجمين من أجانب ومصريين ، ومدرسة الألسن ، وما كانت ترمى إليه من تخريج المترجمين ، وعن وسائل الترجمة من قواميس ومعاجم وطبع ونشر ، والكتب المترجمة مدرسية كانت أو غير مدرسية .

وفى الباب الثالث يحاول أن يحكم على هذه الحركة الواسعة ، فيبين أغراض الترجمة ، وطرائقها ، وأسلوبها ، ومصطلحاتها ، واللغات المترجم منها واليها ، ويشير إلى أثر ذلك كله فى اللغة العربية والمجتمع

المصرى ؛ ويضيف أخيراً ملاحق يسرد فيها الكتب التى ترجمت ومترجميها ، وثبتاً شاملا للمراجع العربية والأجنبية التى عول عليها .

* * *

والبحث — كما يبدو — غزير المادة ، كثير التفاصيل ، مستوعب الأطراف ؛ كشف عن ناحية ما أحوجنا أن نقف عليها فى دقة ، وبرهن على عمل طويل ومجهود عظيم ؛ وقد تسلح له الباحث بأسلحة شتى : من معرفة عدة لغات ، واستعانة بمخطوطات مختلفة ، وخاصة وثائق عابدين التى لم تدرس بعد الدرس الكافى ، والتى يخرج القارىء منها دائماً بفوائد جديدة ؛ هذا إلى روح نقد ورغبة فى التحليل أعانته على تفهم النصوص التاريخية ، ومناقشة الآراء المختلفة ، وترجيح بعضها على بعض ، أو الذهاب إلى رأى مبتكر . . . الخ

٣

ومن تقرير

حضرة صاحب العزة الأستاذ محمد احمد الغمراوى بك

رسالة نالت بالاجماع درجة الماجستير مع مرتبة الشرف الأولى من جامعة فاروق الأول ؛ ولا غرو فالأستاذ الشيال تعب أيما تعب ، ونصب أيما نصب فى تأليف رسالته من ذلك العدد الضخم من المراجع والمظان .

وقد وفق لسرد هذا التاريخ فى قالب شائق يغرى القارىء بتتبع « الترجمة » فى تلك الحقبة ، ويدفعه إلى استيعابها للوقوف على تفصيلاتها المسهبة كما بسطها . . . الخ

٤

ومن تقرير

حضرة صاحب العزة الأستاذ محمد فريد أبو حديد بك

الكتاب بحث طريف فى الترجمة إلى اللغة العربية منذ أيام الحملة الفرنسية إلى أواسط القرن التاسع عشر ؛ وقد وفاه الأستاذ حقه ، ورجع إلى المراجع والوثائق التى يمكن الرجوع إليها ، واستطاع أن يجلو هذه الناحية من نهضة مصر الثقافية ، كما أورد نبذات مفيدة عن أكبر أصحاب الترجمة فى ذلك العهد .

وهو جدير بالجائزة والتنويه .

الفهارس التفصيلية لموضوعات الكتاب

الملحق الثالث :

الملحق الرابع :

الملحق الخامس :

مراجع البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المؤلف

لهذا الكتاب ككل شىء فى الحياة قصة وتاريخ :

فى شتاء سنة ١٩٤٣ نشرت صحيفة الأهرام أن فقيد الأدب والصحافة المغفور له الأستاذ أنطون الجميل باشا قد تبرع بمبلغ خمسين جنيهاً جائزة يمنحها مجمع فؤاد الأول الملكى للغة العربية لأحسن بحث يقدم إليه عن « حركة الترجمة فى مصر فى القرن التاسع عشر » .

وراقنى الموضوع فهو يؤرخ للحياة الفكرية فى مصر فى فجر نهضتها الحديثة ، وأحسست رغبة قوية للاشتراك فى هذه المسابقة ، وبدأت أجمع المصادر وأتلمس المظان ، وكنت حينذاك مدرساً بمدرسة قنا الثانوية ، ولكن مكتبة هذه المدرسة وكتبى القليلة التى اصطحبتها معى لم تقدم لى إلا مادة قليلة ضئيلة .

وانتهى الموسم الدراسى ، وسافرت إلى القاهرة ، ومع أن شهور الصيف ليست الشهور المناسبة للقيام بجهد فكرى فقد صدفت فيها عن كل شىء ، وفرغت تماما للقراءة حول هذا الموضوع وجمع مادته .

ولم يكد ينتهى الصيف حتى نقلت معيداً بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول باسكندرية ، واستنفد هذا التنقل منى وقتاً وجهداً غير قليلين ، ثم بدأت استكمل الناقص من مادة البحث وأرسم خطته النهائية توطئة للبدء فى كتابته ؛ وهنا تبين لى أن الموضوع كما اقترحه المجمع يحتاج إلى تعديل ، لأن حركة الترجمة فى مصر فى القرن التاسع عشر شهدت نهضتين : النهضة الأولى فى عصر محمد على وشملت النصف الأول من القرن التاسع عشر ، والنهضة الثانية فى عصر اسماعيل وماتلاه وشملت النصف الثانى من هذا القرن ؛ وظهر لى من خطوات البحث الأولى أن كلا من النهضتين تختلف عن الأخرى فى الممهدات والنشأة والبواعث والتطور والأدوات والأغراض والنتائج .

لهذا رأيت أنه قد يكون من الأفضل لو أن المجمع عدّل الموضوع وقصره على « حركة الترجمة فى مصر فى عصر محمد على أو فى النصف الأول من القرن التاسع عشر » على أن تكون الحركة فى عصر اسماعيل أو فى النصف الثانى من القرن موضوعاً لمسابقة ثانية ، وخاصة أن التأريخ لحركة خطيرة كهذه فى قرن كامل — حتى لو تغاضينا عن الصعوبة الفنية السابقة — يحتاج إلى جهد كبير ووقت طويل لاتتسع

لهما السنة التى حددها المجمع ليقدم البحث فى نهايتها ، وأن أى باحث يقدم على التأريخ لهذه الحركة فى قرن كامل — وفى مدى سنة واحدة — لابد أن يخرج بحثه هزيلا ناقصا ، فالموضوع طويل متشعب النواحى والأطراف .

وكتبت إلى المجمع بهذه الملاحظات مقترحا أن يقصر الموضوع على « حركة الترجمة فى النصف الأول من القرن التاسع عشر » أو أن يمد أجل المسابقة سنة أخرى إذا رؤى أن يبقى عنوان الموضوع كما هو ؛ غير أن المجمع رفض مقترحاتى معتذراً بأنه لا يستطيع التغيير فى الشروط التى سبق أن أعلنها لأن الباحثين بدأوا عملهم على أساسها وخاصة أن المدة المحددة قد أوشكت على النهاية .

وكنت إذ ذاك أعد العدة للتقدم ببحث آخر للحصول على درجة الدكتوراه فى جامعة فاروق الأول ، ولكن الجامعة — لأمر ما — رأت أن أتقدم أولا ببحث آخر للحصول على درجة الماجستير ، فرأيت أن يكون تاريخ الترجمة هو موضوع الماجستير . ورحت أستكمل ما نقص منه ، وأعدل ما يحتاج إلى تعديل . وأغير ما يحتاج إلى تغيير ؛ ثم كتبته من جديد ، لأن منهج البحث فى رسالة تقدم لمسابقة عامة يختلف — ولا شك — عنه فى رسالة تقدم للحصول على إجازة علمية . وقصرته — كما ارتأيت — على النهضة الأولى فى عصر محمد على ، وجعلت عنوانه « تاريخ الترجمة فى مصر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر » ، وقسمته إلى كتابين : الأول كتاب صغير أرخت فيه للترجمة فى عهد الحملة الفرنسية [1] ، أى فى مطلع القرن التاسع عشر وسنواته الأولى — وجعلته كمدخل للكتاب الثانى الكبير — وهو هذا الكتاب الذى ضمنته لب الموضوع وصميمه ، وأرخت فيه للترجمة فى عصر محمد على (١٨٠٥ - ١٨٤٩) .

وكانت هذه الرسالة أول رسالة تقدم إلى جامعة فاروق الأول للحصول على درجة الماجستير ، فلم تكن الجامعة قد استكملت وقتذاك غير سنتين ونصف سنة من عمرها . ونوقشت الرسالة فى ٢٨ ابريل سنة ١٩٤٥ أمام لجنة مكونة من حضرات الأساتذة عبد الحميد العبادى بك ، ومحمد شفيق غربال بك ، والدكتور محمد مصطفى صفوت ، ونالت بإجماع الأصوات درجة الماجستير مع مرتبة الشرف الأولى .

وبعد ذلك بقليل أعلن المجمع — شأنه فى كل عام — عن مسابقات رصد لها جوائزه السنوية التى تمنح لأحسن بحث أدبى بوجه عام ، ولأحسن ديوان شعر ، ولأحسن قصة . ورأيت أنه وإن كانت الفرصة السابقة قد فاتتنى فى المسابقة الماضية منذ تقدم الباحثون بأبحاثهم وفاز بجائزة الجميل باشا بحث الصديق الأستاذ جاك تاجر ، فإن هذه فرصة جديدة أستطيع أن أنتهزها لأطلع المجمع على منهجى فى بحث الموضوع كما سبق أن شرحته له .

وتقدمت بكتابى « تاريخ الترجمة فى مصر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر » لجائزة البحث

(١) نشر هذا الكتيب على حدة فى السنة الماضية تحت عنوان « تاريخ الترجمة فى مصر فى عهد الحملة الفرنسية »

الأدبى ، وقدر له أن يفوز بهذه الجائزة ، وكانت اللجنة التى قرأته ورشحته للجائزة مكونة من حضرات الأساتذة :

المغفور له أنطون الجميل باشا ، والدكتور ابراهيم بيومى مدكور بك ، ومحمد فريد أبو حديد بك ، ومحمد أحمد العوامرى بك .

وقد نشرت صورة من تقارير حضراتهم فى صدر هذا الكتاب .

وأعلنت نتائج المسابقات لتلك السنة فى حفل عام أقيم فى قاعة المحاضرات بالجمعية الجغرافية الملكية فى ابريل سنة ١٩٤٦ ، وتحدث عن كل مسابقة مقرر لجنتها ، وكان مقرر لجنة البحوث الأدبية حضرة صاحب المعالى الأستاذ الدكتور طه حسين باشا ، فتحدث عن كل كتاب من الكتب الفائزة ، وخص كتابى بكلمة قيمة فيها تقدير كريم للبحث وقيمته ومنهجه [1] .

***

هذه هى قصة الكتاب وهذا هو تاريخه ، أما موضوعه فلست أجد وصفا له أبلغ من هذه الكلمة التى وصفه بها المغفور له أنطون الجميل باشا فى قوله : « هو تاريخ خطوات مصر الأولى فى سبيل تحريرها ، أو تاريخ العلماء والأدباء الذين كفلوا بوادر نهضتها ، أو تاريخ محاولتها الخروج من عزلتها وتعرفها بالغرب لوصل ما انقطع من حضارتها ، أو تاريخ الوسيلة المثلى التى اصطنعها محمد على فى إقالة عثرتها » ، فقد بقيت مصر قرابة قرون ثلاثة — فى العصر العثمانى — منطوية على نفسها ، مقفلة النوافذ والأبواب ، والعلاقات بينها وبين العالم الخارجى — وخاصة أوربا — مقطوعة مبتوتة . ولو أن الحكومات المشرفة على مصر عملت على النهوض بها داخلياً خلال هذه المدة لهان الخطب ، ولكن زاد الطين بلة أن هذه العزلة صحبها ركود واضمحلال فى كافة شؤون مصر الداخلية ، حربية كانت أم اقتصادية أم ثقافية .

ولم يكد يشرف القرن الثامن عشر على نهايته حتى كان الغرب قد ضاق ذرعاً بهذه العزلة التى تقبع فيها بلدان الشرق الأدنى — ومصر بوجه خاص — ؛ ولم يشأ هذا الغرب الأوربى أن يسلك السبيل السوى فيدعو مصر إلى أن تقطع حبل هذه العزلة ، وإلى أن تفتح الأبواب والنوافذ كى تسمح لأضواء الحضارة الأوربية الجديدة بالدخول والانتشار ، ولكنه آثر أن يقوم هو بفتح هذه الأبواب والنوافذ ، وبالقوة ، قوة السلاح ، فقد كانت تدفعه عوامل الاستعمار ، عوامل الأثرة والاستغلال ، مما أثار قوى المقاومة الداخلية ، وقوى المنافسة الخارجية ، وبهذا اضطرت جيوش الفرنسيين إلى الجلاء عن مصر بعد أن قضت فى ربوعها سنوات ثلاث لم تذق فى خلالها طعم الراحة يوماً واحداً .

(١) حاولت أن أحصل على كلمة معاليه لنشرها مع تقارير اللجنة ، ولكننى أخبرت — مع الأسف — أن المجمع لا يحتفظ بصورة منها ، لأن معاليه لم يعدها كتابة ، بل ألقاها ارتجالا ، وإنى أنتهز هذه الفرصة لأقدم لمعاليه شكرى القلبى الخالص ، فقد كان لكلمته الطيبة أبلغ الأثر فى نفسى ، وإنى لأعتز بها أبداً اعتزازا خاصا ،

وهكذا استيقظت مصر من سباتها الماضى الطويل العميق ، ولكن يقظتها لم تكن تلقائية رفيقة هادئة ، بل لقد كانت يقظة عنيفة مفاجأة دُفعت إليها دفعاً ، وكانت الأضواء التى حملها الفرنسيون معهم — أضواء السلاح والحضارة والعلم — قوية براقة ، كادت تعشى لها عيون المصريين ، ولم يتمالك كبير من علمائهم — وهو المؤرخ المعروف عبدالرحمن الجبرتى — أن يعبر عنها حين زار مكتبة الفرنسيين ومعهدهم بقوله : « ولهم فيه أمور وتراكيب غريبة ، ينتج منها نتائج لا تسعها عقول أمثالنا » .

وشهدت مصر فى السنوات الأولى من القرن التاسع عشر صراعاً عنيفاً بين قوى ثلاث : الأتراك ، والمماليك ، والانجليز ، كل منها تعمل لحسابها ، وتمهد السبيل كى تفوز هى وتصبح لها السيطرة على مصر وشعبها وشئونها ، ووسط هذا الضباب الكثيف ، ووسط هذا الغبار المتطاير نتيجة لصراع هذه القوى الأجنبية الثلاث بدأت تظهر قوة جديدة ظلت كامنة قرابة ثلاثة قرون ، تلك هى قوة الشعب المصرى .

وأعلن هذا الشعب إرادته قوية جريئة صريحة : أنه صاحب الحق الأول فى اختيار حاكمه ، وكان موفقاً حين أعلن على لسان زعمائه اختيار محمد على والياً عليه .

وأدرك محمد على منذ اللحظة الأولى التى تولى فيها عرش مصر أنه لا بد من رسم سياسة إصلاحية جديدة لانتشال الكنانة من وهـــدة الخراب والفساد التى تردت فيها طوال العصر العثمانى ، ورأى أن السبيل القويم للإصلاح هو الاتجاه نحو الغرب والاقتباس من نظمه والنقل عن علومه ، وخطا نحو تنفيذ هذه السياسة الإصلاحية خطوات مختلفة ، فبدأ باستخدام الأجانب والاستعانة بهم ، ثم ثنى بإرسال المصريين فى بعثات إلى أوربا ، ثم ثلّث بإنشاء المدارس الجديدة فى مصر على النظام الأوربى ، ولتدريس هذه العلوم والنظم الجديدة ، وكانت وسيلته الكبرى فى كل هذه المحاولات هى النقل عن الغرب ، هى الترجمة .

وما كتابنا هذا إلا دراسة تفصيلية لهذه الوسيلة الكبرى ، وما يتصل بها من أدوات ، وما سبقها من مقدمات وتمهيدات ، وما تلاها أو تسبب عنها من نتائج .

تتبعنا حركة الترجمة فى هذا العصر منذ خطواتها الأولى فى إعداد المترجمين من خريجى المدارس والبعثات ، إلى اختيار الكتب وطريقة ترجمتها ، إلى مراجعتها وتحريرها وتصحيحها ، إلى أن وصلنا بها إلى المرحلة الأخيرة ، مرحلة الطباعة والنشر .

وأفردنا خلال هذا كله فصولا قائمة بذاتها للمؤسسة العلمية الكبرى التى أنشئت لخدمة هذه الحركة — وهى مدرسة الألسن وقلم الترجمة الملحق بها — ، ثم لطلائع رجال النهضة الثقافية الذين أسهموا فى هذه الحركة من مترجمين ومصححين ، ثم لحركة القواميس والمعاجم باعتبار أنها أداة من أهم أدوات النقل

والترجمة ، ثم لحركة الطباعة والمطابع التى أنشئت أول ما أنشئت لخدمة حركة الترجمة ، ولطبع الكتب المترجمة .

وأخيراً ختمنا الكتاب بفصل كبير قدمنا فيه دراسة تحليلية مقارنة للحركة وأهدافها ووسائلها وأسلوب الترجمة وآثارها فى اللغة العربية وفى المجتمع المصرى .

ثم ألحقنا بالبحث مجموعة من الجداول ضمناها إحصاء للكتب التى ترجمت فى عصر محمد على مع البيانات الوافية عن كل كتاب ومؤلفه ومترجمه ومصححه وأجزائه وصفحاته وسنة طبعه . . . إلخ

هذه صورة سريعة للكتاب وموضوعه ومحتوياته لا أريد أن أزيد فى تفصيل الحديث عنها . وإنما أترك الحكم عليها للقارئ الكريم بعد الاطلاع عليها . وإذ كان هذا الكتاب قد تناول بالبحث والدراسة — إلى جانب موضوع الترجمة — نواحى النهضة الثقافية المختلفة ، بحكم اتصالها وخدمتها لحركة الترجمة ، فقد آثرت أن يكون عنوانه الجديد : « تاريخ الترجمة والحركة الثقافية فى عصر محمد على » ، فهو بهذا أدل على موضوعات الكتاب ومحتوياته .

***

بقيت كلمة أخيرة أحب أن أختم بها هذا الحديث ، وأن ألفت إليها الأنظار ، ذلك أن محمداً علياً لم يندفع فى حركته الإصلاحية نحو الغرب اندفاعاً كلياً ، بل حاول دائماً أن يوائم بين حاجات مصر وتراثها الشرقى وبين ما يريد أن يستورده له من إصلاحات ونظم وعلوم غربية ؛ فهو بوسائله جميعا — التى عرضنا لذكرها فى متن هذا الكتاب — حاول أن ينقل الغرب إلى مصر ليحقق مثله العليا فى الإصلاح ، ولكنه لم يحاول البتة أن ينقل مصر إلى الغرب ، بل احتفظ لها بروحها وتقاليدها ، بل لقد حاول فى كثير من الأحيان أن يمزج بين الخير فى العالمين — الشرقى والغربى — فأقام النهضة المصرية الحديثة على أسس متينة صحيحة ، ووجهها — منذ عصره حتى الآن — الوجهة الطيبة التى أفادت منها ، والتى لا تزال نعمل للإفادة منها .

وأخيراً أرى من واجبى أن أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذى الجليلين حضرتى صاحبى العزة عبدالحميد العبادى بك ومحمد شفيق غربال بك فقد أفدت الكثير من توجيهاتهما وتعضيدهما أثناء إعداد هذا البحث.

وبعد ، فإنى أحمد الله سبحانه وتعالى حمداً كثيراً أن وفقنى لهذا ، فمنه وحده التوفيق ، وبه وحده العون ، وأبتهل إليه سبحانه أن يوفقنى للعمل الصالح إنه على كل شيء قدير ؟

الاسكندرية فى ٢٨ أكتوبر سنه ١٩٥١

جمال الدين الشيال

تاريخ الترجمة والحركة الثقافية
فى عصر محمد على

مقدّمة

(ا) النقل عن الغرب وسيلة محمد على للإصلاح

مجيء محمد على الى مصر ، اللقاء الأول مع الجيوش الأروبية وأثره ، الموقف بعد خروج الفرنسيين ، المصريون يختارون محمد على واليا عليهم ، خطته للاصلاح وسط بين الاستشراق والاستغراب ، وسائل الإصلاح : استخدامه الأجانب ، عيوب هذه الوسيلة ؛ الاستغناء عن الأجانب وإحلال المصريين محلهم ، ارسال البعثات إلى أروبا ، إنشاء المدارس

وفد محمد على على مصر ضابطاً صغيراً من ضباط الحملة التركية الانجليزية التى أتت فى مارس سنة ١٨٠١ لإخراج الفرنسيين من مصر ، واشترك محمد على فى معارك كثيرة مع جيوش دول ثلاث : إحداها دولة شرقية متحطمة تسير نحو الفناء ، فجيوشها خليط من شعوب كثيرة متنافرة يعوزها التآلف والانسجام والنظم الحديثة وحسن القيـــادة ؛ والثانية والثالثة دولتان غربيتان ناهضتان تنافس كل منهما الأخرى فى سبيل الاستيلاء على هذه الكنانة لما تتمتع به من ميزات جمة ، ولأنها مفتاح الشرق ، مطمح أنظارهما ، ولموقعها الجغرافى الممتاز ؛ وجيوش هاتين الدولتين تمتاز بنظم حديثة ، وأسلحة جديدة وخطط محكمة ، وقيادة قديرة ، فكان لهذا اللقاء الأول أثر جد قوى فى نفس محمد على وتفكيره .

فلما جلا الفرنسيون عن مصر ، واستقر محمد على فيها ضابطاً من ضباط الفرقة الألبانية ، ظل يرقب عن كثب الصراع الذى قام من جديد بين القوى الثلاث : المماليك والأتراك والانجليز ؛ وقدر محمد على كل قوة قدرها ، وأيقن أن كل واحدة منها تناضل الأخرى فى سبيل أن تفوز هى وتغنم دون أن تعير هذا البلد وهذا الشعب اهتماماً ؛ ورأى بثاقب نظره أن هناك — وراء الستار — قوة ظلت كامنة قرابة ثلاثة قرون ، وقد أيقظتها هذه الحملة الفرنسية ، وأن المستقبل لهذه القوة إذا وجدت من يأخذ بيدها ، ويقودها إلى الخير .

وانتهت هذه المعركة الثلاثية بخروج الانجليز من مصر أولا ، ثم بضعف المماليك والأتراك ثانياً ، وهنا ظهر محمد على فى صف الشعب ؛ ولحظ الناس — خاصتهم وعامتهم — مواهب هـذا الرجل الممتازة « فرأوا فى رجل الحرب الزعيم المفطور على الخير ، ولمـا اشتد الأمر بينهم وبين الباشا العثمانى قالوا له إنا لانريد هذا الباشا حاكما علينا ، ولابد من عزله من الولاية ، فقال ومن تريدونه يكون والياً ؟ ، قالوا له : لانرضى إلا بك ، وتكون والياً علينا بشروطنا لما نتوسمه فيك من العدالة والخير ؛ فامتنع أولا ، ثم رضى ؛

وأحضروا له « كركا » وعليه قفطان ، وقام إليه السيد عمر والشيخ الشرقاوى فألبساه له ، وذلك وقت العصر ، ونادوا بذلك فى تلك الليلة فى المدينة » (١) .

وانتهى النزاع أخيراً ، واضطر السلطان اضطرارا أن يقر محمد على والياً على مصر ، ومنذ ذلك الحين بدأ هذا الرجل العظيم يطهر الجو أولا ، ثم أخذ يضع الخطط لإصلاحاته المختلفة ، التى تعتبر — إلى حد ما — استمراراً لما بدأه الفرنسيون فى مصر ، والتى التزم فيها سبيلا وسطا ، فلم يلجأ إلى القديم ويتعصب له ، لأنه آمن منذ اللقاء الأول بأن الإصلاح إنما يكون بالنقل عن الغرب ، ولكنه فى نفس الوقت لم يأخذ عن الغرب كل شىء ، ولم يعتمد عليه كل الاعتماد ، بل « اتخذ بين المستشرقين والمستغربين خطة وسطا ، يدلك على ذلك أن « ماكولى » استشهد بما عمله محمد على فى مصر لتأييد ماذهب إليه من ضرورة تعليم العلوم الحديثة ، كما أن خصوم « ماكولى » من أنصار الثقافة الشرقية استشهدوا أيضاً بمحمد على لتأييد ماذهبوا إليه من ضرورة وصل حاضر الأمة بغابرها ، فقالوا — وكان حقاً قولهم — إن مصلح مصر يعلم العلوم الحديثة ، ولكنه يعلمها باللغة العربية ... » (٢)

تولى محمد على عرش مصر والعلم فيها قد انزوى فى أروقة الأزهر ، وصحون بعض المساجد ، وقاعات المكاتب فى المراكز والقرى ؛ وكان لعلماء الأزهر — كما يقول رفاعة — « اليد البيضاء فى اتقان الأحكام الشرعية ، العملية والاعتقادية ، ومايجب من العلوم الآلية كعلوم العربية الاثنى عشر ، وكالمنطق ، والوضع ، وآداب البحث ، والمقولات ، وعلم الأصول المعتبر ... » (٣) ، وكان الأزهر كما يقول : « جنة علم دانية الثمار ، وروضة فهم يانعة الأزهار » (٤) ، وإن كان أستاذه الشيخ العطار قد فقد ثقته بهذه العلوم ، مذ بهرته علوم الفرنسيين ، وراح يطلب غيرها لنفسه ، ويقرأ لتلاميذه كتباً غير كتب الأزهر ، وعلوماً غير علوم الأزهر ، وكان يقول : « إن بلادنا لابد أن تتغير أحوالها ، ويتجدد بها من المعارف ماليس فيها » (٥)

وآمن محمد على بهذا الرأى ، وبدأ يعد العدة لانشاء المدارس الجديدة ، ولكنه تخير تلاميذها ومعلميها من المعهد القديم — الأزهر — ، واحتفظ لمدارسه الجديدة بالطابع الإسلامى الشرقى ، فكان فى نظر أهل

(١) ص «س» من مقدمة الأستاذ شفيق غربال بك لكتاب تاريخ التعليم فى عصر محمد على للدكتور احمد عزت عبد الكريم ؛ والجبرتى ، ج ٣ ، ص ٣٥٠ .
(٢) شفيق غربال ، محمد على الكبير ، ص ٩٦ .
(٣) رفاعة ، مناهج الألباب ، ص ٣٧٢ .
(٤) رفاعة ، تخليص الابريز ، ص ٣ .
(٥) على مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج ٤ ، ص ٣٨ .

عصره من المصريين « مجدداً لدروس العلم بعد اندراسها ، آتياً فى ذلك بما لم تستطعه الأوائل » (١) ، كما كان يلقبه الأوروبيون « بمعيد تمدن الإسلام ، ومبيد تمكن الأوهام » (٢) .

بدأ محمد على فى مصر عهداً جديداً ، فقد كانت العلاقات بينه وبين السلطان غير مستقرة ، وكان الجيش الذى وجده فى مصر — إن صح أن يسمى جيشاً — خليطاً عجيباً من شراذم مملوكية ، وفرق ألبانية ، وشركسية ، إلخ ... إلخ ، وكانت له أطماع سياسية تتجه إلى إحياء العالم العثمانى ، وكان يرى أن هذا الاحياء لايمكن أن يتم إلا إذا اتخذ لنفسه جيشاً وأسطولا عظيمين قويين ينهج فى تكوينهما نهج دول اروبا فى تكوين جيوشها وأساطيلها .

ورأى محمد على بعد هذا أن السياسة الاقتصادية فى مصر سياسة خربة يعوزها الاصلاح الشامل فى شتى نواحيها ؛ وكان مذهبه فى الاصلاح — مصيباً فى ذلك أم مخطئاً — أن تضع الحكومة يدها على فروع الانتاج الاقتصادى المختلفة ، من زراعة وتجارة وصناعة ، لتتمكن من إدخال الاصلاح الذى تريد.

وكان محمد على أخيراً فى حاجة إلى موظفين إداريين حازمين يفهمون عنه رغبتـه فى الإصلاح ، ويقدرون حالة البلد ، وحاجتها ، ويلمون إلماماً تاماً بنواحى الاصلاح الغربى المراد اقتباسه .

وكانت مصر خلواً من هذا الصنف من الرجال ، فاتجه محمد على أول الأمر إلى استخدام الأجانب ، ولكنه كان يدرك منذ اللحظة الأولى ، أن الاكثار من الأجانب فى خدمة الحكومة ليس من الصواب فى شىء ، فكثير منهم — على كفايتهم فى النظم الحربية والاقتصادية كما عرفتها بلادهم فى ذلك الوقت — يجهلون أغراض الحكومة ، وقد يعرقلون أعمالها ، عن قصد أو غير قصد ، وقد يجهلون أيضاً ماتحتاجه بلاد ناشئة كمصر من تلك النظم الحربية والاقتصادية ، وقد يرجع هذا إلى جهلهم بلغة البلاد ، وعادات أهلها ، وطباعهم ؛ وكان محمد على لايثق فى كثير منهم ، ويرى أنهم إنما يعملون لمصلحتهم الذاتية قبل أن يعملوا لمصلحة الدولة التى تنفق عليهم ، وأنهم يروج بعضهم لبعض .

هذا إلى النفقات الطائلة التى تنفق عليهم ، فهم يتقاضون مرتبات باهظـة ، وكثير منهم يجهلون اللغة العربية ، فيعين لهم مترجمون ليكونوا عوناً لهم فى عملهم . وفى الصلة بينهم وبين الحكومة » (٣) .

هذه هى الأسباب التى كانت تعدل بمحمد على عن الاعتماد على الأجانب أو الإكثار منهم فى وظائف الحكومة ، وتدفعه إلى التفكير الجدى السريع فى إيجاد حل للإقلال منهم ، ثم لإحلال المصريين محلهم ، ويضاف إلى الأسباب السابقة ما كان يمتاز به كثيرون من هؤلاء من جهل وادعاء واستغلال ، يؤيد

(١) رفاعة ، مناهج الألباب ، ص ٣٧٢ .
(٢) رفاعة ، فى مقدمته لبداية القدماء وهداية الحكماء ، ص ٤ .
(٣) عزت عبد الكريم ، تاريخ التعليم فى عصر محمد على ، ص ٣١ — ٣٢ .

دعوانا هذه مايقوله « ادوارجوان » عن الأطباء المرافقين للحملة المصرية على السودان ، قال: « كان يوجد لفيف من أفاقى اليونان والطليان يرافقون الجيش فى تنقلاته من مكان إلى مكان منتحلين العلم بالطب ، والحقيقة أنهم كانوا لايدرون من بسائطه شيئاً ، وإنما كانوا من النصابين البارعين فى الشعوذة ، ولقد كان ستة من أولئك الأطباء المزعومين فى مقدمة الذين لقوا حتفهم بتلك الأمراض المهلكة ، فكان موتهم بها دليلا على عجزهم وجهلهم ، وشعوذتهم »[١] ، وذكر أيضاً « مسيوهامون » ناظر مدرسة الطب البيطرى فى مصر فى عهد محمد على عند كلامه عن الأطباء والصيادلة الأجانب الذين ألحقوا بالادارة الصحية أول انشائها ، أن ثلثيهم كانوا لايحملون دبلومات أو مؤهلات علمية طبية بل إن منهم من كان ممرضا أو مدير مكتب تلغرافى أو صانع أحذية أو ندلا فى مقهى بالقاهرة ، ثم قال : « إن أى أجنبى كان ينزل بأرض مصر وليس له مهنة يمتهنها كان يعين صيدلياً أو طبيباً »[٢] .

أدرك محمد على إذاً كل هذه الأسباب ، وكانت له بصيرة مستشفة ، وعين نفاذة ، وبدأ يفكر كما قلنا فى الوسائل التى تمكنه سريعا من الاستغناء عن هؤلاء الأجانب — أو على الأقل — عن المدعين منهم ، ثم إحلال المصريين محلهم ؛ وقد اتبع لتنفيذ هذا الرأى سبلا كثيرة :

١ — رأى أولا أن علوم الغرب ، وحكمته ، وخططه ، ونظمه ، قد سطرت جلها أوكلها فى كتبه التى وضعها علماؤه ، ومؤلفوه ، فكانت خطته الأولى أن يمهد السبل لترجمة كثير من هذه الكتب إلى العربية أو التركية ، ليسهل على أبناء البلاد الاطلاع عليها ، والإفادة منها ؛ وقد عهد فعلا لكثير من الأجانب فى مصر — شرقيين وغربيين — بترجمة بعض الكتب ، غير أنهم كانوا يتلكأون ، أو يهملون فى عملهم حتى « ليتم أحدهم عمل ستة أشهر فى خمس سنوات »[٣] ؛ ومع هذا فقد ترجمت كتب كثيرة فى مختلف الفنون ، ولكن هل يستطيع هذا النفر من المترجمين أن يحولوا ماء البحر بكوب ؟ ! كلا ولو جاءهم محمد على بأضعاف أضعافهم عونا ومددا ، ولهذا أدرك ما يشين هذه الطريقة من بطء ، وما قد يشوبها من أخطاء ترجع إلى اختيار الكتب أو المترجمين ، أو كفاية هؤلاء المترجمين ، ومبلغ معرفتهم بالعلوم التى يترجمون فيها ، أو باللغات التى ينقلون عنها وإليها .

٢ — راح محمد على بعد ذلك يتلمس طريقة أخرى فرأى أن ينقل نفرا من أهل البلد إلى أوروبا — موطن هذه العلوم والنظم — ليدرسوا هذا الذى يريد نقله هناك ، وبلغة القوم ، حتى إذا عادوا لمصر

(١) ادوار جوان ، مصر فى القرن التاسع عشر ، ترجمة محمد مسعود ، ص ٦٢١ — ٦٢٢ .

(٢) Hamont. l'Egypte sous Méhémet-Ali, t. II, pp. 108–109.

(٣) عزت عبد الكريم ، تاريخ التعليم فى عصر محمد على ، ص ٣٣) نقلا عن وثائق عابدين) .

كانوا عدتها فى المستقبل ، وحلوا محل الأجانب فى الوظائف المختلفة ، وفى تعليم مادرسوا لأبناء أمتهم ، وفى ترجمة الكتب الغربية ؛ ولهذا أرسل محمد على البعوث إلى أوروبا الواحدة بعد الأخرى ، وعاد الكثيرون من أعضائها وقد أفادوا الفائدة الكبرى ، وحققوا أغراض محمد على ، وحملوا العبء عن الأجانب ، وأدوا واجبهم بإخلاص وأمانة ، وكان محمد على مع هذا لايوليهم — بعد عودتهم — الأعمال المختلفة إلا إذا استوثق من مهارتهم ، وكان مقياسه فى ذلك أن يقوم كل منهم بترجمة كتاب فى الفن الذى اختص فيه ، أما الذين درسوا الصناعة منهم ، فكان يجربهم فيما درسوه « حتى إذا أظهروا مهارة وكفاية استغنى عن خدمات الأجانب ، وأحل محلهم أهل البلاد فى وظائفهم »[١] ، لأنه كان يرى فى صرف الأجانب عن المنشآت الجديدة ، وإحلال المصريين محلهم « صيانة لأموال الحكومة وفخرا لها »[٢] ، وكان يفرح الفرح كله كلما سمع عن نبوغ بعض الضباط المصريين ويعد ذلك « فألا حسنا للمستقبل ، إذ يعفى الحكومة من استخدام الأجانب »[٣] .

٣ — كان لهذه الطريقة فائدتها وجدواها ، فقد عاد الكثيرون من أعضاء البعثات ، وتولوا الكثير من الأعمال والوظائف ، وترجموا الكثير من الكتب ، ولكن جيوش محمد على وأساطيله تحتاج لمئات الضباط ، والمصانع المتعددة تحتاج لآلاف العمال ، والإصلاح الزراعى ، ومنشآت الرى والهندسة تحتاج لعشرات الخبيرين بهذه الفنون والعلوم الجديدة . . ، والمدارس تحتاج لمئات المدرسين المختصين فى مختلف العلوم . . ، والإصلاح الطبى يحتاج لجيش كبير من الأطباء ، . . . وهكذا . . وهكذا . . ، فهل يستطيع محمد على ، أو هل تمكنه ميزانية الدولة أن يبعث هذه الآلاف من المصريين ليتلقوا العلم فى أوروبا . . ؟!

وجد محمد على أن هذه أيضا طريقة غير عملية ، أو — على الأقل — غير سريعة الإنتاج ، لأنه لو اكتفى بها لاحتاج إلى سنوات وسنوات ، وهو حريص على أن يشمل إصلاحه كل ناحية من نواحى الحياة المصرية ، وفى أسرع وقت ممكن ، لهذا لجأ إلى تجربة رابعة ذات شعبتين :

٤ — (ا) فقد عهد إلى الأجانب أن يقوموا — إلى جانب أعمالهم — بتعليم بعض المصريين علومهم وفنونهم حتى إذا أتم هؤلاء تعليمهم خلفوا أساتذتهم فى مراكزهم « فالضباط الأجانب ينظمون فرق الجيش ، ويعلمون الضباط والجند المصريين أو الأتراك ، والأطباء الأجانب يعملون فى المستشفيات ، ويعلمون التلاميذ ليكونوا أطباء ، ورجال الصناعة الأجانب يعملون فى المصانع ، ويعلمون فنهم للصناع سريين » .

(١) و (٢) و (٣) عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ص ٣٣ و ٣٤ (عن وثائق عابدين) .

(ب) ثم رأى محمد على أخيراً أن ينشىء المدارس المختلفة لتعليم أبناء البلاد تعليما رتيبا منظما ، فأنشأ مدارس الطب والهندسة والزراعة والحربيـــة ومدرسة الألسن ، ثم رأى أن لا بد من وجود مدارس أخرى لإعداد الملتحقين بهذه المدارس « الخصوصية » ، ففتح مدارس « المبتديان » ، والمدارس « التجهيزية » .

بهذه الوسائل جميعا حاول محمد على أن ينقل الغرب إلى مصر ليحقق مثله العليا فى الإصلاح ، ولـكنه لم يحاول البتة أن ينقل مصر إلى الغرب بل احتفظ لها بروحهـــا وتقاليدها ، بل لقد حاول فى كثير من الأحيان أن يمزج بين الخير فى العالمين — الشرقى والغربى — فأقام النهضة المصرية الحديثة على أسس متينة صحيحة ، ووجَّـهها — منذ عصره حتى الآن — الوجهة الطيبة التى أفادت منهـا ، والتى لا نزال نعمل للإفادة منهـا .



ختم محمد على باشا

(ب) إلى أى الدول الأوروبية اتجه محمد على عند النقل

الدول الأوروبية ذات الصدارة فى مطالع العصر الحديث ، انجلترا ، علاقاتها مع مصر منذ العصور الوسطى ، لِمَ ابتعد محمد على عنها وعن فرنسا أولا ؟ ، العـلاقات بين مصر وايطاليا ، اتجاه محمد على إليها أولا ، أسباب هذا الاتجاه ، استعانته بالإيطاليين فى مدارسه الأولى ، وفى جيشه ؛ البعثـات الأولى ترسل إلى إيطاليا ، الـكتب الأولى تترجم عن الإيطالية ، معظم الأطباء والصيادلة من الإيطاليين ؛ ابتعاده عن إيطاليا واتجاهه إلى فرنسا ، الأسباب ، أثر هذا فى الثقافة المصرية فى القرن ١٩ ، استعانة محمد على برجال من دول أوروبا المختلفة

استعان محمد على — كما ذكرنا — بالأجانب أول الأمر ، وهنا نتساءل : بأى الأجانب استعان ؟ لما لذلك من أثر واضح سيصبغ ثقافة مصر بصبغة خاصة طوال القرن التاسع عشر .

كانت دول أوروبا صاحبة الصدارة فى العصور الوسطى المتأخرة ومطلع العصر الحديث هى : انجلترا وفرنسا ، وجمهوريات ايطاليا .

أما انجلترا فلم تفكر يوماً — حتى أواخر القرن الثامن عشر — فى أن تكون لهـا بمصر علاقة ما ، وخاصة من الناحية السياسية ، وذلك إذا استثنينا الدور الذى لعبه الملك « ريتشـــارد » (قلب الأسد) فى الحروب الصليبية ، وما كان بينه وبين سلطان مصر وقتذاك صلاح الدين الأيوبى وأخيه الملك العادل أبى بكر من علاقات[1] صداقة كانت توحى بها روح العصر والمثل العليا لنظام الفروسية السائد فى تلك الأيام ، وما كان يتمتع به كل من صلاح الدين و « ريكاردوس » من صفات البطولة الصادقة .

وبانتهاء تلك الحملة الصليبية انقطعت العلاقات بين مصر وانجلترا ، حتى إذا كان النصف الثانى من القرن الثامن عشر سمعنا عن مساع كثيرة يبذلها الانجليز فى مصر للعودة إلى استعمال الطريق البرى القديم عبر مصر والبحر الأحمر للوصول إلى الهند[2] ، لمـا يمتاز به هذا الطريق من قصر وسرعة تتناسب ومبشرات الرغبة فى هذه السرعة التى ستكون أهم مميزات القرن التاسع عشر وخاصة بعد الانقلاب الصناعى .

وأحست فرنسا فى نفس الوقت أهمية مصر فى هذه الناحية ، وبدأت المنافسات التحتية مع مولد القرن التاسع عشر بين هاتين الدولتين لاحتلال مصر ، وظهرت أروع صور هذه المنافسة فى النضال الذى انتهى بإخراج الفرنسيين من مصر سنة ١٨٠١ ؛ وتلكأت الجنود الانجليزية فى مصر بعد خروج الفرنسيين

---

(١) فصلت هذه العلاقات فى بحث لى لم ينشر بعد عنوانه « الصلات السلمية بين الإسلام والمسيحية فى العصور الوسطى » .

(٢) أنظر فيما يتعلق بمحاولات انجلترا فى القرن الثامن عشر : .Hoskins, The British Routes toIndia ؛ وأنظر أيضا : مقالاتى عن « مصر وطريق الهند فى القرن الثامن عشر » المقتطف ، سنة ١٩٤٠ و ١٩٤١ .

حتى أضطرت إلى الجلاء بعد قليل ، ثم عاودت محاولتها مرة أخرى سنة ١٨٠٧ فمنيت هذه المحاولة بالفشل .

فهل نستطيع أن نقول إن محمد على يتجه فى محاولاته للإصلاح إلى انجلترا ، أو أن يستعين بالانجليز ، ولم يكن فى مصر منهم جاليات كبيرة !!

فإذا تركنا انجلترا إلى فرنسا لا حظنا أن محمد على قد اشترك فى المعارك التى انتهت بإخراجهم من مصر ، وقد خلصت له مصر بعد عهدهم مباشرة ، فهو يحس تماما ما تركوا فى مصر من آثار ، ولكن لعله كان لا يزال يتخوف منهم ، ثم إن عدد الجالية الفرنسية فى مصر قد نقص نقصا كبيرا بعد خروج الحملة ، فلم يكن من الطبيعى أيضا أن يتجه محمد على أول ما يتجه إلى فرنسا ، وإن كان سيتجه إليهـا بعد قليل لعوامل أخرى .

انحرف محمد على عن الاتجاه إلى هاتين الدولتين ، والاستعانة برجالهما أول الأمر — رغم ما كان لهما من زعامة على دول الغرب وقتذاك — واتجه أول ما اتجه إلى ايطاليا والايطاليين ، ولذلك أسباب :

فقد ظلت العلاقات التجارية بين مصر وجمهوريات ايطاليا متينة وثيقة طول العصور الوسطى ، وكان للإيطاليين حتى أوائل عهد محمد على جاليات كثيرة فى ثغور مصر والشام وموانيهما ، كما كانت اللغة الايطالية هى اللغة الأجنبية الأكثر شيوعا[1] وتداولا ، بل لقد كانت لغة المخاطبات الرسمية حتى بين القنصليات غير الايطالية ، وكان هؤلاء الايطاليون يعرفون العربية ، كما كان عامة الأهالى فى الثغور المصرية ، وخاصة الاسكندرية ، يتكلمون الايطالية ، يقول رفاعة عند كلامه عن الاسكندرية فى « رحلته إلى باريس » إن أغلب السوقة بهذه المدينة « يتكلم ببعض شىء من اللغة الطليانية »[2] .

فلما انتهت مذبحة القلعة ، وأصبح أولاد المماليك وغلمانهم ملكا لمحمد على ، بدأ الخطوة الأولى لإصلاح الجيش ، فأنشأ لهؤلاء الغلمان مدرسة فى القلعة على نمط مدارس المماليك القديمة ، غير أنه كان يدرس فيها إلى جانب الفنون الحربية اللغات العربية والتركية والايطالية ؛ فاللغة الايطالية هى أول لغة أروبية قرر تدريسها فى مدارس محمد على .

وسنجد فيما بعد أيضا أن اللغة الايطالية ستدرس فى مدرستى بولاق وقصر العينى ثم فى مدرسة المهندسخانة ببولاق ، وفى بعض المدارس الحربية فى سنيها الأولى .

وعندما فكر محمد على فى إرسال البعوث إلى أروبا ، كانت أولى بعثاته فى سنة ١٨٠٩ ، وثانيتها فى سنة ١٨١٣ إلى مدن ايطاليا المختلفة : ليفورن ، وميلانو ، وفلورنسا ، وروما . وذلك لدراسة فن سبك الحروف ، والطباعة ، وبعض الفنون العسكرية وبناء السفن ، ونظم الحكم .

(١) Artin Pacha. l'Instruction Publique en Egypte, p. 69.

(٢) تخليص الابريز ، ص ٢٦ .

« ومن إيطاليا استدعى محمد على المعلمين للمدارس ، والضباط المدربين للجيش ، واشترى آلات الطباعة ، والكتب التى دفعها إلى المترجمين لينقلوها إلى التركية أو العربية »[1] .

وقد ذكر كلوت بك فى تقريره عن الطب فى مصر الذى قدمه فى ديسمبر سنة ١٨٣٧ للدكتور « بورنج Bowring » مبعوث الحكومة الانجليزية فى مصر ، أنه بدأ عمله فى مصر والإدارة الصحية يشرف عليها — فى معظمها — الإيطاليون ، ثم ذكر فى إحصائية صغيرة أن مائة وخمسة من الأطباء والصيادلة فى الجيش والمستشفيات العسكرية كانوا من الإيطاليين ، واثنين وثلاثين من الفرنسيين ، وستة من الانجليز ، وخمسة من الألمان ، وأربعة من البولنديين ، واثنين من الأسبان[2] .

وعندما استقدم محمد على بعثة حربية من فرنسا للاشتراك فى تنظيم جيشه كتب الجنرال « بوايبه Boyer » رئيس هذه البعثة إلى صديقه « المسيو جومار Jomard » عضو المجمع العلمى الفرنسى ، والمشرف على بعثات محمد على إلى فرنسا فيما بعد — يقول : « وجدت أن إدارة الشئون كلها فى مصر فى أيدى الإيطاليين ، واللغة الفرنسية فى المحل الثانى ، ولا يعلمون فى المدارس الحربية سوى اللغـة الإيطالية ، ولا يترجمون سوى الكتب البسيطة التى وضعها مؤلفون من ذلك الشعب ، ومدرسو الرياضيات واللغات ، والعلوم ، والفنون ، وغيرها ، كلهم إيطاليون ؛ وفى كل عام يرحل إلى أروبا ثلاثون أو أربعون شابا ليتعلموا علومها وفنونها ؛ وإلى « بيزة » يتجهون حتى فى دراسة الفنون الحربية ؛ ويظهر الوالى دهشته من هذا التفوق الإيطالى ، وإنهم ليبثون فى ذهنه المخاوف من ناحية الفرنسيين (الخادعين) ، أما من ناحية الإيطاليين فلا يجب أن يخشى شيئاً ..»[3] .

ومن الفقرة الأخيرة من هذا الاقتباس نعلم مبلغ المرارة التى كان يحسها الفرنسيون من تفوق الإيطاليين ولغتهم فى حكومة وإدارة ومدارس وجيش محمد على ؛ ولهذا نلاحظ أن الفرنسيين سيبذلون كل الجهود للقضاء على هذا النفوذ لكى تكون لهم وللغتهم الصدارة بين الأجانب واللغات الأجنبية فى مصر ، وقد ساعدهم على ذلك أن الطوائف الأولى من الإيطاليين لم تكن من العنصر الممتاز ، بل كان معظمهم يشبهون ذلك اللفيف من الأطباء الذين وصفهم « ادوار جوان » بأنهم كانوا : « من أفاقى اليونان والطليان » ، وذلك فى الوقت الذى ترك فيه الفرنسيون القلائل الذين التحقوا بخدمة محمد على ، وخاصة « الكولونيل سيف » و « كلوت بك » أطيب الأثر وأجمله .

(١) عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٩٠ .

(٢) Bowring. Report on Egypt and Candia. p. 139.

(٣) Douin, une Mission Militaire de Meh. Ali. p. 40. (de Boyer à jormard, 20Msi, 1825.) والترجمة من ألفاظ الدكتور عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٩٠ — ٩١ .

وهناك عامل شخصى قد يكون له بعض الفضل فى التمهيد لغلبة الفرنسيين على الإيطاليين ، وذلك أن محمد على كان قد اتصل فى شبابه بتاجر فرنسى اسمه « المسيو ليون »[١] ، وقد أخلص له هذا الرجل الود والإخاء ، وأفاده كثيراً بخبرته فى شئون التجارة ؛ كذلك قد يرجع بعض الفضل إلى أن فرنسا كانت تسعى — برجالها وعلمائها وضباطها — إلى مصر وإلى محمد على سعياً ، فقد كانت تعتبره منفذاً ومتما لما بدأه علماء الحملة من أبحاث ، ولما بدأته الحملة نفسها من إصلاحات .

وأخيراً لقد كان لمركز فرنسا الدولى الممتاز حينذاك — كدولة من دول البحر الأبيض المتوسط — أثر كبير فى إشاحة محمد على وجهه عن إيطاليا والإيطاليين ، واتجاهه فى سياسته الاصلاحية نحو فرنسا والفرنسيين .

نجحت فرنسا فى حلبة هذه المنافسة ، وألغيت اللغة الإيطالية شيئا فشيئاً من المدارس المصرية ، واستغنى عن الضباط والمدرسين الايطاليين واستعيض عنهم بضباط ومدرسين فرنسيين ، وعدل عن ترجمة الكتب الإيطالية ، وألغيت البعوث الايطالية فغدت ترسل — فى معظمها — إلى فرنسا ؛ وفى كلمة واحدة لقد تحولت مصر عن النقل عن الثقافة الإيطالية إلى النقل عن الثقافة الفرنسية ، وسيكون لهذا أثره الملحوظ كما ذكرنا ، فستظل مصر طول القرن التاسع عشر مصطبغة بالصبغة الفرنسية فى شتى نواحيها التفكيرية ؛ غير أنه لزام علينا أن نشير فى ختام هذا الموضوع إلى أن محمد على لم يكن أسيراً لحبه لفرنسا وللثقافة الفرنسية وحدها ، بل كان يحب دائماً أن يستعين برجال كل دولة امتازت فى ناحية من نواحى العلم والعرفان ، فكانت من بعثاته بعثات أرسلت للنمسا وانجلترا ، كما كان يدير بعض مدارسه ويعلم فيها أفراد من الاسبانيين والانجليز وغيرهم .

---

(١) لم ينس محمد على جميل هذا الفرنسى ، وخاصة عندما وصل إلى قمة مجده ، فقد بحث عنه حتى علم أنه يقيم فى « مرسيليا » فأرسل يستدعيه إلى فرنسا ، ولكن الرجل توفى وهو يعد العدة للسفر ، فأرسل محمد على عشرة آلاف فرنك هدية إلى أخته ؛ أنظر : الرافعى ، تاريخ الحركة القومية ، ج ٢ ، ص ٣١٢ — ٣١٣ .

الباب الأول

الأدوات غير المباشرة للترجمة فى عصر محمد على

١ — المدارس

٢ — البعثات

الفصل الأول

المــــــــدارس

متى بدأ محمد على سياسته الإصلاحية ؟ ، ١ — المدارس الطبية : مدرسة الطب البشرى ، حاجة الجيش الى أطباء ، كلوت بك ينشىء المدرسة ، صعوبة اللغة ، كيف تغلب عليها ، الاستعانة بالمترجين ، عيوب هذه الطريقة ، طرق علاجها ، مدرسة الصيدلة ، مدرسة الولادة ، مدرسة الطب البيطرى ، جهودها فى الترجمة ؛ ٢ — المدارس الفنية : المدارس الزراعية ، المدارس الهندسية ، جهودها فى الترجمة ، وأثر هذه الجهود ؛ ٣ — المدارس الصناعية : مدرسة الكيمياء ، مدرسة المادن ، مدرسة العمليات ؛ ٤ — المدارس الحربية والبحرية : مدرسة أسوان ، مدرسة أركان الحرب ، مدرسة البيادة ، مدرسة السوارى ، مدرسة الطوبجية ، المدارس البحرية ، جهودها فى الترجمة

يصح أن نعتبر سنة ١٨١١ ، وهى السنة التى قضى فيها محمد على على المماليك ، بدءاً للسياسة الإصلاحية المحمدية العلوية ، ففى عقبها أنشأ المدرسة الحربية الأولى لتعليم أولاد المماليك وغلمانهم بالقلعة ، وكانت اللغة الايطالية هى اللغة الغربية التى تدرس فى هذه المدرسة ، كما كان المدربون الأجانب من الايطاليين ، وقبيل هذه السنة أيضاً بدأ محمد على التفكير فى الناحية الأخرى من الإصلاح ، فأرسل فى المدة ما بين سنة ١٨٠٩ و١٨١٦ بعثات مختلفة إلى إيطاليا . فركنا الإصلاح الجديد ، وهما المدارس الحديثة والبعثات ، بدىء فى تشييدهما فى حدود هذه السنة وبعدها ، وسيستمر هذا التشييد حتى نهاية عهد محمد على ؛ فالمدارس تنشأ الواحدة بعد الأخرى حسب حاجة البلاد ، وتنفيذاً لرغبة محمد على ؛ والبعثات ترسل لبلدان أوربا المختلفة البعثة بعد البعثة تحقيقاً لسياسة ولى النعم التى ترمى إلى إحلال المصريين محل الأجانب .

وسنحاول أن نتتبع فى الصفحات التالية خطوات التشييد لهذين الركنين : المدارس والبعثات ، وسوف نعنى فى هذا الموجز بالنواحى التى تعيننا على دراسة تاريخ الترجمة فى ذلك العصر . كتحديد اللغات الأجنبية التى كانت تدرس فى كل مدرسة ، والإشارة إلى من تولى إدارة المدارس والتعليم فيها من الأجانب ، وإلى جهود كل مدرسة فى الترجمة ؛ أما التاريخ التفصيلى للمدارس فى هذا العهد فسنغضى عنه عامدين ، لأننا لا نؤرخ للتعليم بوجه عام ، بل للترجمة بوجه خاص .

١ — المــــدارس الطبية

١ — مدرسة الطب البشرى :

بدأ محمد على بإنشاء جيشه الجديد بعد سنة ١٨١٥ ، وكان من الضرورى — اقتداء بالجيوش الأوربية



كلوت بك
ناظر المدرسة الطبية ومفتش عموم الصحة

التى ينقل عنها — أن يلحق عدداً من الأطباء بكل فرقة من فرق الجيش ، وأن تنشىء لهذه الفرق المستشفيات الثابتة والمتنقلة .

واستعان محمد على — أول الأمر — بطائفة من أدعياء الطب [١] والحلاقين ، لعدم وجود غيرهم ؛ وقد رأينا فى الفصل السابق كيف وصف « ادوار جوان » الأطباء المصاحبين للحملة المصرية فى السودان بأنهم « من أفاق اليونان والطليان » ، ونقلنا عن « مسيو هامون » ما لاحظه من أن الأطباء الأجانب فى العهد الأول كان من بينهم « ندل فى مقهى بالقاهرة وصانع أحذية فى مرسيليا وعامل تلغراف » وأن ثلثى هؤلاء الأطباء كانوا بلا « دبلومات » ؛ وفى سنة ١٨٢٥ استدعى محمد على الدكتور « كلوت بك » ليكون طبيباً ورئيساً لجراحى الجيش المصرى ، وقدسعى هذا الرجل سعيا متواصلا — منذ التحق بخدمة محمد على — للقضاء على سيطرة الايطاليين ، وإحلال الفرنسيين محلهم ، وما زال بمحمد على يحرضه على إنشاء مدرسة للطب لتعليم أبناء البلد ، حتى وافقه على ذلك ، وأنشئت المدرسة فى سنة ١٢٤٢ (١٨٢٧م) إلى جانب مستشفى الجيش بأبى زعبل ليسهل على الطلاب الدراسة العملية إلى جانب الدراسة العلمية .

وقد اعترضت « كلوت بك » صعوبات كثيرة فى أول الأمر ، أهمها : صعوبة [٢] التشريح ، وقد تغلب عليها ، وصعوبة اللغة التى يدرس بها ، وكانت هذه أخطر الصعوبات ، غير أن « كلوت بك » بذل كل جهده حتى استطاع التغلب عليها .

كانت هيئة التدريس عند ما أنشئت المدرسة تتكون من أساتذة فرنسيين [٣] وإيطاليين . كما كان من بينهم واحد اسبانى . وقد كانوا جميعا لا يعرفون غير الفرنسية أو الايطالية ، والطلبة الجدد لا يعرفون غير العربية ، لذلك لجأ « كلوت بك » إلى تعيين عدد من المترجمين لينقلوا الدروس عن الأساتذة إلى الطلاب ، وكانت الخطة التى وضعها « كلوت بك » تتلخص فيما يأتى :—

١ — كان المترجمون ينقلون الدروس إلى اللغة العربية فى حضرة الأستاذ ، وكان الأستاذ يمد المترجم بالشروح والتفسيرات اللازمة ليسهل عليه مهمته ، لأن هؤلاء المترجمين لم يكونوا على علم بالمواد التى يترجمونها فى أول الأمر .

٢ — وليتأكد الأستاذ من حسن فهم المترجم لما قال كان يطلب إليه أن يعيد ما ترجم باللغة الفرنسية أو الإيطالية ؛

(١) كلوت بك ، لمحة عامة الى مصر ، ج ٢ ، ص ٥٧٩ — ٥٨٠ .

(١) أنظر : عزت عبدالكريم ، المرجع السابق ، ص ٢٥٤ — ٢٥٥ ؛ وجورجى زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ج ٤ ، ص ٣٠

(٢) تحدث عن هؤلاء الأساتذة بشىء من التفصيل كلوت بك فى كتابه ؛ لمحة عامة إلى مصر ، ج ٢ ، ص ٦٢٧ — ٦٢٨ ، ٦٥٤ — ٦٥٥ ؛ وانظر أيضاً: Bowring. Op. cit P. 140 وعزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٢٥٩ .

٣ — كانت هذه الدروس المترجمة تملى على الطلاب بعد ذلك فيسجلونها فى دفاترهم الخاصة .

٤ — كان المدرس يقوم بعد ذلك بشرح الدرس الذى أملى على الطلاب ، ويجيب على أسئلتهم إذا أشكل عليهم فهم بعض عناصر الدرس ، وذلك عن طريق المترجم أيضا .

٥ — كان الطلبة يمتحنون آخر كل شهر فيما درسوه ، وكان الاختيار لرياسة الأقسام على أساس التفوق فى الامتحانات [١] .

كانت هذه هى الطريقة الوحيدة الممكنة للتدريس فى مدرسة الطب أول إنشائها ، وطبيعى أن تظهر لهذه الطريقة عيوب ، وأن يوجه إليها النقد المر ، وقد أحست هذه العيوب هيئة التدريس قبل غيرها ، فاعترفت فى خطابها إلى ديوان المدارس بأن « الدروس التى يدرسها المدرسون الأجانب الذين لا يعلمون باللغة العربية أو باللغة التركية كان ينقلها للطلبة مترجمون لا يعلمون شيئاً عن معناها ، كما أنه لا يمكن شرحها لهم لعدم إلمامهم بهذا العلم ، وهذا هو السبب الوحيد فى تأخر الطلبة » [٢] وكان ذلك فى مجال التعليل لسوء النتيجة فى مدرسة الطب .

هذا ما اعترفت به هيئة المدرسة فى خطاب خاص لديوان المدارس ، ولكن هذه الهيئة نفسها لم تكن لتقبل أى نقد على يوجه لطريقتها هذه فى التدريس ، فقد حدث أن كتبت جريدة « أزمير » فى أحد أعداد سنة ١٨٣٨ نقداً لاذعا لمدرسة الطب ، وطريقة التدريس بها بوساطة المترجمين ، فانبرت لها هيئة التدريس فى المدرسة ، وأرسلت لها رداً مطولا على هذا النقد جاء فيه خاصاً بطريقة النقل ما يلى :

« نحن لا نشارككم فيما ذهبتم إليه من ضرورة تمكن الشخص المنوط به أمر الوساطة بين الأستاذ والتلاميذ من العلم الذى يلقيه الأستاذ ، ويقوم هو بنقله إلى اللغة العربية ، فإنه يكفى — فيما نراه — أن يكون هذا الناقل حسن الإلمام باللغين ، ومن الكفاءة بحيث يفهم الدروس التى يفسرها الأستاذ له ، ومن الميسور للاستاذ متى تم النقل على الصفة المتقدمة ، أى بطريق الرواية عن الأستاذ ، أن يراقب صحة ما ألقاه الوسيط فى حضرته بتكليفه إياه أن يترجم إلى الفرنسية ما كان قد عربه عنها ؛ ومثل هذا التمرين المضاعف ينتهى بالمترجم إلى الاطلاع بنصوص الدرس ، والاحاطة بأطرافه ، فيكون مما لا شك فيه أن الدرس الذى حضر على هذا المثال قد نقل نقلا دقيقا ، وروعيت فيه الأمانة التامة [٣] » .

ومهما يكن من شىء فقد أحس « كلوت بك » نفسه ما يشوب هذه الطريقة من فساد واتخذ وسائل مختلفة [١] لعلاج هذا الفساد والقضاء عليه ، منها :

(١) كلوت بك ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٦١٨ — ٦١٩ .

(٢) عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٢٥٧ (عن وثائق عابدين) .

(٣) كلوت بك ، لمحة عامة إلى مصر ، ج ٢ ، ص ٦٤٧ — ٦٤٨ .

(٤) واتخذ محمد على فى نفس الوقت اجراء آخر لعلاج الموقف ، فقد أمر أن يتعلم الأطباء اللغة العربية تمهيدا للاستغناء عن المترجمين —

أولا — بدأ يكلف هيئة المترجمين فى المدرسة بترجمة الكتب الطبية إلى اللغة العربية ، واشترك المترجمون فى هذا العمل ، وكان أول كتاب طبي ترجم فى هذه المدرسة هو كتاب «القول الصريح فى علم التشريح» ، وهو من تأليف «بايل Bayle» وبه زيادات للدكتور «كلوت بك» ، وقد ترجمه يوحنا عنحورى ، وطبع فى مطبعة المدرسة بأبى زعبل سنة ١٢٤٨ (١٨٣٢ م) ، وإذ كان هؤلاء المترجمون لا يتقنون اللغة العربية فقد عينت فى مدرسة الطب طائفة من المحررين والمصححين من شيوخ الأزهر ؛ وقد استطاع هؤلاء المشايخ بما لهم من معرفة بكتب الطب العربية القديمة أن يمدوا المترجمين بالمصطلحات الطبية الصحيحة ، كما كان لهم فضل كبير فى تقويم أسلوب الترجمة العربى وتصحيحه والبعد به — على قدر استطاعتهم وعلمهم — عما يشوبه من لكنة وعجمة وركاكة ؛ أما المصطلحات الطبية الجديدة فقد اجتهدت الهيئتان معا فى ترجمتها أو وضع مصطلحات جديدة تؤدى معناها ، «ومن هؤلاء الرجال مجتمعين تكونت «أكاديمية» تكفل أمانة الترجمة وصحتها ، وأصبح للطب فى خمس سنين قاموس Vocabulaire تزيد كلماته على سته آلاف كلمة[1]» .

ثانيا — ألحق المترجمين تلاميذ بالمدرسة ليتلقوا العلوم الطبية فيسهل عليهم بعد ذلك معرفة المصطلحات ، وتفهم المواد التى ينقلونها عن الأساتذة للتلاميذ ، والكتب التى يترجمونها ، وقد أثنى كلوت بك — فى تقاريره — عليهم وعلى نشاطهم ثناء جماً .

ثالثاً — ورأى «كلوت بك» أيضاً أن يشجع تلاميذ المدرسة على تعلم اللغة الفرنسية ، فأنشأ لهم مدرسة لتعليمهم هذه اللغة ، وألحقها بمدرسة الطب ، «وقد عمل الشيخ رفاعة رافع فى هذه المدرسة مدرساً للترجمة لعشرين تلميذاً بعد عودته من فرنسا[2]» .

رابعاً — ومن الوسائل التى اتبعت للإقلال من عيوب طريقة الترجمة أن عهد لتلاميذ الفرق المتقدمة بتدريس بعض علوم الطب للتلاميذ المبتدئين ، وأن يشرحوا لهم ما صعب عليهم فهمه .

خامساً — اختار «كلوت بك» ، بعد مضى خمس سنوات على إنشاء المدرسة — اثنى عشر تلميذاً من أوائل الخريجين ونوابغهم ، وسعى حتى أرسلوا فى أول بعثة طبية إلى فرنسا (فى سنة ١٨٣٢) ، وسيكون

= ولكن الاطباء لم يستجيبوا لهذا الاصلاح ، فقد صدر أمر من محمد على الى وكيل الجهادية فى ٢٨ رجب سنة ١٢٥٠ : «بأنه اطلع على قرار المجلس الخاص بالتنبيه على شوراى الأطباء الأجانب بالسعى والاجتهاد فى تعلم اللغة العربية ، ورفت التراجمة الموجودين مع من يكون أدى الخدمة مدة سنة من الحكماء المذكورين ، وحصول الاجابة من شوراى الأطباء بأنه لم يحضروا الى مصر لتعلم اللغة العربية ، وعلى فرض علمهم بها قليل فإنهم لم يقدروا على فهم ما يعبر عنه المريض من الأمراض ، ولكون ان اجابتهم هذه مغايرة للآداب وأنه ليس من عدم علمهم اللغة العربية ، بل يعلم منها أنهم يريدون منفعة الأجانب الذين بمعيتهم ؛ أنظر : تقويم النيل ، ج ٢ ، ص ٤٥٥ ؛ وفى ٧ جمادى الأولى من نفس السنة صدر أمر منه الى وكيل الجهادية « بتعيين تراجمة الى معلمى الجهادية الافرنج الذين يعرفون اللغة العربية لحين تعليمهم إياها » ؛ المرجع السابق ، ص ٤٢٦ .

(١) عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ص ٢٥٨ .

(٢) المرجع السابق ٢٥٩ .



الدكتور كلوت بك ناظر مدرسة الطب يحقن نفسه بميكروب الطاعون أمام تلاميذه المصريين

(عن لوحة محفوظة بكلية الطب بقصر العينى بالقاهرة)

لأعضاء هذه البعثة بعد عودتهم شأن خطير فى التدريس بمدرسة الطب وإدارة شئونها ، وفى الترجمة والتأليف ؛ فقد أصدر مجلس إدارة المدرسة — بعد عودة هؤلاء المبعوثين — لائحة تعين الأعمال التى يُناط بهم القيام بها، كان منها — إلى جانب اشتغالهم كمعيدين ومساعدين للأساتذة الأجانب — أن يقوموا بترجمة الكتب التى يختارها لهم أعضاء مجلس المدرسة ، وأن تعرض هذه الكتب قبل ترجمتها على شورى المدارس ، ثم تدفع إليهم ؛ وبعد الفراغ من ترجمتها ، ومنعا للشك فى صحتها ، يجب أن لا يطبع كتاب ما بعد الانتهاء من ترجمته قبل أن يعرض على مترجمى المدرسة ومصححيها أجمعين (١) » .

كذلك نص فى لوائح سنة ١٨٢٦ التى أصدرها ديوان المدارس لتنظيم التعليم فى مصر على أن يجتمع مدرسو مدرسة الطب المصريون فى غرفة الترجمة بالمدرسة ليشتغلوا بالترجمة ساعتين قبل الظهر ، وساعتين بعد الظهر (٢) .

وقد ظلت إدارة المدرسة يتولاها الأجانب منذ أنشئت حتى سنة ١٢٦١ (١٨٤٥) أى حتى أواخر عهد محمد على تقريباً ، فقد تولى إدارتها بالتتابع : الدكتور « كلوت بك » ، ثم الدكتور « دڤينو » ، ثم الدكتور « برُّون » ، وأخيراً عهد بإدارتها إلى أحد أعضاء البعثة المصريين وهو الدكتور إبراهيم النبراوى ، ثم تولاها من بعده عضو آخر هو الدكتور محمد الشافعى .

ب — مدرسة الصيدلة :

أنشئت بعد إنشاء مدرسة الطب البشرى بثلاث سنين ، أى سنة ١٢٤٥ (١٨٣٠) ، وكان مكانها الأول فى القلعة ، ثم ألحقت فى نفس السنة بمدرسة الطب بأبى زعبل إجابة لرغبة « كلوت بك » ، وكان المشرف عليها الدكتور « لويس ألساندرى Alessandri » ، وكان كل طلبتها من المصريين ، ولسنا نجد جديداً نذكره عن طريقة التعليم والترجمة فيها ، إذ ما ينطبق على مدرسة الطب ينطبق عليها لأنها فرع منها .

حـ — مدرسة الولادة :

أنشئت سنة ١٢٤٧ (١٨٣٢) ، وألحقت بمدرسة الطب البشرى ، وكانت تلميذاتها — فى السنوات الأولى من حياتها — من الجوارى السودانيات والحبشيات ، ثم أصبحن — بالتدريج — جميعا من المصريات ، كما كان يلحق بالمدرسة فى أول عهدها عدد من الأغوات .

وكانت التلميذات يدرسن اللغة العربية إلى جانب المواد الطبية وكان « كلوت بك » مديراً للمدرسة بحكم مركزه كمدير لمدرسة الطب ، وكذلك كان خلفه الدكتور « برُّون » ، ولكن كان ينوب عنه فى الاشراف على المدرسة أحد مدرسى مدسة الطب ، وقد تولى هذا المنصب من المصريين على هيبة أفندى

(١) المرجع السابق ، ص ٢٧٢ — ٢٧٣ (عن وثائق عابدين)
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٨٣ (عن وثائق عابدين)

ثم عيسوى النحراوى افندى ثم أحمد الرشيدى افندى ، وهم جميعاً من أعضاء البعثة الطبية الأولى إلى فرنسا .

وكان يشترك فى التدريس طبيبة فرنسية اسمها « الآنسة جوليت » وهى إحدى خريجات مدرسة المولدات بباريس ؛ وقد لاحظت هذه الآنسة أن تلميذاتها فى المدرسة يتمتعن بقدر كبير من الذكاء فأحبت أن تعلمهن اللغة الفرنسية « من غير أن تضر بدراستهن الأولى » ؛ وقد قطع التلميذات فى هذا السبيل شوطاً كبيراً ، وكفاءتهن فيها تستدعى الدهشة(١) ، وقد خلفت هذه الآنسة فى مركزها فرنسية أخرى اسمها الآنسة « غو » ، وذلك فى ابريل سنة ١٨٣٦ .

وكان تلميذات المدرسة يدرسن المواد المختلفة فى كتب ترجمت فى مدرسة الطب ، وأهمها رسالة مؤلفة فى فن التوليد ترجمت إلى اللغة العربية(٢) .

(د) مدرسة الطب البيطرى :

بدأت فى رشيد سنة ١٢٤٣ (١٨٢٨) ثم نقلت إلى أبى زعبل لتلحق بمدرسة الطب البشرى فى سنة ١٢٤٦ (١٨٣١) ، وبدأت فى هذه السنة تدرس فيها اللغة الفرنسية ، وكان يدرسها مدرس خاص لجميع تلاميذ المدرسة ، ثم قصر تدريسها على نفر منهم فقط فى سنة ١٨٣٦ ؛ وكان مدير المدرسة طبيب فرنسى اسمه المسيو « هامون Hamont » ، وكان المدرسون هم مدرسو مدرسة الطب البشرى يضاف إليهم خمسة من الأساتذة والمدرسين ، ومعيدان ، كما عين لها مترجمان ومصححان .

ولما نقلت مدرسة الطب البشرى إلى قصر العينى فى أوائل سنة ١٨٣٧ ، نقلت مدرسة الطب البشرى إلى شبرا ، وألحقت هناك باصطبلات الحكومة .

وقد ترجمت فى هذه المدرسة كتب كثيرة فى الطب البيطرى كانت عدة تلاميذ المدرسة ومرجعهم فى دراستهم ، وسنتحدث عنها بالتفصيل فى الفصل الخاص بالمترجمين .

وقد رحل المسيو « هامون » عن مصر سنة ١٨٤٢ ، وخلفه فى إدارة المدرسة المسيو « برنس Prince » ولم يمكث طويلا فعين بعده لإدارة المدرسة « أمين بك » وخلفه بعد عامين « أحمد افندى » ، وبعد عامين آخرين « رقى محمد افندى العشماوى المدرس بالمدرسة إلى وظيفة « ريس عملية » مدرسة الطب البيطرى »(٣)

٢ — المدارس الفنية

(ا) المدارس الزراعية :

أنشئت فى عصر محمد على مدارس زراعية مختلفة ، كانت أولاها « الدرسخانة الملكية » التى أنشئت

(١) و (٢) كلوت بك ، لمحة عامة الى مصر ، ج ٢ ص ٦٣٧ .
(٣) عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٣٢٤ (عن وثائق عابدين)

فى سنة ١٢٤٥ (١٨٣٠)، وكان ناظرها محمد افندى الأدرنةلى ملماً باللغات الثلاث العربيـــة والفارسية والتركية، كما كان تلاميذها يدرسون — إلى جانب المواد الزراعية — اللغتين العربية والفارسية، وقد ألغيت هذه المدرسة بعد انشاء ديوان المدارس.

وكانت ثانيتها مدرسة الزراعة بشبرا الخيمة، وقد أنشئت فى سنة ١٢٤٨ (١٨٣٣) وكان يقوم بالتدريس فيها أعضاء البعثة الزراعية الذين عادوا من أوروبا، غير أن هذه المدرسة لم تعمر — كسابقتها — طويلا.

وكانت ثالثتها مدرسة الزراعة بنبروه، وقد أنشئت فى أواخر سنة ١٢٥١ (١٨٣٦) وكان ناظرها الأول يوسف أفندى الأرمنى الأصل، وكان قد تلقى علومه فى مدينة « روڤيل Roville » بفرنسا، وكان أساتذتها من أعضاء البعثة الزراعية، واختير طلابها من بين تلاميذ قصر العينى، ورأى محمد على أن يكونوا جميعاً من المصريين « لعدم ميل أبناء الترك لفن الزراعة »[١].

وقد نصت لائحة تنظيم أوقات الدراسة لهذه المدرسة على أن يقوم « الباشخوجة » أى المدرس الأول للزراعة بتدريس هذه المادة للتلاميذ، ثم « يقضى بقية ساعات اليوم فى ترجمة دروس النبات والموضوعات الأخرى التى يحيل الناظر إليه ترجمتها من الفرنسية إلى العربية[٢] ».

وقد تعثرت هذه المدرسة كثيراً فى نظامها وتجاريبها وسيرها إلى أن نقلت فى سنة ١٢٥٥ (١٨٣٩) إلى شبرا لتكون قريبة من مدرسه الطب البيطرى، وفى أوائل سنة ١٢٦٠ (١٨٤٤) صدر الأمر بنقلها ثانية إلى مدينة المنصورة، غير أنها لم تلبث أن ألغيت بعد شهور قليلة، ووزع تلاميذها — وكانوا أحد عشر تلميذاً — « على الجفالك حتى لاينسوا ماتعلموه[٣] ».

ويقول الدكتور عزت عبد الكريم: « على أن تدريس الزراعة لم يهمل فى مصر بعـد ذلك، فقد انشئت فى نحو سنة ١٨٤٦ (١٢٦٢) مدرسة إدارة الزراعة كقسم من أقسام مدرسة الألسن، ويتعلم فيها التلاميذ الإدارة الزراعية الخصوصية على أنا لانعلم شيئاً عن هذه المدرسة التى أنشئت قبل نهاية عصر محمد على بنحو عامين »[٤].

وقد ذكر عن هذه المدرسة أنه كان بها مصحح هو الشيخ نصر أبو الوفا الهورينى وهـذا يوحى أن يكون بها مترجمون كما كان متبعاً فى المدارس الخصوصية الأخرى، غير أنا لم نعثر على أسماء هؤلاء المترجمين، إلا أن يكونوا هم مدرسى المدرسة، والذى لاشك فيه أن هناك كتباً فى علمى النبات والزراعة ترجمت فى هذا العهد، وفى المدارس الزراعية كما نرجح.

(١) تقويم النيل، ج ٢، ص ٤٧٢ — ٤٧٣.
(٢) عزت عبد الكريم، المرجع السابق، ص ٣٥١.
(٣) و (٤) المرجع السابق، ص ٣٥٨.

(ب) المدارس الهندسية:

كما تعددت المدارس الزراعية فى عصر محمد على، كذلك تعددت المدارس الهندسية، وذلك أن محمد على كان، وهو فى دور « تنظيم البيت » فى حاجة إلى تجـديد كل شىء واستثمار كل شىء، وكان فى حاجة أيضاً — وهو يجدد وينظم — إلى الأعوان العالمين أو المتعلمين، وخاصة إلى المهندسين الذين يمسحون له الأرض، ويحفرون الترع ويقيمون الجسور والقنـاطر، وينشئون المصانع، ويشرفون على إدارتها، ويدرسون طبقات الأرض، ويبحثون عن معادنها، ويتصلون بالجيش، ويبنون له ثكناته وطوابيه واستحكاماته، ويضعون له خططه .. إلخ .. إلخ؛ ولهذا كله نرى أن محمد على كان يرحب بكل عالم بالهندسة ويسرع فيلحق به عدداً من الطلاب يتلقون عنه، فإذا انتهت الحاجة إلى هذه المدرسة التى خلقتها الحاجة والظروف ألغيت، ثم لايلبث أن ينشىء غيرها، وهكذا، حتى بلغ عـدد المدارس الهندسية التى أنشئت فى عصر محمد على خمس مدارس.

كانت أولاها « مكتب المهندسخانة » بالقلعة، وقد أنشأه محمد على فى سنة ١٢٣١ (١٨١٥) استجابة لما لاحظه فى أبناء مصر من « نجابة وقابلية للمعارف »، فقد روى الجبرتى أنه « اتفق أن شخصاً من أبناء البلد يسمى حسين چلبى عجوة ابتكر بفكره صورة دائرة وهى التى يدقون بها الأرز، وعمل لها مثالا من الصفيح، تدور بأسهل طريقة، بحيث أن الآلة المعتادة إذا كانت تدور بأربعـة أثوار، فيدير هذه ثوران، وقدم ذلك المثال إلى الباشا، فأعجبه وأنعم عليه بدراهم، وأمره بالمسير إلى دمياط، ويبنى بها دائرة، ويهندسها برأيه ومعرفته، وأعطاه مرسوماً بما يحتاجه من الأخشاب والحديد والمصروف، ففعل وصح قوله، ثم فعل أخرى برشيد، وراج أمره بسبب ذلك[١] ».

ويعقب الجبرتى على هذا الحادث بقوله: « ثم إن الباشا لما رأى هذه النكتة من حسين چلبى هذا، قال إن فى أولاد مصر نجابة وقابلية للمعارف، فأمر ببناء مكتب بحوش السراية، ويرتب فيه جملة من أولاد البلد ومماليك الباشا، وجعل معلمهم حسن أفندى المعروف بالدرويش الموصلى يقرر لهم قواعد الحساب والهندسة وعلم المقادير والقياسات والارتفاعات واستخراج المحصولات[٢] ».

وكان عدد تلاميذ هذه المدرسة ٨٠ تلميذاً، وقد رتب لهم محمد على الكسى والمرتبات الشهرية، والحمير « مساعدة لطلوعهم ونزولهم إلى القلعة »، وسمى هذا المكتب « بالمهندس خانة »، وأحضر لهم مدرس ثان من الإستانة اسمه « روح الدين أفندى » لتعليم من لايعرف العربية من التلاميذ، وقد تولى نظارة هذه المدرسة بعد وفاة حسن أفندى.

(١) و (٢) الجبرتى، عجائب الآثار، ج ٤، ص ٢٧٢، ٢٨٠.

ويهمنا أن نذكر هنا أن التعليم فى هذه المدرسة كان باللغتين العربية والتركية فقد كان تلاميذها من أبناء البلد ، ومن أبناء مماليك الباشا ، وهؤلاء لا يعرفون العربية ، وأنهم كانوا جميعاً يتعلمون اللغة الإيطالية ؛ وأن من نوابغ من تعلموا فى هذه المدرسة المهندس الكبير ثاقب باشا الذى اشترك فيما بعد فى إنشاء ترعة المحمودية وغيرها ، ثم كان مفتشاً لعموم رى الوجه البحرى ، ومنهم أيضاً أحمد أفندى الأزهرى الذى يقول عنه على مبارك باشا أنه « كان من طلبة الأزهر ثم دخل مدرسة المهندسخانة بالقلعة ، وتعلم اللغة التليانية ، وأخذ رتبة قائمقام ، واستمر فى خدمة الميرى إلى سنة ١٢٦٥ [١] » .

وبعد نحو أربع سنوات أى فى أواخر سنة ١٢٣٥ (١٨١٩) « صدر أمر محمد على إلى كتخدا بك بتعيين الخواجة قسطى مدرساً بمدرسة تسمى « المهندسخانة » وبأن ينتخب له خمسة أو ستة من التلامذة المتفوقين فى الرياضة والرسم من مدرسة القلعة . . . ليقوم بتدريس تلك المواد لهم . . [٢] » ، ولم نصل إلى معرفة جنسية « الخواجة قسطى » أو معرفة اللغة التى كان يدرس بها لهؤلاء التلاميذ .

أما ثالث مدرسة للهندسة ، فقد كانت كما يرى أمين سامى باشا تتكون من بعض طلبة الأزهر الذين كانوا يدرسون الحساب والهندسة باللغتين العربية والإيطالية فى قصر العينى على يد مدرس أجنبى اسمه « الخواجة رسام التودرى » ، وقد تخرج فيها إثنا عشر طالباً فى جمادى الآخرة سنة ١٢٤٢ (١٨٢٦) وعينوا للقيام بالأعمال الهندسية فى الوجه القبلى ، وأشرف على تمرينهم بعد تخرجهم الشيخ عبد الفتاح (؟) والخواجة يوسف بيرونى .

أما رابع مدرسة للهندسة فقد بدأت فى شهر ربيع الثانى سنة ١٢٤٧ (١٨٣١) عندما استدعى محمد على مهندساً من انجلترا ، وألحق به عشرة من تلاميذ قصر العينى ليتلقوا عنه هذا الفن ، وقد نقلت هذه المدرسة بعد سنتين إلى القناطر الخيرية ليسهل على التلامذة مشاهدة الأعمال الهندسية عن كثب ، وقد ألحق بهذه المدرسة بيومى أفندى ليكون مدرساً بها ، ومساعداً لباشمهندس القناطر ، وذلك بعد عودته من فرنسا ونبوغه فى دراسة العلوم الهندسية .

وهنا ظاهرة جديدة وهى أن تلاميذ هذه المدرسة كانوا يتلقون علومهم بالانجليزية أو مترجمة عنها ثم بالفرنسية عندما عين بها بيومى أفندى .

أما خامس هذه المدارس ، وهى مسك الختام فى هذه المحاولات ، وأطول هذه المدارس عمراً ، وأبقاها أثراً ، فقد افتتحت فى ١٥ المحرم سنة ١٢٥٠ (١٨٣٤) فى بولاق ، « وفى شوال سنة ١٢٥١ ضمت لها مدرسة المهندسين بالقناطر الخيرية ، وكان بها ثلاثون تلميذاً ، ومدرسة المعدنين بمصر القديمة [٣] » !

(١) الخطط التوفيقية ، ج ١٥ ، ص ٥ .
(٢) عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٣٦٠ — ٣٦١ ؛
(٣) المرجع السابق ، ص ٣٦٢ ؛

وقد نظمت مدرسة بولاق على مثال مدرسة الهندسة بباريس ، وكانت تدرس بها اللغات الثلاث العربية والتركية والفارسية إلى جانب المواد الرياضية المختلفة .

وفى سنة ١٨٣٧ قرر الاستغناء عن المدرسين الأجانب وعين بها من المدرسين المصريين محمد بيومى أفندى ومظهر أفندى وبهجت أفندى ، وألحق بهم أربعة من أعضاء البعثة الذين عادوا من فرنسا قبل إتمام تعليمهم ، وكان يدرس لهؤلاء الأربعة أيضاً مسيو لامبير Lambért ناظر المدرسة .

وفى أواخر عهد محمد على أصبحت هيئة المدرسين كلها من المصريين الذين تلقوا علومهم الهندسية فى فرنسا أو النمسا أو انجلترا ، ويذكر أسماءهم تلميذهم على مبارك ويثنى عليهم ثناء جماً .

وقد نجحت المدرسة نجاحاً كبيراً فخرجت أجيالا من المدرسين بها وبالمدرسة التجهيزية كما قام هؤلاء المدرسون والخريجون بترجمة كثير من الكتب الرياضية .

وقد اعترفت بهذه الجهود اللجنة التى كونت لتنظيم المدارس فى سنة ١٨٤١ ، فقد قالت بأنه « لاريب فى أن المهندسخانة مدينة بكل تقدمها هذا إلى دقة ناظرها وهمة أساتذتها ، غير أن معظم الفضل إنما يرجع إلى ترجمة المدرسين للدروس ، وإلى الإسراع فى طبع التراجم بمطبعة الحجر (وكانت ملحقة بالمدرسة) ثم جمعها فى كراسات وكتب ؛ لقد كانت كتب العلوم الرياضية التى فى متناول اليد من القلة والندرة ، وكانت ترجمتها من الإشكال والصعوبة بحيث لم يتيسر قبل اليوم تنشئة المهندسين الفحول على الوجه الصحيح الموافق لأسلوب فرنسا ، ولكن ها هو البكباشى محمد بيومى أفندى ، واليوزباشية أحمد طائل أفندى ، وابراهيم رمضان أفندى ، وأحمد دوقلى أفندى ، وأحمد فائد أفندى يتولون بفضل بركات الخديوى ترجمة الدروس التى وكل إليهم تعليمها ، ثم لا يقفون عند حد الترجمة بل يطبعونها على الحجر ، ويجعلون منها كتبا وأسفارا ، والواقع أن الامتحان الأخير كان مشهدا لما جمعته هذه الكتب بين دفاتها من شتى العلوم [١] » ويؤيد هذه الأقوال على مبارك باشا فيما كتبه عن ذكرياته فى هذه المدرسة [٢] .

وكان المصحح لهذه الكتب بعد ترجمتها هو الشيخ ابراهيم عبد الغفار الدسوقى يساعده مبيضون لنسخ الكتب بعد تحريرها ؛ « وقد استلزم قيام المدرسة على تعريب دروسها وكثير من الكتب الرياضية تعيين مدرسين مصريين بها من خريجى مدرسة الألسن لتدريس الفرنسية لتلامذتها ، وترجمة دروسها ، ووضع قاموس أزمعت المدرسة وضعه فى العلوم الرياضية [٣] » ؛ وكان من أبرز هؤلاء المدرسين السيد صالح مجدى ، وعبد الله أبو السعود ، وهما من أنبغ تلاميذ رفاعة ، ومن أنبغ خريجى الألسن ، ولهما جهد مشكور فى ترجمة الكتب فى مختلف الفنون والعلوم فى عصر محمد على وما تلاه .

(١) المرجع السابق ، ص ٣٦٨ (عن وثائق عابدين) .
(٢) الخطط التوفيقية ، ج ٩ ، ص ٤١ .
(٣) عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٣٦٩ (عن وثائق عابدين) .

وفى السنوات الأخيرة من عهد محمد على ألغيت اللغتان الفارسية والتركية وحلت محلهما اللغة الفرنسية وكانت تدرس لجميع التلاميذ فى كل الفرق .

ولم يكن للمدرسة مدير فى السنة الأولى من حياتها ، بل كان يديرها وكيلها أرتين بك ، ثم خلفه فى هذا المركز بعد ستة أشهر حكاكيان أفندى ، ثم اشترك معه فى إدارة المدرسة بعد قليل المسيو شارل لامبير « Charles Lambért » فلما نقل حكاكيان بك بعد ثلاث سنوات ناظراً لمدرسة العمليات استقل مسيو لامبير بإدارة المدرسة وظل يشغل هذا المركز حتى نهاية عصر محمد على .

وفى سنة ١٨٤٩ (١٢٦٦) أى فى أوائل عهد عباس الأول عين على مبارك (بك) ناظراً للمدرسة ، وألحقت بها مدرستا التجهيزية والمبتديان ، ثم ألغيت المدرسة أخيراً فى سبتمبر سنة ١٨٤٥ بعد عشرين عاماً ، وبعد حياة حافلة بالجهاد الدائب المتصل فى سبيل النهضة بالحياة العلمية الرياضية فى مصر .

٣ — المدارس الصناعية

أنشئت فى عهد محمد على مصانع كثيرة لصنع الأسلحة والذخائر ، ونسج الملابس بمختلف أنواعها ، وقد فتحت فى هذا العهد أيضا مدارس صناعية عهد بتعليم الشبان المصريين فيها إلى معلمين من الأجانب ، حتى إذا تلق المصريون أصول الصناعة حلوا محل الأجانب ، كما أرسلت بعثات صناعية أيضا إلى بلاد أوربا الغربية لتحقيق نفس الغرض ، وأهم هذه المدارس :

(أ) مدرسة الكيمياء : أنشئت سنة ١٩٤٧ (١٨٣١) بمصر القديمة ، وكان تلاميذها القلائل يتعلمون فيها الصناعات الكيميائية واللغة الفرنسية ، وكان مدرسهم يسمى « ايمو Ayme » وخلفه مسيو « روشيه »

(ب) مدرسة المعادن : أنشئت سنة ١٢٥٠ (١٨٣٤) وكان ناظرها الأول مصرى اسمه « يوسف كاشف[1] » وتولى إدارتها وقتاً ما مسيو لامبير .

(ح) مدرسة العمليات أو الفنون والصنائع : وقد أنشئت سنة ١٢٥٢ (١٨٣٧) . وكانت تعنى فى دراستها بالناحية العملية ، وقد حولت فى سنة ١٨٤٤ إلى « ورشة » صناعية ، وتولى إدارتها المهندس الانجليزى « تيلر » ثم خلفه انجليزى آخر اسمه « مستر جون ماكنتون » .

وقد ترجمت فى هذه المدارس كتب صناعية ولا شك ، غير أن النقل فيها عن الغرب كان نقلا عملياً فى معظمه لا يعتمد على الكتب كثيراً .

(١) أنظر رفاعة ، مناهج الالباب ، ص ٢٥١ — ٢٦٠

٤ — المدارس الحربية والبحرية

(أ) مدرسة أسوان : بدأ محمد على — عند ما فكر فى تكوين جيشه الجديد — بتعليم طائفة من الضباط وكان من حسن حظه أن استعان بجهود ضابط من ضباط نابليون القدامى هو (الكولونيل سيف) ؛ وأنشئت المدرسة الأولى فى أسوان ، وألحق بها ألف من مماليك محمد على وكبار الموظفين والضباط ، وكان يساعد سيف فى تعليمهم نفر من الضباط الايطاليين ، كما عاونه – وقتاً ما – عثمان نور الدين .

وبعد قليل انتقلت المدرسة إلى إسنا ، وكان من بين موظفيها وقتذاك من يدعى (أحمد أفندى)[1] ، وهو من الرجال الفنيين ، وإن بذل ما فى قدرته لترجمة بعض الكتب المتعلقة بالفنون الحربية ، فإن ذلك يكون موجباً لسرورنا[2] .

وقد نقلت هذه المدرسة بعد ذلك شمالا إلى إخميم ثم إلى النخيلة (بمديرية أسيوط) ، وانتهى بها المطاف أخيراً إلى الخانقاه بالقرب من القاهرة .

ويبدو أن لجنة تنظيم التعليم التى كونت سنة ١٨٣٦ — ١٨٣٧ قررت إلغاء هذه المدرسة مكتفية بالمدارس الحربية الأخرى : المشاة والفرسان والمدفعية .

(ب) مدرسة أركان الحرب : أنشئت فى أكتوبر سنة ١٨٢٥ بقرية (جهادآباد)[3] بالقرب من القاهرة وتولى إدارتها وتنظيمها الضابط الفرنسى (بلانات Planat) وكان يشترك معه فى التعليم بعض المدرسين الشرقيين والغربيين وخاصة الفرنسيين : وكان تلاميذ هذه المدرسة يدرسون اللغات الفرنسية والتركية والفارسية إلى جانب المواد الحربية والرياضية ورسم الخرائط .. إلخ

(ح) مدرسة البيادة : أنشئت فى الخانقاه فى سبتمبر سنة ١٨٣٢ ، ثم نقلت فى مايو سنة ١٨٣٤ إلى دمياط ، وفى سنة ١٨٤١ إلى أبى زعبل ، وظلت قائمة هناك إلى نهاية عصر محمد على .

وكانت تدرس فى هذه المدرسة اللغات الثلاث ، ثم زيدت عليها اللغة الفرنسية بعد نقلها إلى أبى زعبل ،

(١) لعله أحمد أفندى خليل الذى تولى نظارة مدرسة المدفعية فيما بعد وقام بترجمة كثير من الكتب الحربية ، أنظر ما ذكرناه عنه عند كلامنا عن المترجمين من الموظفين .

(٢) عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٣٨٨ (عن وثائق عابدين)

(٣) كانت هذه القرية كما يذكر الأمير عمر طوسون فى كتابه عن البعثات ، ص ٣٠ ، هامش ١ ، تتكون من المدرسة نفسها ومن بيوت التلاميذ ومساكن أركان حرب ، وهى تبعد أربعمائة متر عن المعسكر العام ومبنية على الطراز الأوربى .

وكان يقوم بتدريسها مصرى من خريجى الألسن ، وكان يدير هذه المدرسة فى وقت ما (ضابط بيدمونتى يدعى بولونينى Bolonini من ضباط جيش نابليون[1] .

وقد ألغيت هذه المدرسة فى عهد عباس الأول ، وسرح تلاميذها .

(ى) مدرسة السوارى : أنشئت فى الجيزة فى ذى القعدة سنة ١٢٤٦ (١٨٣٠) ، ونظمت على مثال مدرسة (سومور) الحربية بفرنسا . وكانت تدرس بها اللغات الثلاث كما كانت تدرس الفرنسية لضباطها ولفريق من تلاميذها .

وقد كان تلاميذ المدرسة — وقت انشائها — من المماليك والأتراك ، ثم أخذ العنصر المصرى يزداد شيئا فشيئا حتى أصبحت المدرسة بعد سنوات كغيرها من المدارس وجل تلاميذها إن لم يكن كلهم من المصريين .

وكان مدير المدرسة الأول الضابط الفرنسى (ڤارن Varin) فنظمها على مثال المدارس الحربية الفرنسية ، ثم خلفه فرنسى آخر يدعى (واسيل بك) ، وقد ألغيت هذه المدرسة كسابقتها فى عهد عباس الأول .

(ه) مدرسة الطوبجية : أنشئت فى طرة فى سنة ١٢٤٧ (١٨٣١) ، وقام على إدارتها وتنظيمها ضابط إسبانى اسمه (الدون انطونيو دى سيجويرا) وكان معظم تلاميذها عند انشائها من المصريين والأتراك كما كان بها عدد من التلاميذ من جزيرة كريت .

وكانت مواد الدراسة تشمل — غير المواد الحربية والرياضية — (لغة أجنبية ، فالذين يعدون للخدمة فى الأسطول يتعلمون الانجليزية ، والذين يعدون للجيش يتعلمون الفرنسية أو الإيطالية ، أما اللغة التركية فكان يتعلمها جميع التلاميذ على السواء)[2]

وكان فى المدرسة مطبعة خاصة بها تقوم بطبع الكتب المؤلفة أو المترجمة التى يدرسها التلاميذ . وقد عين رفاعة الطهطاوى مترجما بهذه المدرسة بعد عودته من فرنسا ، وظل يشغل هذا المنصب نحو السنتين .

وقد خلف سكويرابك فى إدارة المدرسة مصطفى بهجت أفندى (باشا فيما بعد) يساعده مدرب فرنسى اسمه (برونو Brunhaut) ثم خلفه أحمد أفندى خليل ، وأخيراً أصبح (برونو) وحده مديراً للمدرسة حتى أواخر عصر محمد على ، وقد ألغيت هذه المدرسة أيضا فى عهد عباس الأول .

(و) المدارس البحريه : أنشئت فى عصر محمد على مدرسة بحرية فى الاسكندرية لإعداد الجند للأسطول ولكنها ألغيت بعد سنة ١٨٣٦ ، ثم كانت هناك مدارس للتدريب العملى على ظهر بعض سفن الأسطول

(١) Hamont. Op. Cit, t. II, p. 165.

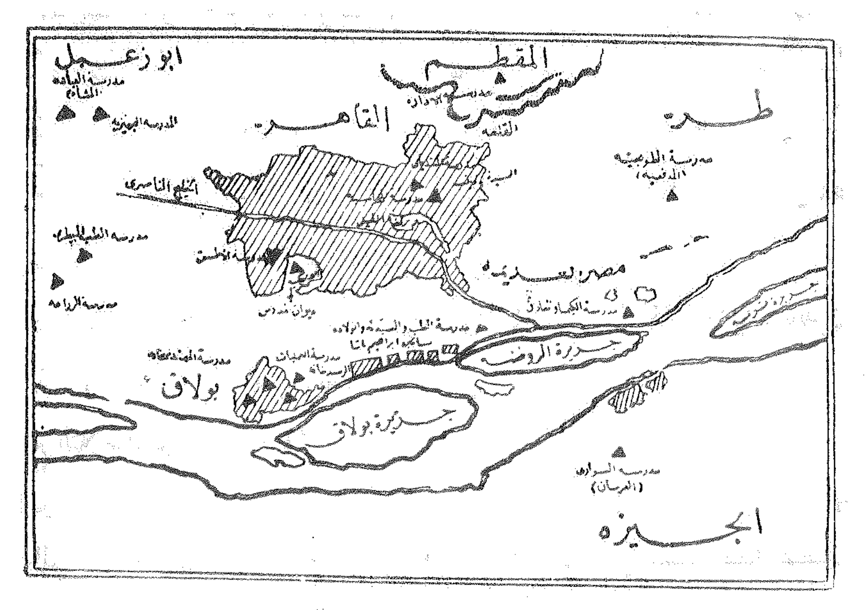
(٢) عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٤٠٨ .



الجنرال سليمان باشا
(الكولونيل سيف)

(كالمنصورة) و (عكا) و (جناح البحر) ، وقد حل أعضاء البعثات المصريون الذين درسوا الفنون البحرية فى أوربا محل الأجانب بعد عودتهم ، وتولوا قيادة الأسطول المصرى وكان لهم فضل كبير فى « ترجمة اللوائح والقوانين البحرية الفرنسية والانجليزية »[١] .

هذه هى المدارس الحربية والبحرية ، وقد ترجمت لها وفيها كتب حربية كثيرة ، ترجم معظمها عن الفرنسية أو الانجليزية إلى التركية ، والقليل منها ترجم إلى العربية .



خريطة القاهرة لبيان المدارس التى أنشأها بها محمد على

(١) سرهنك باشا ، حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج٢ ، ص٤٧

الفصل الثانى

البعثات

أهم أغراضها : تكوين جيل من الأساتذة والعلماء مثقفين ثقافة أوربية ، إعداد المترجمين لترجمة الكتب فى مختلف العلوم والفنون ؛ أول عمل كان يعهد به إلى المبعوثين هو الترجمة ، تكليفهم بالترجمة وهم فى المحجر الصحى ، عثمان نور الدين يبدأ حركة الترجمة ، ترجمة لوائح البحرية الانجليزية لاستعمالها فى البحرية المصرية ، بعض المبعوثين يترجمون كتبا فى الفنون التى تخصصوا فيها ، عضو واحد تخصص فى الترجمة الباقون أعدوا لإتقان اللغات الأجنبية ليشاركوا فى حركة الترجمة

كان الغرض الأول الذى دفع محمد على إلى إرسال البعثات المختلفة إلى ممالك أوروبا أن يكون فى مصر جيلا من الأساتذة والعلماء تلقوا العلم الأوروبى فى أوربا وبلغات أوربا ليحلوا بعد عودتهم محل الأساتذة والأطباء والمهندسين والضباط والصناع من الأجانب ، وقد نجح محمد على فى تحقيق غرضه هذا إلى حد كبير .

أما غرضه الثانى ، وهو الذى يعنينا هنا ، فهو أن يكون أعضاء هذه البعثات أداة صالحة لنقل علوم الغرب وفنونه . وترجمتها إلى اللغة العربية ، لأن محمد على لم يكن — كما ذكرنا آنفاً — متطرفا فى النقل عن الغرب ، وإلا لأبقى أساتذة الغرب ، وجعل التعليم فى مدارسه بلغات الغرب ، ولكنه كان رجلا حصيف الرأى بعيد النظر ، فاحتفظ لمصر بقوميتها[١] ولغتها ، ونقل اليها علوم الغرب رغم ما كلفته هذه الغاية الحميدة من مشاق وتكاليف .

ولذلك كان أول عمل يسنده محمد على إلى أعضاء البعثات « إمدادهم بالكتب ، والتنبيه عليهم بسرعة ترجمتها ، وقد بلغ من حرص الحكومة على أن يكون لديها أكبر قدر من الكتب المترجمة فى أقصر وقت أن كانت تقدم لهم الكتب وهم مايزالون مقيمين فى المحجر الصحى ، ثم كانت تحتجزهم فى مكان خاص ، ولا تدعهم يخرجون إلى أهلهم حتى يتموا ترجمة ماعندهم من الكتب ، وكثير منهم كانت الترجمة تشغله عن

(١) والقصة التالية خير شاهد على رغبة محمد على الشديدة فى احتفاظ المصريين بقوميتهم : « سافر أدهم بك رئيس المدفعية ومدير ورش المهمات الحربية مع بعثة من أحد عشر من معلمى الحرير بمصر إلى انجلترا ، وهناك تزيا أدهم بك بزى الانجليز ، وحاكاهم فى أحوالهم وعاداتهم ؛ وعلم بذلك محمد على باشا فأرجعه مغضوبا عليه ، وقال : « انى بعثته ليعاين فابريقاتهم ، ويقف على صنائعهم لبثها فى مصر ، لا ليقلدهم فى ملابسهم وعاداتهم » ثم عفا عنه بعد ذلك بشفاعة حفيده عباس باشا ، وقد عين أدهم بك مديرا لديوان المدارس خلفا لمصطفى مختار بك فى ١٧ مايو سنة ١٨٣٩ . أنظر عمر طوسون ، البعثات العلمية فى عصر محمد على ، ص ١٦٣ ، هامش ١ .

المدرسة المصرية التي أنشأها محمد على
فى باريس لإقامة أعضاء البعثات

واجبات وظيفته التي يتقلدها ، والبعض منهم لم يكن له من حذق اللغات الأجنبية والعربية ، والقدرة على التحرير والكتابة ما يمكنه من ترجمة ما عهد اليه ترجمة صحيحة ، فلما أنشئت مدرسة الألسن ، وكوّن قلم الترجمة من خريجيها رُفع عن أعضاء البعثات عبء لاشك كان ثقيلا على أكثرهم » .(١)

وهناك عوامل مختلفة كانت تدفع محمد على إلى العناية الفائقة بالبعثات ، والاكثار منها — كما وكيفا — أول هذه العوامل رغبته الملحة فى النهضة بمصر والمصريين فى أسرع وقت ممكن ، وثانيها أن هؤلاء الأجانب الذين استعان بهم ، أول الأمر لتعليم المصريين لم يكونوا جميعاً « أكفأ من أنجبت بلادهم ، بل إن منهم كثيرين كانوا جوابين يضربون فى الأرض » (٢) ، وثالثها أن حرص هؤلاء الأجانب على إطالة مـدة خدمتهم وارتزاقهم « لم يكن مما يجعلهم يتحمسون كثيرا لتلقين المصريين فنونهم » (٣) .

وفى الحديث الذى أدلى به محمد على للدكتور « بورنج Bowring » مندوب الحكومة الانجليزية إيضاح كامل للبرنامج العظيم الذى وضعه نصب عينيه ليتحقق على أيدى أعضاء البعثات ، وفيه أيضاً دليل قوى على عبقرية محمد على ذلك الرجل الأمى الذى ساقته العناية الإلهية لتعليم شعب بأسره ، قال محمد على لبورنج : « إن أمامى الشيء الكثير لأتعلمه أنا وشعبي ، فأنا الآن مرسل إلى بلادكم أدهم بك ، ومعه خمسة عشر شابا مصريا ليتعلموا مايمكن لبلادكم أن تعلمه ، فعليهم أن ينظروا إلى الاشياء بأعينهم ، وأن يتمرنوا على العمل بأيديهم ، وعليهم أن يختبروا مصنوعاتكم جيداً ، وأن يكشفوا كيف ولمَ تفوقتم علينا ، حتى إذا ماقضوا وقتا كافيا بين شعبكم عادوا إلى وطنهم ، وعلموا شعبي . . . » (٤)

وقد أرسلت فى عهد محمد على سبع بعثات ، كانت أولاها فى سنة ١٨٠٩ إلى إيطاليا ، ثم تعـددت البعثات إلى إيطاليا وفرنسا وانجلترا والنمسا لدراسة الطب والهندسة والفنون الحربية والبحرية والترجمة والحقوق والإدارة والكيمياء والتاريخ والعلوم الرياضية والزراعـة والطباعة وصناعة السفن والنسج بأنواعه والسباكة . . الخ . . الخ ، وكانت آخر هذه البعثات إلى إنجلترا فى أوائل سنة ١٨٤٨ ، أى قبل أن ينتقل محمد على إلى الرفيق الأعلى بسنة واحدة .

وليس يعنينا هنا أن ندرس تاريخ هذه البعثات وأعدادها والعلوم التى أرسلت لدراستها ، وأعمار المبعوثين ، ومبلغ ثقافتهم ، ومدى نجاح كل منهم . . الخ ، ففي كتب : التعليم فى عصر محمد على للدكتور

(١) عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٤٢٨ (عن وثائق عابدين) ، ويؤيد هذا ما ذكره الرافعى ، عصر محمد على ، ص ٥٣٧ فقد قال « ومما يروى عنه فى هذا الصدد أنه لما عاد أعضاء البعثة الأولى إلى مصر استقبلهم بديوانه بالقلعة ، وسلم كلا منهم كتابا بالفرنسية فى المادة التى درسها بأوروبا ، وطلب إليهم أن يترجموا تلك الكتب إلى العربية ، وأمر بابقائهم فى القلعة ، وألا يؤذن لهم بمغادرتها حتى يتموا ترجمة ما عهد به إليهم ، فترجموها فعلا ، وأمر بطبعها فى مطبعة بولاق ، وتوزيعها على المدارس التى وضعت لها تلك الكتب » .

(٢) و (٣) عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٤٢٢ .

(٤) Bowring, Report on Egypt and Candia. p, 147,

أحمد عزت عبد الكريم ص ٤٢٢ — ٤٥٣ ، والبعثات العلمية فى عهد محمد على للأمير عمر طوسون ، ص ٥ — ٤١٤ ، وعصر محمد على للأستاذ عبد الرحمن الرافعى بك ، ص ٤٥١ — ٤٦٩ ، وغيرها كثير ، غناء لمن يريد العلم بأخبار هذه البعثات ؛ ولكن يعنينا هنا أن نذكر أن هذه البعثات كانت أداة صالحة جدا لنقل علوم الغرب وفنونه وصناعاته إلى مصر علما وعملا ، وسنترجم لمن اشتغل بالترجمة من أعضاء البعثات فى الفصل الخاص بالمترجمين ثم نذكر فى قائمة الكتب المترجمة أسماء الكتب التى ترجمها هؤلاء المبعوثون فى مختلف العلوم والفنون .

ويكفى أن نشير هنا إلى بعض الحقائق ومنها :

١ — أن عثمان نور الدين (باشا) — وهو أول مبعوث مصرى إلى أوربا — كان « ساعد الحكومة الأيمن فى ترجمة الكتب ، فقد خصص له قصر اسماعيل بن محمد على فى بولاق ، وألحق به بعض المترجمين ليترجموا « كتب الفنون الحربية وسائر الصنائع » [١] .

٢ — وأن أعضاء البعثة البحرية التى أرسلت إلى انجلترا سنة ١٨٢٩ ، قاموا بعد عودتهم — إلى جانب عملهم فى الأسطول المصرى . بترجمة اللوائح البحرية الانجليزية لاستعمالها فى البحرية المصرية [٢] .

٣ — وأنه كان يعهد إلى بعض أفراد البعثات بترجمة كتاب يتصل بفنه الذى يدرسه كما عهد إلى على عبد الرحيم أفندى عضو بعثة سنة ١٨٢٩ الصناعية بترجمة كتاب عن معمل القطن ، وكما عهد إلى زميله فى نفس البعثة حنفى اسماعيل افندى بترجمة كتاب فى صناعة الآلات [٣] .

٤ — لم يعد للتخصص فى الترجمة من بين جميع أعضاء البعثات إلا رفاعة رافع الطهطاوى ، غير أنه كان يراعى دائما فى منهاج الدراسة إعداد المبعوثين للتخصص فى علومهم وفنونهم أولا ، ثم اتقان اللغات الأجنبية ثانياً ليترجموا كتباً فيما تخصصوا فيه ، فكان أعضاء البعثة الصناعية التى أرسلت إلى فرنسا فى أوائل سنة ١٨٣٠ يدرسون علم بيان اللغة الفرنسية على أستاذ خاص [٤] ، وكذلك نص فى الامر الصادر بتكوين البعثة الطبية التى كان مزمعاً إرسالها إلى فرنسا فى أوائل سنة ١٨٤٨ أن « يتعلموا جميعا اللغة الفرنسية والطب ، حتى إذا عادوا إلى مصر اشتغلوا بالترجمة . . » [٥] ، وأن محبوب الحبشى وهو أحد التلاميذ الاحباش الذين أرسلوا إلى فرنسا حوالى سنة ١٨٣٢ لتعلم فن النقش كان يتعلم هناك « اللغة العربية والفرنسية والإيطالية واشتريت له كتب فى علم الجغرافية » [٦]

---

(١) عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٤٣٥ .

(٢) أنظر عمر طوسون ، المرجع السابق ، ص ١١٣ — ١١٧ .

(٣) عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٤٤٠ .

(٤) عمر طوسون ، المرجع السابق ، ص ٧٣ .

(٥) عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٤٥١ — ٤٥٢ .

(٦) عمر طوسون ، المجم السابق ، ص ١٢٠ .

الباب الثانى

الأدوات المباشرة للترجمة فى عصر محمد على

الفصل الأول

مدرسة الألسن وقلم الترجمة

الخطوات التمهيدية : مدرسة الإدارة الملكية ، مدرسة التاريخ والجغرافيا ، مدرسة الألسن ، سبب إنشائها ، تلاميذها ، مدة الدراسة ، برنامجها ، اللغات التى كانت تدرس بها ، مدرسو المدرسة ، مديرها ، مدرسو اللغتين العربية والفرنسية ، أقسام المدرسة ونموها ؛ قلم الترجمة ، أقسامه ؛ إلغاء المدرسة فى أوائل عهد عباس ، قلم الترجمة فى عهد ابراهيم ، تشتت رجاله بعد الغاء المدرسة .

(١) مدرسة الألسن — الخطوات التمهيدية :

مدرسة الادارة الملكية : كان محمد على فى حاجة إلى عـــدد كبير من الموظفين المثقفين ثقافة جديدة لمساعدته فى إدارة ما أنشأت حكومته من (دواوين) ومصالح وأقلام . ولذلك بادر فحاول المحاولة الأولى فأنشأ فى جمادى الأول سنة ١٢٥٠ (١٨٤٣) مدرسة الإدارة الملكية ، واختير لها ثلاثون تلميذاً من تلاميذ الدرسخانة الملكية وعين للتدريس بها أرتين شكرى أفندى ، واسطفان رسمى أفندى عضوا البعثة إلى فرنسا اللذان تخصصا فى دراسة الإدارة الملكية .

وكان على هؤلاء التلاميذ أن يدرسوا فى الدرسخانة الملكية من الصباح إلى الظهر ثم يتوفرون — من الظهر إلى ماقبل غروب الشمس — على دراسة المواد الإعدادية لدراسة الأمور الملكية ، وأهمها اللغة الفرنسية ، والمحاسبة ، ومبادىء الهندسة ، والجغرافية .

وكان على هذين المدرسين — إلى جانب قيامهما بالتدريس — أن يبذلا جهوداً أخرى فى الترجمة فى هذا الفن — فن الادارة الملكية — فنصت لائحة المدرسة على :

١ — أن يعهد إليهما فى الصباح بترجمة مايحال إليهما ترجمته .

٢ — أن يقوما بترجمة دروس فى الادارة المدنية وإعدادها .

كذلك نصت اللائحة على أن تدرس مادة الترجمة دراسة عملية لتلاميذ المدرسة ، فإنه ولما كان من أغراض المدرسة تخريج مترجمين وموظفين لفروع الادارة المصرية فقد أشارت اللائحة بأن يقدم التلاميذ — بعد تقدمهم فى اللغة الفرنسية — كتب فى التاريخ سهلة ، وتترجم لهم درساً درساً ، حتى إذا تمت ترجمة الكتاب وإصلاحه قامت المطبعة على طبعه « وأنه لأجل حصول ائتلاف التلامذة بالمصالح المصرية » تقدم للمدرسة نسختان من الوقائع المصرية ، وتترجم لتلاميذها المواد « المشتملة على عمارية الملك بجرنالات أوروبا »[1]

(١) عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ص ٣٢٨ .

غير أن هذه المدرسة لم تعمر طويلا فقد ألغيت بعد قليل ، ونقل تلاميذها إلى مدرسة الألسن فى آخر سنة ١٢٥١ (١٨٣٦) .

مدرسة التاريخ والجغرافيا : أنشئت فى حدود سنة ١٢٥٠ وألحقت بمدرسة المدفعية وكان ناظرها الوحيد هو رفاعة رافع الطهطاوى ، وكان القصد من إنشائها تخريج مدرسين للجغرافيا فى المدارس الحربية المختلفة ، وقد ألغيت هذه المدرسة عند إنشاء مدرسة الألسن ، وقد فصلنا الكلام عليها عند كلامنا عن رفاعة فى فصل المترجمين .

وبهذا كانت هاتان المدرستان الخطوتين التمهيدتين لانشاء مدرسة الألسن .

مدرسة الألسن : أنشئت فى أوائل سنة ١٢٥١ (١٨٣٥) باسم مدرسة الترجمة ثم غير اسمها فأصبح « مدرسة الألسن » ، وجعل مقرها السراى المعروفة ببيت الدفتردار بحى الأزبكية حيث فندق شبرد الآن[1] وقد أنشئت هذه المدرسة تحقيقاً لاقتراح تقدم به رفاعة لمحمد على باشا ، يقول على مبارك : « ثم عرض (أى رفاعة) للجناب العالى أن فى إمكانه أن يؤسس مدرسة ألسن يمكن أن ينتفع بها الوطن ، ويستغنى عن الدخيل فأجابه إلى ذلك ، ووجه به إلى مكاتب الأقاليم لينتخب منها من التلامذة مايتم به المشروع فأسس المدرسة »[2] .

وكان تلاميذ المدرسة فى أول عهدها ثمانين تلميذا ، اختار رفاعة معظمهم من مكاتب الأقاليم ، وضم إليهم تلاميذ مدرسة الادارة الملكية بعد إلغائها ، ولكن هذا العدد زاد بعد ذلك حتى أصبح مائة وخمسين ، وكانوا ينقسمون إلى قسمين ، ويرأس كل قسم أستاذ ويساعده بعض التلاميذ المتقدمين[3] .

وكانت مدة الدراسة بالمدرسة ٥ سنوات قد تزداد إلى ست ، كما أنه كان « لشورى المدرسة الداخلى — أى مجلس إدارتها — الحق فى تعديل منهاج الدراسة بها ، وكان هذا المنهاج ينص على أن تدرس بها اللغات العربية والتركية والفرنسية[4] ، والحساب ، والجغرافيا ، ثم أضيفت بعد ذلك دراسة التاريخ ، وأرسلت المدرسة « إلى أوروبا لشراء كتب فرنسية فى الأدب والقصص والتاريخ »[5] .

وفى سنة ١٢٥٥ هـ (١٨٣٩) اكتملت المدرسة ، وأصبح بها ٥ فرق ، وخرجت أول فريق من تلامذتها ، وكان تلاميذ الفرقة الأولى (أى الأخيرة) « يترجمون كتباً فى التاريخ والأدب ، ويقوم على

(١) و (٢) الخطط التوفيقية ، ج ١٣ ، ص ٥٤ .

(٣) Bowring, Op. Cit. p. 134

(٤) ذكر عبد الله أبو السعود أحمد خريجى المدرسة فى كتابه « منحة أهل العصر بمنتقى تاريخ محى مصر » ص ٥٨ أن اللغة الفارسية كانت تدرس أيضا بمدرسة الألسن .

(٥) عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٣٣٢ — ٣٣٣ .

إصلاحها أستاذهم ومدير مدرستهم « رفاعة رافع » ثم تقدم إلى المطبعـــة فتطبع وتنشر كتباً يقرؤها المدرسون والتلاميذ [١] » .

غير أن العناية بتدريس اللغات فى مدرسة الألسن لم تكن فى درجة واحدة فقد كانت العناية كبيرة بتدريس اللغتين العربية والفرنسية ، وذلك لأسباب واضحة منها أن كل التلاميذ كانوا من المصريين الذين يعرفون العربية ولا يعرفون التركية ، ومنها أن ناظر المدرسة وأستاذها رفاعة كان يتقن هاتين اللغتين .

ومع هذا فقد « درست اللغة الانجليزية وقتاً ما بمدرسة الألسن ، وقام على تدريسها مدرس انجليزى ، وقرأ التلاميذ قصصاً وكتباً فى قواعد اللغة الانجليزية[٢] » وقد ذكر صالح مجدى فى كتابه « حلية الزمن » عند كلامه عن تلاميذ رفاعة أن من بين من نبغ فى اللغة الانجليزية من خريجى الألسن « محمد أفندى سليمان مدرس اللغة الانجليزية بالمدارس الحربية وأول من برع فى الترجمة من الانجليزية » .

أما اللغة التركية فكانت العناية بها ضعيفة للأسباب السابقة ، ولأنه « كان من الصعوبة بمكان أن تجد الحكومة مترجماً يحذق اللغات العربية والتركية والفرنسية جميعاً [٣] » .

مدرسو المدرسة : ذكر فى لائحة المدرسة أن هيئة التدريس بها تتكون من :

١ — مديرها .
٢ — مراقبين للدراسة .
٣ — أستاذين للغة العربية من الدرجة الأولى .
٤ — أستاذ للغة التركية من الدرجة الأولى .
٥ — ثلاثة أساتذة لتدريس اللغة الفرنسية والرياضة والتاريخ والجغرافيا [٤] .

أما مدير المدرسة فهو زعيم النهضة العلمية فى عصر محمد على ، العالم الكبير رفاعة رافع الطهطاوى ، وسنترجم له ترجمة واسعة فى الفصل الخاص بالمترجمين ، ويكفى أن نعرف هنا :

١ — أنه كان يشرف على المدرسة من الناحيتين الفنية والإدارية [٥] .
٢ — كان يدرس للتلاميذ الأدب والشرائع الإسلامية والغربية .

---

(١) عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ٣٣٢ — ٣٣٣ .
(٢) و (٣) المرجع السابق ص ٣٣٣ (عن وثائق عابدين) .
(٤) Bowring. Op. Cit. p. 134.
(٥) كان المتبع فى عصر محمد على أن يكون لكل مدرسة خصوصية « مدير يشرف على الشئون الفنية كتوزيع التلاميذ على الفرق الدراسية ، وتوزيع المواد الدراسية ، ورياسة المدرسين ؛ وناظر يشرف على الشؤون الإدارية كالضبط ورياسة عمال المدرسة من كتبة وخدم وغيرهم ، وكان ناظر الألسن يدعى حسن كاشف ثم عزل بناء على طلب رفاعة بك » عزت عبد الكريم ، السابق ، ص ٣٣٤ ، هامش ١ .

٣ — كان يختار الكتب التى يرى ضرورة ترجمتها ويوزعها على المترجمين من تلاميذ المدرسة وخريجيها الملتحقين بقلم الترجمه ، ويشرف على توجيههم أثناء قيامهم بالترجمة ، ويقوم بمراجعة الكتب وتهذيبها بعد ترجمتها ؛ يقول حسن قاسم أحد خريجى مدرسة الألسن فى مقدمة كتاب « تاريخ ملوك فرنسا » : « ولما تم هذا التعريب لحظه بنظر التصحيح والتهذيب حضرة رفاعة بك ناظر مدرسة الألسن وقلم الترجمة ، فشيد مبنى ألفاظه وأحكامه » .

٤ — وكان رفاعة يرأس كل عام لجنة امتحان تلاميذ مكاتب المبتديان بالأقاليم ، فيسافر إليها فى النيل ، ويمتحن تلاميذها ، ويصطحب المتفوقين منهم ليلحقهم بالمدرسة التجهيزية الملحقة بمدرسه الألسن .

وكان إخلاص رفاعة لمهنته يدفعه إلى عدم التقيد بأوقات محددة للدراسة فكان يستمر فى الدرس ثلاث أو أربع ساعات ما دام يجد فى نفسه رغبة وفى تلاميذه قبولا ، يقول على مبارك باشا : « كان دأبه فى فى مدرسة الألسن وفيما اختاره للتلاميذ من الكتب التى أراد ترجمتها منهم ، وفى تأليفاته وتراجمه خصوصاً أنه لا يقف فى ذلك فى اليوم أو الليلة على وقت محدود ، فكان ربما عقد الدرس للتلامذة بعد العشاء ، أو عند ثلث الليل الأخير ، ومكث نحو ثلاث أو أربع ساعات على قدميه فى درس اللغة ، أو فنون الإدارة ، أو الشرائع الإسلامية ، والقوانين الأجنبية ، وله فى الأولى مجاميع لم تطبع ، وكذلك كان دأبه معهم فى تدريس كتب فنون الأدب العالية ، بحيث أمسى جميعهم فى الإنشاءات نظماً ونثراً أطروفة مصرهم ، وتحفة عصرهم ، ومع ذلك كان هو بشخصه لا يفتر عن الاشتغال بالترجمة والتأليف ، وكانت مجامع الامتحانات لا تزهو إلا به »[١] .

وقد أرهقت هذه الأعمال الكثيرة رفاعة فعين له ديوان المدارس مدرساً فرنسياً ليقوم بمساعدته فى إدارة المدرسة والتفتيش على الدروس وأمانة المكتبة[٢] .

أما مدرسو اللغة العربية فكانوا نخبه من مشايخ الأزهر الممتازين فى معرفتهم وحبهم القراءة والبحث والتحقيق ، ذكر منهم على مبارك[٣] :

١ — الشيخ الدمنهورى .
٢ — الشيخ على الفرغلى الأنصارى (ابن خال رفاعة) .
٣ — الشيخ حسنين حريز الغمراوى .
٤ — الشيخ محمد قطة العدوى .
٥ — الشيخ أحمد عبد الرحيم الطهطاوى .
٦ — الشيخ عبد المنعم الجرجاوى .
٧ — حسن أفندى (باشخوجة المدرسة) .

---

(١) و (٣) الخطط التوفيقية ، جـ ١٣ ، ص ٥٤ .
(٢) عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٣٣٤ هامش ٢ .

أما مدرسو اللغة الفرنسية فهم :

١ — مسيو « كوت » ، وقد خلفه بعد وفاته « اسكندر دوده » .

٢ — مسيو « بتيير » .

٣ — مسيو « ديزون » ، وهو الذى اختير لمساعدة رفاعة ولأمانة المكتبة .

وقد حقق خريجو مدرسة الألسن غرض من إنشاء المدرسة، فمن المتقدمون من أول فريق تخرج فى سنة ١٨٢٩ مدرسين للغتين العربية والفرنسية فى نفس المدرسة ، وفى مدرسة « المهندسخانة » .

ولما أنشىء قلم الترجمة فى أوائل سنة ١٢٥٨ (١٨٤١) ألحق به كل خريجى المدرسة غير أن الواحد منهم لم يكن يمنح الرتبة حتى يترجم كتاباً « بحوز الرضا السامى »[1] وقد ألحق كثيرون منهم مدرسين بالمدارس الأخرى أو موظفين بالمصالح المختلفة .

نمو المدرسة واتساعها : وظهر للباشا ماللمدرسة من فوائد جليلة ، وأدرك ما بلغته من نجاح فظل يعمل على تنميتها :

١ — ففى سنة ١٨٤١ ألحقت بها المدرسة التجهيزية التى كانت قبلا فى أبى زعبل .

٢ — وفى سنة ١٢٦٠ (١٨٤٥) أنشىء بالمدرسة قسم لدراسة « الإدارة الملكية العمومية » لتخريج الموظفين الإداريين ، للعمل « فى المديريات والمصالح والضابط خانة »[2] .

٣ — وفى نحو سنة ١٢٦٢ أنسى لمها ثان لدراسة « الإدارة الزراعية الخصوصية » .

٤ — وفى أواخر سنة ١٢٦٣ أنشىء بها قسم ثان لدراسة العلوم الفقهية ، « وكان عدد تلامذته أربعين تلميذاً ، ويتلقون دروساً فى اللغة على المذهب الحنفى ، حتى إذا أتموا دراستهم عينوا قضاة بالأقاليم » حيث أن أكثر القضاة ليسوا علماء »[3] .

وقد أدى هذا النمو إلى ازدحام المدرسة بالطلاب حتى كان التلاميذ من فرق مختلفة يجلسون فى حجرة واحدة لتلقى علوم متباينة على أساتذة متباينين ، فعمل رفاعه على تنظيم بناء المدرسة ، حتى صار « لكل درس محل مخصوص بباب مخصوص »[4] .

قلم الترجمة

أنشئت هذه الفروع جميعاً لتخريج الموظفين الإداريين والقضاة غير أن طلبتها تعلموا اللغات الأجنبية ، وتلقوا علوماً جديدة حديثة إلى جانب العلوم العربية القديمة ، وشاركوا — إلى حد ما — فى حركة الترجمة ، ولكن يهمنا أن نعرف شيئاً عن فرع المدرسة الذى يتصل اتصالا وثيقاً بموضوعنا ، وهو قلم الترجمة .

(١) و (٢) و (٣) و (٤) عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٣٣٦ و ٣٣٧ .

أنشىء فى أوائل سنة ١٢٥٨ (١٨٤١) تنفيذاً لإشارة لجنة تنظيم التعليم (١٨٤١) ، فقد رأت اللجنة أنه « لما كانت الكتب الجارى ترجمتها معدودة آثاراً خيرية من مآثر سمو مولانا الخديو الأعظم الذى تخلد اسمه الكريم إلى أبد الآبدين ، فلا شك فى أن الواجب يقضى بأن تكون التراجم مضبوطة مستوفية حقها من الصحة سليمة من الخطأ ، فلهذا ، ولكون ترجمة كتب العلوم والفنون ليست مقصورة على معرفة اللغة فحسب ، بل متوقفة أيضاً على الإلمام بالعلم أو الفن المترجم كتابه ، فقد أنشأت اللجنة غرفة الترجمة الخاصة بالمترجمين »[1] .

وقسمت هذه الغرفة إلى أربعة أقلام :

١ — قلم ترجمة الكتب المتعلقة بالعلوم والرياضة ، ورئيسه «البكباشى محمد بيومى افندى» وتحت رئاسته « ملازم » متخرج من مدرسة الألسن ، وخمسة من تلاميذ فرقتها الأولى .

٢ — قلم ترجمه كتب العلوم الطبية والطبيعية ، ويشرف عليه «اليوزباشى مصطفى واطى افندى » أحد مدرسى مدرسة الطب البشرى ، وتحت رئاسته ملازم من مدرسة الألسن وثلاثة من تلاميذها .

٣ — قلم ترجمة المواد الاجتماعية أو « الأدبيات » كالتاريخ والجغرافيا والمنطق والأدب والقصص والقوانين والفلسفة الخ ، ورئيسه الملازم أول خليفة محمود افندى أحد مدرسى مدرسة الألسن وخريجيها ، وألحق به ملازم ثان وثلاثة من تلاميذ المدرسة .

٤ — قلم الترجمة التركية ، ويشرف عليه « ميناس افندى » المترجم بديوان المدارس . وتحت إمرته أربعة من تلاميذ المدرسة .

ثم ألحق بهذه الأقسام عدد من المبيضين لتبييض الكتب بعد ترجمتها ، وإرسالها إلى ديوان المدارس للاطلاع عليها ، فكان يشير بطبع النافع القيم منها .

مصير هذه المؤسسة :

عاشت مدرسة الألسن نحو الخمسة عشر عاما بدأت فيها تسيطر على شئون الثقافة العامة فى مصر ، وأنتجت فى إبانها الإنتاج العلمى الوفير ، فلما ولى العرش عباس الأول — ولم يكن على انسجام مع رجال جده وعمه وخاصة رفاعة — أخذ يسعى سعيه للقضاء على هذه المدرسة ، فبدأ بإلغاء قسم الفقه بالمدرسة ، ثم ثنَّى بتصفية تلاميذ المدرسة وفصل عدد كبير منهم ، «وفى الشهر الأخير من عام ١٢٦٥ (أكتوبر ١٨٤٩) صدر الأمر بنقل مدرسة الألسن إلى مكان مدرسة المبتديان بالناصرية ، وبذلك حرمت المدرسة من مكانها . . . . . وضاق بها مكانها الجديد حتى اضطروا إلى نقل الكتبخانة الأفرنكية والأنتيكات إلى

(١) المرجع السابق ، ص ٣٤١ (عن وثائق عابدين) .

المهندسخانة ببولاق ، ولم تمض أيام على ذلك حتى ألغيت مدرسة الألسن فى المحرم سنة ١٢٦٦ (نوفمبر سنة ١٨٤٩) وضم تلامذتها إلى التجهيزية قبـــل إلغائها [١] ، وفى أواخر سنة ١٢٦٦ سافر رفاعة إلى الخرطوم ليكون ناظراً ومدرساً لمدرسة الخرطوم الابتدائية .

أما قلم الترجمة فقد خضع لتجربة جديدة فى الشهور القليلة التى ولى فيها ابراهيم باشا ، وصدر الأمر بتقسيمه تقسيما جديدا إلى قلمين : قلم للترجمة التركية ويشرف عليه كانى بك ، وقلم للترجمة العربية ويشرف عليه رفاعة بك وجعلت الرئاسة العليا لكانى بك ، فقد نشرت الوقائع المصرية فى العدد ١٢٧ الصادر فى ٢٦ القعدة سنة ١٢٦٤ : « لما كانت ترجمة الكتب المرغوبة التى تشتمل على القوانين والتراتيب والآداب وسائر العلوم والفنون النافعة من اللغة الفرنساوية إلى التركية والعربية ، وطبعها ونشرها وسيلة عظمى لتكثير المعلومات المقتضية ، وقضية مسلمة عنـد أولى النهى ، وكان حصول ذلك لا يتأتى إلا بوجود المترجمين البارعين فى ألسـنة الافرنجى والتركى والعربى ، واجتماعهم فى محل واحد ، وقسمهم إلى قلمى ترجمة ، وضمهم إلى نظارة حضرة أمير اللواء كانى بك وكيل ديوان التفتيش الفريد فى فن الترجمة ، المشهور بالسلاسة والبلاغة حصل فتح القلمين كما ذكر وقد تعين حضرة رفاعة بك أمير الآلاى الذى كان ناظر مدرسة الألسن التابعـــة إلى ديوان المدارس ناظرا على قلم الترجمة العربى فى معية حضرة المومى إليه » .

يقول الدكتور عزت عبد الكريم « على أن إلغاء مدرسة الألسن فى نوفمبر سنة ١٨٤٩ لا شك قد أثر أثرا بليغا فى قلم الترجمة ورجاله فقد حرمه الدعامة القوية التى كان يرتكن عليها فى عمله الفنى وحرم المصدر الذى كان قائما على تغذيته بالمترجمين كما حرم ناظره رفاعة بك المكانة السامية التى كانت له فى دوائر التعليم ، وبعد أشهر رحل رفاعه إلى السودان ، ولم يستطع القلم أن يحيا بعد فقد مؤسسه ومديره فتشتت رجاله . . . . » [٢]

(١) و (٢) عزت عبد الكريم ، تاريخ التعليم فى عصر عباس وسعيد، ج١ ، ص٥٨ — ٦١ ،

الفصل الثانى

الكتب والمؤلفون

العلوم والفنون التى شملتها حركة الترجمة ، أوامر محمد على بشراء وجمع الكتب اللازمـــة للمدارس أو للترجمة من فرنسا وإيطاليا وانجلترا وتركيا ، كان لكل مدرسة « خصوصية » مكتبة تضم أحدث الكتب الأوروبية ، الكتب التى ترجمت فى عصر محمد على كانت : ١ — لواحد من هيئات التدريس الأجنبية بالمدارس المصرية : ٢ — أو لواحد من كبار المؤلفين فى أوربا فى القرنين ١٧و١٨ ، أمثلة ، معظم الكتب ترجمت لتستعمل فى المدارس ، شواهد ، بعض الأساتذة الذين ترجمت كتبهم ؛ الدكتور كلوت بك ، كتبه التى ترجمت : بعضها للتدريس ، والبعض الآخر لخدمة الحالة الصحية فى مصر ، كتب النوع الثانى وخاصة : « كنوز الصحة » و « الدرر الغوال » تأليفهما وترجمتهما تنفيذا لرغبة محمد على ، انتشارهما بين أفراد الشعب ؛ الدكتور « برون » ترجمة موجـــزة له ، جهوده العلمية ، الجمعية المصرية واتصال بالعلماء الأوروبيين فى مصر ، اتصاله ببعض مشايخ الأزهر ، كتبه التى ترجمت

اتجهت الترجمة فى عصر محمد على لخدمة المدارس ، والمصانع ، والجيش ، والأسطول ، والإدارات ، أى بعبارة أصح لخدمة المنشآت الحديثة التى خلقها محمد على خلقا ، ولهذا نجد الكتب فى هذا العصر تترجم فى هذه العلوم والفنون :

١ — الطب البشرى [١] والطب البيطرى ، وما يتصل بهما من العلوم الطبيعية كالطبيعة والكيمياء ، والنبات والحيوان . . . الخ مما كان يدرس فى مدارس الطب ، والطب البيطرى والصيدلة والزراعة .

٢ — العلوم الرياضية من حساب وجبر وهندسة ، وهندســـة وصفيه ، وميكانيكا ، وهدروليكا ، وحساب مثلثات . . . الخ مما كان يدرس فى مدارس الهندسة ، والمدارس الصناعية .

٣ — العلوم الحربية والبحرية ، وما يتصل بها من فنون الرسم والعلوم الرياضية مما كان يدرس فى المدارس الحربية والبحرية .

٤ — العلوم الاجتماعية أو الادبية كالتاريخ والجغرافيا ، والاجتماع والجيولوجيا والفلسفة والمنطق . . الخ مما كان يدرس أو يترجم فى مدرسة الألسن .

(١) ذكر Bowring. Op. .Cit, p. 140 أن الكتب التى ترجمت فى مدرسة الطب المصرية منذ تأسيسها حتى سنة زيارته لمصر (١٨٣٧ — ١٨٣٨) كانت فى الفنون الآتية :

١ — علم التشريح ٢ — علم التشريح المرضى ٣ — الفسيولوجيا ٤ — الطبيعة ٥ — الكيمياء ٦ — النبات ٧ — المادة الطبية ٨ — علم السموم ٩ — علم الصحة ١٠ أمراض النساء والأطفال ١١ — رسائل فى التشريح العام ١٢ — علاج الاختناق ١٣ — الجراحة العسكرية ١٤ — الأربطة الجراحية ١٥ — أمراض الجلد ١٦ — قوانين المستشفيات العسكرية ،

وقد ذكرنا أن السيطرة فى أوائل عهد محمد على كانت للغة الإيطالية ثم انتقلت منها للغة الفرنسية ، ولهذا نجد أن الكتب الأولى القليلة التى ترجمت ، نقلت عن اللغة الايطالية ، ثم أصبحت الترجمة فى معظمها عن اللغة الفرنسية ، والفن الوحيد الذى نقلت بعض كتبه وتعليماته عن الانجليزية هو قوانين وتعاليم الأسطول المصرى بحكم أن انجلترا لها السبق فى هذا الفن ؛ أما إن نقل كتاب فى علم آخر عن هذه اللغة فقد كان يترجم عن الترجمة الفرنسية لهذا الكتاب .

وكانت الترجمة عن هذه اللغات إلى اللغتين التركية والعربية ، فترجمت الكتب الحربية إلى اللغة التركية لأن معظم طلاب المدارس الحربية فى عهدها الأول كانوا من أبناء المماليك والأتراك ، كما ترجمت بعض كتب خاصة فى التاريخ والسير وشئون الحكم إلى اللغة التركية إجابة لرغبة محمد على ، وليطلع عليها هو ، ويفيد منها ، أما بقية الكتب فى الفنون والعلوم الأخرى فقد ترجمت إلى اللغة العربية لأن تلاميذ المدارس المدنية كانوا جلهم إن لم يكن كلهم من المصريين .

ومذ فكر محمد على فى خطته الاصلاحية ، وبدأ ينشأ جيشه وأسطوله ومدارسه رأى أنه فى حاجة إلى كميات كبيرة من الكتب باللغتين العربية والتركية ليستعين بها أساتذة المدارس وطلابها ، فاستورد الكتب الكثيرة من تركيا (أنشئت فيها الطباعة منذ سنة ١٧٢٨ م) غير أنه رأى أن معظم هذه الكتب لا ترضى أطماعه فهى كتب قديمة لا تسير مع التقدم العلمى الحديث فى أوربا فأنشأ مطبعته العربية فى بولاق وراح يسعى لجمع الكتب من كل مكان سعى العالم الهاوى[1] ؛ وقد بذل الجهد كل الجهد لاختيار الكتب التى يمكن أن تفيد لنشر التعليم أو الثقافة فى مصر ، أو أن تحقق ما يريده من إصلاح ، أو تثقيف لعقول مساعديه من رجال الحكم الجديد .

فى سنة ١٢٢٤ هـ (١٨٠٩) أرسل عثمان نور الدين أول مبعوث مصرى إلى أوربا لتلقى العلم فى إيطاليا وظل يتنقل بينها وبين فرنسا وانجلترا مدة ثمانى سنوات ، ولم يعد إلى مصر إلا فى سنة ١٢٣٢ (١٨١٧) ، وقبيل عودته أمره محمد على أن يشترى لحسابه من فرنسا وإيطاليا كتباً فى مختلف العلوم والفنون السياسية بمبلغ ٥٠,٠٠٠[2] روبل .

وفى سنة ١٢٣٣ (١٨١٨) أمر محمد على بشراء ٦٠٠ كتاب[3] فرنسى أخرى ؛ وعندما استدعيت بعثة مسيو بويه M. Boyer[4] الحربية إلى مصر كلف ضباطها أن يحضروا معهم مجموعة من الكتب الفرنسية فى الفنون الحربية المختلفة .

1) Dunne. Printing and Translations under m ed ali,etc. p. 328.

(٣) نشرت هذا الخبر جريدة التيمس ، عدد ٤ يوليو سنة ١٨١٨ ، عمود ٤ ، أنظر : Dunne, Op. cit P. 328.note 1.

2) Cattaui, Le Regne de Med.Ali. . . etc. pp. 387—88.

4) Douin, une mission militaire Française auprés de Med aly. P. 23.

وهكذا دأب محمد على على سياسته فى شراء الكتب اللازمة للمدارس أو للترجمة من أوربا وتركيا منذ هذا التاريخ المبكر حتى آخر سنة من حياته ، ففى « الخامس من شهر ذى القعدة سنة ١٢٤١ (يونيو ١٨٢٥م) صدر أمر منه إلى باغوص بك يشير به إلى إرسال الكتب الأفرنجية — المختصة بتعليمات وأمور البحرية السابق تسليمها — لمكتب الجهادية »[1] .

وسرعان ما عرف هذه الرغبة جميع المحيطين بمحمد على من أجانب ومصريين فتسابقوا لاشباعها ، فمن أمثلة ذلك ما فعله المسيو « دروفتى Drovetti » قنصل فرنسا فى مصر فقد حمل إلى محمد على فى سنة ١٢٤١ (١٨٢٦) مجموعة من الكتب المختصة بعلوم وقوانين البحرية » هدية إليه « من قبل ناظر ترسانة بحرية طولون » ففرح بها محمد على « وحصل له السرور » وصدر أمر منه فى ١٠ ذى القعدة إلى باغوص بك يرى فيه لزوم إرسال قبضة سيف وشال كشمير الى الناظر المومى إلية بصفة هدية »[2] .

وفى ١٩ ربيع الثانى سنة ١٢٤٣ (٩ نوفمبر سنة ١٨٢٧) صدر أمر من محمد على باشا « إلى أحد مندوبى مصر بلوندرة . . . أنه قد اتصل بعلمه تأليف وطبع كتاب يختص بالسفن الميرية الجارى إنشاؤها برسم الحكومة الانجليزية ، وبه مقدار المصاريف التى حذفت عليها ، وكتاب آخر يختص بتعليم الأطفال المبتدئين ، ويشير به بمشترى بعض نسخ من هذا وذاك ، وإرسالها بسرعة للزومها بطرفه . . »[3] .

وفى ٢٥ شوال سنة ١٢٤٤ (١٠ أبريل سنة ١٨٢٨) صدر أمر منه إلى ولده إبراهيم باشا « بأن يرسل له كتاب الاستحكامات القوية الوارد من الاستانة قبلا ، وملحق به أطلس يشتمل على ٢٤ شكلا مكملا له . . »[4] .

وفى وثائق عابدين شواهد كثيرة تؤيد هذه الرغبة السامية ، ففى ١٦ صفر سنة ١٢٤١ (١٩ سبتمبر سنة ١٨٢٥) صدر أمر من محمد على باشا إلى صادق أفندى المقيم بالاستانة أن يحصل على كتاب فى الجراحة باللغة التركية اسمه : « شانى زاده فى فن الجراحة »[5] .

وفى رسالة أخرى مؤرخة فى ٢٤ ربيع الأول سنة ١٢٤١ (٦ نوفمبر سنة ١٨٢٥) كلف المدعو توسيزا[6] Tossizza أن يبحث فى محال بيع الكتب فى أزمير عن بعض الكتب التى يطلبها محمد على .

وكان يتقدم إليه أحياناً بعض رجال دولتـــه يرغبون التوصية لشراء أحدث المؤلفات العلمية التى صدرت فى أوربا بعد عودتهم ، فكان محمد على يسرع بتلبية هذه الرغبة ، فقد صدر منه أمر إلى أرتين بك فى ٢٥ ذى الحجة سنة ١٢٦١ (٢٥ ديسمبر سنة ١٨٤٥) بأن « بهجت بك المهندس» أوضح بافادته المقدمة

(١) أمين سامى باشا « تقويم النيل ، ج ٢ ، ص ٣٢٢ .

(٢) تقويم النيل ج ٢ ، ص ٣٢٣ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٣٠ .

(٤) المرجع السابق ص ٣٤٧ .

(٥) وثائق عابدين ، دفتر رقم ٢٢ رسالة رقم ٢٠٢ ، وانظر أيضا Dunne, Op. cit P. 329

(٦) وثائق عابدين ، دفتر رقم ٢١ رسالة رقم ٢٢٠٤ .

إليّ بأنه من بعد عودته من أوربا للآن صار نشر جملة كتب فى علم الهندسة ، وتطلب بها استحضار تلك الكتب للوقوف على ما تدون بها ، فيلزم مخابرة أسطفان أفندى (رئيس البعثة بفرنسا) عن إرسال تلك الكتب لبهجت بك وخصم أثمانها من استحقاقه » .

وفى السنة السابقة لوفاة محمد على أعد كلوت بك ولامبير بك قائمة بالمعـــدات والكتب الخاصة بالمواليد الثلاثة والكيمياء والنبات فأصدر محمد على فى ٦ رجب سنة ١٢٦٣ (٢٠ يونيو سنة ١٨٤٦) أمراً إلى أرتين بك باستحضار « تلك الآلات والكتب » من فرنسا « مادامت تكون غير موجودة بالمخازن »(١) .

هذا وقد كان لكل مدرسة خصوصية مكتبة كبيرة تضم أحدث الكتب الأوروبية التى كانت تصدر حينذاك فى أوربا وإن كان معظمها باللغة الفرنسية ولمؤلفين فرنسيين ؛ ذكر المسيو « بروكى(٢) Brocchi » أنه شاهد أثناء زيارته لمدرسة بولاق فى سنة ١٨٢٢ مكتبة تضم مجموعة كبيرة من الكتب الأوروبية ، وعدداً من الكتب العربية والتركية المطبوعة فى الأستانة .

وقد كان محمد على يرى أن هذه الكتب وجدت فى هذه المكتبات « للترجمة منها والانتفاع بها ، لا « لحبسها وعدم الانتفاع بها » ، فقد صدر أمر منه إلى وكيل الجهادية فى ١٦ ربيع الثانى سنة ١٢٥١ (١٠ أغسطس سنة ١٨٣٥) يذكر فيه أنه « اطلع على المضبطة الصادرة فى ٦ الجارى سنة تاريخه الشاملة لاستحسان تسليم زمام مكتبة القصر العينى إلى يحى أفندى الموجود بمدرسة الترجمة المستجدة بالأزبكية عوضاً عن الشيخ رفاعة الحال عليه محافظة تلك المكتبة ، وحيث أن الغرض من استحضار الكتب هو تسليمها لأهلها ، وللترجمة منها ، والانتفاع بها ، وحال وجودها تحت يد يحى أفندى المذكور يكون عبارة عن حبسها وعدم الانتفاع بها فيلزم نقلها إلى محل وجود الشيخ رفاعة وإبقاؤه بوظيفة محافظ لتلك الكتب كما كان »(٣) .

ونظرة واحدة إلى قائمة الكتب التى ترجمت فى عصر محمد على تبين أن هذه الكتب كان يراعى فى اختيارها أن تكون :

١ — لواحد من هيئات التدريس الأجنبية(٤) بالمدارس المصرية .

(١) تقويم النيل ، ج ٢ ، ص ٥٤٦ .

(٢) Brocchi, Giornale delle osservazioni fattenei viaggi in Egitto, etc. pp. 160–1.

(٣) تقويم النيل ، ج ٢ ، ص ٥٤٨ .

(٤) Bowring, Op. Cit. p 135.

٢ — أو لواحد من كبار المؤلفين فى أوربا فى القرنين السابع عشر والثامن عشر .

يقول كلوت بك عند كلامه عن مدرسة الطب : « تقرر الرجوع إلى مصنفات الأساتذة : « كاوكيه » و « بروسيه » و « لالمان » و « ماجاندى » و «روش» و سانسون ، وغيرهم من أساطين الطب الفرنسيين(١) » .

وقد ترجمت فى عصر محمد على كتب كثيرة لأشهر مشاهير علماء أوربا ومؤلفيها فى الطب والهندسة والتاريخ والجغرافيا والسياسة والمنطق . . إلخ ، نذكر منها على سبيل المثال :

١ — قواعد الأصول الطبية تأليف « فرانشسكوفاقا » الأستاذ بجامعة بيزا ، طبع فى بولاق سنة ١٢٤٢ (١٨٢٦ — ١٨٢٧) .

٢ — « منتهى الأغراض فى علم شفاء الأمراض » تأليف : « بروسيه » و « سانسون » من أكبر أطباء فرنسا وقتذاك ، ترجمة يوحنا عنحورى ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٠ (١٨٣٤ — ١٨٣٥) .

٣ — « ضياء النيرين فى مداواة العينين » تأليف الطبيب الانجليزى (لورانس) وترجمه إلى العربية أحمد حسن الرشيدى ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٦ (١٨٤١م) .

٤ — أصول الهندسة تأليف لوجاندر Legendre ترجمه إلى التركية محمد عصمت أفندى ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٥ (١٨٤٠) .

٥ — «قترينه» تاريخى » تأليف « كاسترا Castsra » ترجمه إلى التركية جاكوفاكى أرجيروبولو المترجم بالديوان الخديوى ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٤٤ (١٨٢٩) .

٦ — « تاريخ نابليون » وهو مذكراته التى كتبها بنفسه حين كان منفيا فى « سانت هيلانة » ترجم عن الفرنسية إلى التركية ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٤٧هـ (١٨٣٢)

٧ — « تاريخ نابليون بونابرته » تأليف « دوق دى روفيجو Duc de Rovigo » ترجمه إلى التركية « حسن أفندى » الكاتب بديوان محمد على ، وطبع فى مطبعة سراى الاسكندرية سنة ١٢٤٩ (١٨٣٤م) .

٨ — « تاريخ دولة إيطاليا » تأليف « بوتا Botta » ترجمة عن الفرنسية إلى التركية عبد الله أفندى عزيز الكاتب بديوان محمد على ، وطبع فى مطبعة سراى الاسكندرية سنة ١٢٤٩ (١٨٣٤) .

٩ — « مطلع شموس السير فى وقائع كرلوس الثانى عشر » تأليف « فولتير Voltaire » ترجمه عن الفرنسية إلى العربية محمد أفندى مصطفى البياع أحد خريجى مدرسة الألسن وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٧هـ (١٨٤٢) — وهو تاريخ كرلوس الثانى عشر ملك أسوج(١٦٩٧ — ١٧١٨م).

١٠ — « الروض الأزهر فى تاريخ بطرس الأكبر » تأليف « فولتير Voltaire » وتعريب أحمد عبيد الطهطاوى ، طبع فى بولاق سنة ١٢٦١ (١٨٤٥) .

(١) لمحة عامة إلى مصر ، ج ٢ ، ص ٦٢٠ — ٦٢١ .

١١ — « أتحاف الملوك الألبا بتقدم الجمعيات فى أوروبا » تأليف المؤرخ الانجليزى « روبرتسون Robertson » ترجمه عن الفرنسية إلى العربية خليفة أفندى محمود أحد خريجى مدرسة الألسن ، طبع فى بولاق سنة ١٢٥٨ (١٨٤٢) ، وهو مقدمة لتاريخ شارلكان الآتى .

١٢ — « أتحاف ملوك الزمان بتاريخ الامبراطور شارلكان » تأليف « وليم روبرتسون » ترجمه عن الفرنسية إلى العربية خليفة محمود ، طبع فى بولاق سنة ١٢٦٦ (١٨٥٠)

١٣ — « الدراسة الأولية فى الجغرافية الطبيعية » تأليف « مسيوفيلكس لامروس » وترجمه عن الفرنسية إلى العربية أحمد حسن الرشيدى ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٤ (١٨٣٩)

١٤ — « الجغرافية العمومية » تأليف « ملطبرون Malte Brun » ترجمه عن الفرنسية إلى العربية رفاعة رافع الطهطاوى ، طبع فى بولاق حوالى سنة ١٢٥٠ و ١٢٦٢ (١٨٣٥ و ١٨٤٦)

١٥ — « تنوير المشرق بعلم المنطق » تأليف « دى مرسيه Dumarsais » ترجمه عن الفرنسية إلى العربية خليفة محمود ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٤ (١٨٣٩)

ولم يراع المترجمون فى عصر محمد على أن يذكروا دائماً اسم المؤلف ، ولهذا ظهرت معظم الكتب وهى لاتحمل اسم مؤلفيها ، بل كان يكتفى فى الغالب أن يذكر أن الكتاب ترجم عن الفرنسية [1] ؛ كذلك أهملت فى جميع الكتب المترجمة أسماء الكتب بلغاتها الأصلية ، ولم يثبت على أى كتاب عنوانه الأصلى لا بالحروف اللاتينية ، ولا بالحروف العربية ؛ بل لقد طغت على المحررين والمصححين والمترجمين تقاليد التأليف القديمة التى توجب أن تكون أسماء الكتب مسجوعة ، فاختيرت للكتب المترجمة عناوين مسجوعة ، إلا فى النادر ، وإلا أن يكون المترجم رسالة أو نبذة ؛ فإذا كان المترجم مصريا من أعضاء البعثات أو من خريجى مدرسة الألسن اختار هو الاسم على هذا النحو ، أما إن كان المترجم من طائفة المترجمين السوريين الذى حملوا عبء هذا الواجب فى أوائل عهد محمد على خاصة ، فإنه كان يترك اختيار اسم الكتاب — بعد ترجمته — للشيخ الأزهرى المنتدب لتصحيحه وتحريره ؛ يقول الشيخ مصطفى حسن كساب محرر الكتب المترجمة بمدرسة الطب البيطرى فى مقدمة أحد الكتب المترجمة فى هذا العلم . « . . وقد سميت هذا الكتاب روضة الأذكياء فى علم الفسيولوجيا » [2] ؛ ويقول نفس المحرر فى مقدمة

(١) أنظر مثلا : « قلائد المفاخر فى غريب عوائد الأوائل والأواخر » ترجمة رفاعة بك ، بولاق سنة ١٢٤٩ ص ٣ ، ٧ ؛ ورسالة فى علم البيطرية » ترجمة يوسف فرعون ، بولاق سنة ١٣٤٩ ؛ « والتحفة الفاخرة فى هيئة الأعضاء الظاهرة » لنفس المترجم ، بولاق سنة ١٢٥١ هـ ؛ وتحفة القلم فى أمراض القدم ترجمة محمد عبد الفتاح ، بولاق سنة ١٢٥٢هـ ، وتاريخ الفلاسفة اليونانيين » ترجمة السيد عبد الله افندى ، بولاق سنة ١٢٥١ هـ ... الخ ... الخ .

(٢) أنظر هذا الكتاب ، ص ١ — ٢ وهو تأليف « لافارج » أحد مدرسى مدرسى الطب ، وترجمة يوسف فرعون ، بولاق سنة ١٢٥٦ هـ .

كتاب آخر من كتب الطب البيطرى : « فجاءت — أى هذه الرساله — بعون الله مرتبة المبانى ، مهذبة المعانى ؛ وسميتها : البهجة السنية فى أعمار الحيوانات الأهلية . . » [1]

وقد كانت معظم الكتب التى ترجمت لفائدة التعليم بالمدارس الخصوصية وخاصة مدرسة الطب والهندسة ، من تأليف أساتذة هذه المدارس ، يقول الشيخ محمد عمر التونسى فى مقدمته لكتاب « الجواهر السنية فى الأعمال الكيماوية » أن الدكتور برون Dr Perron ألف هذا الكتاب حين كان مدرساً لمادة الكيمياء بمدرسة الطب بأبى زعبل » وألقاه على التلاميذ أولا بأول ، فاستفادت منه التلامذة فى علم الكيمياء فوائد جمة » ؛ ويقول « الدكتور برون » نفسه فى مقدمته لكتاب : « الأزهار البديعة فى علم الطبيعة » « وإنى لما استخدمت بمدرسة الطب البشرى معلماً للكيمياء ... وقمت بما وجب على فيها بما تقر به العين طلب منى أن أضم لتعليم علم الكيمياء علم الطبيعة امتثلت الأمر ؛ واقتطفت من روضة كتب هذا الفن كل زهرة بديعة . . ولما كان هذا الكتاب أول مصنف ترجم من كتب الطبيعة وكائنات الجو بالديار المصرية ؛ والقصد أن تتناوله جميع المدارس وتتلقاه بحسن طوية حذفت البراهين التى تؤدى بالأشكال والأرقام الرياضية ليسهل على تلامذة المدارس الدخول فى هذه القضايا العقلية » [2] .

وقال الشيخ محمد الهراوى فى مقدمته لكتاب « المنحة فى سياسة حفظ الصحة » : « الخواجا برنار جمع هذا الكتاب من مجلدات كبار ؛ وترجمه من الفرنساوى للعربى بالكتابة والمقال المترجم الحلبى جورجى فيدال ؛ وكنت مقيداً لتصليح ماترجم ترجمة لفظية ؛ وتوقيعه مواقع عبارات عربية . حفظاً لمقابلة الكلام عند التعليم ؛ وتسهيلا لفهمه منهم وقت التفهيم . . » [3] .

ويقول الشيخ مصطفى حسن كساب فى مقدمته لكتاب « منتهى البراح فى علم الجراح » : « إن علم الطب من أجل العلوم قدراً . . فلهذا اعتنى بتحصيله الأجلة ؛ من علماء كل ملة ؛ وممن بذل جهده فى قراءته وأفرغ وسعه فى دراسته ؛ الطبيب الأريب . . من لاريب فى حذقه ولالبس ؛ المعلم الحازق « برنس » الذى ألف هذا الكتاب ونمقه بأعذب خطاب ؛ وقرأه على الطلبة قراءة جميلة ، وأوضح لهم مسائله الجليلة فى المدرسة البيطرية . . إلخ » [4] .

كذلك كانت الكتب التى كتبها كبار المؤلفين الأوروبيين فى ذلك العصر ؛ وترجمت فى مدارس محمد على ، فانها كانت تترجم فى معظمها لتلقى دروساً على الطلاب ؛ فكتاب « اللآلى البهية فى الهندسة الوصفية » « لما أكمل

(١) أنظر هذا الكتاب ، ص ٢ ، وهو من تأليف « جيرار » وترجمة محمد عبد الفتاح ، بولاق سنة ١٢٦٠ هـ .
(٢) أنظر هذا الكتاب ص ٤ — ٥ وقد قام بترجمته « يوحنا عنحورى » ، وصححه الشيخ محمد الهراوى ، وطبع فى بولاق
(٣) أنظر ص ٢ — ٣ ، وهذا الكتاب من تأليف « برنار » وترجمة فيدال ، وتصحيح محمد الهراوى ؛ طبع فى بولاق سنة ١٢٤٩
(٤) أنظر ص ٢ — ٣ وقد ترجم هذا الكتاب يوسف فرعون ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٦هـ .

تعريبه وتدريسه فى مدرسة الهندسة النفيسة — المهندسخانة الخديوية — معدن النفائس الرياضية ، تداولته أيدى التصحيح ونقحته غاية التنقيح . . »[1] ثم قدم للمطبعة فطبع فى بولاق سنة ١٢٦١ هـ .

ويقول أحمد فايد فى مقدمة « كتاب علم تحرك السوائل » : « حيث كانت المعارف البشرية آخذة فى التقدم على ممر الأزمان . . وكان ممن ربح فى هذه العلوم اللطيفة . . المهندس بيلانجيه فألف فى ذلك تأليفاً دل على غزارة عقله . . وحيث كان فريد عصره ، ووحيد دهره جناب « لامبير بك » الجليل الشأن ، ناظر مدرستنا الآن ، يستنشق أخبار تلك اللطائف ، فحين عثر على تلك المؤلفات الغريبة ، ورأى ما فيها من الفوائد الجمة العجيبة بادر بجلبها إلى الديار المصرية وأراد تدريسها بالمهندسخانة الخديوية ، وحيث كنت أنا معلم تلك العلوم فيها ، ولى الوقوف على مبانيها ومعانيها ، تبعت هذا المؤلف فى تدريسى وتقريرى ، وجعلته إمامى وسميرى ، ولما اطلعت على فرائده ، وتضلعت من فوائده ، لاح لى أن ترجم هذا الكتاب . . . فقضيت أغراضى وآمالى ، وترجمت مجلداته الأربع على التوالى . . الخ » .

وقد كان للكثيرين من أساتذة مدارس محمد على نشاط ملحوظ فى التأليف فكانت كتبهم ، فى معظمها هى محاضراتهم التى يلقونها على الطلاب تجمع وتترجم ، ثم تحرر وتصحح وتطبع ، وممن ترجمت كتبهم من أساتذة مدرسة الطب مثلا :

١ — « الدكتور برنار » معلم قسم حفظ الصحة ، ألف كتاب « قانون الصحة » وترجمه إلى العربية ، جورجى ڤيدال ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٤٨ هـ .

« وكتاب المنحة ، فى سياسة حفظ الصحة ، ترجمه جورج ڤيدال » وطبع فى بولاق سنة ١٢٤٩ هـ

٢ — « الدكتور رسوسون » معلم الفسيولوجيا ، ألف كتاب « إسعاف المرضى من علم منافع الأعضاء ترجمه إلى العربية على افندى هيبه ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٢ هـ .

٣ — « الدكتور لافارج » ألف كتاب « نزهة الأنام فى التشريح العام » وترجمه يوسف فرعون ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٥ هـ (١٨٤٠)

وكتاب (روضة الأذكيا فى علم الفسيولوجيا) وترجمه أيضاً يوسف فرعون ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٦ هـ (١٨٤١)

٤ — (الدكتور فيجرى) ألف كتاب (الدر اللامع فى النبات وما فيه من الخواص والمنافع) ترجمه السيد حسن غانم الرشيدى ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٧ هـ .

غير أن اثنين من هيئة التدريس فى تلك المدارس كانا أوفر نشاطا من جميع زملائهما ، وأكثر انتاجاً هما : الدكتور كلوت بك ، والدكتور برون ؛ وكلاهما تولى نظارة مدرسة الطب المصرية فى عصر محمد على .

---

(١) ص ٣

١ — الدكتور كلوت بك :

التحق الدكتور كلوت بك بخدمة محمد على فى سنة ١٨٢٥ ، فقد رأى عاهل مصر — بعد تكوين جيشه الجديد — أنه فى حاجة ماسة إلى أطباء أوروبيين للإشراف على صحة ضباطه وجنوده ، فكلف التاجر الفرنسى « تورنو Tourneau » أن يرحل فى سنة ١٨٢٥ إلى فرنسا لكى يتعاقد مع أحد الأطباء الفرنسيين ، وسافر « تورنو » « واتصل بأحد أطباء « مرسيليا » وهو الدكتور « انطوان برتلمى كلوت Antoin Barthélmy Clot » وكتب معه شروطا تقضى بحريته فى العمل ، وأن يتبع ديانته المسيحية ، وعدم إجباره على السير مع الجيش . . إلخ »[1] ؛ وحضر « كلوت » إلى مصر فى نفس السنة (١٢٤١ — ١٨٢٥) وعين « جراح باشى » الجيش المصرى .

غير أنه لم يلبث أن أخلص لعمله الجديد ، ووهبه كل وقته وتفكيره فأنشأ المستشفيات العسكرية ، ومصلحة الصحة البحرية ؛ وفى سنة ١٢٤٢ (١٨٢٧) أنشئت مدرسة الطب المصرية تنفيذاً لرغبته ، وجعل مقرها فى أبى زعبل لتكون قريبة من معسكرات الجند .

وتخير الدكتور « كلوت » نخبة من أطباء أوربا وعلمائها الممتازين ليكونوا أساتذة المدرسة الجديدة ، غير أن الطريق لم يكن ممهداً أمامه كما سبق أن ذكرنا فقد اعترضته صعوبات جمة كان أهمها جهل الأساتذة باللغة العربية ، وجهل التلاميذ باللغات الأجنبية عامة ، ولكنه بذل جهوداً جبارة للتغلب على هذه العقبة بدأت بأن يترجم المترجمون عن الأساتذة مايقولون ، وانتهت بترجمة الدروس التى تلقى والمراجع الطبية المختلفة وطبعها فى مطبعة بولاق ثم توزيعها على تلاميذ المدرسة .

وقد شارك « كلوت » مشاركة فعالة قوية فى حركة التأليف والترجمة التى قامت بها مدرسة الطب ، وكان أكبر عدد من الكتب الطبية التى ترجمت فى عصر محمد على من وضعه وتأليفه وهذه هى :

١ — « العجالة الطبية فيما لابد منه لحكماء الجهادية » ترجمة أوغسطين سكاكينى ، وطبع فى مطبعة مدرسة الطب بأبى زعبل فى ٢٣ صفر سنة ١٢٤٨ (٢٢ يوليو سنة ١٨٣٢)

٢ — رسالة فى الطاعون ؟ بولاق ١٢٥٠ (١٨٣٤)

٣ — رسالة فى علاج الطاعون ؟ مطبعة الجهادية ١٢٤٠ (١٨٣٤)

٤ — رسالة فيما يجب اتخاذه لمنع الحرب والداء الافرنجى عن عساكر الجهادية ونسائهم ؟ مطبعة ديوان الجهادية ١٢٥١ (١٨٣٥)

---

(١) تاريخ كلوت بك ، ترجمة محمد لبيب البتانونى ، ص ١٠ ، وعن ترجمة حياته بالتفصيل انظر : المرجع السابق ، ص ٦ — ١٥ ؛ كلوت بك ، لمحة عامة إلى مصر ، جـ ٢ ، ص ٥٩٣ وما بعدها ، وعزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٣٢ ، ٨٥ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٥٩ ، ٢٥١ ، ١٦٠ . . الخ . . الخ .

العنوان	المترجم	المطبعة	السنة
٥ — مبلغ البراح فى علم الجراح	ترجمة يوحنا عنحورى	بولاق	١٢٥١ (١٨٣٥)
٦ — نبذة فى تطعيم الجدرى	« أحمد حسن الرشيدى	»	١٢٥٢ (١٨٣٦)
٧ — نبذة فى الفلسفة الطبيعية	الدكتور ابراهيم النبراوى	»	١٢٥٣ (١٨٣٧)
٨ — نبذة فى التشريح العام			
٩ — نبذة فى التشريح المرضى			
١٠ — رسالة فى مرض الحمى	؟	»	١٢٥٩ (١٨٤٣)
١١ — كنوز الصحة ويواقيت المنحة	ترجمة الدكتور محمد الشافعى	»	١٢٦٠ (١٨٤٤)
١٢ — الدرر الغوال فى معالجة أمراض الأطفال	» » » »	»	١٢٦٠ (١٨٤٤)

وهذه إما كتب ترجمت لتدرس فى مدرسة الطب « كمبلغ البراح فى علم الجراح » و « العجالة الطبية فيما لا بد منه لحكماء الجهادية »[1] والنبذ الثلاث فى الفلسفة الطبيعية والتشريح العام والتشريح الطبي ، وقد طبعت هذه النبذ جميعاً فى كتيب واحد يقع فى ٧٦ صفحة وليس فى أوله أى مقدمة أو تقريظ كما جرت العادة فى الكتب المترجمة فى ذلك العصر ، إنما جاء فى الصفحة الأخيرة مايلى : « هذا آخر ماجمعة ميراللوا كلوت بك فى هذا المختصر من نبذة فى الفلسفة الطبيعية و نبذة فى التشريح المرضى لتعليم تلامذة الطب ، وقد ترجمه عن الفرنسية إلى العربية ابراهيم أفندى النبراوى حكيم أول ابن عرب (يقصد مصرى) باملائه للشيخ محمد محرم أحد المصححين قبل الطبع ، ومعه على يد مغفور المساوى محمد الهراوى »[2] .

وإما رسائل وضعها كلوت بك لخدمة الحالة الصحية فى مصر إثر انتشار الأمراض والأوبئة بها ، كرسالته عن الطاعون ، ورسالته عن علاج الطاعون فانهما صدرتا سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤م) وهى السنة التى انتشر فيها مرض الطاعون[3] فى مصر انتشاراً مخيفاً ، فبذل كلوت بك جهداً كبيراً لمحاربة هذا المرض والقضاء عليه ، فقدر له محمد على هذه الجهود خير تقدير ، وأنعم عليه بهذه المناسبة برتبة « أمير لواء » ؛ ورسالته « فى علاج الطاعون » تقع فى عشر صفحات ، وطبعت بمطبعة ديوان الجهادية فى آخر ذى الحجة سنة ١٢٥٠ هـ (٢٨ ابريل سنة ١٨٣٥) ، وقد اطلع عليها « أرباب المشورة الطبية » وأقروها قبل طبعها ؛ وجاء فى مقدمتها « حمداً لله وقاية من الأسواء .. هذا تنبيه فيما يختص بالطاعون ، وذلك قبل أخذه فى الظهور ، يبين الأطباء

(١) ويقع هذا الكتاب فى ٣٥١ صفحة ، وليس به أى تقريظ ، وقد أملى المترجم — سكا كينى — بعضه للشيخ احمد الرشيدى والبعض الآخر للشيخ محمد الهراوى من محررى الكتب المترجمة بمدرسة الطب .

(٢) ص ٧٦ ، وقد تم طبع هذا الكتاب فى ٧ رجب سنة ١٢٥٠ (٩ نوفمبر سنة ١٨٣٤ م) .

(٣) عن أخبار الطاعون وانتشاره فى المدن المصرية وخاصة دمياط انظر : Cattaui. Le Régne de Med Ali, etc., t. 1

ورؤساء المارستانات طريقة ترشدهم إلى الاحتراسات اللازمة للتوقى من هذا المرض ، وسعيه ، وانتشاره ويذكر لهم العلامات الدالة عليه ثم الوسائط التى يمكن بها مقاومته »[1] ، وهذا التنبيه يحتوى على مقدمة وثلاثة مقاصد : المقدمة فى قوانين الكورنتينا ، والمقصد الأول فى تدابير المرض الصحية ، والثانى فى علاماته ، والثالث فى معالجته .

كذلك بذل كلوت بك جهدا عظيما لمحاربة مرض الجدرى الذى كان يقضى فى مصر على حياة نحو ستين ألفاً من الأطفال كل عام ؛ فأشار على الحكومة باستعمال التطعيم ضد هذا المرض ، وواضح أن رسالته عن تطعيم الجدرى التى ترجمها أحمد حسن الرشيدى كتبت وترجمت لتحقيق هذا الغرض ؛ أما رسالته « فيما يجب اتخاذه لمنع الجرب والداء الافرنجى عن عساكر الجهادية ونسائهم » فظاهر أنه ألفها بحكم مركزه كمدير للإدارة الصحية للجيش المصرى ، وكبير أطبائه ، أو كما كان يسمى فى كتب ذلك العصر « كشاف عموم الصحة بالديار المصرية »[2] .

وقد صدرت هذه الرسالة عن « مشورة الصحة » إلى « حكماء الجهادية » ، وهى « صورة ترتيب وضعه كلوت بك باش حكماء الجهادية فى الوسائط التى يستعملها الحكماء أولاد العرب لمنع الدائين المذكورين من عساكر الجهادية ونسائهم » ؛ وجاء فى أولها : « قد بلغ أهل مشورة الصحة أن كثيراً من العساكر إذ لم يبادروا بايقافهما (أى المرضين) بالوسائط القوية لمنعهما عن التقدم والانتشار فاقتضى رأى أرباب المشورة المذكورة أن يأمروك [والكلام هنا موجه لكل طبيب من أطباء الجهادية] بهذه الأوامر . . . »

وهذه الرسالة تقع فى ثمانى صفحات وطبعت بخط دقيق فى حجم صغير ليمكن حملها فى الجيب والرجوع إلى ما فيها من تعليمات .

أما رسالته « فى مرض الحمى » فهى صغيرة الحجم أيضاً ، وتقع فى ١٣ صفحة ، وقد وجهها كلوت بك

(١) أنظر مقدمة الرسالة ، وانظر أيضا : اسكاروس ، « شىء من التاريخ والأدب فى بدء النهضة الطبية المصرية » ، البلاغ الأسبوعى ، عدد ٩٨ ، ص ٢١ ، وقد جاء فى هذه المقالة أن كلوت بك له كتابان آخران عن الطاعون هما :

١ — تعليمات خاصة بالطاعون ترجمه محمد الشافعى . Instructions sur la Peste, traduit par Chafey.

٢ — فى الطاعون ، ترجمه — الشافعى . De la Peste, traduit par Chafey.

ولكلوت بك كتاب كبير شامل باللغة الفرنسية عن هذا الطاعون ، وعن تجاربه فى مصر أثناء مكافحة هذا المرض ، طبع فى باريس سنة ١٨٤٠ فى ٤٤٠ صفحة ، ولم يترجم إلى اللغة العربية ، وعنوانه بالفرنسية .

De la Peste Observée en Egypte, Recherches et Considerations sur cette maladie.

وقد ذكر فى هذا الكتاب أسماء جميع الأساتذة الأجانب بمدرسة الطب المصرية ، وجميع الأطباء الملحقين بالجيش المصرى والبحرية المصرية الذين اشتركوا فى كفاح هذا المرض ، وعرض آراءهم وأبحاثهم الخاصة بهذا المرض عرضا سريعا .

(٢) « صدر بيورلدى فى ٩ شوال سنة ١٢٤٩ (١٩ فبراير سنة ١٨٣٤) إلى كلوت بك بتعيينه مفتشا لعموم الصحة بديوان البحرية والجهادية ، وعضوا بمجلس شورى الأطباء ، وناظرا لمدرسة الطب البشرى والبيطرى مع مباشرة ورؤية أعمال الحكماء والأجزاجية ، ويؤكد عليه برؤية تلك المصالح المحالة لعهدته كما يجب كما هو مأمول فى صداقته المعلومة لديه » تقويم النيل ، ج ٢ ، ص ٤١٨ .

« إلى جميع ضباط الصحة أولاد العرب [يقصد المصريين] المقيمين فى مصر ، وفى غيرها من القرى ، والاوردى المنصور » ؛ وقد تكلم فيها عن أسباب الحمى وأعراضها ، ومدتها ، والحميات المتقطعة ، وطرق معالجتها ، وتدبير النقه ، ووسائط التحرز من الحمى . . الخ ، ومما جاء فيها :

« وهذه الحمى تتسلطن أيضاً فى إقليم مصر كثيراً والشام وتكون فى البلاد القريبة للبحر كبلاد البحيرة ودمياط ، ورشيد ، وخصوصاً البلاد التى على شواطىء البحيرات كالبرلس والمنزلة ؛ وزيادة تسلطنها يكون بعد فيضان النيل لوجود المياه الراكدة المتخلفة من النيل فى البرك ، وتنتشر كثيراً فى هذا الاقليم إذا كان النيل زائداً لكثرة ما يوجد فى الأماكن من الرسوب الذى يتخلف من الماء ، ومعالجة هذا المرض فى الإقليم المصرى لا يختلف عن معالجة هذا المرض فى الشام ، وقد ذكرناها لكم فلا يلزم إعادتها والله الشافى . »

وجاء فى ختام الرسالة هذا التنبيه . « فعليكم أيها التلامذة العزاز أن تهتموا فى مثل هذه العوارض ، وتبذلوا جهدكم فى التمسك بما ذكرناه لكم من المعالجة الشافية والاحتراسات الصحية كى تصونوا أنفسكم ، والعساكر التى أنتم موكلون بحفظ صحتها (كذا) عن بوائق (كذا) الأمراض ، والتوسيخ فى الأعراض »

وهناك كتابان أخيران من كتب « كلوت بك » يستحقان الالتفات والعناية والدراسة الخاصة هما : « كنوز الصحة ويواقيت المنحة » و « الدور الغوال فى معالجة أمراض الأطفال . »

أما الكتاب الأول فقد ألف وترجم لغرض نبيل هو تعليم الشعب المبادىء والتعاليم الصحية ونشرها بين أفراده بأسلوب سهل قريب إلى فهم العامة ؛ وقد وضع هذا الكتاب وترجم لتحقيق هذا الغرض بإشارة ولى الأمر والنعم محمد على باشا فهو فى الواقع نفحة من نفحات تفكيره الفذ وحسن رعايته لشعبه وحبه لخدمته ؛ جاء فى مقدمة هذا الكتاب لكلوت بك « اعلم أن الطب قد فقد من الديار المصرية بعد وجدانه ، وادعى معرفته أناس به جاهلون فظلوا فى طغيانهم يعمهون فكم أسقموا صحيحاً ؟ وأماتوا عليلا ومكثوا على ذلك زمنا طويلا ، حتى أراد الله إحياء عظمه الرميم ، وانتشار فضله العظيم ، بولاية صاحب السعادات ، . . . أفندينا الحاج محمد على أدام الله أمثاله . فأنشأ فى مصر جملة مدارس ، وأحى من العلم كل رسم دارس ، وكان من أعظمها مدرسة الطب الإنسانى التى أسسها حين تشرفت بخدمته ، وعلمت فيها جملة أطباء لخدمة عساكره ، وأرباب دولته ، وألف معلموها فى الطب وفنونه كتباً جليلة ، وانتفع بها مطالعوها انتفاعات جميلة ؛ ولكن حيث أن مسائلها العلمية عثرة المنال على غير الأطبا ، لا يفهمها إلا المهرة الألبا ، جمعت هذا الكتاب من مشاهير الكتب الطبية ، وتساهلت فى ألفاظه ما أمكن ليستفيد منه أهل اللغة العامية ، وطالما كان كلام صاحب السعادة يومىء إلى ذلك ويشير ، ويرمز بطرف خفى فهمه عسير ، فلما تكرر منه ذلك فهمت الإشارة ، وبادرت بتحريره . . . الخ »[1]

(١) أنظر هذا الكتاب ، بولاق ١٢٦٠ ، ص ٥ .

وجاء فى مقدمة هذا الكتاب أيضاً لمحرر الكتاب ومصححه الشيخ محمد عمر التونسى ما يلى :

« . . . وبعد فيقول راجى رحمة المنان ، محمد التونسى بن سليمان ، محرر كتب الطب البشرى الآن : لما كانت صحة الأبدان ، من أجل ما أنعم به الجواد على العباد ، وبدونها تتعطل الأسباب ، وعبادة العباد ويبق الجسم عليلا نحيلا ، ويحق لفاقدها أن يكثر بكاء وعويلا ، إذ لولاها لما اصطدمت الجحافل[1] ، ولا قرئت العلوم فى المحافل ، كان الواجب مراعاتها بقدر الإمكان . . . ومرام صاحب السعادة أن يكونوا (أى المصريون) بصحتهم متمتعين ، ولجلباب العافية لابسين ، فلذا أحيى الطب بعد اندراسه ، واضمحلال أهله وناسه بجلب كل طبيب نطاسى وحاذق فى الطب آسى ، وكان أجل من حضر لخدمة سدته الشريفة ، وأريكته المنيفة ، أبقراط زمانه ، وأفلاطون أقرانه ، أمهر من قال أنا طبيب ، من يكاد الداء إذا رآه بدون معالجة يطيب ، حضرة رئيس الأطباء وكشاف عموم الصحة البرية والبحرية أمير اللواء كلوت بك ، فبذل المجهود فى خدمة سعادته بتعليم التلامذة ومداواة المرضى وعمارة المارستان . . وألف هذا الكتاب خدمة لصاحب السعادة ، والعزة والسيادة ، وجعله هدية للعوام ومنحة ، لأنه جامع لما يحتاج إليه من الوسائط لحفظ الصحة . . . ولما برز للعيان وسلمه أمير اللواء المذكور إلى حضرة الألمعى اللوذعى الحاذق النجيب ، والماهر الحكيم الكيماوى الطبيب ، العارف بكثير من اللغات ، المنتخب لأكثر ألفاظ الطب من كلام الثقات ، ناظر مدرسة الطب الإنسانى ، الذى لا يوجد فى مصرنا له ثانى ، المعلم بيرون ، لتمكنه من العربية والفنون الأدبية ، وأمره بتهذيبه وتنقيحه ، كما أمرنى بمقابلته معه وتصحيحه ، وأن اجتنب فيه التعمق فى الألفاظ اللغوية ، ولا أذكر فيه إلا ما اشتهر من الألفاظ وإن كانت عامية ليعم نفعه العالم والجاهل ، والمفضول والفاضل . . . الخ »[2]

والكتاب يقع فى نحو ٤٠٠ صفحة ، وذكر فى أوله فصل موجز فى ١٦ صفحة عن المارستانات فى فى مصر فى العصر الإسلامى منقول عن خطط المقريزى ، كما استغرق فهرس الكتاب ٢٨ صفحة أخرى

وقد طبع من هذا الكتاب ١٠٠٠ نسخة فى الطبعة الأولى ، ويبدو أن الإقبال كان عليها شديداً ، وأنها نفدت فى مدى خمس سنوات فقد طبع هذا الكتاب مرة ثانية فى بولاق سنة ١٢٦٥ هـ ، وهى ثانى سنة تولى فيها عباس الأول حكم مصر ؛ ثم طبعت منه خمسمائة نسخة طبعة ثالثة فى بولاق سنة ١٢٧١ هـ فى عهد سعيد باشا ؛ وجاء فى مقدمة هذه الطبعة مما يدل على رواج هذا الكتاب ، وكثرة إقبال الناس على شرائه واقتنائه ما يلى : « . . هذا ولما تم طبع هذا الكتاب ، وظهر للناظرين ما فيه من الصواب وأنه سهل

(١) لاحظ هذا فهو يؤكد الغرض الأول من انشاء المدارس ووضع الكتب وترجمتها فى ذلك العصر .

(٢) أنظر هذا الكتاب ، ص ٢ — ٥ .

المأخذ للفوائد الطبية ، عرى عن التعمية الصناعية ، موشح بالأحاديث النبوية ، متوج بالآيات القرآنية ، تنافس الناس فى اقتنائه ، ورغب العقلاء فى اشترائه ، فمدوا إليه أعناق الانتهاب ، وجعلوا قنيته من أقوى الأسباب ، وجاءوه من الشرق والغرب ، وضربوا فى الأرض بسببه أى ضرب ؛ فكأن ما حواه هو العجب ، وكأن أساليبه ليس لها ضريب فى الضرب ، فنعق على صرح نسخه غراب البين فبذل الراغبون فيه العين ، حتى صار أثراً بعد عين ؛ ثم كثر السؤال عليه ، وطلبوه من كل أوب وجاءوا إليه ، فأكثرهم أخفق مسعاه ، ورجع بخفى حنين إلى مأواه ، وبعضهم ظفر ببعض نسخ أخرجها الإفلاس ، فاشتروه بضعف ما كانت تأخذه به الناس ؛ ثم فقد شخصه وتعذر إليه الوصول ، حتى كأنه العنقاء أو الغول ومكث الأمر على ذلك مدة من السنين ، ولم تزل الناس على طلبه ملحين ، فصدر الأمر بأن يطبع منه خمسمئين . . » (١)

ثم طبع طبعة رابعة فى عصر اسماعيل فى بولاق سنة ١٢٩٦ ، وقال مصححه محمد بن قاسم فى مقدمة هذه الطبعة : « وبعد ، تم بعون سيد كل منحة ، طبع هذا الكتاب الموسوم بكنوز الصحة . . بعد ما طبع مرات كثيره ، لمنافعه الجمة العامرة الغزيرة . . الخ » (١)

ويدل على إنتشار هذا الكتاب بين عامة القراء من الناطقين بالضاد فى مصر وخارج مصر أنه طبع طبعات أهلية مختلفة ، فطبع فى مطبعة شرف سنة ١٣٠٢ وفى مطبعة عثمان عبد الرازق سنة ١٣٠٤ وذلك فى عهد الخديو توفيق باشا ، وفى المطبعة اليمنية سنة ١٣٢١ فى عهد الخديو عباس حلمى الثانى ؛ أى أنه ظل يتداول بين أيدى المصريين وينتفع به القراء من العامة ثلاثة أرباع القرن .

وأما الكتاب الثانى وهو « الدرر الغوال فى معالجة أمراض الأطفال » فقد ألف وترجم أيضاً تنفيذاً لرغبة محمد على النبيلة ، فإنه كما قال « كلوت بك » فى مقدمته للكتاب : « لما كان ولى النعم مهتماً بعلاج الرعايا راغباً فى كثرة سوادهم وسلامتهم من الأمراض والبلايا ، وتحقق لدى سعادته أن الأطفال فى الديار المصرية معرضون لجملة أمراض ، ويهلك بها أكثرهم حينما تشتد به الأعراض ، وذلك من أقوى عدم كثرة السواد ، وخلاف ما هو واقع فى غيرها من البلاد ؛ نعم وإن كان نفس الاقليم لا يناسب سن الطفولية لكن عدم اعتقاد الأهالى فى الطب هو أكبر بليه ، ولاسيما والأمهات والمراضع لا يراعين نظافة الأطفال ولا يلتفتن لما يليق من العلاج وإن ساء الحال ، أمرنى أيده الله أن أجمع كتاباً مختصراً فيما ينفع الأطفال المذكورة ، فجمعت هذا الكتاب امتثالا لأوامره النافذة المنصورة ، ورتبته على ثلاثة أقسام : الأول فى قانون صحة الأطفال ، أعنى ما ينبغى أن يفعل ليدرأ عنهم الأمراض الثقال ؛ والثانى فى أمراضها وعلاجها ؛

(١) انظر مقدمة الطبعة الثالثة ، بولاق سنة ١٢٧١ ؛ واسكاروس ، شىء من الأدب والتاريخ .. الخ . البلاغ الأسبوعى ، العدد ١٠٠ ، ص ٢٢ .

والثالث فى تراكيب الأدوية التى يجب استعمالها ؛ ولم أضع فيه إلا ما انتخبته من أحسن الكتب المؤلفة أو ما تحققت نفعه بالتجربة والمنفعة . . . الخ »

وقال أيضاً الشيخ محمد عمر التونسى محرر هذا الكتاب ومصححه : « لما كان العلم أفضل مقتنى ، وأعظم شىء به اللبيب اعتنى ، وكان الواجب على العاقل التحلى بلطايفه ليخرج بها من الظلمات إلى النور . . وكان من أهمه بعد معرفه ما يجب به الإيمان علم الطب الذى ستنار بدر فى هذا الزمان بمراحم صاحب السعادة الداورية ، والسيادة الخديوية صاحب الهمم السنية ، . . . . افندينا الحاج محمد على فأحيى الفضائل بعد اندراس رسمها ، وكان أجل أطباء حضرته ، ومفتش عموم صحة أرباب دولته ، وأهل إيالته ، وخادم أريكته الشريفة وحضرته ، أمير اللوا كلوت بك ، فألف خدمة لسعادته جملة تآليف وضع فيها كل قول مشهور لطيف ، لكن لما كان البيك المذكور يعلم شفقة سعادته على رعاياه ، وأن نجاتهم من الأمراض غاية ما يتمناه ، ألف مختصراً جليلا ، فائقاً جميلا فيما يصلح للأهالى ، لينفع به المقدم والتالى وسماه « كنوز الصحة ، ويواقيت المنحة » ، وعرضه على أعتابه الكريمة ، وذاته الشفوقة الرحيمة ، فوقع من سعادته موقع القبول وبلغ البيك المذكور من رضاه القصد والمأمول .

لكن لما كانت مصر مدينة وخيمة ، وأن ما يولد بها من الأطفال يصاب بأمراض ذميمة ، أمره أيده الله أن ينتخب مختصراً يجمع فيه ما يصلح للأطفال من العلاج ، وما يذهب عنهم السقم الذى طغى عليهم وهاج ، لكمال شفقته على الصغير والكبير ، فشمر كلوت بك المذكور عن ساعديه ، وجمع هذا المختصر ووشحه بجميع ما يحتاج فى مرض الأطفال إليه ، وسلمه للشاب الأمجد الحكيم الأول ، محمد شافعى افندى ، فترجمه من اللغة الفرنساوية إلا العربية ، واجتهد فى الوقوع على المعنى فلم يخطىء سهمه الرمية ، فجاء كتاباً صغير الحجم كبير العلم ، وسميته « الدرر الغوال فى معالجة أمراض الأطفال . . . الخ » (١)

وقد طبع هذا الكتاب فى بولاق فى ربيع الثانى سنة ١٢٦٠ فى ١٣٢ صفحة من القطع الصغير وإتماماً للفائدة رأى محمد على أن يترجم هذان الكتابان إلى اللغة التركية فترجمهما عن اللغة العربيه مصطفى افندى الشركسى ، وطبع الأول فى بولاق سنة ١٢٦١ تحت عنوان « ترجمة كنوز الصحة » وطبع الثانى فى نفس المطبعة سنة ١٢٦٠ تحت عنوان « ترجمة تربية الأطفال » (٢) .

( ) انظر خاتمة الكتاب ص ١٣١ — ١٣٢ .

(٢) انظر فهرس الكتب التركية الموجودة بدار الكتب المصرية .

٢ — الدكتور « برون » Dr Perron

تخير الدكتور كلوت كما ذكرنا نخبة من أطباء أوروبا وعلمائها الممتازين ليكونوا أساتذة المدرسة الطبية الجديدة ، وكان من بينهم « الأستاذ برون الكيماوى المعروف من مدرسة باريس »[١] لتدريس مادتى الكيمياء والطبيعة .

وكانت الصعوبة الكبرى التى اعترضت سبيل كلوت كما سبق أن ذكرنا هى جهل الأساتذة باللغة العربية وجهل التلاميذ باللغات الأوروبية عامة ؛ وقد عرفنا كيف تغلب على هذه الصعوبة باستخدام مترجمين للنقل عن الأساتذة ولترجمة الكتب .

غير أن أستاذاً واحداً استطاع — كما يبدو — أن يذلل هذه العقبة وحده ، فاستعان ببعض الألفاظ العربية — ولا شك — عند شرح دروسه ، ثم استعان أول الأمر بأحد مترجمى المدرسة من السوريين — وهو يوحنا عنحورى — ليترجم له محاضراته فى علم الطبيعة بعد سنوات قضاها فى الدرس والبحث والاتصال ببعض المحررين والمصححين من شيوخ الأزهر ، والتتلمذ عليهم استطاع أن يترجم بنفسه محاضراته فى الكيمياء .

ذلك الأستاذ المستشرق هو الطبيب الكيماوى الدكتور « برون » ، وهو الوحيد من بين جميع الأساتذة الأجانب فى مدارس محمد على المختلفة الذى كان يعرف اللغة العربية ويعنى بالبحث فى كتبها ، والترجمة عنها وإليها .

كان « برون » عالماً بحاثة بكل ماتحمل هاتان الكلمتان من معنى ، فلم يكتف بعمله التعليمى الوظيفى فيغمض عينيه عن الحياة التى تحيط به ، وهى حياة جديدة فى بلد غريب ، وبين أناس يختلفون عن عشيرته من الفرنسيين الاختلاف كله فى الدين والأخلاق والعادات والملابس والثقافة ... إلخ .. إلخ ؛ ولكنه وهب وقته كله للبحث العلمى ولنوع خاص من البحث العلمى هو الحياة الثقافية قديماً وحديثاً فى الشرق عامة وفى مصر خاصة ، فشارك فى حركة الترجمة والنشر التى نشطت وقتذاك فى مصر ، وكانت له جهود جليلة فى الترجمة عن العربية إلى الفرنسية ، وعن الفرنسية إلى العربية ، وكانت له نظرات ناقدة نافذة — رغم مرارتها — إلى صميم الحياتين الثقافية والسياسية فى مصر حينذاك ؛ ولهذه النظرات قيمة عظيمة جداً لأنها صادرة عن أجنبى يدرك العيب الذى لايدركه صاحب البيت ، وعن عالم يستطيع التحليل والمقارنة ، ويجيد الشرح والوصف ، وإدراك الأسباب والمسببات .

وقد سجل « برون » هذه الملاحظات فى خطاباته التى كان يرسلها أثناء مقامه فى مصر إلى صديقه المستشرق الشهير Jules Mohl ناموس الجمعية الأسيوية وعضو المجمع الفرنسى L'Institut de France فى باريس ؛ وقد نشر J. Mohl بعض هذه الخطابات فى الجريدة الأسيوية Journal Asiatique وبقى البعض الآخر دون أن ينشر حتى انتقل إلى ابن أخيه « مسيو أ . دى مول O. de Mohl » بصفته الوريث لعمه .

(١) كلوت بك ، لمحة عامة الى مصر ، ج ٢ ، ص ٦٢٨ .

وفى سنة ١٩٠٨ ، كان أ . دى مول وزيراً مفوضاً ووكيلا لألمانيا فى صندوق الدين العام بالقاهرة ، فعثر بين أوراق عمه على أربع عشرة رسالة بخط الدكتور « برون » مرسلة من مصر إلى « جول مول » فى باريس ، فقدمها لصديقه المرحوم يعقوب أرتين باشا وكيل وزارة المعارف وقتذاك ، وعضو المجمع المصرى l'Instiut Egyptien علّه يجد بها ما يهم مصر أو المجمع المصرى ، وذلك قبل إرسالها إلى باريس لتضم إلى أوراق جول مول المحفوظة بالمجمع الفرنسى .

وقد نشر أرتين باشا هذه الخطابات ، ومعها مقدمة تحليلية سنة ١٩١١ تحت هذا العنوان :

Yacoub Artin Pacha. Lettres du Dr. Perron, du Caire et d' Alexandrie, à M. Jules Mohl, à Paris (1838—1854) Le Caire. 1911.

وفى هذه الخطابات صور من نشاط « برون » العلمى فى الترجمة والنشر .

ودكتور « برون » فرنسى الأصل ، ولا نعرف شيئاً كثيراً عن حياته الأولى فى فرنسا قبل أن يحضر إلى مصر ، غير أنه يبدو أنه عنى وهو فى باريس — إلى جانب دراساته الطبية العلمية — بدراسة اللغة العربية ، وتتلمذ إذ ذاك على كبير مستشرقى فرنسا « سلفستر دى ساسى A. Silvestre de Sacy » ، كما تتلمذ على المستشرقين « جان جاك كوزين دى برسيفال » الأب ، و « ارمان كوزين دى برسيفال » الابن[١] .

ولسنا نعرف بالتحديد تاريخ مقدمه إلى مصر ، وإن كان « كلوت بك » يذكره ضمن الأساتذة الأول لمدرسة الطب المصرية بأبى زعبل ، فإذا صح أنه بدأ عمله بهذه المدرسة وقت إنشائها ، فإنه يكون قد حضر إلى مصر سنة ١٨٢٧ (١٢٤٢ — ١٢٤٣) أو قبلهما بقليل .

وظل « برون » يدرس مادتى الطبيعة والكيمياء فى مدرسة الطب حتى بعد نقلها إلى قصر العينى .

ويبدو من رسائله إلى صديقه « مول » أنه كان فقيراً رقيق الحال ، فقد كتب إليه فى خطابه المرسل من الإسكندرية بتاريخ ١٠ أغسطس سنة ١٨٣٦ يقول : « أشر على بما ترى أنه خير وأفضل لى أن أعمله لأنى فقير لا أملك إلا مِدادى . . »[٢] ، وقال فى خطاب آخر أرسله لصديقه من القاهرة فى ١٨ سبتمبر سنة ١٨٣٩ : « وأما أنا فقد عُهد إلى بإدارة مدرسة الطب . . . وهذا المنصب الجديد قد عاد على بشىء

(١) ذكر « برون » مرة فى أحد خطاباته لصديقه « مول » أنه سيكتب قريبا لمسيو كوسان ، وطلب من صديقه أن يبلغه أنه سيعمل التحليل (؟) الذى طلبه منه ، وأنه يشرفه جدا أن يتمتع بصداقة وثقة عالم كبير كمسيو كوزان ، وفى خطاب آخر طلب من صديقه أن يسلم خطابا أرسله لأستاذه العزيز « كوزان دى برسيفال » "l'autre est une seconde lettre quej'adresse à mon cher professeur monsieur causin de preceval ...."; Y. artin. Lettres du Dr. Perron, pp. 51,53.

ومن الواضح أن « برون » يقصد « دى برسفال » الابن ، فان هذه الاشارات وردت فى خطابين بتاريخ ١٠ أغسطس سنة ١٨٣٨ ، و ٢١ مارس سنة ١٨٣٩ ، ودى برسفل الأب توفى سنة ١٨٣٥ ؛ انظر يوسف جبرا ، تاريخ دراسة اللغة العربية بأوروبا ص ١٨ .

(٢) Artin Pacha, Op. cit. p. 11.

من التحسين المادى — أعنى المالى — غير أن كل شيء هنا وقتى ورهين بتقلب الأحداث والأشخاص لدرجة أننى لو كنت أعرف أننى سأجد فى فرنسا — فى الحال — نصف ما أجمعه هنا لرحلت إليها تواً . . . »[١] .

ونجده فى نفس الخطاب قلقاً جداً لاهتمامه بطبع كتاب « الأنساب » الذى ترجمه عن العربية إلى الفرنسية ، وكان قد كلف صديقاً له فى باريس اسمه « مسيو دوبرات M. Duprat » أن يقوم عنه بنشره ؛ يقول « برون » فى خطابه لمول — وفيما يقول دليل واضح على رقة حاله : « لقد تركت له مسألة النفقات وتقديرها ، وإنى أرى أن كل شيء غير مناسب الآن للقيام بهذا النشر الذى أريده (وأريده أن يتم بأقل نفقات ممكنة ، وذلك دون إهمال ما يتطلبه ظهور الكتاب) إذ أنه قلما تصرف لنا مرتباتنا ، والحكومة مدينة لنا بمرتب سنة ، فإذا كان مسيو دوبرات يثق فى الثقة الكافية ، فإنى أرجو أن يتولى الطبع فى الحال ، واعداً إياه أن أقوم بسداد المبلغ منجماً كلما صرفت لنا الحكومة . . . وإلى هذا فإن مرتبى قد زاد فقد كنت أتقاضى ثلاثة أكياس فجعلها الباشا خمسة . . . »[٢] .

ظل الدكتور كلوت بك مديراً لمدرسة الطب المصرية حتى سنة ١٨٣٤ حيث تخلى عن منصبه للدكتور « دفينو Dr. Duvigneau » وكان أستاذ الباتولوجيا والعيادة الداخلية ؛ وفى سنة ١٨٣٩[٣] عين الدكتور « برون » مديراً لهذه المدرسة .

ولبث « برون » مديراً لمدرسة الطب ست سنوات ، وفى سنة ١٢٦١ (١٨٤٥) أنعم عليه محمد على باشا برتبة قائمقام ، وفى السنة التالية (١٨٤٦)[٤] استقال من منصبه ، وعاد إلى فرنسا ، فأقام فى باريس ثمانى سنوات ، ثم شعر بالحنين إلى مصر فعاد إليها فى أواخر سنة ١٨٥٣ حيث عمل كطبيب حر فى مدينة

(١) Ibid. p. 12.

(٢) والكيس كان يساوى ٥ جنيهات ، أى أن مرتبه كان ١٥ جنيها فأصبح ٢٥ جنيها Ibid. pp. 13-14 ونلاحظ أن هذا الخطاب صادر عن مصر فى أواخر سنة ١٨٣٩ ، وكان نضال محمد على وقتذاك ضد الدولة العثمانية يستنفد معظم إيرادات مصر ، فلا عجب إذن أن أخرت الحكومة صرف مرتبات الموظفين .

(٣) يقول الدكتور عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٢٨٤ : « وإلى أوائل سنة ١٢٥٤ (١٨٣٧) كان دفينو مديرا لمدرسة الطب ، وخلفه الدكتور بيرون » ويفهم من قوله أن الدكتور « برون » تولى هذا المنصب فى سنة ١٨٣٧ ، ولكننا نستطيع أن نحدد — بوجه التقريب — تاريخ تعيينه مديرا المدرسة ، ذلك أنه لم يشر إلى أى تغيير فى مركزه فى خطابه المرسل من القاهرة فى ٢١ مارس سنة ١٨٣٩ ، ولكنه تحدث إلى صديقه « مول » فى خطابه الصادر من القاهرة فى ٢٦ سبتمبر سنة ١٨٣٩ عن ترقيته إلى هذا المنصب ، وعن زيادة مرتبه تبعا لهذه الترقية ، فيكون « برون » قد تولى هذا المنصب بين مارس وسبتمبر سنة ١٨٣٩ ؛ أنظر أيضا : Enc. Isl. art; Tunisi.

(٤) جاء فى Enc. Isl. art. Tunisi أن « برون » عاد إلى فرنسا سنة ١٨٥٠ ، والصحيح ما ذكرناه هنا نقلا عن الدكتور عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٢٨٤ الذى اعتمد عند ذكر هذا التاريخ على بعض وثائق عابدين .

الإسكندرية[١] ، ولا نعرف متى غادر مصر ثانية إلى وطنه ، ولكننا نعلم أنه مات فى باريس فى ١١ يناير سنة ١٨٧٦ فى نفس السنة التى توفى فيها صديقه ومراسله العلامة ج . دى مول .

وقد كتب المسيو « ارنست رينان M. Ernest Renan » مرثية للرجلين فى التقرير المقدم عن اعمال الجمعية الاسيوية لسنتى ١٨٧٥ — ١٨٧٦[٢] .

قال رينان فى رثائه للدكتور « برون » : « فى الحادى عشر من يناير اختفى أيضاً رجل ترك فى تاريخ دراستنا تذكاراً باقياً ، وأعنى به الدكتور « برون » ، وهو واحد من أوائل الملتحقين بهذه الفرقة من الرجال المستنيرين المقاديم الذين عضدوا — وهم فى مصر — مشاريع محمد على لتحضير هذا البلد .

« وبرون لم يدرس الشرق كباحث فقط ، وإنما كان يؤمن — ككل أفراد الجيل الذى كان من أبنائه — بالشرق ، كما كان يأمل فى انبعاثه من جديد ؛ وقد عمل هناك فى إخلاص نادر .

« وكان إنشاء طب عربى فرنسى جزءاً من عمله ، وقد أدى خدمات من نفس النوع لمنشآت مدارسنا فى الجزائر ، وكان يحب العرب ، ويعتقد فى إمكان ربطهم بالحضارة الأوروبية ، ممتلئاً فى ذلك بعواطف خيرية ، ومتشبعاً بمبادىء فلسفة عاطفية . . . »[٣] .

ذكرنا فيما سبق أن « برون » كان يضمن خطاباته آراءه عن الحياتين السياسية والعلمية فى مصر ، وآراؤه عن الحياة السياسية لا تعنينا هنا ، وإنما يعنينا أن نعرض لآرائه عن الحياة العلمية ففيها مساس قوى بتاريخ الترجمة فى ذلك العصر .

كان محمد على قد أرسل البعوث إلى أوروبا ، وأنشأ المدارس الحديثة فى مصر وكانت جهود خريجى المدارس والبعثات مركزة أول الأمر فى ترجمة المؤلفات الأوروبية ، وتلا هذه الجهود جهود أخرى لنشر بعض المؤلفات العربية القديمة الهامة ، وقد أرخ «برون» لهذه الحركة — حركة الترجمة والنشر — تأريخاً لطيفاً مفيداً ، فأرسل لصديقه « ج . مول » فى سنة ١٨٤٢ خطاباً تحدث فيه عن المدارس الجديدة ومطبعة بولاق ، فنشره فى الجريدة الاسيوية — المجموعة الرابعة ، المجلد الثانى سنة ١٨٤٣ — تحت عنوان :

" Lettre sur les écoles et l'imprimerie du Pacha d'Egypte, par m.a. Perron à m.j. Mohl. 22 Octobre 1842.)[٤]

وقد استطاع « برون » أن يندمج فى الوسط العلمى المصرى بحكم اشتغاله بالتدريس ، وبحكم معرفته باللغة العربية ، غير أن معظم الأجانب الموجودين فى مصر وقتذاك للمساهمة فى نهضة محمد على التعليمية

(١) وقع برون على خطابه المرسل من الأسكندرية فى ١٩ يناير سنة ١٨٥٤ هكذا :
"Perron. médecin sanitaire à alexandrie. "Voir. Artin Paeha. Op. Cit p. 109.

(٢) 28 Juin 1876,7 me série, tome VIII.

(٣) Artin Pacha. Op. Cit. P.7.

(٤) Journal Asiatique. 4 me, serie. t. II, 1843. pp. 5-23.

والإصلاحية كانوا يجهلون اللغـــة العربية ، وهم قوم مثقفون يحبون البحث والقراءة ، وليس فى مصر مكتبات افرنجية أو محال لبيع الكتب الأجنبية ، لهذا كون هؤلاء الأجانب فى القاهرة جمعية أسموها « الجمعية المصرية Societè Egyptienne[1] » تحدث عنها « برون كثيراً فى خطاباته لصديقه « مول » فذكر أنها أسست فى سنة ١٨٣٥ وكان غرضها الأول إنشاء مكتبة تضم أكثر عدد ممكن من الكتب ، وخاصة ما يتحدث منها عن الشرق : تاريخه وجغرافيته ، وأديانه ، وعاداته . . . الخ . . . الخ

وكانت مالية الجمعية تتكون من :

١ — اشتراكات الأعضاء ، واشتراك العضو فى السنة مائة وخمسة قروش .

٢ — هبات الرحالة الأوروبيين الدين يمرون بالقاهرة ، فإن أى سائح أوروبى كان يستطيع أن يتردد على الجمعية ويتمتع بالقراءة فى مكتبتها على شرط أن يقدمه للجمعية أى عضو من أعضائها .

وكان هؤلاء السائحون يقدرون ما تؤديه الجمعية من فوائد ثقافية للجاليات الأوروبية فى القاهرة ، فكانوا يتركون — عند رحيلهم — بعض الجنيهات — كهبة — فى صندوق الجمعية .

وقد تطورت أغراض الجمعية بعد نحو ست أو سبع سنوات من تأسيسها فأصبح من أغراضها طبع ونشر الكتب المتصلة بالشرق ؛ يقول « برون » عضو الجمعية وسكرتيرها فى خطابه المرسل من القاهرة بتاريخ ٢٨ أكتوبر سنة ١٨٤٢ : « وعندنا الآن — تحت الطبع — مذكرات شيقة جداً عن الموقع الحقيقى لبحيرة قارون بالفيوم ، وعن حدودها ، والعلاقات القديمة بينها وبين فيضان النيل .. الخ ، وهذا الكتاب من وضع « مسيو لينان » الرئيس الحالى للجمعية المصرية . . . [1] »

وواضح من هذا الخطاب أن رئيس الجمعية فى سنة ١٨٤٢ هو المهندس الفرنسى الشهير مسيو « لينان » وكان سكرتيرها فى تلك السنة وفى سنوات مقبلة هو الدكتور « برون » وبفضل صلته بجولى مول وافقت

(١) Artin Pacha, Op. cit. pp.15, 21-25, 76-77 ، وقد مر بمصر حوالى سنة ١٨٣٥ السائح الانجليزى C. Rochfort Scott وقد وصف هذا السائح فى كتابه : Rambles in Egypt and Candia, vol I.p. 319 ما تعانيه الجالية الأوروبية المثقفة فى القاهرة من قلة الكتب ثم أشار إلى هذه الجمعية ، وما تؤديه من خدمات ، قال : « أما عن الكتب (فى القاهرة) فانه من العسير الحصول على أى كتاب ، اللهم إلا الكتب الكثيرة التداول التى نجدها فى مكتبات الدرجة الثالثة عند الايطاليين ؛ أما الصحف فانا لا نحصل عليها إلا مرة واحدة فى الشهر . . » ثم أشار إلى الجمعية المصرية بقوله : « وأخيرا تكونت جمعية اسمها الجمعيـــة المصرية أسسها بعض الأجانب فى القاهرة ، وستقدم للرحالة خدمات كثيرة فى المستقبل ، ففيها مكتبة ، وفيها سيكون مركز صالح لاجتماعهم ، وسكرتيرها طبيب انجليزى اسمه : فالن Walne » وقد تولى حككيان بك رئاسة هـــذه الجمعية أكثر من مرة ، وفى مذكراته المخطوطة المحفوظة فى المتحف البريطانى .

Memoires inédits du Hekekyan Bey, deposés en manuscrit au British musium â Londres..

أحاديث كثيرة عن هذه الجمعية .

(٢) Artin Pacha. Op. cit. pp 23, 76-77.

الجمعية الأسيوية على أن تقدم لزميلتها الجمعية المصرية المساعدات الممكنة لبيع كتبها ومنشوراتها فى باريس ، ويقول برون لصديقه فى نفس الخطاب « اطلعت الجمعية على خطابكم الذى تعرضون فيه مساعدة الجمعية الأسيوية لتسهيل بيع الكتب التى ستنشرها ، وقد قبل عرضكم هذا بكل سرور ، وإنى أقدم لكم شكر الجميع . . . الخ »

وقد اعترضت هذه الجمعية صعوبات كثيرة ، ففى عهدها الأول [ما بين ١٨٣٥ و ١٨٤٢] قام نزاع شخصى بين رئيس الجمعية دكتور فالن Dr Walne وسكرتيرها العام دكتور أبوت Dr. Abbot [1] ، وأدى هذا النزاع إلى انفصال بعض الأعضاء وتكوينهم جمعية جديدة أسموها الجمعية الأدبية Association Littéraire." ؛ يقول برون فى خطابه السابق « وهذه الجمعية المنفصلة تضم نحو الستين عضواً ، وقد دفعوا رسم التأسيس ، وتنوى هذه الجمعية أن تعمل على النشر وخاصة النصوص الهيروغليفية ، وتحاول أيضاً إنشاء مكتبة » .

أما الجمعية المصرية فقد انتهت حياتها إلى الانحلال فى عهد متأخر ، فضمت مكتبتها القيمة إلى المكتبة الخديوية (دار الكتب المصرية الآن) فى سنة ١٨٧٣ أو سنة ١٨٧٤ تنفيذاً لوصية أعضائها الأخيرين حككيان بك Hekekian Bey ومسيو توربون M. Thurborn وكانى بك Cany Bey .

ولم يقتنع «برون» باتصاله بأنداده العلماء الأوربيين المقيمين فى مصر والوافدين عليها ، لأنه كان معنياً بالبحث فى الكتب العربية وترجمتها والكتابة عن مواضيع مختلفة من تاريخ الشرق ، وقد أتى إلى مصر وعربيته ضعيفة دون شك فعمل على أن يزيد معرفته بهذه اللغة ولم يلبث أن وصفه صديقه وأستاذه الشيخ محمد عمر التونسى بأنه « العارف بكثير من اللغات ، المنتخب لأكثر ألفاظ الطب من كلام الثقات .. (المتمكن) من العربية والفنون الأدبية [2] » .

وكان فى مدرسة الطب التى درس فيها وتولى نظارتها هيئات مختلفة تعمل مشتركة لترجمة الكتب الطبية إلى اللغة العربية ، أهمها هيئة المترجمين وهيئة المحررين والمصححين ، وأعضاء الهيئة الأخيرة كلهم من خيرة مشايخ الأزهر المعروف عنهم الدقة فى البحث والشغف بالقراءة ، فكان منهم فى مدرستى الطب البشرى والطب البيطرى الشيخ محمد عمر التونسى ، والشيخ نصر أبو الوفا الهورينى ، والشيخ أحمد حسن الرشيدى ، والشيخ محمد الهراوى ، والشيخ سالم عوض القنياتى ، والشيخ مصطفى كساب ... الخ

وقد اتصل الدكتور برون بهؤلاء المشايخ وأفاد منهم ، وقد كان له رأى خاص عن علماء الأزهر فى

(١) هما طبيبان انجليزيان كانا فى خدمة محمد على باشا .

(٢) كلوت بك ، كنوز الصحة ويواقيت المنحة ، تعريب الشافعى ، ص ٤ ،

ذلك الوقت ، فيه — رغم قسوته ومرارته — بعض الخطأ وبعض الصواب مما سنعرض له بالتحليل الوافى عند كلامنا عن المحررين والمصححين ، وعند تقديرنا العام للترجمة فى ذلك العصر ، غير أن اثنين فقط من علماء مصر الذين اتصل بهم برون حازا إعجابه ، وتتلمذ عليهما وأشار اليهما فى خطاباته بالإعجاب والإجلال ، واعترف لهما بالأستاذية . فقد أعاناه وساعداه فى بحوثه وترجماته العلميـة المختلفة ، وهما : الشيخ محمد عياد الطنطاوى ، والشيخ محمد عمر التونسى .

وقد عنى «برون» كمؤلف بالمادتين اللتين كان يدرسهما فى مدرسة الطب وهما الكيمياء والطبيعة ، فوضع فيهما كتابين كبيرين ترجما إلى اللغة العربية ، أما الكتاب الأول فهو « الجواهر السنية فى الأعمال الكيماوية » ألفه « برون » وألقاه على التلامذة أولا بأول فاستفادت منه فى علم الكيمياء فوائد جمة ، فلما نقلت مدرسة الطب إلى قصر العينى وعين «برون» ناظرا لها « وكان إذ ذاك ضرب بعطن فى اللغة العربية ، وصار يفهم النكات الأدبية ، فبحث فى القواميس على الألفاظ الطبية والكيماوية ، وأسهر ليله فى نفع المدرسة بكل فكرة وروية ، فلما ووفق على طبع الكتاب قام هو بترجمته بنفسه ، وأشرف على مراجعته الشيخ محمد الهراوى فراجع ثمان وخمسين ملزمة ، ثم توفى فأشرف على مراجعة بقية الكتاب أستاذ « برون » وصديقه الحميم الشيخ محمد عمر التونسى الذى يقول فى مقدمة الكتاب : « على أن جل هذا الكتاب كان أملى على من قبل ذلك ، وصححت أكثره بلا مشارك ، ولم آل جهداً فى تنقيحه والله المستعان ، وساعدنى فى ذلك معرفة مؤلفه باللغة العربية لأنى قابلت كل مشكلة معه على أصوله الفرنسية . » (1) . وقد ساعده فى هذه المراجعة تلميذ « برون » وخلفه فى تدريس مادة الكيمياء بمدرسة الطب الشيخ درويش زيدان ، والدكتور حسين غانم الرشيدى .

والكتاب ضخم جدا فإنه يقع فى ٣ أجزاء ، عدد صفحات الأول ٦٧٦ والثانى ٤٩٤ والثالث ٤٤٠ ، وألحق بالجزء الأخير ذيل فى ١١٩ صفحة أخرى لشرح الآلات الواردة فى الكتاب ، جاء فى مقدمته ما يلى : « . . . وبعد فلما من الله سبحانه وتعالى بإتمام كتاب الكيمياء للماهر فى جميع الفنون ، ناظر مدرسة الطب البشرى الشهير بيرون ، وكانت فيه أعمال جمة تحتاج إلى آلات معرفتها مهمة ، وكان لم يذكر فى الكتاب إلا القليل مع أن عليها فى الأعمال التحويل ، وكان عـــدم ذكر جميعها فى صلب الكتاب مما يحصل به الأطناب . . . فقصد أن يجمع جميع الأشكال ويجعلها كالذيل ليكون بها الإكمال ، ولأجل أن تكون كلها مجموعة فى ورقات قليلة لتسهل مراجعتها فى المهمات الجليلة ، فجمعها فى هذه الورقات ، ووضحها أتم توضيح كما هو المقصود للمراجعات ، وأمرنى أن أرتبها على حروف المعجم ، لتكون فى المراجعة أسهل وأقوم ، فامتثلت أمره لما فيه من الفوائد ... الخ » .

(1) انظر مقدمة الجزء الأول .

ويسرنا أن نشير هنا إلى أن «برون» وتلاميذه مصححو الكتاب قد وفقوا توفيقا كبيرا فى ترجمة أسماء كثير من هذه الآلات ، ففى هذا الملحق أسماء كثير من الآلات لازالت تستعمل حتى الآن فى كتب الكيمياء الحديثة منذ وفق هؤلاء الرواد فى تخيرها ، ومنها مثلا : الانبوبة ، الأنبيق ، البودقة ، الجفنة ، جهاز تعيين الوزن النوعى للهواء والغازات ، دورق ولف ، المخبار ، المرشح . . الخ (1)

وكان برون قد أعد لكل جزء فهرسا خاصاً ، ولكنه رأى بعد إتمام الكتاب أن يجعل له فهرسا عاما اقتداء بمؤلفى أوروبا ، يقول الشيخ عمر التونسى « أما بعد فإن كتاب الكيمياء الآن وقد تم ، ومسك ختامه على المدارس قد عم ، وكان قد عمل لكل جزء منه فهرسة مستقلة . . . وحيث أن أهل أوروبا يجعلون لمثل هذا الكتاب النفيس فهرسة جامعة أمرنى مؤلفه أن أتتبع الفهارس الثلاث ، وأجعلها فهرسة عامة نافعة اقتداء بأهل أوروبا فى مؤلفاتهم .. وأن أرتب الفهرسة المذكورة على أوائل حروف المعجم لتكون لدى المراجعة أسهل وأحكم .. فأجبته إلى ذلك حسب مرامه .. الخ » (2)

وقد تم طبع الجزء الأول فى بولاق فى سنة ١٢٥٨ وتم طبع الجزء الثالث فى اليوم الخامس من شهر ربيع الأول سنة ١٢٦٠ .

أما الكتاب الثانى فقد سماه برون « الأزهار البديعة فى علم الطبيعة » ، وقال فى مقدمته : « إنى لما استخدمت بمدرسة الطب البشرى معلماً للكيمياء من مدة سنتين وقمت بما وجب على فيهما بما تقر به العين ، طلب منى أن أضم لتعليم علم الكيمياء علم الطبيعة فامتثلت الأمر واقتطفت من روضة كتب هذا الفن كل زهرة بديعة ، وجمعت هذا الكتاب من أحاسن الفن المذكور . . » ثم يقول : « ثم إنى لفهمى بعض الألفاظ العربية تجنبت من الألفاظ الفرنساوية ما يعسر ترجمته إلى العربية ، هذا وقد رتبت هذا الكتاب على جزئين ، أولها فى العلوم الطبيعية وثانيهما فى الكائنات الجوية .. » (3)

وقد ترجم هذا الكتاب يوحنا عنحورى ، وأشرف على مراجعته وتحريره الشيخ محمد الهوارى ، وطبع منه ألف نسخة فى بولاق سنة ١٢٥٤ ، أى قبل أن يتم طبع الكتاب السابق بنحو ٦ سنوات ، غير أن هذا الكتاب كان أول كتاب فى علم الطبيعة ترجم إلى اللغة العربية فلهذا أقبل عليه تلاميذ المدارس « وانكبوا

(1) أنظر هذا الملحق ، ص ٢ ، ٦ ، ٩ ، ١٦ ، ٢٢ ، ٣٤ ، ٤٦ ، ٤٧ .
(2) ص ٦٨ .
(3) ص ٥ و ٦ من مقدمة الكتاب .

عليه ما بين مطالع ودارس ، وهبت عليه من القبول نسمة صبا ، فتناهبته الأقطار وبددت نسخه أيادى سبا ، واحتيج إلى إحياء مواته ، ونشر رفاته [١]، فصدر الأمر بطبعه طبعة ثانية فى عهد عباس الأول، فطبع فى بولاق سنة ١٢٦٩ .

والآن آن لنا أن نترك الحديث عن برون كمؤلف لنستأنف الحديث عنه كمترجم وعن جهوده فى الترجمة فى الفصول التالية .

---

(١) ص ٣ من مقدمة الطبعة الثانية .

الفصل الثالث

المترجمون

١ — السوريون .

٢ — خريجو المدارس والبعثات .

٣ — خريجو الألسن .

٤ — الموظفون .

الفصل الثالث

المترجمــــــون

تقـــــدمة عامة :

سبق أن ذكرنا أن سنة ١٢٢٦ (١٨١١) ، وهى السنة التى تمت فيها مذبحة المماليك ، تعتبر بحق الحد الفاصل بين عهدين : العهد التمهيدى من عصر محمد على — وفيه بذل الجهد للقضاء على كل العقبات التى تعترض سبيله — وبين عهد الاصلاح ؛ وذكرنا أيضاً أن محمد على كان يرى أن وسيلته للاصلاح هى النقل عن الغرب ، وأن « كل ما هو مفيد من النظم الغربية قد كتبه أصحابها . فإذا ترجم إليه استطاع أن يسير طبقاً له [1] » .

وهنا اعترضته مشكلة خطيرة : أين الكتب التى تترجم ؟ وأى هذه الكتب أحق بالترجمة ؟ وأين فى مصر العارفون باللغات الأوروبية والشرقية ليقوموا بترجمة هذه الكتب ؟ وأخيراً ، أين أداة طبع هذه الكتب ونشرها ؟

لقد كانت مصر حينذاك خلوا من هذه الأدوات ، إذ لم يكن بها كتاب واحد أوربى منذ أخذت الحملة الفرنسية معها كتبها وهى تجلو عن مصر ، ولم تكن فى مصر مدرسة واحـــدة تعنى بتدريس أية لغة أوروبية ، ولم يكن بين المصريين من له معرفة بلغة من هذه اللغات الأجنبية ، وكانت المطبعة أخيراً — أداة الطبع والنشر — قد رحلت مع الفرنسيين عند خروجهم .

غير أن هذا العطل من العلم الأوروبى الحديث وأدواته ، ومقوماته ، لم يدفع اليأس إلى نفس محمد على ، بل على العكس دفعه إلى التفكير والتقدير ، والاقدام والتنفيذ ولكن من يبغى الثمرة لابد أن يمهد الأرض ويفلحها ويرويها ، ولابد أن يبذر الحب ، ويرعاه ، وينميه ، وهكذا فعل محمد على فقد مكث نحو العشر سنوات يمهد الأرض التمهيد الأول ، ثم لبث نحو عشر سنوات أخرى يبذر الحب ، ويرعاه ، وينميه .

ففى الفترة التالية لسنة ١٢٢٦ (١٨١١) أرسل بعوثه الأولى إلى إيطاليا (١٢٢٨ — ١٢٣١) = (١٨١٣ — ١٨١٦) لدراسة فنون وعلوم مختلفة أهمها الطباعة ، وقبيل عودة عثمان نور الدين من « أوربا »

(١) عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٣٢٩ (عن وثائق عابدين) .

(عاد فى سنة ١٢٣٢ = ١٨١٧) أوصاه محمد على أن يشترى مجموعة كبيرة من الكتب الأوربيه كما سبق أن ذكرنا .

وفى ١٤ ذى الحجة سنة ١٢٣٥ (٢٢ سبتمبر ١٨١٩) صدر أمر محمد على باشا إلى كتخدا بك « بتعيين أحد القسيسين لإعطاء دروس فى اللغة الطليانية والهندسة لبعض التلامذة الذين كانوا بالقلعة ، وأن يخصص له محل للتدريس فى القلعة ، وكان هذا أول أمر صدر بتعلم لغة أجنبية بمدارس مصر [1] » .

وفى سنة ١٢٣٧ (١٨٢١) أسست مطبعة بولاق ، وفى سنة ١٢٣٨ (١٨٢٢) كان أول كتاب طبع فى هذه المطبعة « قاموس طليانى وعربى » من وضع الأب رفاييل زاخور راهبة .

بهذه التمهيدات خطا محمد على الخطوات البطيئة ، التى استغرقت عشر سنوات (من ١٨١١ — ١٨٢١) نحو تمهيد الأرض التمهيد الأول فأرسل إلى إيطاليا من تخصص فى فن الطباعة وهو نيقولا مسابكى ، وأحضر بعض الكتب ، وأنشأ المطبعة وساعد على وضع القاموس الأول ليعين الترجمة عن اللغة الإيطالية ، وهى أكثر اللغات الأوروبية انتشاراً وذيوعاً واستعمالا فى مصر وقتذاك ، وبقى التمهيد الثانى ، وهو إيجاد المترجمين ولم يكن فى المصريين من يصلح للقيام بهذا العمل غير عثمان نور الدين أحد أعضاء بعثته الأولى ، فعين فى ســــنة ١٢٣٧ (١٨٢١) أميناً للمكتبة الموجودة فى قصر اسماعيل باشا ببولاق ، « وألحق به بعض المترجمين (كذا) ليترجموا « كتب الفنون الحربية وسائر الصنائع » ، وبعض التلاميذ ليدرسوا الهندسة واللغات العربية والتركية والإيطالية » [2] .

غير أن عثمان نور الدين ما كان يستطيع أن يقوم بالعبء وحده ، كذلك لم تكن المدارس الجديدة قد أنشئت لتخرج من يستطيع الترجمة ، ومع هذا كان الجيش الجديد قد بدىء فى تكوينه منذ سنة ١٢٣٠ (١٨١٥) ، وكانت الادارات والمصانع والمنشآت الجديدة فى سبيلها إلى التكوين ، ومحمد على يرى أن هناك كتباً أوروبية تنير له سبيل الانشاء والتكوين ، وأنه لا بد من ترجمتها ، فلا مانع لديه اذن أن يستعين بمن يستطيع الترجمة من السوريين المقيمين فى مصر ، وستقوم هذه الطائفه بواجبها خير قيام حتى تنشأ المدارس وتخرج الدفعات الأولى ، وحتى ترسل البعثات ، ويعود أعضاؤها ، فيكونّ من خريجى المدارس ، وأعضاء البعثات الرعيل الثانى من المترجمين .

(١) تقويم النيل ، ج ٢ ، ص ٥٨٢ .

(٢) أنظر Cattaui, Op. Cit., t.I,p, 388. Pezzoni à Ribeaupierre, le 22 Octobre, 1830. وعزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٤٣٥ (عن وثائق عابدين ، دفتر ١١ (معية) رقم ٢٥٣ ، فى ٨ ربيع الثانى ، ١٢٣٨) ، ولاحظ أن عزت يذكر أن القصر كان قصر اسماعيل بن محمد على لا ابراهيم ، هذا وتعتبر هذه المحاولة الثانية لتعليم المصريين اللغات الأجنبية .

وقد كان الرعيل الأول من السوريين قليل العدد ، محدود المعرفة والكفاية ، وكان الرعيل الثانى من خريجى المدارس وأعضاء البعثات يقوم بالترجمة كعمل إضافى إلى جانب العمل الأساسى كالتدريس ، أو الحكم ، أو العلاج الطبى ، أو الاشراف على المنشآت ، ولهذا كان لابد من إيجاد طائفة ثالثة متخصصة فى الترجمة ، فأنشئت مدرسة الألسن ، وكون خريجوها الرعيل الثالث من المترجمين .

وقد كانت هذه الرعال الثلاث تقوم بالترجمة عن اللغات الأوربية وخاصة الفرنسية والإيطالية إلى اللغة العربية أو التركية ، غير أن محمد على كان يريد أحياناً أن يطلع على بعض الكتب الخاصة ، وكثيراً ما كانت الكتب تترجم بإشارته وإجابة لرغبته ، ولغة محمد على الأصلية هى التركية ، ومظم رجال جيشه وحكومته الأولى كانوا يجيدون التركية دون العربية ، لهذا ظهر فى تاريخ الترجمة فى عصر محمد على رعيل رابع من موظفيه عهد إليهم بترجمة كثير من الكتب عن العربية ، والقليل منهم ممن كانوا على علم بإحدى اللغات الأوربية كانو يترجمون عنها إلى التركية .

---

١ – المترجمون السوريون

ا — الأب أنطون رفاييل ، مركزه فى مصر بعد خروج الحملة ، ارساله خطابين الى « نابليون » ، زيارة « سبستيانى » لمصر ، سفر رفاييل الى فرنسا ، مقابلته « لتاليران » و « نابليون » ، تعيينه مدرسا بمدرسة اللغات الشرقية ، مؤلفاته هناك ، هزيمة نابليون فى ١٨١٥ ، عودة رفاييل الى مصر فى ١٨١٦ ، أسباب العودة ، رفاييل مدرس بمدرسة بولاق ، وضعه لقاموس إيطالى عربى ، ترجمته لكتاب صباغة الحرير ، وهو أول كتاب ترجم الى العربية فى عصر محمد على ، رفاييل يترجم كتاب الأمير ليطلع عليه محمد على رأى محمد على فى كتابى الأمير ومقدمة ابن خلدون ، كلمة عن الترجمة العربية للكتاب رفاييل ينقل مترجما بمدرسة الطب ، رأى « كلوت بك » فيه ، وفاته .
ب — يوحنا عنحورى ، الكتب التى ترجمها ج — جورجى فيدال الكتب التى ترجمها د — أوغسطين سكاكينى ، الكتب التى ترجمها ، ه — يعقوب ، الكتب التى ترجمها ، و — يوسف فرعون ، الكتب التى ترجمها .

أمام اضطهاد مراد وابراهيم نزح من مصر كثير من السوريين المسيحيين ، كذلك خرج مع الحملة الفرنسية عدد كبير منهم خوفا من اضطهاد كانوا يتوقعونه من الحكومة العثمانية بعد استعادة مصر ، من الصنف الأول انطون فرعون قسيس معلم الديوان وأخوته ، ومن الصنف الثانى طائفة المترجمين فى عهد الحملة .

ولكن يبدو أن هذه الفترة التى انتهت بتغلب محمد على على صعوباته ، وبدئه عهد الاصلاح كانت فترة مناسبة جدا لعودة وهجرة كثيرين من السوريين المسيحيين ، ففى هذه الفترة كانت أوربا — وخاصة فرنسا — ميدانا لاضطرابات وقلاقل عنيفة سببتها حروب نابليون التى انتهت بعزله ونفيه فى سنة ١٨١٥ ، وعودة الحكم فى فرنسا إلى الملكية القديمة ، وإن كان مؤتمر « فينا » لم يقض تماما على عوامل الاضطرابات والثورات فى ممالك أوربا ، فستقوم ثورات أخرى فى معظم هذه الممالك فى سنتى ١٨٣٠ و١٨٤٨ . وفى هذه الفترة أيضا انتهى النزاع بين محمد على وبين جميع الهيئات التى كانت تعترض سبيله ، وبدأ فى مصر عهد أمن وهدوء وطمأنينه

عاد إذن من أوربا إلى مصر بعض من غادرها من السوريين الذين ارتحلوا مع الحملة ، وهاجر إليها من سوريا نفر آخرون ؛ وذلك فى الوقت الذى بدأ فيه محمد على يعد العدة لإنشاء مطبعته ومدارسه ، وفى سنة ١٨٢٧ أنشئت مدرسة الطب المصرية ، وكان كل أساتذتها من الفرنسيين والايطاليين ، وعانى كلوت بك كما ذكرنا صعابا كثيرة فى التغلب على صعوبة جهل كل فريق من الاساتذة والطلاب بلغة الفريق الآخر . وهنا لجأ محمد على ، ولجأ كلوت بك إلى الاستعانة بمن فى مصر من السوريين الذين يعرفون العربية واللغات الأوربية .

١ — الأب أنطون رفاييل زاخور :

كان أول هؤلاء المترجمين السوريين شخصية فذة عرفناها من قبل معرفة جيدة أثناء كلامنا على الترجمة العلمية فى عهد الحملة الفرنسية[١]، فقد ذكرنا هناك جهود هذا العالم فى الترجمتين الرسمية والعلمية، وعرفنا أنه كان العضو الشرقى الوحيد فى مجمع « نابليون »، وأنه كان المترجم الأول بديوان « مينو »، ولم يرحل الاب رفاييل مع رجال الحملة كما رحل غيره من السوريين، بل بقى فى مصر نحو سنتين اخرين اشتغل فى أثنائهما سكرتيرا لرئيس طائفته الدينية الأب باسيليوس عطا الله [٢].

غير أن رفاييل كان ذا نفس طموحة وأمال عريضة، وقد ارتقى فى عهد الحملة الفرنسيه مكانا عليا فى مصر، فكان من رجال العلم والحكم والدولة، فتعرف إلى شخصيات فذة « كنابليون » و « ديزيه » و « كليبر » و « ومينو » ... الخ ممن اشتركوا فى صنع تاريخ مصر فى مفتتح القرن التاسع عشر، وقد كان فى تلك الفترة دائم العمل دائب النشاط والانتاج، فهل يقبع فى مركزه الدينى الجديد المحدود الآفاق ؟ كلا لم ترض نفس رفاييل بهذا الركود بعد الحركة، ولم يكن فى ظروف الحكومة الجديدة بعد أن عادت مصر لحكم العثمانيين مجال لاظهار نشاطه السياسى أو العلمى، فولى رفاييل وجهه شطر فرنسا من جديد، وأرسل فى مدى هاتين السنتين خطابين [٣] إلى صديقه القديم « نابليون بونابرت ».

وفى الخطاب الأول — وتاريخه ١٤ مارس ١٨٠٢ — تحدث رفاييل إلى « نابليون » بانه قد اعتزم أن يكرس حياته لخدمة الجمهورية الفرنسية تحت حكم القنصل الأول، وبعد إرسال هذا الخطاب بقليل وفد على مصر « المسيو سبستيانى » رسولا دبلوماتيا من حكومة فرنسا لدراسة الحالة الجديدة فى هذه البلاد وقد اتصل اثناء مقامه بالقاهرة بكثير من مشايخ المصريين، ورجالاتها، وخاصة من كان له صلة بالحملة، وقد قدم « سبستيان » لبعض هؤلاء المشايخ صورة نابليون [٤] مهداة منه إلى كل منهم، وكان رفاييل ممن

(١) أنظر كتابنا (تاريخ الترجمة فى مصر فى عهد الحملة الفرنسية)، دار الفكر العربى، ١٩٥٠

(٢) أنظر عن هذا الأب : قرألى، (السوريون فى مصر، ج ١، ق ٢، ص ٢٠ و ٧٦).

(٣) Manuscrit inédit de Don Raphael

(٤) عن توزيع صورة « بونابرت » على المشايخ المصريين انظر : Le Rapport de Sébastiani", dans, G. Douin, l'Egypte de 1802 à 1804; Correspondance des Consuls de France en Egypte, p. 15

هذا وقد ذكر الجبرتى خبر هذه السفارة فى ج ٣، ص ٢٤٢ — ٢٤٣، قال فى حوادث جمادى الثانية ١٢١٧ (٢٩ سبتمبر — ٢٧ أكتوبر ١٨٠٢) : «وفيه ورد الخبر بورود مركب من فرانسا (كذا) وبها ألجى، وقنصل وصحبتهما عدة فرنسيس، فعمل لهم الانكليز شنكا، ومدافع بالأسكندرية، فلما كان ليلة الثلاثاء ثامن عشرينه وصل ذلك الالجى، وصحبته خمسة من أكابر الفرنسيس إلى ساحل بولاق، فأرسل الباشا لملاقاتهم خازنداره، وصحبته عدة عساكر خياله، وبأيديهم السيوف المسلولة، فقابلوهم، وضربوا لهم مدافع من بولاق والجيزة والأزبكية، وركبوا إلى دار أعدت لهم بحارة البنادقة، وحضروا فى صبحها إلى عند الباشا، وقابلوه وقدم لهم خيلا معددة، وأهدى لهم هدايا، وصاروا يركبون فى هيئة وأبهة معتبرة، وكان فيهم جبير ترجمان بونابرته ؟ ثم ذكر خبر سفر هذا الوفد فى حوادث شهر رجب من نفس السنة فقال : وفى خامسه (١ نوفبر ١٨٠٢ يوم الثلاثاء سافر الالجى الفرنساوى وأصحابه فنزلوا إلى بولاق، وأمامهم مماليك الباشا بزينتهم، وهم لابسون الزروخ، والخود، وبأيديهم السيوف المسلولة، وخلفهم العبيد المختصة بالباشا، وعلى رؤوسهم طراطير حمر وبأيديهم البنادق على كواهلهم، فلم يزالوا صحبتهم حتى نزلوا ببيت راشتوا ببولاق ثم رجعوا. ثم نزلوا المراكب إلى دمياط. وضربوا لهم مدافع عند تعويمهم السفن ».

حظى بهذا الشرف، وقد فرح بهذا الاهداء كل الفرح إذ اعتبره فرصة طيبة لتجديد صلته بماهل فرنسا الجديد، ففى ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٠٢ أرسل إلى نابليون خطابا ثانيا، شكره فيه على هديته، وجدد تقديم خضوعه للقنصل الأول الذى لقبه فى خطابه بملاك السلام : .Angelo di Pace (اشارة منه لصلح «اميان» الأخير)، وضمن رفاييل كل ذلك قصيدة عربية أرفقها بترجمة لها ايطالية، يقول الأستاذ بشاتلى : «وربما كان الدافع لارسال خطابه الثانى رد وصله من « بونابرت » على خطابه الأول صحبة « سبستيانى » فقد تقابل رفاييل مع « سبستيانى »، ومن المحتمل انه دارت بين الرجلين أحاديث تتصل بنظم الحكم السياسية لأن رفاييل يخبرنا أنه عند وصوله إلى فرنسا سنة ١٨٠٣ أرسل خطابا « لتاليران » وزير الخارجية فى باريس يخبره فيه أنه يحمل خطابات هامة للحكومة الفرنسية. [١]

ووجد رفاييل أخيراً أن سياسة الخطابات سياسة غير مجدية، فقرر أن يرتحل إلى فرنسا، وسافر فى سنة ١٨٠٣، ووصل إلى مارسيليا ومنها إلى « جرينوبل » حيث قابله بالترحاب صديقه القديم « فورييه »، ومن تلك المدينة أرسل رفاييل إلى « تاليران » فى « باريس » خطاباً باللغة الإيطالية يذكر له فيه أنه يحمل إليه خطابات هامة خاصة بالحكومة الفرنسية ويطلب فيه الإذن بالمقابلة، وهنا قد نتساءل، ترى ماذا كانت تحمل هذه الخطابات ؟ وممن كانت مرسلة ؟ الواقع أن رفاييل لم يوضح فى مخطوطته هذه المسألة رغم أهميتها، حقيقة إن الحالة فى مصر بعد خروج الفرنسيين كانت حالة بالغة فى السوء، وقد ارتكبت الحكومة العثمانية والجنود العثمانيون أخطاء كثيرة مما جعل الكثير من طبقات الشعب المصرى تحن إلى عهد الفرنسيين[٢]، وتصرح بهذا الحنين، ولكن هل فكر أحد من المصريين فى الاستفادة من المركز الدولى فى أوربا وقتذاك، وهل فكر أحد منهم — كما سبق أن فكر الجنرال يعقوب — فى عرض اقتراح جديد لإنقاذ مصر من حالتها السيئة ؟ وما نوع هذا الاقتراح ؟ ومن صاحبه، أو أصحابه ؟ كل هذه أسئلة يثيرها فى الذهن أمر هذه الخطابات التى كان يحملها رفاييل من مصر إلى وزير خارجية فرنسا.

وسافر رفاييل إلى باريس، وما كاد يستقر فى العاصمة حتى كتب خطاباً آخر باللغة الإيطالية أيضاً إلى القنصل الأول يطلب مقابلته، يقول الأستاذ بشاتلى : «ولسنا نعلم شيئاً عما دار بين رفاييل والقنصل الأول، ولكن مما لاشك فيه أن ما كلف به رفاييل كان ذا أهمية بالغة، فقد بادرت الحكومة الفرنسية، وكافأته على ما قام به بأن عينه القنصل الأول أستاذاً مساعداً بمدرسة اللغات الشرقية بباريس، وصدر

(١) Bachatly, Un Membre Orient ... etc. pp. 253-254.

(٢) أنظر الجبرتى. ج ٣. حوادث سنتى ١٢١٦. ١٢١٧ (١٨٠١ و ١٨٠٢). فقد قال فى ص ٢١٠ مثلا : وتسلطوا (أى الجند العثمانيون) على الناس بالسب والشتم. ويجماونهم كفرة وفرنسيس وغير ذلك. وتمنى أكثر الناس وخصوصا الفلاحين أحكام الفرنساوية.

أمر هذا التعيين فى ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٠٣ (أول فانديمير سنة ١٢)، وذلك بعد ستة عشر يوماً من طلب المقابلة »[١] .

وقد نص أمر التعيين على أن يعهد إلى رفاييل بإلقاء دروس فى اللغة العامية ، وبترجمة المخطوطات العربية الموجودة فى المكتبة ، والخاصة بالأدب والتاريخ المصرى ، وقد جاء فى كتاب :

"Notice Historique sur l'Ecole Spéciale des langues Orientales Vivantes."

أن هذه الترجمات « كانت تتجه لإعداد مواد تفيد منها اللجنة التى كانت تعمل لإخراج المؤلف الكبير — وصف مصر »[٢] .

وقد نشط رفاييل فى المدة التى قضاها فى فرنسا (١٨٠٣ — ١٨١٦) إلى التأليف مرة أخرى ، فوضع كتاباً « عن البدو أو عرب الصحراء »[٣] ، ثم ألف كتاب مطالعة لتلاميذ مدرسة اللغات الشرقية عنوانه « مرج الأزهار وبستان الحوادث والأخبار »[٤] ، ثم نظم قصة السندباد البحرى ، وترجم إلى العربية بعض قصص « لافونتين »[٥] ، ثم بدأ أخيرا فى تأليف كتابه الذى أهداه إلى « بونابرت » عن تاريخ مصر وجبل الدروز وعنوانه « مجموع أصح العبارات ، وأدق الرموز ، فى أرض مصر وجبل الدروز »[٦] .

وفى سنة ١٨١٥ هزم نابليون فى موقعة « واترلو » ونفى إلى جزيرة « سانت هيلانة » ، ففقد رفاييل صديقه وراعيه وحاميه ، وبدأ يناله ما نال معظم مؤيدى الإمبراطور السابق وأصدقائه من نقمة واضطهاد ، فقد قررت الحكومة الجديدة تخفيض مرتبه تنفيذا لسياسة الاقتصاد العامة التى رسمها حينذاك الوزير ڤوبلان : Vaublane ولم يرض رفاييل عن هذا الوضع الجديد فقدم استقالته فى أبريل سنة ١٨١٦ وقرر العودة إلى مصر .

هذا هو — فى رأى الأستاذ بشاتلى — الدافع الوحيد لرحيل رفاييل عن فرنسا ، وعودته إلى مصر ، ولكننى قد أرى أن هناك سببين آخرين لهما من القوة ما للسبب السابق ،

أولها : أن هذه الفترة من سنة ١٨١١ إلى سنة ١٨٢١ كانت فترة التمهيد للاصلاحات التى بدأها محمد على ،

(١) Bachatly, Op. Cit. pp. 254—255.

(٢) Notice Historique sur l'Ecole spéciale des langues Orientales vivantes, Paris, 1883, pp. 20-21.

(٣) نشرت ترجمة هذا الكتاب باللغة الفرنسية تحت عنوان : Les Bédouins ou Arabes du Désert, ouvrage publié par Mayeux, d'ayeux, d'après les notes de Don Raphael, Paris, 1819, 3 volumes.

(٤) لا زال هذا الكتاب مخطوطا .

(٥) ذكر بشاتلى . المرجع السابق . ص ٢٥٦ هامش ٥ . أن هذا الكتاب لا زال مخطوطا وهو فى محفوظ فى مكتبة مدرسة اللغات الشرقية .

(٦) هذا الكتاب لا زال مخطوطا غير كامل . وقد بدأه رفاييل كما يقول فى مقدمة الكتاب « بثانى عام خروجى من الوطن » وقد أخطأ الأستاذ بشاتلى . المرجع السابق ص٢٥٦ . هامش ٦ ترجمة هذه الجملة . فقال أنه بدأ تأليفه بعد خروجه من مصر بسنتين "deux ans aprés son depart del'Egypte.

ولا شك أن أخبار هذه الاصلاحات كانت قد وصلت إلى فرنسا فى ذلك الحين ، فلعلها دفعت رفاييل — وهو فى ضيقه الجديد — إلى التفكير فى العودة إلى مرتع صباه ، إلى البلد التى بدأ فيها مجده العلمى والسياسى فى عهد الحملة الفرنسية .

وثانيهما : أن محمد على كان قد أرسل عثمان نور الدين — وهو أول مبعوث إلى أوربا فى سنة ١٨٠٩ ليتلقى العلوم الحربية والسياسية فى إيطاليا — وذلك بوساطة يوسف بكتى[١] قنصل السويد فى القاهرة — وقد مكث عثمان نور الدين أربع سنوات فى إيطاليا ، ثم سافر إلى فرنسا ليكمل بها تعليمه فلبث بها سنتين أخريين ، فهل يبعد أن يكون رفاييل قد اتصل — وهو فى باريس — بعثمان نور الدين ، وعرف منه الشيء الكثير عن سياسة محمد على الاصلاحية ، وأن هذه السياسة ترمى إلى النقل عن الغرب ، وأن سلاحه الأول هو الترجمة ؟

عاد رفاييل إلى مصر فى سنة ١٨١٦ ، واتصل بمحمد على ، وإن كنا نجهل من من الرجلين سعى للاتصال بصاحبه ، وكان محمد على حينذاك يمهد السبيل لنقل علوم الغرب ، وكان قد أرسل بعثاته إلى إيطاليا للتخصص فى فن الطباعة ، وإذ كانت اللغة الايطالية هى لغة المراسلات الدبلوماتية وأكثر اللغات الأوروبية انتشارا فى مصر ، فقد كلف محمد على رفاييل أن يضع قاموساً للغتين العربية والايطالية .

وفى سنة ١٨٢٠ مر بمصر (بروكى Brocchi) الرحالة الإيطالى ، وفى ٥ ديسمبر سنة ١٨٢٢ زار مدرسة بولاق السابق ذكرها ، وروى أنه رأى بين هيئة المدرسين ثلاثة من رجال الدين المسيحيين[٢] هم (دون كارلو بيلوتى Von Carlo Bilotti من (كالابريا) والأب (سكاليوتى L'abbé Scagliotti من بيدمنت) ودون رفاييل ويقوم بتدريس اللغة العربية .

وبعد ستة أيام — أى فى ١١ ديسمبر — زار (بروكى) مطبعة بولاق ، وأشار إلى الكتب التى كانت تحت الطبع ، وأولها (قاموس طليانى وعربى Dizionnaire Italiano) ، وقد تم طبعه فى نفس السنة ١٢٣٨ (١٨٢٢) ، وقد ذكر بيانكى فى قائمته ، ووافقه (برون) أن هذا القاموس هو أول كتاب طبع فى مطبعة بولاق ، غير أن (بروكى) قال إن أول كتاب طبع بها كان كتابا تركيا وضع لتعليم تلاميذ المدارس الحربية القائمة فى الصعيد حينذاك ، ثم طبع بعد هذا الكتاب — وقبل طبع القاموس — كتابان آخران ، أحدهما فى الأجرومية العربية ، والثانى كتاب فى الفنون العسكرية ترجم عن الفرنسية إلى العربية[٢] .

وقد درس المستر (هيورات دن) قائمة بيانكى دراسة طيبة فى مقاله عن الترجمة والطباعة فى عصر محمد

(١) Cattaui, Op. Cit. t.I, p, 387.

(2) Brocchi. Giornale delle Osseervazioni fatte ne'viaggi in Egitto. etc. t I' p, 173., Maria Najlino, Interno Due Traduzioni Arabi Del "Principe" Del Machiavelli. Oriente Moderno, 1931, p. 606.

على [1] ، غير أنه نسب هذه القائمة خطأ إلى دكتور برون ، وقد اعتذر فى مقاله عن (برون) ، أى عن (بيانكى) فقال إنه من المحتمل أن المطبعة لم تكن فى أول أمرها قد نظمت النظام الكافى ، وإن الكتب الأولى التى طبعت بها قد طبعت بسرعة ، فلما بدأ (برون) و (بيانكى) يعدان قائمتيهما لم تكن هناك نسخ باقية من هذه الكتب الأولى ، ولهذا لم يشيرا اليها .

وفى السنة التالية ١٢٣٨ (١٨٢٣) طبع الكتاب الثانى لرفاييل وهو ترجمة عربية لرسالة فرنسية من تأليف (ماكير) عن صباغة الحرير (واسم هذه الرسالة باللغة الفرنسية l'art de la tainture en soie, par M. Macquer, Paris 1808. وعنوانها باللغة العربيه (كتاب فى صناعة صباغة الحرير) ، ويقع هذا الكتاب فى ١١٨ صفحة من القطع المتوسط ، وفى الصفحة الأولى منه مقدمة للمترجم لم يذكر فيها السبب الذى دفعه لترجمة هذا الكتاب؛ وإن كان من المرجح أنه ترجمه تنفيذا لأمر محمد على ليفيد منه القائمون على إنشاء الصناعة الجديدة التى أوجدها محمد على فى مصر — وخاصة صناعة النسيج — وتلى مقدمة المترجم مقدمة علمية للمؤلف من صفحة ٢ إلى منصف صفحة ١٠ ، ثم فهرس للكتاب من منتصف صفحة ١٠ إلى نهاية صفحة ١٢ ؛ ثم شرح للألوان والألفاظ الاصطلاحية الواردة فى الكتاب فى ثمانى صفحات ، والمتن يشغل الصفحات الباقية [2].

ويعتبر هذا الكتاب — إذا استثنينا الكتاب الحربى المترجم عن الفرنسية الذى ذكره (بروكى) — أول كتاب ترجم فى عصر محمد على ؛ فهو أول الغيث ، وبهذا يكون رفاييل صاحب السبق فى هذا الميدان ، فهو صاحب أول كتاب ترجم عن الفرنسية إلى العربية وطبع فى مطبع الجملة وفى عهدها ؛ وهو رسالة (دى جينيت) عن مرض الجدرى ، وهو أيضا صاحب أول كتاب ترجم عن الفرنسية إلى العربية ؛ وطبع فى مطبعة بولاق فى عهد محمد على .

وضع رفاييل هذا القاموس ، وترجم هذا الكتاب تنفيذا لأمر محمد على ؛ مما يرجح أن الصلة كانت قوية بين الرجلين ؛ ولم يكن محمد على سليل بيت مالك ؛ بل إنه سعى حتى فاز بهذا العرش فوزا ؛ ولقد كان له من فطرته السليمة ، وعبقريته الفذة ، ما دفعه إلى البحث والدرس ، وخاصة كل ما يتعلق بنظم الحكم

---

(١) Dunne, Op. Cit. p. 333.

(٢) جاء فى الصفحة الأخيرة من هذا الكتاب . ص ١١٨ هذه الأبيات ، وهى من إنشاء رفاييل ننقلها كما هى :

لقد تم الكتاب بحسن لطف ... وجاء العون من (م)المولى القدير
ونلنا النصر حقا على (ع) الأعادى ... وفزنا بالهناء وبالسرور
وقد شرفت ليالينا جميعا ... بخدمتنا لمولانا الوزير
وقد جاد الزمان لنا بسعد ... يرفع الكتب الملك المشير
وصافانا الزمان بطول عز ... لأن العز فى طبع الحرير
ببولاق لها شأن عظيم ... حماها الله من كيد الدهور
فقلت زيادة للواو أرخ ... بمطبعة تجدد للوزير

أنظر الصورة فى الفصحة المقابلة .

DIZIONARIO
ITALIANO E ARABO
CHE CONTIENE IN SUCCINTO
TUTTI I VOCABOLI
CHE SONO PIÙ IN USO E PIÙ NECESSARJ PER IMPARAR A PARLARE
E DUE LINGUE CORRETTAMENTE
EGLI E DIVISO IN DUE PARTE
PARTE I
DEL DIZIONARIO DISPOSTO COME IL SOLITO NELL'ORDINE ALFABETICO
PARTE II
CHE CONTIENE UNA BREVE RACCOLTA DI NOMI E DI VERBI
E PIÙ NECESSARJ, E PIÙ UTILI ALLO STUDIO DELLE DUE LINGUE

BOLACCO
DALLA STAMPERIA REALE
M D CCC XXII

بسم الله الرحمن الرحيم
قاموس
الطاليانى و عربى
يتضمن بالاختصار كل الالفاظ الجارى بها العاده والالزم
لتعليم الكلام
والمفهومية اللغتين على الصحيح وقد ينقسم الى قسمين
القسم الاول
فى القاموس المرتب على حسب المعتاد بموجب ترتيب حروف الهجا
القسم الثانى
ويتضمن مجموع مختصر من اسما وافعال من الاشد
الزام واكثر فايدة لدرس اللغتين

تم الطبع فى بولاق بمطبعة صاحب السعادة
١٢٣٨

القاموس الايطالى العربى
من وضع الأب رفاييل

وواحد من الكتب الثلاثة الأولى التى طبعت فى مطبعة بولاق فى عصر محمد على

ان يغلى فتعفيص الحرير يعمل بالثلث من عفص حلب فيمزك الحرير اولا على مدة ستة ساعات وبعدها اثنى عشر ساعة وباقى مابقى بموجب الصنعة

تم

لقد تم الكتاب بحسن لطف * وجاء العون من المولى القدير
ونلنا النصر حقا على الاعادى * وفزنا بالهناء وبالسرور
وقد شرفت ليالينا جميعا * بخدمتنا لمولانا الوزير
وقد جاد الزمان لنا بسعد * رفع الكتب للملك المشير
وصافانا الزمان بطول عز * لان العز فى طبع الحرير
ببولاق لها شان عظيم * حماها الله من كيد الدهور
فقلت زيادة للواو ارخ * بمطبعة تجدد للوزير

ووافق فراغه يوم الاثنين ستة وعشرين من شهر ذى القعدة سنه ثمانيه وثلاثين ومائتين والف من الهجرة النبوية
على صاحبها افضل الصلاه والتحيه

الصفحة الأخيرة من كتاب «فى صناعة صباغة الحرير»
ترجمة الأب رفاييل

والإدارة ، وفن السياسة ، ولهذا كان دائم الصلة بكل من فى مصر من دبلوماسيين أوروبيين ، وبكل من يفد عليها مرتحلا أو زائرا ، وكان فى اجتماعه معهم دائم السؤال عن أحوال بلادهم السياسية والعلمية ، وعن نظم حكوماتهم ، وعن أهم الكتب وأحسنها ، وقد نصحه ناصح من هؤلاء فى تلك الفترة (حوالى سنة ١٨٢٠) — وإن كانت المراجع لا تذكر من هو — بقراءة كتاب (الأمير) (لميكافيللى) . فبادر محمد على وكلف رفاييل بترجمة هذا الكتاب فترجمه إلى اللغة العربية (حوالى ١٢٣٩ — ١٢٤٠ = ١٨٢٤ — ١٨٢٥) أشار (بروكى) — فى غموض — إلى ترجمة هذا الكتاب ، ثم أشار إلى هذه الترجمة فى وضوح وإيضاح لا بأس به (جوزيبى أشربى : Giuseppe Acerbi (1773-1845) قنصل النمسا فى مصر فى عهد محمد على فى رسالة منه إلى (السنيور جيروفى) أمين المكتبة الامبراطورية فى (ميلانو) ، وقد ذكر (أشربى) فى هذه الرسالة أنه تحدث مع الباشا فى إحدى مقابلاته عن الكتب والأدب ، وقد دهش عندما أخبره محمد على أنه أمر بترجمة كتاب الأمير لميكافيللى إلى التركية ، وإنه جد مشوق لمعرفة ما يتضمنه هذا الكتاب الذى سمع عنه ثناء جما من أحد الأوروبيين .

وذكر (أشربى) بعد ذلك أن محمد على تحدث اليه عن هذا الكتاب فى مقابلة أخرى — وكان ذلك فى سنة ١٨٢٨ أى بعد ترجمة الكتاب بنحو أربع سنوات — فقال له ما ملخصه (إنكم تثيرون فى إيطاليا ضجة كبيرة حول كاتبكم المعروف (ماكيافيللى) ، وقد أمرت بترجمة كتابه إلى التركية لكى أعرف ما فيه ، ولكننى أعترف بأنى قد وجدته أقل بكثير مما كنت أتوقع ، ومن الشهرة التى له .

وإنى أعلن إليك أيضاً أن هناك مؤلفا آخر عربياً أثار دهشتى ، ونال إعجابى ، بعد أن أمرت فترجم للغة التركية — هو مقدمة ابن خلدون — ، إن هذا الكاتب أكثر حرية فى تفكيره من ماكيافيللى ، بل إننى أعتقد أن كتابه أكثر وأشــد نفعاً ، وإذا كان كتاب ماكيافيللى ممنوعا تداوله فى بعض البلاد الأوروبية ، أفما كان من الأجدر أن يكون المنع أتم وأعم بالنسبة لمقدمة ابن خلدون (١) .

(١) Lettera dei signor Const. Acerbi, concolegenerale di S. M. I. R. A. in Egitto al Signor Girovi Bibliotecario della Bibl. Imp. di Brera in Milano. Biblioteca Italiane, tome LXI, Milano 1831. pp. 289-298, Maria Nallino, Op.Cit. pp. 604-605.

وهناك رواية أخرى رواها الرحالة الانجليزى « سانت جون » الذى زار مصر حوالى سنة ١٨٣٠ . وفيها يشير الى أن « سولت » قنصل انجلترا فى مصر هو الذى أعد الترجمة التركية لكتاب الأمير ثم عرضها على محمد على ، وفى هذه الرواية أيضا رأى محمد على فى الكتاب ، وفيما يلى نص ما ذكره « سانت جون » باللغة الانجليزية :

"I regard the Pasha as a man of genius, - but the entire absence of that knowledge, theoretical and (54) practical, which nothing but a political educationcan bestow. Yet his Highness considers himself a great statesman; and from an anecdote related to me at Alexandria, it isclear that he still prefers the Oriental style of ruling. Salt formerly British Consul-Genoral in Egypt, wishing to ingratiate himself with the Pasha, by instructing him more deeply in the arts of tyranny, procured a Turkish translation to be made of Macchiavelli's "Prince", and presented it to his Highness. After allowing the spell a suffici-ent time to operate, and finding in his various audiences no allusion made to the translation, he one day ventured to introduce the subject, by directly demanding of the Pasha his opinion of Macchiavelli. "My

ولا يمكننا أن نمر بهذا الحديث دون أن نشير إلى دلالاته المختلفة وأولها وأهمها هذه القدرة العجيبة من شخص كمحمد على ظل أمياً حتى سن متأخرة جدا ، على تفهم كتابين من أعظم ما خلفته الثقافة الانسانية فى الغرب والشرق ، ثم المقارنة بينهما ، وتفضيل أحدهما على الآخر .

بقى أن نشير إلى ما ورد فى حديث محمد على « لاشربى » من أنه أمر أن يترجم الكتاب إلى التركية ، مع أن الترجمة التى وصلتنا ترجمة عربية ، ويمكن تفسير هذا التعارض بأن رفاييل الذى كلف بترجمة الكتاب لم يكن يعرف اللغة التركية فترجمه إلى العربية ، وإذ كان محمد على لا يتقن العربية ، ولغته الأصلية هى التركية ، فمن الممكن أن نفرض أن هذه الترجمة العربية ترجمت ثانية إلى التركية(١) — إما كتابة وإما شفاهاً — ليتمكن محمد على من فهم ما جاء بها . ويؤكد هذا الظن أمر محمد على فيما بعد بترجمة رحلة رفاعة إلى « باريس » عن العربية إلى التركية ، ليطلع عليها هو ورجال دولته ممن يجيدون التركية دون العربية .

ومخطوطة الترجمة العربية كانت موقوفة على مكتبة مسجد سيدنا الحسين ، ثم نقلت منها إلى دار الكتب المصرية حيث ما تزال محفوظة تحت رقم ٤٣٥ تاريخ ، وعنوانها « المجلد الرابع من مصنفات نيقلاوس فى التواريخ وفى علم حسن التدبير فى الأحكام(٢) » ، وطول المخطوطة ٢١,٥ سم ، وعرضها ١٦ سم وهى مكتوبة بالخط النسخ الجميل ، وتتكون من ٨٢ ورقة ، وفى كل صفحة ٢٠ سطراً .

والأوراق من ١ ا إلى ٢ ب تحتوى على مقدمة موجزة من قلم المترجم تبدأ بقوله « نبتدىء بعون الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، والحمد لله الذى على مشيئته وتدبيره تنعقد سلاسل الحوادث والأخبار ، ومن فيض أحكامه ونجد (كذا) تقديره يجرى مجرى ماوقع فى الدهور والأعصار . . » ، ثم يلى ذلك مدح لمحمد على وانه أمره بترجمة هذا الكتاب الذى ألفه المعلم ماكيافيللى ليفيد منه القائمون بالوظائف الادارية ، وانه

opinion of him, "replied Mohammed Ali, "is, that he was a more babbler, we have in Turkish, two words worth more than his whole book" at this termination of his courtier-like adventure, Salt was so much confounded that he omitted to enquire the nature of this brief vocabulary of tyranny; but we may venture to supply the omission with, plunder, and "kill. After all, however, the Pasha's secret opinion of the Prince may not be so unfavourably unless we suppose that the grave irony of the republican writer unmasking the arts of despotism while pretending to furnish it with arms, may not have escaped Mohamed Ali, though it imposed upon Salt."

St. John Egypt and Mohemed Ali, voi. 2, pp. 453-454.

(١) Maria Nallino. Op.Cit. p. 605.

حيث ذكرت أن هذا الحديث دفع « اشربى » إلى البحث عن نسخة مخطوطة من مقدمة ابن خلدون ، فعثر على نسختين ، أرسل أحديهما إلى مكتبة « بريرا » والثانية إلى مكتبة « فيينا » الامبراطورية ، وان مسابكى مدير مطبعة بولاق وعده بالشروع فى طبع هذا الكتاب ، ثم ذكرت أن هذا النص التركى لم يطبع البتة فى بولاق . وإنما طبع النص العربى فى بولاق سنة ١٢٧٤ (١٨٥٧) ونضيف نحن ان النص التركى طبع فى بولاق فى نفس السنة (١٢٧٤) وهو من ترجمة محمد افندى صاحب الشهير بيرى زاده ويقع فى ٦٢٦ صفحة من القطع الكبير . أنظر فهرس الكتب التركية لدار الكتب المصرية .

(٢) ذكر هذا الكتاب فى الجزء الخامس من فهرس دار الكتب الجديد ، ص ٣٩ تحت هذا العنوان « الأمير فى علم التاريخ والسياسة والتدبير تأليف نيقالاوس ما كيافلى الايطالى »

ترجمه ترجمة دقيقة ليكون واضحا سهلا لمن يقرأه ، وأنه بذل فى ذلك عناء وعناية لأن تراكيب الكتاب قديمة وأفكاره صعبة ، فقد ألف فى سنة ١٦٠٠ م .

والكتاب غير تام الترجمة [١] ، ويتكون من ٢٣ فصلا ، وان كان رفاييل قد اطلق على كل فصل من الفصول السبعة الأولى اسم « رأس » ، ثم سمى الفصول من ٨ إلى ١٢ فصولا ، ولكنه عاد فكتب على الفصول الباقية لفظ « رأس » بدلا من فصل .

وترجمة رفاييل لهذا الكتاب — كترجماته الأخرى — ضعيفة ركيكة الأسلوب ، صعبة الفهم وسنعود للتحدث عنها باسهاب عند تقديرنا العام للترجمة فى هذا العصر ، وتقول الآنسة « ماريا نالينو » [٢] أن مشروع طبع هذا الكتاب لم ينفذ ولعل ذلك راجع إلى رأى محمد على الذى لم يقدر محتويات كتاب « ماكيافيللى » أو لعل ترجمة رفاييل بدت أمام مصححى مطبعة بولاق من شيوخ الأزهر ركيكة الأسلوب ضعيفة العربية ، بل وغامضة غير واضحة المعنى فى مواضع كثيرة منها .

هذه هى جهود رفاييل الأولى فى الترجمة منذ عاد إلى مصر وكلها تنفيذ لأمر محمد على وتوجيهاته ، فلما أنشئت مدرسة الطب فى سنة ١٢٤٣ (١٨٢٧) اختار كلوت بك نفرا من المترجمين السوريين ليقوموا بنقل الدروس ، وترجمة المحاضرات إلى الطلبة ، وكان رفاييل أول من اختير لهذه المهمة .

وقد جاء فى التقرير الذى كتبه كلوت بك عن حالة المدرسة فى سنتها الأولى ، أن رفاييل الدكتور فى الطب ، العالم باللغة العربية والفرنسية والايطالية ، والمعين بالمدرسة كلف بترجمة علم الفسيولوجيا ، وانه قام به بدقة ووضوح [٣] .

ثم ذكر « كلوت بك » فى تقرير السنة التالية (١٢٤٤ = ١٨٢٨) اسم رفاييل بين أعضاء لجنة الامتحان ، وقال : « إن الأستاذ الدكتور رفاييل قام فى كثير من المهارة بترجمة رسالة فى التشريح الباتولوجى Anatomie Pathologique وكان من الضرورى أن يقوم بهذا الواجب طبيب له قيمته كرفاييل متمكن من اللغة

(١) آخر جملة وردت فى الكتاب هى : « فانهم لسائدون إذا توافقوا مع الأوقات والأحوال ، ولتعسون إذا وقع . . . وقد ذكرت Maria Nallino, Op. Cit. p. 608 أن هذه الجملة يقابلها فى النص الايطالى ما يلى : "Concludende, abunpue che, viariande la fortuna e stando li uomini ne'loro modi ostineti, sono felici mentre concordano insieme e, come discordano infelici."

وهذه احدى فقرات الفصل الخامس والعشرين من الأصل واستنتجت من هذا أن الذى لم يترجم هو بقية هذا الفصل ، والفصل السادس والعشرون وهو الأخير .

(٢) Op, Cit, p. 609

(٣) Clot, Compte rendu des travaux de l'Ecole de médecine d'Abou-Zabel, pour la premiére année desafondation (1243=1827), pp. 7-8,

وعزت ، المرجع السابق ، ص ٢٠٧ ، ولسنا نعرف من أين حصل رفاييل على لقب « دكتور » ويرى الأستاذ بشاتلى أن هذا قد يكون لقب تشريف أضفاه عليه كلوت بك اعترافا بخدماته ورفعا لشأنه بين تلاميذه . أنظر : Bachatly ,un Membre Oriental, etc. p. 260.

العربية ليقوم بمثل هذا العمل الصعب » [١] .

ويشير التقرير الثالث (١٢٤٥ = ١٨٢٩) إلى أنه كان لايزال مكلفاً بترجمة علم الفسيولوجيا ، وإنه كان يقوم بهذا العمل بمنتهى الدقة والوضوح .

وفى ١٣ اكتوبر سنة ١٨٣١ (٦ جمادى الأولى ١٢٤٧) توفى رفاييل بعد هذه الحياة العلمية الحافلة ، وبعد أن بلغ من العمر اثنتين وسبعين سنة ، وذلك فى داره التى كان يسكن بها فى القاهرة مع أحد أقاربه المدعو (يوسف الراهبة) الذى ورث عنه أمواله وكتبه وأثاث داره ، يقول الخورى قسطنطين الباشا فى ختام ترجمته للأب رفاييل : « ولم تنقض سنة على وفاة الأب رفاييل حتى لحقه نسيبه يوسف راهبه ، ومات غرقا فى البحر ، وذهبت أمواله وكل تركة الأب رفاييل طعمة الأسماك . . »

انتهى الطواف برفاييل إلى أن يكون مترجا للكتب الطبية فى مدرسة أبى زعبل ، ولكنه لم يكن السورى الوحيد الذى عهد اليه بهذا العمل ، بل شاركته فيه طائفة من مواطنيه تذكر المراجع أسمائهم فى شىء من الغموض ، وهم (يوحنا عنحورى ، وجورج فيدال ، ويعقوب ، وأوغسطين سكاكينى) .

(ب) يوحنا عنحورى :

أسرة عنحورى [٢] من أقدم الأسر السورية ، وقد اشتهر منهــا أفراد كثيرون فى سوريا ومصر كرجال دين وعلم وأدب ، وممن له ذكر منهم فى عهد محمد على يوحنا (أو حنا أو حنين) عنحورى ، ولسنا نعرف عن حياته شيئاً ، وإن كنا نرجح أنه ممن سافروا إلى إيطاليا ، وتعلموا بها ، فقد كان يجيد اللغتين العربية والإيطاليه ، ويبدو أنه كان يحتل المركز السامى بعد رفاييل فى مدرسة الطب المصرية ، بل إنى

(١) Clot, Compte rendu dés travaux de l'Ecole de Médecine d'Abou-Zabel, pour la deuxiéme année de La fondation (1244—1829)., pp.6 et 11.

هذا وليس بين الكتب الطبية التى ترجمت وطبعت فى عصر محمد على كتاب بهذا العنوان منسوب إلى رفاييل ، وإن كان هناك كتاب طبى آخر ترجم وطبع فى نفس الوقت الذى أنشئت فيه مدرسة الطب . فقد تم طبعه فى آخر ربيع الثانى ١٢٤٢ (آخر نوفمبر ١٨٢٦) . وعنوانه « كتاب فى قواعد الاصول الطبية المحررة عن التجارب لمعرفة كيفية علاج الأمراض الخاصة ببدن الانسان » « وهو من تأليف » الحكيم فرانشسكوفاقا : .Fr. Vacca أستاذ المدرسة الجامعة لجميع العلوم فى مدينة بيزا » ، أنظر نفس الكتاب ج ٢ ، ص ١ ، وج ١ ص ١٠٨ ، وانى لأرجح متفقا مع المستر (دن : Dunne) أن يكون هذا الكتاب من ترجمة رفاييل ، وان كنت أعتمد فى ترجيحى على أسلوب الكتاب وطريقة ترجمته بينما يعتمد « دن » على أن الكتاب من تأليف « فاقا » ؟ ومدرس الفسيولوجيا فى مدرسة الطب بأبى زعبل « جيتانى Gaetani » كان تلميذاً لفاقافلا يبعد أن يكون الرجلان قد تعاونا على اختيار هذا الكتاب وترجمته ، وهذا فى رأيى ترجيح خاطىء لأن الكتاب ترجم وطبع فى أواخر ١٨٢٦ أى قبل انشاء مدرسة الطب ، انظر Dunne, Op. Cit. p.338.

(٢) تنتسب هذه الأسرة إلى قرية « عين حور » فى سوريا ولكنها سكنت دمشق فيما بعد ، ورحل منها أفراد كثيرون إلى مصر . وخاصة دمياط والقاهرة . أنظر عيسى اسكندر المعلوف . دوانى القطوف فى تاريخ بنى المعلوف . ص ٢٥٧ . هامش ١ . قرأ لى المرجع السابق . ج ١ ص ١١٢ و ١٣٣ . ج ٢ . ص ١٩ . والباشا . المرجع السابق . ص ٥٣ . وميخائيل بريك . تاريخ الشام ؟ ص ١١٥ ؟ وشيخو ، الآداب العربية فى القرن ١٩ ، ح ٢ ص ١٢٣ وسركيس ، المرجع السابق ، ١٣٨٨ — ١٣٩٠ .

لأرجح أن يكون رفاييل هو الذى مهّد له ولزملائه من المترجمين السوريين سبيل الالتحاق بهذه المدرسة ، فلما توفى رفاييل احتل عنحورى مركز المترجم الأول [١] — إن صح هذا التعبير — وقد كانت صلته بأنشط أساتذة المدرسة الفرنسيين : (كلوت بك) و (برون) و (ديفينو) — وثيقة قوية فترجم لهم كتبهم .

وقد قام عنحورى بترجمة سبعة كتب طبية ، منها واحد من تأليف (كلوت بك) وثان من تأليف (دكتور برون) ، وهى :

١ — القول الصريح فى علم التشريح : Anatomie du Corps Humain من تأليف (بايل Bayle) وبه إضافات من وضع (كلوت بك) ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٤٨ (١٨٣٣) ، فى جزئين .

٢ — بتولوجية أى رسالة فى الطب البشرى : Traité de Pathologie تأليف بايل ، طبع فى بولاق سنة ١٢٥٠ (١٨٣٤) فى جزء واحد .

٣ — رسالة فى علم الجراحة البشرية : Traité de Chirurgie ترجمت عن الفرنسية ، وطبعت فى بولاق سنة ١٢٥٠ (١٨٣٤) .

٤ — منتهى الأغراض فى علم شفاء الأمراض ، تأليف العالمين الفرنسيين : (بروسيه) و (سانسون) طبع فى بولاق سنة ١٢٥٠ (١٨٣٤) فى جزئين .

٥ — مبلغ البراح فى علم الجراح ، تأليف (كلوت بك) طبع فى بولاق سنة ١٢٥١ (١٨٣٥) .

٦ — الأزهار البديعة فى علم الطبيعة ، تأليف الدكتور (برون) ، طبع فى بولاق سنة ١٢٥٤ (١٨٣٨) فى جزئين .

٧ — علم النباتات ، ترجمه عن الفرنسية وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٧ (١٨٤١) .

وقد قدر (كلوت بك) لعنحورى [٢] جهده فى الترجمة ، فأثنى عليه ثناء جا ، وقال إنه مترجم قدير ووصفه بالإخلاص فى عمله ، والإقبال على البحث عن المصطلحات العلمية العربية الصحيحة .

وكان عنحورى ضعيفا فى الفرنسية ، وإن كان يجيد اللغة الايطالية ، لهذا كانت تترجم له الكتب من الفرنسية إلى الإيطالية ، ثم يقوم هو بترجمتها إلى اللغة العربية ، فهذا كتاب (منتهى الأغراض فى علم الأمراض) ، « ترجمه من اللغة الطليانية بالاملا يوحنا عنحورى . . بعد أن نقل إليه من الفرنساوية ،

---

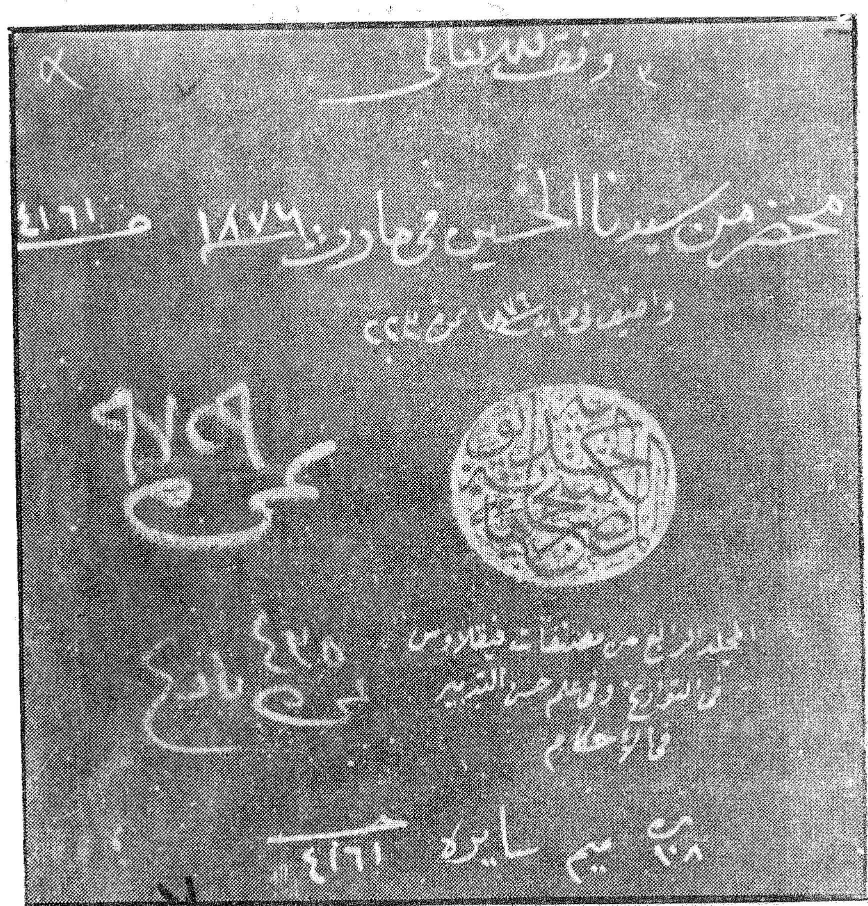
(١) ذكر جورجى زيدان ، تراجم مشاهير الشرق فى القرن ١٩ ، ج ٢ ، ص ٢٠ أن رفاعة بك عين بعد عودته من فرنسا مترجما بمدرسة الطب ، وكان متوليا رئاسة الترجمة بها قبله يوحنا عنحورى . ووافقه على هذا المعلوف المرجم السابق ، غير أن المراجع المعاصرة لم تفرق بين المترجمين السوريين فى مدرسة الطب ، فتجعل لأحدهم مكانة الرئيس ، وكل ما نستطيع أن نقره أن عنحورى — كاستنرى — كان أكثر نشاطا وانتاجا ومعرفة بفنه من زملائه .

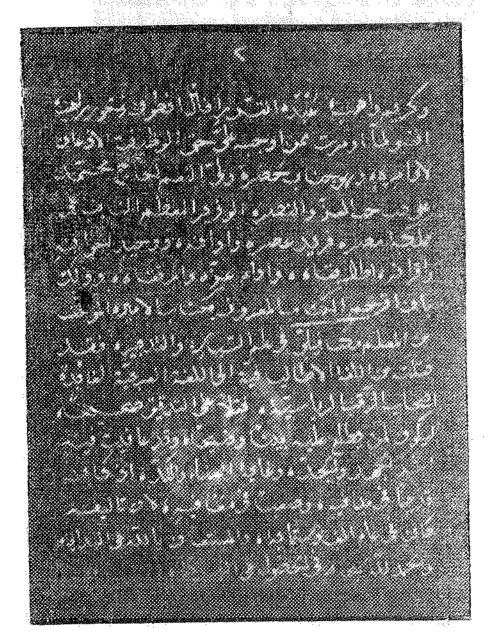
(2) Clot Bey,Compte rendu. . . . p. 45.

الترجمة العربية لكتاب الأمير

صفحة الغـــلاف

[أنظر ما فات هنا ص ٨١ _

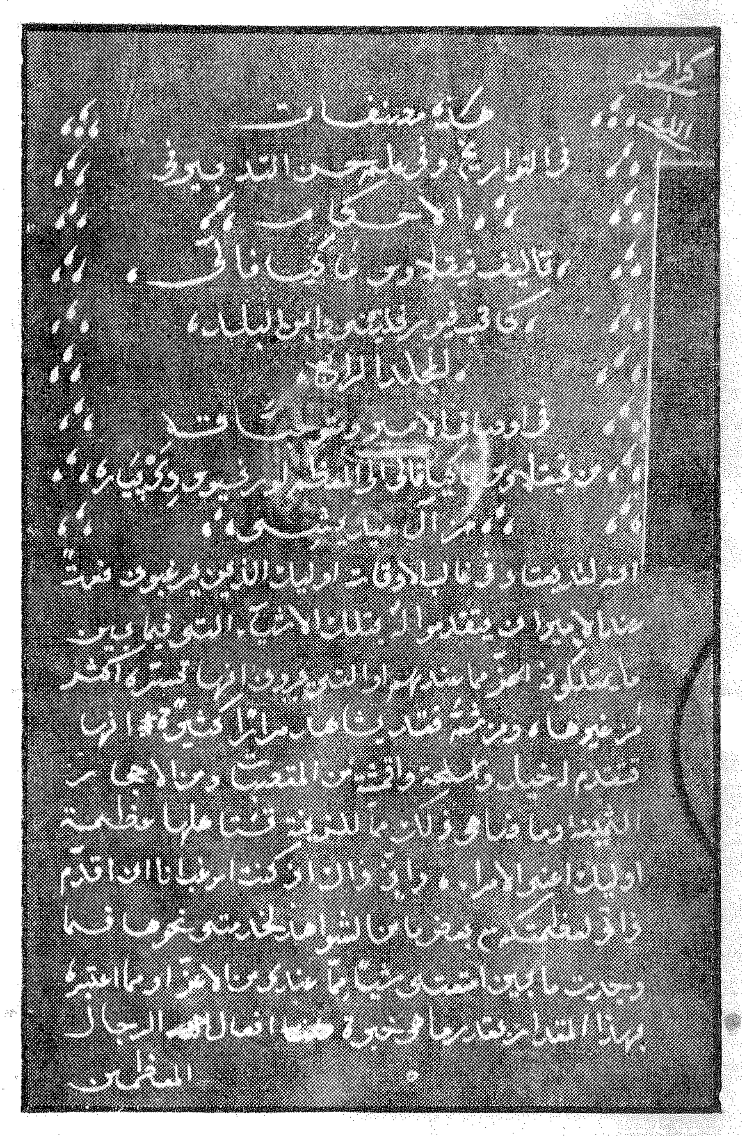




الصفحة الأولى وبها مقدمة المترجم وتصريحه أنه قام بالترجمة تنفيذا لأمر محمد على

كتاب الامير لمكيافللى

ترجمة الأب رفاييل زاخور راهبة



الصفحة الأولى من مخطوطة الترجمة

لكونه فيها قليل المعرفة . . . ولكون الكتاب المذكور نقل للطليانية ، وكان يفسر بهـا حين قراءة المعلم للدرس ، وخفت من أن يكون وقع فى شىء منه اللبس ، تصفحته ثانيا مع على أفندى هيبـه على أصله المطبوع بالفرنساوية ، حتى وقفت على حقيقة ما كنت فيه أتردد ، وتيقنت صحته بالكلية . . » [١]

وهكذا كان الشأن فى كل الكتب التى ترجمها عنحورى ، فهى جميعاً كتب فرنسية الأصل .

ويبدو أن النظام كان يقضى بأن يختص كل شيخ من المحررين بواحد من هيئة المترجمين يعنى بتصحيح الكتب التى يترجمها ، وقد قام بتصحيح الكتب التى ترجمها عنحورى ، الشيخان محمد عمران الهراوى وأحمد حسن الرشيدى [٢] .

وكان يعهد لعنحورى أحيانا — ولعل ذلك لمقدرته الممتازة عن إخوانه — بمراجعة الكتب التى يترجمها غيره ، وهنا كانت تتكرر الرواية ، فيترجم له الكتاب أيضاً إلى اللغة الايطالية ليتمكن من مراجعته ، ومثال ذلك ماجاء فى مقدمة كتاب (إسعاف المرضى من علم منافع الأعضا) ، وهو من تأليف المسيو (سوسون) المدرس بمدرسة الطب بأبى زعبل وترجمة الدكتور على هيبه ، أحد خريجى البعثات ، فإنه « بعد فراغ ترجمته قابل معظمه الخواجا عنحورى المترجم بهذه المدرسة ؛ مع الشيخ ابراهيم الدسوقى أحد المصححين بها ؛ على أصل طليانى ؛ نقل له من الأصل الفرنساوى ؛ فكان الشيخ ابراهيم يقرأ العربى والخواجا عنحورى يقابل عليه فى الأصل الطليانى [٣] »

(ج) جورج فيدال :

سورى مارونى من حلب ، لم تذكر عنه المراجع شيئاً كثيراً أو قليلا ، وإن كان الأب قرألى قد أثبت فى كتابه (السوريون فى مصر) نقلا عن وثائق العماد والزواج والوفاة المحفوظة بسجلات الآباء الفرنسيسكان أن طفلا اسمه (جرجس بن الياس فيدال (طيطى) وهو مارونى من حلب [٤]) قد عمد فى سنة ١٧٩٥ ، وليس لدى ما يثبت أو ينفى أنه هو جورج فيدال المترجم بعدئذ بمدرسة الطب المصرية . فإذا صح أنه هو ، وأنه التحق بمدرسة الطب عند انشائها ، فإنه يكون قد التحق بها وعنده من العمر ثنتان وثلاثون .

وقد كان فيدال يترجم عن الفرنسية إلى العربية ، وقد اختص بترجمة كتب الأستاذ برنار nard فترجم منها :

---

(١) ص ٤ من مقدمة الشيخ محمد الهراوى للكتاب .

(٢) أنظر مقدمات الكتب التى ترجمها عنحورى ، وخاصة القول الصريح ، ومنتهى الاغراض .

(٣) ص ٨ من الكتاب .

(٤) قرألى، المرجع السابق ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٣٠ ، انظر نفس المرجع ، ص ١١٢ حيث ورد فى سجل الزواج فى سنة ١٧٥٣ اسم « جرجس تيطى » الحلبى المارونى ، تسمى بعدئذ ڤيدال » .

١ — قانون الصحة "Des Règles de l'hygiene et de la médecine appliquée du corps humain. وطبع فى بولاق سنة ١٢٤٨ .

٢ — المنحة فى سياسة حفظ الصحة، وطبع فى بولاق، رمضان سنة ١٢٤٩ .

وكان يقوم بتصحيح الكتب التى يترجمها فيدال، الشيخ محمد عمران الهراوى ، ذكر هذا الشيخ فى مقدمته لكتاب المنحة أن (الخواجا برنار، جمع هـــذا الكتاب من مجلدات كبار، وترجمه من الفرنساوى للعربى بالكتابة والمقال ، المترجم الحلبي جورجى فيدال [١]) .

وذكر فى خاتمته أن هذا (ثالث كتاب طبع من الكتب الجديدة بعد ترجمته وقراءة معظمه فى المدرسة المفيدة التى أنشأها بأبى زعبل صاحب السعادة، لتنتشر علوم الطب فى مملكته الوقادة ، على يد مصحح كلمه عند الترجمة، محرر جمله لدى القراءة والمقابلة . مفرغه فى قالب التصانيف الأولية ، صائغه على تمثال التآليف العربية ، مؤاخيه حال القراءة والجمع ، موافيه عند التمثيل والطبع ، مغفور المساوى، محمد الهراوى... [٢])

ويقع هذا الكتاب فى جزء واحد من ٤٠٤ صفحة وقد طبع منه ١٠٠٠ نسخة .

(د) أوغسطين سكاكينى :

سورى الأصل ، ، أسرته من دمشق وهو من أسرة سكاكينى التى اشتهرت فى مصر بعد ذلك ، ويقول سركيس [٣] أنه ابن جبريال بن ميخائيل بن ابراهيم السكاكينى ، المتوفى بدمشق سنة ١٧٦٦ ، ويذكر أن أباه جبريال سافر مع (نابليون بونابرت) (ولعله يقصد مع الحملة الفرنسية) إلى باريس وأقام بها .

وقد أقام أوغسطين مدة فى (مارسيليا) ثم ارتحل إلى تونس حيث تزوج من سيدة فرنسية اسمها (تزريا وردوتا) Th. Verduta ، ثم سافر إلى مصر ، وعين مترجما بمدرسة الطب ؛ وترجم عن الفرنسية إلى العربية :

كتاب العجالة الطبية فيما لا بد منه لحكماء الجهادية ، وهو من تأليف (كلوت بك) وطبع فى مطبعة مدرسة الطب بأبى زعبل سنة ١٢٤٨ .

وقد أثنى كلوت بك عليه وعلى زميله فيدال فى تقريره الذى كتبه عن جهود مدرسة الطب فى سنيها الأولى ، قال : « والأعمال الأولى التى أتمها كل منهما تستحق التشجيع ويؤمل من اشتراكهما فى ترجمة المؤلفات أفضل النتائج » [٤] ، غير أنه يبدو أنهما لم يستمرا فى عملهما طويلا ، فقد كان هذا هو الكتاب

(١) ص ٣ من كتاب المنحة .

(٢) ص ٤٠٤ من نفس الكتاب .

(٣) معجم الكتب العربية ، عامود ١٠٣٥ ، وانظر أيضا جورجى زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية الخ ، ج ٤ ص ١٦٣ .

(٤) Clot, Compte rendu . . . .p45.

الوحيد الذى ترجمه سكاكينى ، وطبع سنة ١٢٤٨ ، كما أن فيدال لم يترجم إلا كتابين اثنين ، طبع أولها سنة ١٢٤٨ وثانيهما سنة ١٢٤٩ ، بينما الكتاب الأخير من الكتب التى ترجمها زميلهما يوحنا عنحورى طبع سنة ١٢٥٤ ، ولهذا أرجح — وإن كان يعوزنى الدليل المادى — أنهما تركا هذا العمل حوالى سنة ١٢٤٩ .

(هـ) يعقوب :

واحد من المترجمين السوريين ، وهو الوحيد من بين زملائه الذى أغفلت المراجع المعاصرة ذكر شيء عنه البتة ، وكل ما نعرفه عن جهوده أنه ترجم الكتابين الآتيين عن الفرنسية إلى العربية .

١ — دستور الأعمال الأقراباذينية لحكماء الديار المصرية ، وهو كتاب ألفه « أرباب المشورة الصحية جناب مير اللوى «كلوت بك» ، وقائما المقام « ديباجى » و « دوتوش » ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٢ ، وقد جاء فى مقدمته مايلى : « وبعد فهذا كتاب عظيم القدر ، لطيف الحجم ، يحوى من كتب الأدوية الجم ، عمله أرباب المشورة الصحية ، بمصر المحمية ، جامعاً لكل مايلزم للاجزاجية ، مغنياً لهم عن مطالعة كتب الأقراباذين والمفردات ، ومراجعة قوانين الحسابات ، عند طلب الأدوية وأداء حسابها للأجزاخانات ، وسموه . . دستور الأعمال الأقراباذينية لحكماء الديار المصرية . . وقد ترجم هذا الكتاب بمدرسة الطب بأبى زعبل الخواجا يعقوب ، وقوبل بمجمع من المترجمين ، وبعض أهل العلم المصححين ، ثم حرر بعد جمعه ، وهذب عند طبعه ، على يد مغفور المساوى محمد الهراوى » .

٢ — كتاب الأقراباذين ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٣ .

ولم تكن له جهود فى الترجمة فى السنوات الأولى من تاريخ مدرسة الطب ، فلعله ألحق بها مترجماً بعد خروج فيدال وسكاكينى ، إن صح الفرض الذى ذهبنا إليه .

(د) يوسف فرعون :

بعد إنشاء مدرسة الطب البشرى بسنة واحدة أنشئت مدرسة الطب البيطرى (أى فى سنة ١٨٢٨) ، وقد قام التدريس فيها على النظام الذى كان متبعاً فى مدرسة الطب البشرى ، فكان يقوم بترجمة الدروس التى يلقيها الأساتذة مترجم ، وكان هذا المترجم ايطالى الجنسية ، على معرفة بالعربية والفرنسيه ، اسمه « ميخالى ياجو » .

حدث هذا فى السنين الأولى من تاريخ المدرسة ، وكان مقرها الأول فى رشيد ، وناظرها المسيو « هامون » وكان إلى جانب المترجم شيخ أزهرى هو الشيخ مصطفى حسن كساب لتصحيح الدروس التى ينقلها المترجم إلى العربية ، ولكن يبدو أن هذا المترجم لم يقم بواجبه خير قيام ، فقد كتب ناظر المدرسة فى أحد تقاريره : « إن المترجم كسول ، لا يقوم بعمله خير قيام وهو لا يفهم المصطلحات الفنية ،

ولا يحسن نقل آراء الأستاذ إلى التلاميذ . . . الخ [١] » .

نقلت المدرسة بعد ذلك إلى أبي زعبل . ثم إلى شبرا ونظمت نظاماً جديداً وعزل المترجم الإيطالي وألحق بها مترجم سوري نشيط هو يوسف فرعون .

وأسرة فرعون من أقدم وأشهر الأسر السورية فى مصر والشام [٢] . وقد تولى منهم التزام الجمارك فى مصر وزعامة الجالية السورية ، أنطون قسيس فرعون . وذلك فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، وقد ذكرنا فى كتابنا عن تاريخ الترجمة فى عهد الحملة الفرنسية شيئاً عن هذا الرجل ، ومركزه ، وجهوده ، ورحيله عن مصر فى أواخر القرن الثامن عشر ، ومقامه فى « تريستا » وحصوله هناك على لقب « كونت » .

ولسنا نعرف بالتحديد نوع علاقة مترجمنا هذا بالكونت انطون قسيس ، ولكنه ينتمى بلا شك إلى نفس الأسرة ، ومعرفته الوثيقة بالفرنسية ترجح ذهابه لفرنسا ، وتلقيه العلم بها ، ومقامه بين ربوعها .

ومن سجل كتبه التى ترجمها يتضح أنه التحق بهذا العمل فى نفس الوقت الذى التحق فيه زميلاه فيدال وسكاكينى بمدرسة الطب البشرى ، فإن أول كتاب ترجمه طبع فى بولاق سنة ١٢٤٩ ، وقد قام فرعون بترجمة الكتب الآتية :

١ — رسالة فى علم البيطارية ، ترجمها عن الفرنسية إلى العربية ، وطبعت فى بولاق سنة ١٢٤٩ .

٢ — التوضيح لألفاظ التشريح — بيطرى — تأليف المسيو « جيرار » المدرس بمدرسة الطب البيطرى ، ترجمه عن الفرنسية إلى العربية ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٤٩ .

٣ — رسالة فى علم الطب البيطرى ترجمها عن الفرنسية إلى العربية ، وطبعت فى بولاق سنة ١٢٥٠ ، (وقد طبعت هذه الرسالة طبعة ثانية فى سنة ١٢٦٠) .

٤ — قانون نامهٔ بيطارى ، ترجمه عن الفرنسية إلى التركية ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٠ .

٥ — التحفة الفاخرة فى هيئة الأعضاء الظاهرة [٣] ترجمه عن الفرنسية إلى العربية ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥١ .

---

(١) عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٣١١ . أنظر أيضا الصفحات السابقة واللاحقة بنفس المرجع .

(٢) أنظر فى : (محاضرة فى تاريخ طائفة الروم الكاثوليك فى مصر « للأب قسطنطين الباشا ص ٥٣ — ٥٧) صورة رسالتين إحداهما بتاريخ غرة كانون الثانى سنة ١٧٩٠ (٦ ربيع آخر ١٢٠٤) صادرة من الكونت قسيس فرعون من مدينة « تريستا » إلى أعيان طائفته الدينية فى مصر القاهرة بوقف داره وأملاكه فى مصر على دير المخلص ؛ والثانى فى نفس التاريخ ومنه أيضا إلى الخورى ديمتريوس رئيس الرهبان المخلصين فى مصر ، وتتعلق بنفس الموضوع . أنظر أيضا عن أفراد الأسرة ومراكزهم الدينية والمالية قرألى ، المرجع السابق ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١١٠ و ١٢٢ و ق ٢ . ص ٢ و ٥ و ٢٨ . وميخائيل بريك . تاريخ الشام . ص ١١٥ — ١٢٠ .

(٣) هذه هى الخمسة كتب التى تم طبعها حتى سنة ١٢٥٠ — ١٢٥١ من كتب الطب البيطرى المترجمة . ومع هذا فقد ذكر فى تقويم النيل . ج ٢ . ص ٤٢٥ أنه « صدر أمر من محمد على باشا إلى وكيل الجهادية فى ربيع الثانى سنة ١٢٥٠ بطبع ١٠٠٠ =

٦ — المادة الطبية البيطرية ، عن الفرنسية إلى العربية ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٥ .

٧ — نزهة الأنام فى التشريح العام ، تأليف المسيو « لافارج » المدرس بمدرسة الطب البيطرى ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٥ .

٨ — تحفة الرياض فى كليات الأمراض ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٥ .

٩ — غاية المرام فى الأدوية والأسقام ، تأليف « جرجوارو لابتو » المدرسين بالمدرسة طبع فى بولاق سنة ١٢٥٥ .

١٠ — روضة الأذكيا فى علم الفسيولوجيا ، تأليف المسيو « لافارج » وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٦ .

١١ — الأمراض الظاهرة فى الطب البيطرى ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٦ .

١٢ — منتهى البراح فى علم الجراح ، تأليف المسيو « برنس » المدرس بالمدرسة ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٦ .

١٣ — نزهة الرياض فى علم الأمراض ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٨ .

١٤ — أجل الأسباب فى أحل الاكتساب ، تأليف المسيو « طايو الافرنجستانى » ، وقام على تصحيحه الشيخ نصر أبو الوفا الهورينى ، ولم يطبع هذا الكتاب بل توجد منه نسخة مخطوطة [١] بخط الشيخ الهورينى فى دار الكتب المصرية رقم ٥٨ زراعة ، فرغ من كتابتها فى يوم الجمعة العاشر من رمضان سنة ١٢٥٩ .

وعدد هذه الكتب [٢] ١٤ كتاباً منها ١٣ ترجمت عن الفرنسية إلى العربية وكتاب واحد ترجم عن

= نسخة من كتاب علاج الحيوان المختصة بصنعة البيطرية . الذى صار ترجمته من اللغة الفرنسية إلى العربية حسب انهاء سليمان باشا المجلس . لما فيه من الفائدة والمزايا » . غير أنى لم أوفق للعثور على كتاب بهذا العنوان . طبع فى تلك السنة فى أى فهرس من فهارس الكتب العربية المطبوعة أو المخطوطة .

(١) أنظر الفهرس الجديد للكتب العربية الموجودة بدار الكتب المصرية . ج ٦ . ص ٨١ — ٨٢ .

(٢) ذكر عزت عبد الكريم . المرجع السابق . ص ٣٢٤ . نقلا عن بعض وثائق عابدين . دفتر ٢٠٧٣ (مدارس تركى) رقم ٥٦٥ من ترجمة تقرير الديوان عن تنسيق المدارس فى ٢٠ ذى القعدة ١٢٥٧ . ان يوسف فرعون قد ترجم « أكثر من ٢٠ كتابا » فى الطب البيطرى . وقد ذكر جورجى زيدان . المرجع السابق . ص ١٦٣ . أسماء أحد عشر كتابا منها . كما ذكر سركيس فى معجمه أسماء اثنى عشر كتابا منها . وقد استطعت هنا أن أزيد عليها كتابين . ولم أوفق للعثور على بقية كتبه التى ترجمها ان صح الرقم الأول . وقد ذكر فى ج ٦ من فهرس دار الكتب المصرية . ص ٤٩ كتاب فى الجغرافيا اسمه « الكنز المختار فى كشف الأراضى والبحار » وأنه « تأليف أحد المستشرقين الأفرنج فى زمن محمد على . . نقله إلى اللغة العربية يوسف فرعون . . . وصحح بمعرفة رفاعة بك بدوى رافع الطهطاوى . . طبع مالطة سنة ١٨٣٦ (١٢٥١) وهذا خطأ واضح لأن فرعون كان فى تلك السنة مترجما بمدرسة الطب البيطرى فى مصر — لا فى مالطة — ويبدو لى أن هذا الكتاب من الكتب العربية التى طبعت فى مالطة ثم أعيد تصحيحه وطبعه فى مصر بعد ذلك . فقد جاء فى الصفحة الأولى من الطبعة المصرية « طبع فى مطبعة مكتب الطوبجية بناحية طرة بأمر حضرة أمير اللوا « سكورابيك » وبتصحيح الفقير رفاعة رافع الطهطاوى . مترجم المكتب المذكور . . سنة ١٢٥٠ من الهجرة . وقال رفاعه فى خاتمة هذه الطبعة . س ١٤٣ « هذا ما نحونا نحو تصحيحه . واجتهدنا حسب الطاقة فى تصليحه . وأوقعناه موقع التآليف العربية . وكانت عبارته مالطية وحشية . فجاءت هذه الطبعة الثانية بالنسبة للعبارة أظرف من طبعة مالطة وأجمل . ولكن ينبغى أن نقر بأن الطبعة الأولى بمزية الضبط بالشكل أكمل » (لاحظ أن كتب عهد محمد على خالية تماما من الشكل) .

الفرنسية إلى التركية ، مما يرجح أن فرعون كان على علم أيضاً باللغة التركية .

وقد قام بتصحيح كتبه وتحريرها الشيخ مصطفى حسن كساب ، ماعدا كتاب « أجل الأسباب فى أحل الاكتساب » ، فقد قام بتصحيحه الشيخ نصر أبو الوفا الهورينى ، مصحح الكتب بمدرسة الزراعة ، ولا عجب فهذا الكتاب هو الوحيد فى فن الزراعة من بين جميع الكتب التى ترجمها فرعون ، وكلها فى علم الطب البيطرى وفروعه ، وقد دأب الشيخ كساب على وصف صديقه دائماً بأنه « الخواجة يوسف فرعون المترجم الماهر » و « المترجم البارع » و « المترجم الحاذق »[1] .

ومع هذا فقد كان نظام الترجمة فى ذلك العصر يقضى أحياناً بأن يعهد إلى لجنة أخرى بمراجعة ماترجمه المترجمون السوريون ، كما حدث فى بعض الكتب التى ترجمها عنحورى ، وكما حدث لكتاب « التوضيح لألفاظ التشريح » ، الذى ترجمه فرعون ؛ ففى ٢٠ جمادى الأولى ١٢٤٨ « قرر مجلس الجهادية بناء على ما ورد على مجلس الشورى فى مدرسة الطب البيطرى الموافقة على طبع كتاب التشريح الذى ترجم بعد مراجعة الترجمة بمعرفة الشيخ رفاعة أفندى وهرقل البيكباشي ، واتضاح صحتها . . »[2] .

(١) أنظر بعض الكتب السابقة مثل : منتهى البراح . ص ٣ . وغاية المرام . ص ١ . والتوضيح . ص ٣ — ٤ . وروضة الأذكيا ص ١ — ٢ الخ . هذا وقد نبغ من أسرة فرعون مترجم آخر اسمه « فلوريان فرعون » وذكر سركيس فى معجمه أنه « درس كأجداده اللغات الغربية والشرقية . وبقى مدة مترجما فى الجزائر . ثم انتقل الى باريس . وكان محررا فى جريدة « الفيغارو » وكان مولعا فى الصيد . فنقل كتاب محمد بن منكلى المسمى (أنس الملا بوحش الفلا) إلى اللغة الفرنسية » وطبع فى باريس سنة ١٨٨٠ مع النص العربى .

(٢) الوقائع المصرية . العدد ٤٤٦ . غرة جمادى الآخرة ١٢٤٨ . ويؤيد هذا القرار ما ذكره الشيخ كساب فى مقدمة الكتاب الذى تم طبعه فى بولاق فى غرة صفر ١٢٤٩ ، فقد قال فى ص ٣ — ٤ « ثم بعد تصحيحه ومقابلته بأصله . صدر أمر كريم من رؤساء ديوان الجهادية بأن يقابله كل من الفاضل .. رفاعة افندي رافع . والجناب المكرم بيكباشي هرقل . فبادرا بالامتثال . وقابلاه مقابلة ليس لها مثال . . . الخ » .

٢ — المترجمون من خريجى المدارس والبعثات

تقــــدمة

كان هؤلاء السوريون الذين قاموا بالترجمة فى عهد محمد على طائفة محدودة العدد والجهد ، اقتصرت جهودهم كما رأينا على ترجمة الكتب الطبية ، وقد كان استخدامهم فى هذا العمل ضرورة أوجدتها الظروف ريثما يتم انشاء المدارس الجديدة ، ويتم طلابها دراساتهم ، وريثما تبعث البعثات إلى دول أوربا فتقبس قبسا من نور العلم الأوروبى ، وتعود إلى مصر .

ولم يكن محمد على يقصد — بإنشاء هذه المدارس وإيفاد هذه البعوث — إلى تخريج طائفة من العارفين بالعلوم الأوروبية فحسب ، بل كان يقصد أيضاً إلى أن يقوم هؤلاء الخريجون بترجمة أمهات الكتب فى فروع العلوم المختلفة إلى اللغتين العربية والتركية ، وتستعمل هذه الكتب المترجمة فى مدارسه الجديدة ، فيستغنى بذلك عن الأساتذة الأوروبيين ، ويمكنه تمصير هذه العلوم الجديدة ، ونشرها بين المصريين .

ولقد كان محمد على حريصاً الحرص كله على أن يقوم هؤلاء التلاميذ — وهم بعد فى طريق التحصيل . ثم بعيد تخرجهم ، أو عودتهم من أوربا — بترجمة الكتب فيما اختصوا فيه ، كتب مرة فى ٢١ ربيع الآخر سنة ١٢٤٣ (١٢ نوفمبر ١٨٢٧) إلى ضباط الجيش المصرى ، يذكر أنه كان يأمل أن تلاميذ (السنة الثالثة بالمدرسة الحربية) قد اتقنوا مايدرس لهم من الفنون الحربية والهندسية ، وأنهم « قد ترجموا من اللغة الفرنسية بعض أشياء مما يفيد مصلحتنا ، ويوافق أصولنا »[1] » .

وفى ٢٢ ربيع الأول سنة ١٢٤٩ (١٠ سبتمبر ١٨٤٣) صدر أمر منه إلى باغوص بك « بأنه كان تنبه على «كلوت بك» بالزام الطلبة الذين أرسلوا إلى أوربا لتلقى فنون الطب بها بترجمة الكتب التى يدرسونها أولا بأول إلى العربية وارسالها ، فإذا لم تكن وصلت التراجم ، يكتب للطلبة أنفسهم على أوامر من المختومة بختمه (الوالى) الموجودة بطرف زكى افندى مأمور ديوان خديوى بالاسكندرية بمعنى ذلك بحيث تكون الأوامر بالعربى لأولاد العرب ، وبالتركى لأولاد الترك ، وعرض ما يكتب قبل إرساله[2] » .

هكذا كانت تصدر الأوامر من محمد على الى الطلاب ، وهم بعد فى دور التحصيل فى أوربا بأن يقوموا بترجمة الكتب الى العربية والتركية ، فاذا عادو الى مصر لم ينتظر حتى يصلوا الى العاصمة ، ويحظوا بمقابلته بل كان يصدر اليهم الأوامر وهم بعد فى دور الحجر الصحى أن يبدأوا الترجمة ، صدر أمر منه إلى ناظر

(١) وثائق عابدين ، معية تركى ، دفتر ٢٦ ، رقم ٢١٣ ، بتاريخ ٢١ ربيع الآخر سنة ١٢٤٣ .

(٢) تقويم النيل ، ج ٢ ص ٤١٤ .

المهمات فى ٢٨ ذى الحجة سنة ١٢٥٠ (٢٧ إبريل ١٨٣٥) « بأنه قد اطلع على الإفادة الواردة إليه بعدم دخول محمد بيومى أفندى الحاضر من أوربا الكورنتينا ، ووجوده معه للمساعدة فى ترجمة كتاب الهندسة الوصفية وعدم اشتغال رفيقه حسن الوردانى أفندى بشىء بالنسبة لدخوله بالكورنتينا ، ويشير بأنه يظن لياقة المذكور للترجمة ، فيلزم اعطاؤه كتابا آخر لترجمته مدة مكثه بالكورنتينا . . . »[1] .

ولما عاد أعضاء بعثة سنة ١٨٢٦ من أوربا استقبلهم فى ديوانه بالقلعة ، وأعطى كل منهم كتابا فرنسيا فى المادة التى درسها فى أوروبا ، وطلب إليهم أن يترجموا تلك الكتب إلى إلى اللغة العربية ، وأمر بحجزهم فى القلعة ، وأن لا يؤذن لأحد منهم بمغادرتها حتى يتموا ترجمة ما عهد إليهم بترجمته[2] .

هذا هو القانون العرفى الذى وضعه محمد على ، وأوجب أن يتبعه كل عائد من بعثة ، ذلك أن يترجم هذا العضو كتاباً فى فنه الذى تخصص فيه ، بل لقد كان يعهد أحيانا إلى بعض أعضاء البعثات بترجمة كتب فى علم أو فن آخر غير ما تخصصوا فيه ؛ أرسل الشيخ احمد حسن الرشيدى لدراسة الطب فى فرنسا ، فلما عاد إلى مصر عهد إليه بترجمة كتاب فى الجغرافيا ، يقول فى مقدمته : « لما من الله على بالعود إلى وطنى من بلاد الأوربا ، وقيدت بمدرسة الطب بمصر حكيما ومعلما من المعلمين الأطباء ، تشاور أرباب ديوان المدارس والعلوم ، فى اختيار كتاب أقوم بترجمته ، حسبما تقتضيه القوانين والرسوم ، . . . فاتفق رأيهم على كتاب لازم لجميع المدارس الملكية ، ومحتاج إليه فى المكاتب السلطانية ، وهو المرسوم بالدراسة الأولية فى الجغرافيا الطبيعية . . . الخ[3] .

(١) تقويم النيل ، ج ٢ ص ٤٣٤ .
(٢) أنظر الرافعى ، عصر محمد على ص ٥٣٧ .
(٣) الدراسة الأولية فى الجغرافيا الطبيعية ، تأليف « فيلكس لامروس » وترجمة الرشيدى ، بولاق ، ١٢٥٤ ، ص ٣ .

١ — عثمان نور الدين

أول مبعوث مصرى إلى أوروبا

أول بعثة أرسلت سنة ١٨٠٩ لا سنة ١٨١٣ ، مناقشة رأى الأمير عمر طوسون والدكتور عزت عبد الكريم ، ترجمة عثمان ، ناظر مدرسة بولاق ، ينظم مكتبتها وهى أول مكتبة ، زيارة « بروكى » للمدرسة والمكتبة ، تلاميذ المدرسة يشتغلون بالترجمة تحت اشراف عثمان ، رفاييل يضع لهم قاموسه ، عثمان يشترك فى وضع برامج التعليم العسكرى الجديد ، يعين سر عسكر الجيش المصرى ، يشرف على ترجمة قوانين البحرية الانجليزية الى التركية ، يشترك فى تنظيم الاسطول المصرى ، علاقته الوثيقة بمحمد على ، اختياره أميرا للاسطول المصرى ، جهوده فى إنشاء مدارس قصر العينى وأركان الحرب والطب ، أثره فى إرسال البعثات إلى فرنسا يخضع ثورة كريت ، النزاع بينه وبين الباشا ، استقالته وسفره إلى الاستانة ، الأسباب ، رأى الأستاذ شفيق غربال بك فى الرجل ، الكتب التى ترجمها .

وجه محمد على بعوثه إلى مختلف دول اوربا ، ولم يختص واحدة منها بهذه البعوث دون الأخرى ، وإن كان العدد الأكبر من هذه البعوث قد أرسل إلى فرنسا ، وقد وجهت هذه البعثات لدراسة العلوم والفنون الأوروبية المختلفة ، ولهذا نجد أن أعضاءها الذين شاركوا فى حركة الترجمة قد ترجموا كتباً مختلفة الفنون والعلوم ، وإن كنا سنلاحظ أن معظم الكتب التى ترجموها كتب طبية ورياضية .

كان طليعة البعثات فى عهد محمد على ورائدهم الأول ، عثمان سقه باشى زاده أو عثمان نور الدين باشا فيما بعد ، ذكر الأمير عمر طوسون[1] ، ونقل عنه الدكتور عزت عبد الكريم انه كان واحد من أعضاء البعثة الثانية فى عصر محمد على ، وانه ارسل إلى فرنسا سنة ١٨١٩ وعاد إلى مصر سنة ١٨٢٠ ، وذكر أيضا أن أولى بعثات محمد على إلى أوربا هى التى أوفدت إلى إيطاليا بين سنتى ١٨١٣ و ١٨١٦ ، وكان أهم أعضائها نقولا مسابكى مدير مطبعة بولاق فيما بعد .

هذان هما أحدث المراجع العربية التى كتبت عن البعثات ، وعنهما نقلت معظم المراجع الأخرى[2] . هذه الحقيقة ؛ غير أن البحث قد دلنا على أن هذا الرأى بعيد عن الصواب ، وعمدتنا فى تحقيقه وثيقة معاصرة هى خطاب[3] تاريخه ٢٢ أكتوبر سنة ١٨٢٠ موجه من « بيزونى » Pezzoni الى « ريبوبيير » Ribeaupiere وهما من رجال القنصلية الروسية بالقاهرة فى عهد محمد على .

(١) البعثات العلمية فى عصر محمد على ص ١٠ و ١١ وتاريخ التعليم فى مصرف عصر محمد علي ص ٤٣٤ و ٤٣٥ .
(٢) انظر مثلا ، الرافعى ، عصر محمد على ، ص ٢ ٤٥ .
(٣) Cattaui, le Regne du Med. Ali, . . . etc ' t. i, p. 387.

فى هذا الخطاب ترجم « بيزونى » لعثمان نور الدين فذكر أنه واحد من التلاميذ الذين أرسلهم فى سنة ١٨٠٩ المغفور له « يوسف بكتى : Joseph Bokty »[(١)] قنصل السويد العـام فى القاهرة . ليتلقوا العلم فى ايطاليا على نفقة محمد على باشا . ثم ذكر أنه مكث يطلب العلم فى « بيزا » و « ليفورنو » نحو الخمس سنوات . ثم رحل إلى فرنسا ليتم بها تعليمه فلبث بها سنتين . وعاد إلى مصر أخيرا فى سنة ١٩١٧ .

من هذا يتضح :

١ — أن أول بعثات محمد على أرسلت الى ايطاليا سنة ١٨٠٩ لا سنة ١٩١٣ .

٢ — لم يعرف من أفراد هذه البعثة غير عثمان نور الدين . وقد تلقى العلم فى ايطاليا ثم فى فرنسـا . لا فى فرنسا فقط .

٣ — انه مكث فى البعثة نحو سبع سنوات من ١٨٠٩ — ١٨١٧ . لا سـنة واحدة (من ١٨١٩ — ١٨٢٠) ، كما ذكر المغفور له الأمير عمر طوسون .

ويهمنا أن نقرر بعد ذكر هذه الحقائق أن محمد على وفق حقا فى اختيار عثمان نور الدين . فقد كان هـــذا التلميذ من خيرة أعضاء البعثات[(٢)] . فلما عاد الى مصر كان ساعد محمد على الأيمن فى نهضته الحربية والتعليمية .

وقد اقترنت هاتان النهضتان . كما اقترن انشاء المطبعة وتاريخ الترجمة باسم عثمان نور الدين وجهوده . غير أن حادثة سياسية خاصة — سنعرض لها فيما بعد — كانت السبب فى حدوث شقاق بينه وبين مولاه محمد على . وانتهى هذا الشقاق بسفره الى الدولة العثمانية ، ولهذا نلاحظ أن وثائق السنوات الأخيرة من

---

(١) أسرة بكتى من أقدم الأسر السورية المشهورة، وقد نزح أفراد كثيرون منها الى مصر فى القرن الثامن عشر ، وقد أهلتهم معرفتهم باللغات الأوربية إلى تولى مراكز القنصلية للدول الأوروبيه فى القاهرة ، وقد ورد فى سجلات العماد والزواج والوفاة للاباء الفرنسيسكان بالاسكندرية اسم « يوسف بكتى » ، وذكر أنه كان حاضرا فى حفل زواج أحد الافرنج فى ١٤ نوفمبر ١٧٥١ ، ثم فى ٨ ينـاير ١٧٥٤ وقف عراباً عند عماد طفل انجليزى ، وقد ورد فى سجلات القاهرة أنه فى ٢٠ ابريل ١٧٤٩ تم زواج جرجس بكتى ، أنظر: قرألى، السوريون فى مصر ، ج ١، ق ١ ، ص ١٢٠ ، ١٠٨ حيث يذكر أن جد هذه الاسرة « أبو جبران » وفد على مصر وتوفى بها سنة ١٧٦٢ ، وهو فى سن الثمانين ، وقد نبغ من هذه الاسرة فى أواخر القرن الثامن عشر والنصف الاول من القرن التاسع عشر رجلان ، أولهما بطرس بكتى ، وكان قنصلا للروسيا فى القاهرة ، وقد مدحه الشاعر المصرى الشيخ شهاب الدين ببعض الابيات،وكان لهذا الرجل الفضل الاكبر فى تمهيد السبيل لسفر الشيخ محمد عياد الطنطاوى لتدريس اللغة العربية فى جامعة « بطرسبورج » ، وثانيهما يوسف بكتى هذا ، وفضله هنا واضح فى مساعدة محمد على عند إيفاد أول بعثاته إلى ايطاليا ؛ أنظر: الباشا ، محاضرة فى تاريخ طائفة الروم الـكاثوليك فى مصر ، ص ١٨ و ٤٣ ، وشيخو ، الآداب العربية الخ . ج ١ ص ٨٢ وقطاوى ، المرجع السابق ، فى صفحات كثيرة منه ، وانظر أيضا مقالنا : الدكتور برون والشيخان محمد عياد الطنطاوى ومحمد عمر التونسى، مجلة كلية الآداب بجامعة فاروق الأول، العددالثانى، ١٩٤٤ .

(٣) أنظر: كلوت بك ،لمحة عامة إلى مصر ، ج ٢ ، ص ٥١٠ حيث يقرظ عثمان نور الدين ويعده من نوابغ البعثات الأولى

عصر محمد على ومراجع ذلك العصر الحديثة تهمل ذكر عثمان نور الدين — عن قصد أو عن غير قصد — . غير اننا نحب أن نعرض لتاريخ هذا الرجل بشىء من التفصيل تقديرا له ولجهوده .

أسرته تركية من جزيرة « مدللى » . رحلت الى مصر . واستقرب بها ، وكان أبوه « فراشا » أو « سقاء » بقصر محمد على ومن هنا اكتسب اسمه الأول « عثمان سقه باشى زاده » ، التقطه محمد على — وقد كانت له ميزة اختيـار الرجال وتكوينهم — ، وأرسله فى بعثته الأولى لتلقى العلوم الحربية والبحرية وفنون السياسة وادارة الحـكم فى ايطاليا وفرنسا .

ولما عاد الى مصر فى سنة ١٨١٧ ، عين « كاشفا » فى حرس محمد على الحربى ، ثم عهد اليه بتنظيم الـكتب الـكثيرة التى أحضرها معه من فرنسا — اجابة لرغبة محمد على — . وبهذا كوّن فى قصر ابراهيم بن محمد على فى بولاق أول مكتبة وجدت فى عصر محمد على ، ثم الحق به فى سـنة ١٨٢٠ — ١٨٢١ بعض التلاميذ ليدرسوا عليه وعلى مدرسين آخرين الهندسة واللغات العربية والتركية والايطالية .

هذه هى مدرسة بولاق ، وهى أول مدرسة نظامية أنشئت فى عصر محمد على ، وذلك تنفيذا لاقتراح عثمان نور الدين نفســـه ، وقد تولى نظارتها والاشراف عليها ، وكان يدرس لتلاميذها الهنـــدسة واللغة الفرنسية .

وقد زار هذه المدرسة الرحالة الإيطالى « بروكى » فى ٥ ديسمبر ســـنة ١٨٢٢ ، وذكر أنه كان بهذه المدرسة ثلاثة مدرسين مسيحيين هم :

١ — « دون كارلو بيلوتى» وهو إيطالى من « كالابريا » ، ويدرس الرياضة .

٢ — « القس سكاليوتى» من « بيدمنت » ، ويدرس اللغة الايطالية .

٣ — دون رفاييل ويدرس اللغة العربية .

ثم زار أيضاً المـكتبة السابق ذكرها ، وتحدث عن أنواع الـكتب التى كانت فيها ، فقال إنه رأى بها كتبا تبحث فى فنون الحرب والزراعة والرياضة ، وكتباً فى القانون والتشريع والأدب من بينها الـكوميديا الإلهية : "Il poema di dante" لدانتى وقال« بروكى» أيضاً أنه دهش الدهشة كلها إذ وجد فى تلك المـكتبة نسخا من كتب « فولتير » و «روسو» والـكتاب المقدس ، ومجموعة من القصص الفرنسية لـكتاب مختلفين وزادت به الدهشة وهو يتنقل بين هـذه المجلدات إذ وجد مجموعة كبيرة من الـكتب التى تبحث فى النظم الدستورية للحكومات الأوروبية . وهذه كتب على حد قوله « لا ينتظر أحد أن يجدها فى مكتبة عامة فى بلد تحكم حكما أوتوقراطيا » . ووراءه أخيراً أن لا يجد بهذه المـكتبة كتباً خاصة بمصر وتاريخها ، إذ لم يجد بها من هذا النوع إلا رحلة ڤولنى ، والـكتاب الـكبير الذى وضعه المعهد الفرنسى — يقصد كتاب وصف

مصر — وبعض أعداد من جريدة « الديكاد ».[١]

وفى هذه المدرسة أيضاً كان يقوم بعض التلاميذ بترجمة « كتب الفنون الحربية وسائر الصنائع »[٢] تحت إشراف عثمان نور الدين وأساتذة المدرسة، ولتلاميذ هذه المدرسة فيما أرجح وضع رفاييل قاموسه « الايطاليانى العربى » الذى طبع فى سنة ١٨٢٢، بل لقد صرح رفاييل نفسه بهذا فى مقدمته للقاموس إذ يقول: « . . . وكان إننى قد أقمت على تعليم اللغة الايطاليانية (كذا) بأمر صاحب العزة . . . الحاج محمد على نائب السلطان بمملكة مصر . . . وقد اضطررت من قبل وظيفة التعليم، وسهولة درك معنى الألفاظ بهذه اللغة والتفهيم على التلامذة الدارسين ؛ وعلى من ينتدب لترجمة الكتب من المتفقهين لأنى (كذا) أؤلف قاموسا ترجماناً وجيزاً .. فى اللغتين الايطاليانية والعربية ..»[٣]

وكان النشاط على أتمه حينذاك لتكوين الجيش المصرى الجديد. وتدريبه على النظم الأوربية الحديثة، فقام عثمان نور الدين بترجمة الكتب الحربية المختلفة فى نظم الجيش وقوانينه وتعاليمه عن الفرنسية إلى التركية.

وفى سنة ١٨٢٢ تكونت لجنة لوضع برامج التعليم العسكرى الجديد ؛ فكان عثمان نور الدين ثالث ثلاثة بهذه اللجنة. وكان العضوان الآخران: الكولونل سيف (سليمان باشا الفرنساوى) وأحمد أفندى المهندس. وفى نفس السنة سافر مع سليمان باشا حتى وصلا إلى أسوان ليشترك معه فى تنظيم الفرقة الأولى للمشاة على « النظام الجديد ».

وفى سنة ١٨٢٣ عين « سر عسكر » الجيش المصرى، وحصل بذلك على لقب « بك »، وفى سنة ١٨٢٥ ترجمت قوانين ونظم البحرية الانجليزية إلى التركية تحت إشرافه، ثم عهد اليه محمد على باشا أن يتولى بنفسه الاشراف على تنظيم البحرية المصرية الجديدة، وتعليم ضباطها بالاشتراك مع الجنرال « ليتلييه Letellier » وبهذا أصبح لعثمان بك الإشراف التام على شؤون الجيش والأسطول المصريين، فبذل للنهضة بها جهودا فذة، ولما حطم الأسطول المصرى فى « نفارين » كان عثمان نور الدين المساعد الأول والمشجع الأول — بعد محمد على — للمسيو « سيريزى: Cerisy » على إنشاء دار الصناعة، والأسطول الجديد فى الاسكندرية.

وكان محمد على لثقته الشديدة به يعتمد عليه فى أمور كثيرة، وكان يحبه حبا جماً حتى كان لا يناديه إلا بلفظ « ولدى عثمان »[٤] ولهذا زوجه من إحدى جوارى القصر، وبنى له منزلا غربى قصر رأس التين ليكون على مقربة منه ومن سفن الأسطول، ثم ولاه فى سنة ١٨٢٧ قيادة الأسطول المصرى بعد زوج

(١) Brocchi, Op. Cit. t.l, pp. 159—161.

(٢) عزت عبد الكريم، المرجع السابق، ص ٤٣٥، وانظر أيضاً: Cattaui, Op. Cit. t. I, p. 388.

(٣) أنظر مقدمة القاموس.

(٤) أنظر عمر طوسون، المرجع السابق، ص ١١، والرافعى. عصر محمد على، ص ٤٢٨ — ٤٣٠.

ابنته محرم بك، وقد تولى قيادة هذا الأسطول فى حرب الشام الأولى، وكان لقيادته فضل كبير فى إسقاط عكا وإحراز النصر النهائى فى تلك الحرب.

هذا موجز لجهود عثمان نور الدين الحربية، وجهوده فى تدعيم النهضة التعليمية الأولى لا تقل عنها فانه لبث بعد إنشاء مدرسة بولاق يرسم الخطط لمحمد على، وقد نفذت هذه الخطط واحدة بعد الأخرى، ففى سنة ١٨٣٥ قام بتأسيس مدرسة قصر العينى[١]، وكان أول مدير لها، وفى نفس السنة أنشئت مدرسة أركان الحرب فى قرية جهاد آباد بناء على مشورته، ولما استقدم محمد على الدكتور كلوت، وعهد اليه بإنشاء مدرسة الطب المصرية، ترك لعثمان نور الدين سلطة الإشراف على إنشاء تلك المدرسة، واليه رفع « كلوت بك » تقريره الأول الذى عالج فيه ما قد يعترض إنشاء المدرسة من صعاب.

وإلى عثمان نور الدين يرجع الفضل فى ايفاد بعثة سنة ١٨٢٦ الكبرى إلى باريس، وذلك أنه اتصل أثناء تلقيه العلم فى فرنسا بالمسيو « جومار »، أحد علماء الحملة الفرنسية، والمشرف حينذاك على نشر جهود المعهد المصرى العلمية، فأعجب به « جومار » ثم تحدث اليه عن الوسائل التى يمكن أن تعيد الصلة العلمية بين مصر وفرنسا قوية وثيقة واقترح عليه أن تفكر مصر فى ايفاد بعض تلاميذها لتلقى العلم فى فرنسا، وقد حمل عثمان هذه الرغبة إلى محمد على، وظل يحبذها لديه، حتى وافق محمد على وأرسلت البعثة الكبرى سنة ١٨٢٦، وعهد إلى المسيو « جومار »[٢] بالاشراف عليها وعلى البعثات التى تلتها.

وهذا أيضا موجز لجهود نور الدين العلميه، تبين فى وضوح أنه كان رجلا مثقفا واسع المعرفة، فهم عن سيده أغراضه، وراح يسعى جهده لتنفيذها. غير أنه لم يكن يقدم على مشروع من مشروعاته إلا بعد أن يقتله بحثا ودراسة ؛ يقول « بزونى » .Pezzoni فى خطابه السابق أن لعثمان نور الدين عناية خاصة باستشارة الكتب والمراجع لدراسة المواضيع التى يوكل إليه تنفيذها.[٣]

ولهذا تقدمت به هذه الجهود، وهذا الاخلاص فى تنفيذها إلى أعلى الرتب، وأهم المراكز فى الدولة، حتى غدا ثانى رجل محبب إلى محمد على بعد ولده ابراهيم، وحتى أصبح بنفوذه وسلطته يشترك مع بوغوص بك[٤] يوسف فى كونهما الرجلين الأولين فى الدولة اللذين يعتمد محمد على على جهودهما فى الداخل والخارج وفى سنة ١٨٣٣ سافر محمد على باشا إلى جزيرة كريت، « ليتفقد أحوالها، ويجرى على أهاليها ما كان جارياً عليه العمل بالديار المصرية من قوانين الاحتكارات التجارية، ومادة تكتيب العسكرية، فترتب على

(١) أنظر عزت عبد الكريم، المرجع السابق، ص ٢٣٤ و ٣٨٩ و ٤٣٤ — ٤٣٦.

(٢) نشر المسيو « جومار » تقريرا مسهبا عن هذه البعثة فى Journal Asiatique 1828.، وقد لخص المغفور له الأمير طوسون هذا التقرير فى كتابه عن البعثات، ص ١٢ — ٣٤، أنظر أيضا « كلوت بك »، لمحة عامة إلى مصر، ج ٢، ص ٥١١.

(٣) Cattaui, Op' cit. t. I. p. 389,

(٤) Op. Cit. t. I, p. 388·

هذه الفكرة السيئة عصيان أهل هذه الجزيرة على الحكومة الخديوية ، فارسل إليها عثمان باشا سر عسكر الدونيما المصرية بفرقة من الآلايات العسكرية . ولم يلبث أن توصل من غير مشقة باخماد نيران الفتنة بجزيرة كريد وتكفل لهم ببقاء حياة رؤساء الفتنة ، وترآى لمحمد على أن من اللزوم جعل قتل بعضهم عبرة لمن اعتبر ، فلم يقر ما شرطه لهم سر عسكر دونيماته ، ولما رأى عثمان باشا أن فى ذلك إعلالا لسلامة حريته ، واخلالا بعلو مرتبته ، استعفى من وظيفته ، ولزم العزلة والاستراحة بمدينة القسطنطينية حتى وافته هناك المنية . (١)

وهكذا انسحب عثمان باشا من الميدان المصرى والحاجة إليه ماسة ، فقد كانت السنوات التالية لسنة ١٨٣٣ سنوات اعداد واستعداد للنضال العنيف بين محمد على والسلطان ، وبينه وبين الدول الأوربية .

وهنا قد نتساءل : ترى هل كان حادث كريت هو العامل الأول والأخير فى انفصال عثمان نور الدين عن محمد على ؟ ويبدو لى أن هذا لم يكن العامل الأول والأخير ، بل يصح أن نقول أنه كان التكأة التى اتكأ عليها عثمان للانفصال عن سيده فى مصر ، والتجائه إلى سيده فى الاستانة .

أما ما هى الأسباب الحقيقية الأخرى ، فهذا ما لا نستطيع الجزم به لسكوت المراجع المعاصرة عن تبيانه ، ولكننا نستطيع أن نستنتج من بين السطور أن الدور الهام الذى لعبه عثمان نور الدين فى حرب الشام الأولى ، دفع السلطان إلى اجتذابه اليه ، وأنه سعى لهذا الاجتذاب سعيه ، وثار النزاع فى نفس عثمان ، وانتهى به الى ترك مصر والذهاب الى الاستانة ، بهذا الرأى يقول الأستاذ شفيق غربال بك فى مقدمته لكتاب صديقنا الدكتور ابراهيم عبده عن « تاريخ الوقائع المصرية » فقد قال : « ويرتبط انشاء المطبعة والوقائع برجل من رجال محمد على أهمله المؤرخون وهو جدير بعنايتهم ، أعنى عثمان نور الدين ، وهو من رجال العهد الأول من النهضة المصرية ، وكان ساعد محمد على فى الطور الأول من أطوار الاصلاح ، ثم شاءت الظروف أن ينسحب عثمان نور الدين من مجال الاصلاح المحمدى العلوى ، وأن ينضم للسلطنة

(١) ترجمة تاريخ الديار المصرية فى عهد الدولة المحمدية العلية ، وهو من تأليف برنار وترجمة أبو السعود افندى ، مخطوط بمكتبة البلدية باسكندرية ، ص ١١٨ — ١١٩ . ولأبى السعود أفندى كتاب آخر اسمه منحة أهل العصر بمنتقى تاريخ محى مصر وهو مخطوط أيضا بنفس المكتبة ، قال فيه ، ص ٤٢ — ٤٣ عن هذه الحادثة ما يلى :

وبعد أن تم انعقاد الصلح ... ونال باشا مصر كل النجح
نوى الى كريد الارتحالا ... لأجل أن يصلح فيها الحالا
حل بها وغير الادارة ... بحسن تنظيم رأى إيثاره
فقام من ذلك فيها قوم ... أصابهم من الأمير اللوم
وآل أمرهم الى الاطاعة ... وأمر عثمان الى الاضاعة

وانظر أيضا عمر طوسون المرجع السابق ، ص ١١ ، هامش ١ ؛ والرافعى ، عصر محمد على ، ص ٤٢٩ — ٤٣٠ .

العثمانية ، وكأنى بمحمد على وقد جرحه هذا العقوق أو هذه الخيانة ، فأسدل الستار على عثمان ، وسقط اسمه من الأفواه ، وأغفله المؤرخون .

وحياة عثمان نور الدين ونهايته تثيران ألوانا من التفكير والأحكام ، فقد توزع الرجل بين محمد على والسلطان ، واضطرب قلبه بين هذين العاهلين ، وتحكم فى ولائه السيدان ، ثم اختلف كلاهما ، فكيف يكون حال عثمان ؟ مسألة لها فى الأدب ، وفى الأخلاق وفى التاريخ نظائر ، ولا يمكن أن يقال إن الحكم فيها نهائى » (١) .

وبعد فهذا موجز عن جهود الرجل عملا وعلما ، أما العمل فكان ميدانه الجيش والأسطول ، وأما العلم فكان ميدانه التعليم ، وتأسيس المدارس ، وايفاد البعثات ، ويتوج هذا جميعا الترجمة ، وقد بذلت الجهد لإحصاء ما ترجم عثمان نور الدين من كتب ، فاعترضتنى صعوبات كثيرة أهمها :

أولا — إن الكتب الحربية التى ترجمت فى عصر محمد على قد ضاع معظمها ، وليس فى دوركتبنا منها إلا القليل النادر .

ثانياً — أن القوائم التى رصدت الكتب الحربية التى ترجمت فى ذلك العصر لم تذكر إلى جانبها أسماء مؤلفيها أو مترجميها إلا فى النادر جداً ، فلعله من بين هذه الكتب ما هو من ترجمة عثمان نور الدين .

والذى نستطيع أن نقرره أن الكتب التى ترجمها عثمان نور الدين ، كانت كلها كتباً حربية بحرية ، وأنها جميعاً ترجمت عن الفرنسية إلى لغته الأصلية التركية ، وقد عثرت منها على كتاب : «قانون نامه سفاين بحريه جهادية» وقد طبع فى بولاق سنة ١٢٤٣ . وقد ذكر سرهنك باشا أنه ترجم «كتاب القواعد البحرية» وآخر فى السياسة البحرية أى قانون العقوبات (٢) » ولعل الكتاب الذى ذكرناه واحد منهما .

(١) مقدمة تاريخ الوقائع المصرية ، ص (ن) .
(٢) قائق الأخبار ، ج ٢ ، ص ٤٨ .

ب — مترجمو العلوم الطبية

الدكتور على هيبة ، كتبه التى ترجمها ، الدكتور ابراهيم النبراوى ، كلمة موجزة عنه ، الكتب التى ترجمها ، الدكتور أحمد حسن الرشيدى ، ترجمة موجزة له ، الكتب التى ترجمها ، الدكتور حسين غانم الرشيدى والكتب التى ترجمها ، الدكتور عيسوى النحراوى ، الدكتور محمد الشباسى ، جهوده فى الترجمة ، الدكتور محمد الشافعى ، الكتب التى ترجمها ، الدكتور محمد عبد الفتاح ، الكتب ترجمها ،

توالت البعثات منذ سنة ١٨٢٦ ، حتى سنة ١٨٤٨ ، وأرسلت إلى دول أوربا المختلفة ، وتنوعت الدراسات التى خصص الطلاب لتحصيلها ، وكان هؤلاء الطلاب يوجهون فى بعثاتهم للتخصص فى العلوم والفنون المختلفة أولا ، ثم لإجادة اللغات الأجنبية ثانياً . حتى إذا عادوا إلى مصر اشتغلوا بالترجمة [١] .

وأخفق فى هذه البعثات البعض ، ووفق البعض الآخر — وهم الغالبية — وعاد الموفقون إلى مصر ، وتولوا شئونها الإدارية والعلمية ، ولكنهم لم ينسوا الغرض الثانى — الترجمة — بل بذل معظمهم جهوداً موفقة فى هذا السبيل ، فقدموا لمطبعة «صاحب السعادة» كتباً كثيرة نقلوها عن المراجع الأوربية الهامة

ولكننا نلاحظ أن أكثر أعضاء البعثات نشاطاً ، وأوفرهم انتاجاً ، هم الأطباء والمهندسون ، وتعليل ذلك يسير إذا عرفنا أن معظم هؤلاء الأطباء والمهندسين عينوا بعد عودتهم مدرسين ، ومساعدى مدرسين فى مدرستى الطب والهندسة ، وأنهم كانوا يتخيرون كتباً معينة مما درسوا فى أوربا ، لتدريس أصولها فى هاتين المدرستين ، حتى إذا تم لهم ترجمة هذه الكتب وتنقيحها قدموها إلى المطبعة ، وفيما يلى عرض لجهود هؤلاء الأطباء والمهندسين .

أعد اثنان من أعضاء بعثة سنة ١٨٢٦ لدراسة الطب فى فرنسا ، وهما : على هيبة والشيخ محمد الدشطوطى [٢] ، عاد الثانى من فرنسا فى آخر سنة ١٨٣١ ، ولم يعرف له جهد فى الترجمة بعد عودته ، ولعله ألحق طبيباً باحدى فرق الجيش .

١ — الدكتور على هيبة [٣] : عاد من فرنسا فى ديسمبر سنة ١٨٣٣ (شعبان ١٢٤٩) ، فعين مدرساً

(١) وثائق عابدين ، دفتر ١١٨ (مدارس عربى) ص ٧٤١ ، رقم ٥٣ الى شورى الأطباء ، فى ١٩ ذى الحجة ١٢٦٤ .
(٢) يقول عمر طوسون ، المرجع السابق ، ص ٤٤ ، هامش ١ ، لعله هو الدكتور محمد نافع الذى نوه به الدكتور « كلوت بك » فى كتابه « نظرة عامة حول مصر » ، وفاخر بتخرجه من مدارس فرنسا » .
(٣) ذكر الدكتور عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٣٠٣ أن الدكتور على هيبه كان عضوا فى بعثة ١٨٣٢ ، وانه =

بمدرستى الطب والولادة ، فلما نقلت مدرسة الولادة إلى الأزبكية ، وبعدت عن مدرسة الطب ، عهد للدكتور هيبة بالإشراف عليها مع قيامه بالتدريس للفرقة الثانية ، وقد قام منذ عاد من فرنسا بترجمة كتب طبية ثلاث ، اثنان فى علم الفسيولوجيا ، والثالث فى علم الولادة ، وهما المادتان اللتان تخصص لدراستهما فى باريس ، وفيما يلى أسماء هذه الكتب .

(ا) فسيولوجيا [١] ٢ — ترجمه عن الفرنسية إلى العربية ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥١ (أى بعد عودته بسنتين) .

(ب) إسعاف المرضى فى علم منافع الأعضا ، تأليف «الخواجه سوسون معلم الفسيولوجيا بأبي زعبل» وترجمه من الفرنساوية للعربية على أفندى هيبه الحكيم بمدرسة أبي زعبل ، الذى بلغ رتبة الحكيم من مدرسة الطب بباريس ، وكان يمليه على الشيخ محمد محرم أحد المصححين بمدرسة أبي زعبل [٢] ، وقد قام بتحريره الشيخ محمد الهراوى ، وتم طبعه فى بولاق فى الرابع عشر من المحرم سنة ١٢٥٢ ، وذكر فى خاتمته أنه «سادس كتاب طبع من كتب الطب المترجمة» [٣] .

(ج) طالع السعادة والاقبال فى علم الولادة وأمراض النساء والأطفال ، ترجمه عن الفرنسية ، وقام على تصحيحه زميله الدكتور أحمد حسن الرشيدى ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٨ .

وبينما كانت بعثة سنة ١٨٢٦ تتلقى العلم فى فرنسا . كانت مدرسة الطب قد أنشئت فى سنة ١٨٢٧ ، وكان «كلوت بك» يبذل الجهد كل الجهد ليوفر لها أسباب النجاح وليعمل على تمصير التدريس بها . فلما مضى على إنشائها خمس سنوات تخرجت الدفعة الأولى (فى سنة ١٨٣٢) . فتخير كلوت بك اثنى عشر طالبا من أمهر خريجيها ، وبعثهم إلى فرنسا لإتمام دراستهم ، فلما عادوا إلى مصر ، ألحقوا مدرسين بمدرسة الطب . وقد كان لأكثرهم جهد مشكور فى الترجمة عن الفرنسية .

٢ — الدكتور إبراهيم النبراوى : أصله من قرية نبروه بمديرية الغربية ، تعلم الخط والكتابة والقراءة فى مكتب القريه ، ثم تعلق بالبيع والشراء كما يقول على باشا مبارك فأرسله أهله مرة «إلى المحروسة ليبيع بطيخاً ، فلم تربح تجارته ، بل لم يحصل رأس المال فخاف من أهله ولم يرجع اليهم ، ودخل

= عاد الى مصر فى سنة ١٨٣٧ ، وهذا خطأ واضح ، اذ أنه من الثابت قطعا أن هيبة كان عضوا فى بعثة سنة ١٨٢٦ ، ذكر ذلك المسيو «جومار» فى تقريره عن هذه البعثة ، ونقله عنه عمر طوسون ، ويؤكد هذه الحقيقة أن الكتابين الأول والثانى ترجما وطبعا فى بولاق سنة ١٢٥١ (١٨٣٥) وسنة ١٢٥٢ (١٨٣٦) ، فكيف يحدث هذا إذا كان هيبة لم يعد من فرنسا الا سنة ١٨٣٧ ؟

(١) هكذا ذكره سركيس فى معجمه « عامود ١٧٠ » ولم أجد اسم هذا الكتاب فى قائمتى « رينو » و « بيانكي » ،
(٢) انظر اسعاف المرضى « ص ٨ » وقد قام بمراجعة الترجمة على نص ايطالي عنحوري والشيخ الدسوقي .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٧٢ ،

الأزهر، [1] ثم اختير مع غيره من طلاب هذا الجامع ليكونوا الفرقة الأولى بمدرسة الطب عند إنشائها، وامتاز فيها على أقرانه فانتخب عضواً فى بعثة ١٨٣٢، ولما عاد إلى مصر عين مدرساً بمدرسة الطب، «ولنجابته وحسن درايته فى فنه، اختاره العزيز محمد على باشا حكيمباشى لنفسه، وقربه، وتخصص به، وبلغ رتبة أمير الاى، وكثرت عليه إغداقات العزيز وانتشر ذكره، وطلبته (الفامیلیات) والأمراء ولم يزل مع العزيز وسافر معه إلى البلاد الاورباوية سنة ثلاث وستين» [2]، وكان قد تزوج وهو فى البعثة من فرنسية عادت معه إلى مصر وظلت بها حتى توفيت فتزوج من بدوية أنعمت عليه بها والدة عباس باشا الأول.

وفى سنة ١٨٤٦ (١٢٦١)، أو بعدها بقليل عند ما استقال الدكتور «برون» مدير مدرسة الطب، وعاد إلى فرنسا، تولى وكالتها [3] الدكتور النبراوى، وعهد اليه بالاشراف عليها، وهو أول مصرى يلى هذا المنصب، ثم خلفه بعد قليل زميل له وعضو آخر من أعضاء بعثة ١٨٢٦ وهو الدكتور محمد الشافعى وقد احتفظ النبراوى بمكانته العلمية الممتازة بعد عصر محمد على، فاختاره عباس باشا بعد توليته حكيمباشى له ثم اختارته والدته للسفر معها إلى الحج.

وقد قام النبراوى بترجمة الكتب الآتية:

١ — نبذة فى الفلسفة الطبيعية
نبذة فى التشريح العام
نبذة فى التشريح المرضى
} وكلها من تأليف كلوت بك، وقد طبعت فى مجلد واحد فى بولاق سنة ١٢٥٣.

وقد ذكر المغفور له الأمير عمر طوسون أن النبراوى قام بترجمة هذه النبذ وهو فى فرنسا، وحجته فى ذلك (وهو هنا يأخذ عن على مبارك، الخطط، ج ١١، ص ٨٥) أن أعضاء هذه البعثة كان عليهم بعد أن أتموا دراستهم أن يضعوا رسائل فيما درسوا، ولكنهم ندبو للعودة إلى مصر خطأ، فعادوا إليها فى مارس سنة ١٨٣٦ [4] (ذو الحجة ١٢٥١ والمحرم ١٢٥٢)، فأمر محمد على باشا بارجاعهم إلى فرنسا لتقديم هذه الرسائل، والحصول على أجازاتهم، فسافروا إليها ثانية فى سبتمبر ١٨٣٦ (جماد أول وثانى ١٢٥٢)، وأنهم عادوا إلى مصر بعد ذلك فى سنة ١٨٣٨ (١٢٥٤)، ولكن كيف يتسنى للطالب الذى يعود إلى فرنسا ليتفرغ لإعداد رسالته أن يترجم كتابين يطبعان فى بولاق فى نفس المدة التى قضاها فى فرنسا؟

عندى أن ما ذكره الأمير غير صحيح بدليل أن الدكتور عزت عبد الكريم [5] نقض فى كتابه هذه الحجة السابقة معتمداً على بعض وثائق عابدين، وذكر أن ما ذهب إليه على مبارك باشا، والأمير عمر

(١و٢) على مبارك، الخطط، ج ١٧، ص ٤، وانظر أيضا عمر طوسون، المرجع السابق، ص ١٢٥ — ١٢٦.

(٣) انظر عزت عبد الكريم. المرجع السابق، ص ٢٨٤ — ٢٨٥ و٤٤٣.

(٤) على مبارك، الخطط، ج ١١، ص ٨٥، وعمر طوسون، المرجع السابق، ص ١٢٣.

(٥) المرجع السابق، ص ٢٧١ — ٢٧٣ و ٤٤٢.

طوسون من ندب هؤلاء الأعضاء خطأ، ثم اعادتهم لاتمام رسائلهم أمر غير حقيق، وأثبت أن خمسة من أعضاء هذه البعثة عادوا إلى مصر فى سنة ١٨٣٦ (١٢٥٢). ثم عاد الباقون بعدهم بسنتين (فى ١٢٥٤ — ١٨٣٨)، وبهذا الرأى يستقيم الوضع فيكون النبراوى واحدا من الخمسة الذين عادوا إلى مصر فى سنة ١٨٣٦، ويكون قد ترجم نبذ كلوت بك بعيد عودته مباشرة، فلما انتهت طبعت فى بولاق فى ٧ رجب سنة ١٢٥٣ (٧ أكتوبر ١٨٣٧)، ويؤكد ما نذهب إليه من أنه عاد إلى مصر سنة ١٨٣٦، وأنه ترجم هذا الكتاب فى مصر لا فى فرنسا، ما جاء فى خاتمة الكتاب نفسه، ص ٧٦: «هذا آخر ما جمعه أمير اللوا كلوت بك ... وقد ترجمه من الفرنساوية إلى العربية ابراهيم افندى النبراوى حكيم أول ابن عرب باملائه للشيخ محمد محرم أحد المصححين .. الخ.

وفى السنة التالية أى فى سنة ١٢٥٤ ترجم النبراوى الكتاب الآتى عن الفرنسية:

ب — الأربطة الجراحية وطبع فى بولاق.

٣ — الدكتور أحمد حسن الرشيدى:

كان واحدا من مشايخ الأزهر الذين عينوا مصححين ومحررين للكتب التى تترجم بمدرسة الطب البشرى، وقد اشترك مع المصحح الأول الشيخ محمد الهراوى فى مراجعة وتصحيح أول كتاب ترجم فى المدرسة وهو «القول الصريح فى علم التشريح» من تأليف «كلوت بك» وترجمة عنحورى، وطبع فى سنة ١٢٤٨، وقد ذكرنا عند كلامنا عن مدرسة الطب أن «كلوت بك» رأى — فيما رأى — للتغلب على صعوبة اللغة أن يلزم بعض المترجمين والمصححين أن يحضروا دروس الطب بالمدرسة ليلموا بمبادئه ومصطلحاته، ويبدو أن السيد أحمد الرشيدى، وزميلا له من المصححين يحمل اسمه دون أن تكون بينهما قرابة هو الشيخ حسين غانم الرشيدى كانا ممن حضروا الدروس، وأفادوا منها، فلما فكر كلوت بك فى إيفاد بعثة سنة ١٨٣٢ الطبية إلى باريس اختار هذين الشيخين [1] ليكونا عضوين بها.

وعاد هذان الشيخان من بعثتهما سنة ١٨٣٨، فألحقا مدرسين بمدرسة الطب، وكانت لهما جهود محمودة فى التدريس والترجمة، وقد كان لعلم السيد احمد الواسع باللغة العربية، واتقانه لها مذ كان طالباً بالأزهر فضل كبير فى أن خرجت ترجماته أقرب ما تكون إلى الصحة، بل إنا لنلاحظ أن كتبه — دون كتب

---

(١) ذكر عزت عبد الكريم، المرجع السابق، ص ٢٥٨ أن المصححين اللذين أرسلا فى بعثة ١٨٣٢ هما الشيخان محمد الهراوى وأحمد الرشيدى، والصحيح ما ذكرناه، فقد ذكر فى الوقائع المصرية، العدد ٤١٢، ٧ ربيع الأول ١٢٤٨، ان مجلس الجهادية قرر فى ٢٦ صفر «انتخاب اثنين مصححين بمعرفة الشيخ الهراوى رئيس مصححى مدرسة الطب البشرى .. بدلا من كل من الشيخ أحمد الرشيدى، والشيخ السيد حسين غانم من مصلحى الترجمة بالمدرسة المذكورة نظرا لسفرهما الى أوربا صحبة كلوت بك، راجع أيضا عمر طوسون، المرجع السابق ص ١٢٤، ١٣٠، ومما يدل على تفوق السيد أحمد الرشيدى على أقرانه من المصححين أن لجنة الامتحان بمدرسة الطب اقترحت فى ١٨٣٠ قبيل سفره رفع مرتبه مكافأة له، انظر عبد الكريم، ص ٢٨٩ هامش ١.

زملائه — كانت تقدم للمطبعة من غير أن تمر على أحد من المصححين، كما نلاحظ أنه كان يقوم أحياناً بمراجعة بعض الكتب التى يترجمها زملاؤه، وحوالى سنة ١٨٤٠ عهد إليه بادارة مدرسة الولادة [١] بعد أن تولاها من زملائه الدكتوران على هيبة، وعيسوى النحراوى.

وقد قام السيد أحمد حسن الرشيدى فى مدى عشر سنوات تقريباً (١٢٥٢ — ١٢٦٢) بترجمة سبعة كتب فى مختلف الفنون الطبية، عدا كتاب واحد فى علم الجغرافيا.

(١) رسالة فى تطعيم الجدرى تأليف «كلوت بك». طبع فى بولاق سنه ١٢٥٠، ثم طبع ثانية فى سنة ١٢٥٢، وذكر سركيس فى معجمه أن الدكتور أحمد الرشيدى ترجم كتاباً لكلوت بك عنوانه «نبذه لطيفة فى تطعيم الجدرى»، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٩، وإنى لأرجح أن تكون هذه طبعة ثالثة لنفس الكتاب، ويجدر بى أن أشير هنا إلى أن هذا الكتاب طبع لأول مرة سنة ١٢٥٠ ومترجمه مقيم فى باريس ولا تفسير لهذا إلا أن نرجع إلى ما ذكرته فى مقدمة هذا الفصل من أن محمد على كان يلاحق تلاميذ البعثات وهم فى الخارج بالأوامر أن يترجموا — أثناء دراستهم — كتباً فيما يتخصصون فيه، لهذا أرجح أن يكون الرشيدى قد ترجم هذا الكتاب وهو فى باريس ثم أرسله فطبع فى بولاق سنة ١٢٥٠ ثم فى ١٢٥٢ قبل عودته.

(ب) الدراسة الأولية فى الجغرافية الطبيعية، تأليف «فليكس لامروس»، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٤، وهو أول كتاب ترجمه بعدعودته من البعثة.

(ج) ضياء النيرين فى مداواة العينين، تأليف الطبيب الانجليزى «لورنس»، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٦، وهو ثانى كتاب ترجمه بعد عودته، وتدل مقدمة هذا الكتاب على أن السيد أحمد الرشيدى كان وافر النشاط، محبا لعمله مقبلا عليه، يأبى البطالة، ويعاف الكسل، فقد قال فى ص٢: «وبهمة سعادته (يقصد محمد على) سافرت وارتحلت وحصلت من بلوغ الأمانى ما حصلت، ثم رجعت إلى وطنى سالما مجبور الخاطر، آمناً غانما وما زلت إلى الآن مقيما بتلك المدرسة (مدرسة الطب) التى هى ينبوع مكارمنا، ومحط آمالنا، وكنز ادخار مغانمنا، معداً للتدريس وترجمة المؤلفات، مقيداً لعيادة المرضى والمعالجات، فكان آخر ما ترجمته قبل هذا الكتاب كتاب الدراسة الأولية فى علم الجغرافيا الطبيعية، ولما كمل إتمامه: مكثت برهة مضطرب الظنون، حتى أظهر الله ما فى غيبه المكنون فبرز فى الأمر وظهر، بترجمة كتاب يقر به النظر.. كتاب لهجت بمدحه الألسن للطبيب الجراح الانجليزى لورنس فى أمراض العين.. وقد أضاف إليه نبذة من كتاب الحكيم «ولير» النمساوى فى كيفية تحضير أدوية العين، واستعمالها فى التداوى، ثم زاد عليه جملة مستحضرات ما يستعمل فى مصر، ومركبات من نحو اكحال ومراهم وبرودات وقطورات..الخ

(د) بهجة الرؤساء فى أمراض النساء، طبع فى بولاق سنة ١٢٦٠.

(هـ) نزهة الإقبال فى مداواة الأطفال، طبع فى بولاق سنة ١٢٦١.

(١) عزت عبد الكريم، المرجع السابق، ص ٣٠٣.

(و) الروضة البهية فى مداواة الأمراض الجلدية (فى جزئين) طبع فى بولاق سنة ١٢٦٢ — ١٢٦٣.

(ز) نخبة الأماثل فى علاج تشوهات المفاصل، طبع مع الكتاب السابق كملحق له.

وفى عهد عباس الأول وسعيد هدأت الحركة العلمية، وهدأ معها قلم السيد أحمد الرشيدى، يقول جورجى زيدان: «وكان قد وشى به بعض مبغضيه، واتهموه بأمور أوجبت ابتعاده عن الخدمة، فلما صارت الخديوية إلى اسماعيل فى سنة ١٨٦٣ (١٢٨٠) اتجهت الأنظار إلى استخدامه، فتوسط محبوه لدى الخديوى وأبانوا له اقتداره على خدمة الطب، فقدمه، وأوعز له أن يشتغل فألف كتاب عمدة المحتاج لعلمى الأدوية والعلاج» [١]

وهذا الكتاب موسوعة علمية كبيرة تقع فى أربعة أجزاء كبار، وقد طبع فى سنة ١٢٨٣ بعد وفاته بسنة واحدة، وقد ألحق به فهرس توضيحى الدكتور حسين عوده.

٤ — الدكتور حسين غانم الرشيدى: أما صديقه وزميله الدكتور حسين غانم الرشيدى فقد عين بعد عودته معلما للأقرباذين والمادة الطبية، غير أنه كان محدود النشاط فى الترجمة، فلم يترجم إلا كتابين وهما:

(١) الدر الثمين فى الأقرباذين، وطبع فى بولاق سنة ١٢٦٥.

(ب) الدر اللامع فى النبات وما فيه من الخواص والمنافع، تأليف الدكتور «فيجرى بك»، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٧، وقد راجعه وحرره الشيخ محمد عمر التونسى.

غير أن السيد حسين غانم كان كزميله حجة فى اللغتين العربية، ولهذا كان يشترك فى تصحيح بعض الكتب المترجمة، حتى بعد عودته، كما فعل فى مراجعة أجزاء من كتاب «الجواهر السنية فى الأعمال الكيماوية» [٢] بالاشتراك مع الشيخ التونسى.

٥ — الدكتور عيسوى النحراوى: كان من طلبة الأزهر، ثم دخل مدرسة الطب فى أول سنة أنشئت فيها، واختير عضواً فى بعثة سنة ١٨٣٢، وعاد إلى مصر فى سنة ١٨٣٨، وترجم بعد عودته كتاباً فى التشريح عنوانه:

«التشريح العام»، تأليف المسيو «لكلار» الطبيب الفرنسى، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥١، وذكر الأمير عمر طوسون فى كتابه عن البعثات أنه ترجم هذا الكتاب وهو طالب فى فرنسا.

وقد قام النحراوى أيضاً بترجمة الجزء الخاص بالتشريح العام من القاموس الطبى الفرنسى الذى اشترك الأطباء المصريون فى ترجمته، واختار له الشيخ محمد عمر التونسى عنوان «الشذور الذهبية فى الألفاظ الطبية».

٦ — الدكتور محمد الشباسى: كان من تلاميذ الأزهر، ثم التحق بمدرسة الطب فى سنة ١٨٢٧،

(١) تاريخ آداب اللغة العربية، ج ٤، ص ١٦٥.

(٢) انظر الجزء الثالث من هذا الكتاب، ص ٤٣٨.

وسافر إلى باريس فى بعثة سنة ١٨٣٢ ، وعاد منها فى سنة ١٨٣٨ فعين مدرساً [١] لعلم التشريح الخاص بمدرسة الطب، وكان كزميله النحراوى مقلا فى الترجمة ، فلم يترجم إلا الكتابين الآتيين :



الدكتور محمد الشباسى

(ا) التنوير فى قواعد التحضير ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٦٤ .

(ب) التنقيح الوحيد فى التشريح الخاص الجديد ، تأليف مسيو « كروليه » ويقع فى ٣ أجزاء كبيرة تتكون من ١٣٢٠ صفحة، بدىء فى طبعه فى أواخر عهد محمد على وكلف بمراجعته الشيخ سالم عوض القنياتى ، فقام بتصحيح الجزء الأول ثم « عاقه الرمد » [٢] عن مراجعة بقية الكتاب ، فقام بتصحيحه الشيخ محمد عمر التونسى ، وتم طبعه فى جمادى الآخرة [٣] سنة ١٢٦٦ أى فى أوائل عهد عباس الأول ، وقد ذكر المترجم فى مقدمة الكتاب أنه ترجمه ليكون مرجعاً وافياً فى فن التشريح يستعين به تلاميذ مدرسة الطب ، قال : « لما وكل إلى تعليم فن التشريح فى مدرسة الطب الانسانى ولم يكن بها كتاب جامع لما له المشرح يعانى ، وكانت معارف التلامذة قاصرة عن كتاب الماهر « بيل » [٤] وهو فى غاية الاختصار ، ومطبوع من زمن طويل فأردت أن أترجم لهم كتاباً جامعاً لمسائله المهمة ، كاشفاً عمن يقرؤه الجهالة والغمة ، فاخترت كتاب الماهر « كروليه » المشهور ، لما أنه بين كتب التشريح بالحسن مذكور ، فعرضت على سعادة « كلوت بك » ما خطر ببالى ، فاستحسنه ولم يبالى ، (كذا) فامتثلت وشرعت فى نقله وترجمته [٥] » .

وقد اشترك الشباسى — كبقية زملائه الأطباء المصريين — فى ترجمة القاموس الطبى السالف الذكر .

٧ — الدكتور محمد الشافعى : كان كزميليه السابقين تلميذاً فى الأزهر ، ثم التحق بمدرسة الطب وسافر إلى باريس فى سنة ١٨٣٢ . ثم عاد سنة ١٨٣٨ ، فعين مدرساً للأمراض الباطنية ، وحوالى سنة ١٨٤٠ تولى إدارة مدرسة الولادة ، وفى سنة ١٨٤٥ عين وكيلا لمدرسة الطب [٦] ، وذلك بعد أن استقال مديرها الدكتور « برون » ، وعاد إلى فرنسا ، فكان أول رئيس مصرى تولى إدارة هذه المدرسة . وقد لبث يشغل هذا المنصب إلى أوائل عهد عباس الأول ، فلما اغلقت المدرسة اشتغل بالتطبيب والتأليف إلى أن أعيد فتحها فى عهد سعيد باشا . فعاد إليها ثم عين مديراً لها [٧] فى عهد الخديو اسماعيل ، إلى أن أدركته الوفاة حوالى سنة ١٨٧٧ وقد قام الشافعى فى عصر محمد على بترجمة ثلاثة كتب وهى :

الدكتور محمد الشافعى

(١) الشذور الذهبية ، ص (ج) ، وقد عمر الشباسى طويلا ، فعاش حتى آخر عهد اسماعيل وتوفى فى سنة ١٨٩٤ ، وقد بلغ التسعين من عمره . (٢ و ٥) انظر مقدمة الكتاب ، ص ٤ .

(٣) انظر خاتمة الكتاب . ج ٣ . ص ٤٠٠ . (٤) يقصد كتاب القول الصريح فى علم التشريح وهو أول كتاب ترجم وطبع من كتب الطب . (٦) عزت عبد الكريم . المرجع السابق . ص ٢٧٤ .

(٧) انظر الدكتور أحمد عيسى بك . معجم الأطباء . ص ٤٥٧ — ٤٥٨ .

(ا) أحسن الأغراض فى التشخيص ومعالجة الأمراض ، فى أربعة أجزاء كبيرة ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٩ .

(ب) كنوز الصحة ويواقيت المنحة . تأليف « كلوت بك » ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٦٠ .

(ح) الدرر الغوال فى معالجة أمراض الأطفال . تأليف « كلوت بك » وطبع فى بولاق سنة ١٢٦٠ .

وقد أسهبنا الحديث عن هذين الكتابين عند كلامنا عن « كلوت بك » فى الفصل الخاص بالكتب والمؤلفين وذكرنا أنهما ترجما أيضاً عن العربية إلى التركية .

٨ — الدكتور محمد عبد الفتاح : أرسل إلى فرنسا لدراسة الطب البيطرى بمدينة « ألفور Alfort » ، غادر مصر فى الأيام الأخيرة من سنة ١٨٢٩ ، ووصل إلى فرنسا فى يناير سنة ١٨٣٠ ، وعاد منها فى أوائل سنة ١٨٣٦ ، فعين مدرساً ومترجماً بمدرسة الطب البيطرى ، وقد قام فى مدى عشر سنوات (١٢٥٢ — ١٢٦٢) بترجمة سبعة كتب كلها فى الطب البيطرى ، وهى :

(ا) تحفة القلم فى أمراض القدم ، طبع فى بولاق سنة ١٢٥٢ .

(ب) نزهة المحافل فى معرفة المفاصل ، تأليف « ريجو » ، قال الشيخ مصطفى حسن كساب فى مقدمته : « لما كان تشريح الطبيب الماهر المعلم « جيرار » ناقصاً بعض مسائل ، أراد الحاذق النجيب المعلم « ريجو » الذى هو تلميذ ابنه أن يكمله ، فألف هذا الكتاب . . . ثم ترجمه من اللغة الفرنساوية إلى اللغة العربية . . المؤمل من مولاه النجاح ، محمد افندى عبد الفتاح ، أحدث أبناء العرب الذين أرسلوا إلى بلاد أوربا لتعلمهم (كذا) ما يبلغون به أرفع الرتب . . الخ » ، وقد طبع هذا الكتاب فى بولاق سنة ١٢٥٧ .

(ح) الطب العملى ، تأليف « واتيل » ، وقد قرأ هذا الكتاب لتلاميذ مدرسة الطب البيطرى « الخواجة لابتوت » أحد مدرسى هذه المدرسة « ثم قام بترجمته محمد عبد الفتاح » ، قال الشيخ كساب فى مقدمة الكتاب « ومن أهم ما ألف فى هذا الشأن (علم الجراحة البيطرية) كتاب الطبيب الشهير . . عديم المثيل المعلم « واتيل » وهو الذى قرأه للتلامذة فى المدرسة البيطرية المستجدة بأرض شبرا الخيمة ، البيطرى الماهر . . « الخواجه لابتوت » ، وقد طبع هذا الكتاب فى بولاق سنة ١٢٥٩ .

ء — البهجة السنية فى أعمار الحيوانات الأهلية ، تأليف « جيرار » ، تمت ترجمته فى الثالث عشر من ربيع الأول سنة ١٢٦٠ وتم طبعه فى بولاق فى أوائل رجب من نفس السنة .

(هـ) مشكاة اللائذين فى علم الاقرباذين ، تأليف « لابتوت » طبع فى بولاق سنة ١٢٦٢ .

(و) قانون الصحة البيطرية ، تأليف « لويس جروتييه » ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٦٢ .

(ز) المنحة لطالب قانون الصحة ، تأليف « لويس جروتييه » طبع فى بولاق سنة ١٢٦٢ .

وإنى لأرجح أن يكون هذان الكتابان كتاباً واحداً لتشابه العنوانين ، ولنسبتهما إلى مؤلف واحد ، ولأنهما طبعا فى سنة واحدة .

ج — مترجمو العلوم الرياضية

محمد بيومى ، ترجمة موجزة له ، تعيينه مدرسا بمدرسة المهندسين بالقناطر الخيرية ، ثم بمدرسة المهندسخانة ، اشتراكه فى لجنة تنظيم المدارس ، وتنظيم دروس الرياضيات بمدرسة المدفعية ، اختياره معاونا بديوان المدارس ، تلاميذه ومعاونوه ، ابراهيم رمضان ، أحمد دقله ، أحمد فايد ، أحمد طايل ، جهودهم فى الترجمة لمدرسة المهندسخانة ، تعيين بيومى رئيسا لأحد أقسام قلم الترجمة ، سفره مع أحمد طايل إلى السودان ، وفاته هناك ، تقرير « بورنج » عن الكتب التى ترجمت بالمهندسخانة ، الكتب التى ترجمها بيومى وزملاؤه

قام بترجمة كثير من كتب الرياضيات مدرسة من خريجى المدارس والبعثات ، كان أستاذها الأكبر نابغة مصر محمد بيومى افندى ، وكان تلاميذه ومساعدوه : ابراهيم رمضان ، وأحمد دقله ، وأحمد طايل ، وأحمد فايد .

ويعنينا هنا أن نتحدث عن نابغة هذه المدرسة وأستاذها محمد بيومى : أصله من بلدة دهشور ، وإن كان قد ولد فى القاهرة ، أرسل إلى فرنسا فى بعثة سنة ١٨٢٦ . وله من العمر سبعة عشر عاماً ، ولبث فى فرنسا تسع سنوات تخصص فى خلالها فى فن قوى المياة [١] « الهيدروليكا Hydraulique » ثم عاد إلى مصر فى ١٤ ذى الحجة سنة ١٢٥٠ [٢] (١٣ أبريل ١٨٣٥) ، فعهد إليه فى الحال بالبدء فى ترجمة كتاب فى الهندسة الوصفية [٣] ، وفى نفس التاريخ صدر أمر محمد على باشا بتعيينه «مدرساً بمدرسة المهندسخانة بالقناطر الخيرية» مع تفهيمه القيام بمعاونة باشمهندس القناطر بالنسبة لتعلمه أشغال القناطر كما يجب بباريس [٤] .

وفى شوال سنة ١٢٥١ (يناير سنة ١٨٣٦ [٥]) ضمت مدرسة المهندسين بالقناطر إلى مدرسة المهندسخانة ببولاق ، ونقل بذلك بيومى افندى أستاذاً بهذه المدرسة الأخيرة .

وفى نفس السنة ألفت لجنة لإعادة تنظيم المدارس فكان بيومى افندى واحدا من أعضائها [٦] . وقد عنيت

(١) عمر طوسون ، المرجع السابق ، ص ٢٧ .
(٢ و ٤) سامى باشا ، تقويم النيل ، ج ٢ ، ص ٤٣٤ و ٥٨٣ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٤٣٤ ، « أمر من محمد على إلى ناظر المهمات بتاريخ ٢٨ ذى الحجة سنة ١٢٥٠ »
(٥) عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٣١٢ .
(٦) المرجع السابق ص ٩٣ — ٩٤ ، أما بقية الأعضاء فهم : مختار بك رئيس وكلوت بك وكانى بك وأرتين بك واسطفان افندى ومسيو فارن Varin مدير مدرسة الفرسان وحكاكيان افندى والشيخ رفاعة ومسيو هامون Hamont ناظر الطب البيطرى ومسيو لامبير lambert ناظر المهندسخانة ، وكان سكرتير اللجنة المسيو دوزول Dozol .

هذه اللجنة عناية خاصة بمدرسة المهندسخانة ببولاق فوضعت للدراسة بها نظاما يتفق ونظام مدرسة الهندسة بباريس ، وفى أوائل تلك السنة (١٨٣٦) كان قد عاد من فرنسا إبراهيم افندى رمضان وأحمد افندى دقلة وأحمد افندى طائل وأحمد افندى فائد قبل أن يتموا دراستهم ، وكانوا قد أوفدوا إليها جميعا فى سنة ١٨٣٠ فألحق اثنان منهم وهم دقلة وطائل معيدين لدروس بيومى افندى فى المهندسخانة على أن يتما دراستهما عليه ، وألحق أحمد افندى فائد معيدا لدروس بهجت باشا بالقصر العينى وابراهيم افندى رمضان معيدا لدروس مظهر باشا بمدرسة الطوبجية ، ولم يلبث هذان الأخيران أن نقلا إلى مدرسة بولاق وأصبح الجميع تلامذة ومعيدين لبيومى افندى ، يقول على مبارك باشا : « وكان (أى بيومى افندى) هو الباش خوجة عليهم فكان المرجع إليه والمعول عليه » [١] .

وفى سنة ١٨٣٦ أيضا عندما أعيد تنظيم مدرسة المدفعية بطره قام بتنظيم [٢] دروس الرياضيات بها بيومى افندى .


محمد بيومى أفندى
أستاذ الرياضيات بمدرسة المهندسخانة

وحوالى سنة ١٨٣٩ (١٢٥٥) أوجد بديوان المدارس نظام المعاونين [٣] وهم بمثابة المفتشين الآن ، وكان عملهم الأساسى التفتيش على المدارس وشئونها المختلفة علمية وتربوية وصحية . . . الخ وكان يعهد إلى بعض هؤلاء المعاونين ومنهم بيومى افندى بترجمة الكتب وتصحيحها .

وقد قام بيومى افندى بهذه الأعمال جميعا خير قيام ولكنه بذل الجهد الأكبر مع تلاميذه ومساعديه الأربعة فى النهضة بمدرسة بولاق وتلاميذها وترجمة الكتب فى مختلف فروع العلوم الرياضية ، لاحظت هذا الجهد لجنة سنة ١٨٤١ لاعادة تنظيم التعليم ، فمدحته ، وضمنت هذا المدح تقريرها قالت : « لاريب فى أن المهندسخانة مدينة بكل تقدمها هذا إلى دقة ناظرها ، وهمة أساتذتها ، غير أن معظم الفضل انما يرجع إلى ترجمة المدرسين للدروس ، وإلى الاسراع فى طبع التراجم بمطبعة الحجر (الملحقة بالمدرسة) ، ثم جمعها فى كراسات وكتب ، ولقد كانت العلوم الرياضية التى كانت فى متناول اليد من القلة والندرة ، وكانت ترجمتها من الأشكال والصعوبة بحيث لم يتيسر قبل اليوم تنشئة المهندسين الفحول على الوجه الصحيح الموافق لأسلوب فرنسا ، ولكن ها هو البكباشى محمد بيومى افندى ، واليوزباشية أحمد طائل افندى ، وابراهيم رمضان افندى ، وأحمد دقلى افندى ، وأحمد فائد افندى يتولون بفضل بركات الخديوى ترجمة الدروس التى وكل إليهم تعليمها ، ثم لا يقفون عند حد الترجمة ، بل يطبعونها على الحجر ويطبعون منها كتبا [٤]

(١) على مبارك ، الخطط ، ج ١١ ، ص ٦٨ . (٢) عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٤١١ .
(٣) أنظر تفصيلات أكثر عن أعمال هؤلاء المعاونين وأسماء بعضهم ، المرجع السابق ص ١١٦ — ١١٧ .
(٤) قام بتصحيح الكتب التى ترجمت بمدرسة الهندسة ، وتهذيب عباراتها الشيخ ابراهيم عبد الغفار الدسوقى . (أنظر صوراً لصفحات من هذه الكتب فيما يلى ، ص ١١٤ ، ١١٦ ، ١١٨) .

وأسفارا ، والواقع أن الامتحان الأخير كان مشهداً لما جمعته هذه الكتب بين دفاتها من شتى العلوم[١]» ،

ولما أنشىء قلم الترجمة (الملحق بمدرسة الألسن) فى سنة ١٨٤١ قسم إلى أقلام أربعة ، كان أولها القلم الخاص بترجمة الكتب الرياضية ، فكان بيومى افندى خير من يتولى رئاستها ، فنقل إليه وعين لمساعدته ملازم من خريجى الألسن ، وخمسة[٢] من تلاميذ فرقتها الأولى .

وقد كان بيومى افندي إلى هذا « حسن الأخلاق مهيبا جليلا ذا رأى حسن »[٣] ، وكان أستاذاً لجيل من المهندسين بأكمله ، تتلمذ عليه من كان يصغره سنا ، ولم يأنف أن يتتلمذ له من كان يكبره سنا أمثال « سلامة باشا ، ومحمود باشا الفلكى ، واسماعيل باشا محمد ، وعامر بك » وكلهم من نوابغ المصريين فى القرن التاسع عشر .

غير أن هذا النبوغ الفذ والخلق الطيب لم يلقيا من عباس الأول ما لقياه من محمد على من تكريم وتقدير ، ففى ١٢ رجب سنه ١٢٦٦ ، صدر الأمر بانشاء مدرسة الخرطوم الابتدائية وعين رفاعة بك لنظارتها ، واختير لتدريس الأرقام ، وطريقة كتابتها ، وعمليات الجمع والطرح والضرب، نابغة الرياضيات بيومى افندى ، وتلميذه وزميله أحمد طائل افندى ، وكانت الصدمة عنيفة فأثرت فى صحة بيومى افندى وتعاون عليه الحظ العاثر والمرض ، فأدركته المنية ودفن هناك[٤] .

وفى رمضان سنة ١٢٥٣[٥] (ديسمبر ١٨٣٧) زار مصر الدكتور « بورنج » ومكث بها شهوراً زار فى خلالها منشآت محمد على ، ومن بينها مدرسة المهندسخانة ببولاق ، وقد ذكر فى تقريره أنه حتى سنة ١٨٣٨ لم يكن قد طبع من الكتب التى ترجمها أساتذة المدرسة إلا كتاب الهندسة الوصفية تأليف « دوشين : Duchesne » وترجمة محمد بيومى ، ولكنه أثبت بعد ذلك قائمة بالكتب التى تمت ترجمتها ولم تطبع ، أو لم تتم ترجمتها بعد وهى :

١ — كتاب الجبر تأليف « ماير Mayer » أكمل ترجمته بيومى ، ولم يطبع .

٢ — مبادىء اللغوريتمات ، أكمل ترجمته بيومى ولم يطبع .

٣ — كتاب الميكانيكا ، « تأليف تركم Terquem » جزء واحد ، يترجمه بيومى .

٤ — كتاب الطبيعة ، تأليف « بكليه : Peclet » ، فى جزئين يترجمه فايد .

٥ — مبادىء الطبوغرافية ، تأليف « تيرليه Thrillet » ، جزء واحد يترجمه رمضان .

(١) دفتر ٢٠٧٣ (مدارس تركى) رقم ٥٦٥ ، إلى شورى المعاونة فى ٢٠ ذى القعدة ١٢٥٧ (وثائق عابدين) .

(٢) كان من بينهم السيد افندى عمارة بن عبد العال مترجم كتاب « تهذيب العبارات فى فن أخذ المساحات » .

(٣) على مبارك ، المرجع السابق ، ج ١١ ، ص ٦٨ .

(٤) ذكر سامى باشا فى تقويم النيل ، ج ٢ ، ص ٤٣٤ ، هامش ١ أن حكومة فرنسا أرسلت فى سنة ١٨٥٠ (١٢٦٦) أحد أقران بيومى افندى بمدرسة الهندسة التى كان بها فى فرنسا لزيارته فى منفاه ، وبعد زيارته طبع كتابا عنوانه بيومى افندى فى منفاه، ١٨٥٠؛ وقد بحثت كثيرا عن هذا الكتاب فلم أوفق للعثور عليه .

(٥) رستم ، بيان بوثائق الشام .. الخ ، المجلد الثالث ، ص ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤ .

٦ — كتاب الهيدروليكا تأليف « دوبيسون d'Aubuisson » جزء واحد يترجمه دقله .

٧ — رسالة فى المنشآت ، تأليف « نافييه Navier » جزء واحد ، يترجمها دقله .

٨ — كتاب الكيمياء ، تأليف « دوماس : Dumas » وهذا الكتاب كبير يقع فى ست أجزاء ويترجم منتخبات منه فايد .

٩ — الجغرافيا الطبيعية ، تأليف « لاكروا La Croix » جزء واحد يترجمه دقله .

١٠ — الجغرافيا العامة تأليف « بوبيه : Boubée » جزء واحد يترجمه فايد .

١١ — قطع الصخور ، تأليف « دويو : Duillot » جزء واحد يترجمه بيومى .

١٢ — رسالة فى الحرارة ، تأليف « بيتيه : Pietet » جزء واحد . ؟

١٣ — رسالة فى الضوء ، تأليف « بيتيه : Pietet » ، فى جزء واحد . ؟

١٤ — رسالة فى التعدين ، تأليف « برار : Brard » جزء واحد . ؟

١٥ — الفحم الحجرى ، تأليف دويو : Duillot » جزء واحد يترجمه بيومى .

١٦ — رسالة فى التركيب العددى تأليف « جريميه Gremilliet » جزء واحد يترجمه دقله .

١٧ — كتاب الكيمياء تأليف تينار Thénard

١٨ — كتاب الكيمياء تأليف « شابتال Chaptal » . ؟

١٩ — كتاب الكيمياء تأليف جراى Gray . ؟

٢٠ — جريدة المعارف العادية . ؟

٢١ — مبادىء المنتجات الكيمائية ؟

٢٢ — مبادىء التفحيم Manuel de Charpentier ؟

٢٣ — التعدين «للحديد» تأليف « كارستون » Carston. ؟

٢٤ — العلوم . تأليف تورنير Tourneur[١] ؟

هذه أربعة وعشرون كتاباً أثبتها « بورنج » فى تقريره ، وذكر أن بعضها ترجم وأن البعض الآخر تحت الترجمة ، غير أنه يبدو أن الكثير من هذه الكتب لم يطبع ، ولسنا نعرف ماذا كان مصيرها ، ولم أعثر فى فهارس الكتب المطبوعة إلا على ثمانية عشر كتاباً ترجمها أعلام هذه المدرسة، وطبع أولها وهو كتاب الهندسة الوصفية فى سنة ١٢٥٢ (١٨٣٨) ، وطبع آخرها سنة ١٢٦٩ أى فى عهد عباس الأول ؛ وفيما يلى بيانها :

(١) Bowring Op. Cit. p, 144.

كتاب الروضة الزهرية فى الهندسة الوصفيه

اشترك فى ترجمته ابراهيم رمضان ومنصور عزمى وصححه الشيخ ابراهيم الدسوقى

(١٠)

أو عدم انتشار طرقها العلية * هذا ومن جملة ما انتظم فى سلك التعريب * وتداولته أيدى التصحيح
والتهذيب * كتاب فى هذا الفن جديد الأعمال * حسن الترتيب ليس له مثال * ترجمه مدرسه
الماهر اللبيب * والعاقل الأديب * رب الأخلاق الحسان * ابراهيم أفندى رمضان *
وقابل عبارته على الأشكال * فصار خاليا عن التعقيد والأشكال * وقسمه إلى ثلاثة أجزاء
وعرب منه الجزء الأول * وحلاه بكل نتيجة وحل * ثم ترجم الجزء الثانى والثالث عن الفرنساوية
إلى العربية من النسخة الجزئية * منصور أفندى عزمى * أحد معلمى الفرنساوية بهذه المدرسة *
التى حوت من كل شئ أنفسه * وكان مصحح الجزء الأول والثانى الفقير راجى عفو الأوزار * ابراهيم
الدسوقى عبد الغفار * مصحح العلوم الرياضية * وأحد مدرسى اللغة العربية * وكان ذلك
بأمر ناظر المدارس الثلاث * من اتخذ المعارف خير أثاث * وأجاب الحظوظ بلبيك * سعادة
الأمير [illegible] بك * لا زال محفوفا بالألطاف الخفية * مشمولا بالاسعافات [illegible] * كل
ذلك وفاء بواجب خدمة صاحب السيادة * والعطايا المؤدية للسعادة * من ملأت جوده رقاب
العباد * وعم كرمه منهم الحاضر والباد * رب العزمات الآصفية * والفطن القوية * سعادة
افندينا عباس باشا * بلغه الله من الخير ما شا * وأبد الله نعمته وكرمه ودولته * وسدد
بقوته وقهر صولته * ولا زال مسعود الأوقات * دائم الحظوظ والمسرات * [illegible]
المنادى * [illegible] المعادى * [illegible] * وارتقى فوق السبع الطباق * [illegible]
للتمام * ولبس وشاح الختام * وسميته بالروضة الزهرية * فى الهندسة الوصفية *
وقد آن أن نشرع فى المقصود * فنقول بعون الله الملك المعبود *

صفحة من المقدمة

١٥٨

المتقدمة وهى أن يبحث عن نقط اشتراك منحنى [illegible] وطين مرسومين على السطح س ورأساهما
يوجدان على المستقيم د المعلوم

وإذا كان المستوى المماس للسطح س موازيا لمستو معلوم كالمستوى ع فإنه يلزم هنا سلوك الطريقة
العمومية المتقدمة

وإلى هنا انتهى الجزء الثالث من دروس
الهندسة الوصفية بعون الله
وقوته
م

صفحة الختام

وفى أسفلها توقيع : صالح مجدى ، وإبراهيم رمضان

[نموذج جميل للكتب التى طبعت طبع حجر بمطبعة المهندسخانة ببولاق]

١ — الهندسة الوصفية تأليف « دوشين » جزءان ، طبع الجزء الأول فى بولاق سنة ١٢٥٢ ، وطبع الثانى سنة ١٢٦٣ .

٢ — كتاب الجبر والمقابلة ، تأليف « ماير » جزء واحد فى ٥٧١ صفحة ، طبع فى بولاق فى غرة جمادى الآخرة سنة ١٢٥٦ .

٣ — ميكانيقة (أى جر الأثقال) تأليف « تركم » ترجمه بيومى بالاشتراك مع أحمد طائل ، جزء واحد ، بولاق سنة ١٢٥٧ .

٤ — ثمرة الاكتساب فى علم الحساب ، ويبدو أن بيومى أفندى كان قد ترجم هذا الكتاب ترجمة سريعة ليستعين به فى تدريس هذه المادة ، ثم طبع طبع حجر بمطبعة مدرسة المهندسخانة ، ولكنه عاد فراجعه وزاد عليه تنفيذاً لأمر أدهم بك مدير المدارس ، وطبع الكتاب بعد تنقيحه فى بولاق سنة ١٢٦٣ وهو جزء واحد فى ٤٠٠ صفحة ، جاء فى مقدمة الشيخ الدسوقى مايلى : «ومن أفخر كتب هذا العلم (الحساب) المؤسسة ، كتاب عرب فى مدرسة الهندسة ، جليل القدر حسن الترتيب ، إلا أنه غير متقن التعريب ، طبع على الحجر فى هذه المدرسة على يد من أحسن قراءته حين درسه ، ولقد عم نفع هذا الكتاب فى المدارس ، لما احتوى عليه من النفائس ، ولما كان الكتاب المعرب المشار إليه مما يعتمد فى هذا الفن عليه ، أمر من يجيبه السعد بلبيك ، حضرة أمير اللواء أدهم بك ، مدير المدارس المصرية ، ومفتش المهمات الحربية . جناب المتوكل على ربه المعيد المبدى ، محمد الشهير ببيومى أفندى ، أن يبذل فى اتمامه الهمة وأن يضم إليه فوائد مهمة ، على يد مصححه راجى عفو الأوزار ، إبراهيم الدسوقى عبد الغفار » .

٥ — جامع الثمرات فى حساب المثلثات ، طبع فى بولاق سنة ١٢٦٤ .

(ب) الكتب التى ترجمها إبراهيم رمضان افندى .

١ — ثيودزيه Géodésie أى فن أعمال الخرط العظيمة ، تأليف « فرانكير Francoeur » طبع فى بولاق سنة ١٢٥٧ .

٢ — القانون الرياضى فى تخطيط الأراضى ، طبع فى بولاق سنة ١٢٦٠ ، وقد راجع الترجمة على الأصل أبو السعود أفندى ، ثم راجعها ثانية بيومى أفندى ، وثالثة عند الطبع حسن الجبيلى أفندى ، وقام بتحريره وتصحيحه الشيخ ابراهيم الدسوقى[1] .

٣ — اللآلى البهية فى الهندسة الوصفية ، طبع منه الجزء الأول فقط فى ١٧٦ صفحة فى بولاق سنة ١٢٦١ وقد قام بمراجعة الترجمة بالاشتراك مع المترجم ، حسن أفندى الجبيلى ، ويقول الشيخ الدسوقى فى مقدمة الكتاب : «وقد تداولته أيدى التصحيح ونقحته غاية التنقيح ، فقابله على أصله الفرنساوى . . . حسن

(١) Dunne, Op. Cit. pP. 347 – 348.

أفندى المصحح الجبيلى، فأطلق عنان قلمه فيه وصححه ، وأمعن نظره فى ترجمته وأصلحه ، ثم وصل إلى يد إبراهيم الدسوقى عبد الغفار مهذب عباراته ومبانيه ، وحرر بعد السؤال معانيه ، وبذل فيه غاية المجهود ، ونظمه نظم اللآلى فى العقود ، مع مقابله الثانى ، ومترجمه الأول ، ليكون بذلك أتقن وأكمل » .

وإن هذه الدقة فى الترجمة ومراجعتها تذكرنا بنفس الدقة التى كانت تراعى عند ترجمة كثير من الكتب الطبية .

٤ — الروضة الزهرية فى الهندسة الوصفية : وهو أجزاء ثلاثه ، ترجم الأول ابراهيم رمضان ، وترجم الثانى والثالث منصور عزمى[١] وطبعت كلها فى مجلد واحد ، طبع حجر ، فى مطبعة مدرسة المهندسخانة[٢] سنة ١٢٦٨ .

٥ — المنحة اللدنية فى الهندسة الوصفية : طبع حجر فى مطبعة المهندسخانة ، سنة ١٢٦٩[٣] .

(ح) الكتب التى ترجمها أحمد دقلة افندى[٤] .

١ — مثلثات مستوية وكروية ، طبع فى بولاق سنة ١٢٥٧ .

شكل من الأشكال الإيضاحية الملحقة بكتاب الهندسة الوصفية
[لاحظ فى أسفل الصفحة اسم الراسم — أمين صباغ — وتوقيع المدرس — ابراهيم رمضان]

٢ — ايدروليك (أى علم حركة وموازنة المياه) طبع فى بولاق سنة ١٢٥٧ .

(١) أنظر هذا الكتاب ص ١٠ و ١١٥ ، وعزمى افندى هو أحد خريجى الألسن الذين عينوا لتدريس الفرنسية بالمهندسخانة وفى هذا الكتاب ، وغيره من الكتب الرياضية ظاهرة لم نلاحظها فى الكتب الطبية المترجمة ، وهى تعاون اثنين أو ثلاثة فى ترجمة كتاب واحد ، أنظر أيضا كتاب الميكانيكا الذى اشترك فى ترجمته بيومى وطايل .

(٢) كان ينسخ أصول الكتب التى طبعت على حجر بمطبعة المهندسخانة بخط جميل محمد افندى مذكور ، أنظر الكتاب السابق ص ١١٥ ، وكتاب الدر المنثور فى الفال والمنظور . ترجمة صالح مجدى . ص ١٤١ . كذلك تحمل كل صفحة من صفحات هذه الكتب توقيعات المترجمين والمصححين بخطهم فى أسافلها . مثل ابراهيم رمضان . وصالح مجدى . وابراهيم الدسوقى الخ .

(٣) الكتابان الأخيران طبعا فى عهد عباس الأول .

(٤) ترقى دقلة فى مدرسة الهندسة حتى أصبح وكيلها . وفى سنة ١٢٦٦ نقل الى قلم الهندسة وقد أبعد عن العمل فى عهد =

٣ — رضاب الغانيات فى حساب المثلثات ، طبع فى بولاق سنة ١٢٥٩ .

(ى) الكتب التى ترجمها أحمد طايل افندى[١] :

١ — تركيب آلات ، طبع فى بولاق سنة ١٢٥٧ .

٢ — ميكانيقة (أى علم جر الأثقال) ترجمه بالاشتراك مع بيومى ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٧ .

(هـ) الكتب التى ترجمها أحمد فايد افندى[٢] (باشا فيما بعد) .

١ — الأقوال المرضية فى علم بنية الكرة الأرضية[٣] تأليف «بوبيه» أمر بجلب هذا الكتاب أدهم بك ، وأشار بترجمته المسيو «لامبير» ناظر المهندسخانة ، وراجع الترجمة مصطفى افندى بهجت[٤] ورفاعة افندى وقام بتصحيحه الشيخ الدسوقى ، وهو جزء واحد فى ١٣٤ صفحة ، وقد أضاف إليه المترجم « نبذة تشتمل على بيان ألفاظ هذا الفن الاصطلاحية » فى نحو ٢٨ صفحة مرتبة ترتيبا أبجديا ، وطبع الكتاب فى بولاق فى أوائل ربيع الآخر سنة ١٢٥٧ .

٢ — مختصر علم الميكانيكا : قام بتصحيحه السيد صالح مجدى ، وطبع الجزء الأول منه طبع حجر فى ٩٤ صفحة من القطع المتوسط فى مطبعة المهندسخانة فى سنة ١٢٦٠ .

٣ — تحرك السوائل ، تأليف « بيلانجيه » أحضره « لامبير بك » ، واستعان به أحمد فايد فى تدريس علم الهيدروليكا ، ثم ترجمه ، وراجع الترجمة السيد صالح مجدى ، وصححه الشيخ الدسوقى ، وهو جزء واحد فى ٢٣٠ صفحة ، طبع فى بولاق سنة ١٢٦٤ ، ويبدو من مقدمة الكتاب أن هذه هى الطبعة الثانية وأنه طبع طبعة أولى على حجر فى مطبعة المهندسخانة ، فقد قال فايد فى ص ٣ : « وكنت لدى الترجمة بالاثر مثلته طبعا على الحجر ، مقابلا عربيته الشاب الناجح ، السيد افندى صالح ، ولما انتفع به كثير من التلامذة ، بل ومن الاساتذة الجهابذة ، أردت أن يكون بالمطبعة الكبرى طبعه ، ليعظم وقعه ونفعه » .

٤ — الدرة السنية فى ، الحسابات الهندسية ، طبع حجر فى مطبعة المهندسخانة ، سنة ١٢٦٩ .

= عباس الأول فلزم بيته إلى أن مات فى ١٢٧٣ . يقول على مبارك فى الخطط . ج ٩ . ص ٦٥ « وأكثر المهندسين الموجودين الآن تلقوا عنه .. وكان حسن الالقاء يجتهد فى التعليم . ويحث على الفهم . وكان من أعظم المهندسين . غير أنه كان يميل الى الشرب

(١) كان يدرس علمى الميكانيكا والجبر حتى سنة ١٢٥٨ . حيث عين مهندسا للركاب العالى ، وفى هذه الوظيفة اتهم بالرشوة لصرف الشفالة قبل استيفاء العمل . فعزل وحكم عليه بالليمان فالحق بليمان الترسانة بالأسكندرية . وعفى عنه بعد سنة ونصف سنة وعين معاونا بديوان المدارس . وفى سنة ١٢٦٦ أرسل مدرسا بمدرسة الخرطوم الابتدائية . وفى أول عهد سعيد باشا عاد الى مصر مريضا بالحمى . وتوفى فى بولاق بعد وصوله بليلتين يقول عنه على مبارك المرجع السابق . ج ٩ ص ٧٨ : « وكان قصير القامة صغير الجسم ، كبير الفهم ، لايبالى بأكثر الأمور وله جرأة على الأمراء وإقدام ، وكان محبا للتلامذة ، يرغب فى تعليمهم ، وأخذ عنه أكثرهم أو جميعهم » .

(٢) كان مدرسا للطبيعة والكيمياء فى المهندسخانة ، وارتقى حتى أصبح وكيلا لها ، ثم عين مهندسا للسكة الحديدية ، وتقدم فى هذه المصلحة حتى صار باشمهندس عموم السكك الحديدية المصرية ، واليه يرجع الفضل فى إنشاء معظم خطوطها ، وباسمه سميت محطة فايد احدى محطات خط السويس القديم ، وقد حصل فى أواخر أيامه على رتبة « باشا » وتوفى سنة ١٨٨٢ ، أنظر عمر طوسون المرجع السابق ص ٦٢ .

(٣) ذكر سركيس فى معجمه أن أحمد فايد ترجم كتابا اسمه « الجيولوجيا » طبع فى بولاق سنة ١٢٥٧ ، وانى أرجح أن يكون هو نفس الكتاب الذى ذكرته لاتفاقهما فى الموضوع وسنة الطبع ، ومكانه .

(٤) أنظر هذا الكتاب ، ص ٣ .



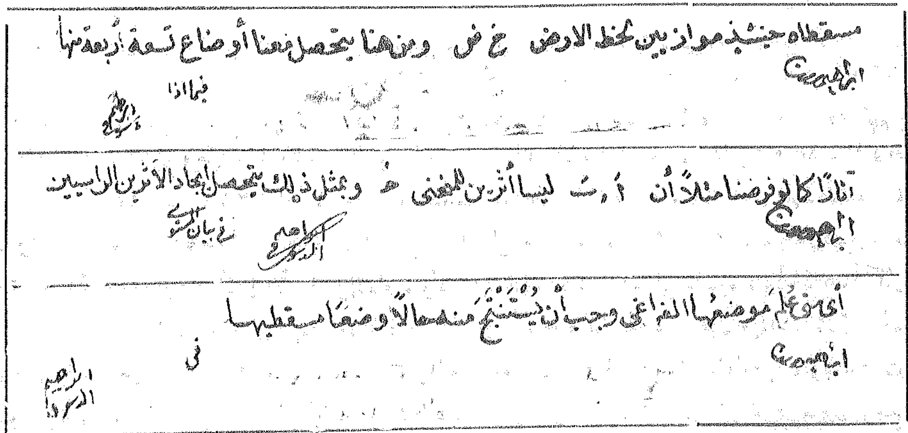
رفاعه الطهطاوى

زعيم النهضة الفكرية فى عصر محمد على

كتاب الدر المنثور فى الظل والمنظور

منتظم عقود المذاكرة بفكره الثاقب * من تعنت بمدحه البلاد واعتلى أفنان الايك * وأبانت بلسان
حال السعد بلبيك * ناظر المدارس الثلاث سعادة على بيك * اوحد امير تشرفت به المناصب *
ان تحرر وتلخص فى الظل والمنظور * يكون بمثابة الكثير من الامور * مستغرقا على ممر الدهور * مشتملا
على اللطائف والرغائب * فلباه بالسمع والطاعة * وشمر عن ساعد الجد فى الوقت والساعة *
رب الفطنة وصاحب البراعة * اجل حريص على العلوم ومواظب * من تفتخر بجميل معارفه [illegible]
الزمان * وتفتخر بجليل عوارفه بنو اولى العرفان * حضرة ابراهيم [illegible] رمضان * مدرس
هذا الفرع الرياضى وغيره من الفروع الشهيرة المناقب * وذلك بعد ترجمة المهندسخانة الخديوية *
التى اشرقت فيها شموس العلوم الرياضية * بالديار المحروسة المصرية * واضاءت انوارها فى سائر
الجوانب * ولكن باللغة الفرنساوية فهذا الفن ملخصا يعول عليه * ويرجع فى حل اشكالاته اليه *
ويستغنى به من كان لديه * لما فيه من الفوائد والغرائب * ثم ترجمه من تلك اللغة الفرنساوية
* ونظمه فى سلك المؤلفات العربية * وتوجه بتاج الملة الحنيفية * وارغم [illegible] النوائب * العبد
الراجى رحمة المعيد المبدى * المعترف بالتقصير فى [illegible] * السيد صالح مجدى * المؤمل من الله [illegible]
وحسن العواقب * وهو احد مستخدمى العلوم الرياضية * ومدرسى اللغة الفرنساوية * بتلك المدرسة
المنيفة البهية * الراقية فى المعارف اعلى المراتب * لا زالت سامية فى التقدم والنجاح * منيفة فى جبهة
العصر كالمصباح * منادية بلسانها حى على الفلاح * ساعية للوطن فى جلب المكاسب * بهمة
رب السيف والقلم * ناشر لواء العدل فى الامم * الاصيل دوحة المجد والكرم * اجل من افادت
لديه المناصب * الذى اضحت بهيبته الديار المصرية * [illegible] كل الرعية * وعم [illegible]
وتشرفت بالعطايا والمواهب * افندينا الهمام الاعظم * والداورى الاكرم * والخديوى الافخم * صدر
الصدور والظافر الغالب * [illegible] ثابت الاساس * زكى الاصل [illegible] * ولى النعمة [illegible]
* المتفضل على الانام غيث السحائب * [illegible] به معقد العلوم * وايديه دولة المنثور والمنظوم *
[illegible] به اركان المنطوق والمفهوم * بحرمة خاتم النبيين [illegible] الاعاجم والاعارب * ولا زال [illegible]

ترجمه صالح مجدى ، وطبع بمطبعة مدرسه المهندسخانة


مسقطاه حينئذ موازيين لخط الارض خ ض ومن هنا يتحصل معنا أوضاع تسعة أربعة منها
ابراهيم
فيما اذا
اتاذا كانوا فرضنا مثلا ان ا ر ت ليسا أثرين للمعنى خ وبمثل ذلك يتحصل ابعاد الأثرين الراسيين
ابراهيم
أحد خطوطها الفراغى وجب أن يستنتج منها الأوضاع مستقبلها
ابراهيم

السطور الأخيرة من بعض صفحات كتاب الروضة الزهرية فى الهندسه الوصفيه

(والى اليمين دائما توقيع ابراهيم رمضان والى اليسار توقيع ابراهيم الدسوقى فى أشكال متباينة)

(د) رفاعة رافع الطهطاوى

زعيم حركة الترجمة، والمبعوث الأوحد للتخصص فى هذا الفن

ثقافته الأولى، تدريسه فى الأزهر، تتلمذه على الشيخ العطار، تأثير الأستاذ فى التلميذ، سفره أماما لبعثة ١٨٢٦، حياته الدراسية فى باريس، الكتب التى قرأها، جهوده فى الترجمة أثناء التحصيل، نجاحه فى الامتحان بعد سنة، اتصاله بالمستشرقين: «جومار» و«دى ساسى» و«دى برسيفال» الامتحان الأخير، تفوقه فيه، رأى لجنة الامتحان فى قدرته على الترجمة، عودته لمصر، مقابلته لابراهيم ومحمد على، تعيينه مترجما لمدرسة الطب جهوده فيها، نقله مترجما بمدرسة الطوبجية، جهوده فيها، مدرسة التاريخ والجغرافيا، طبع ثلاثة من كتبه المترجمة بعد عودته من ١٢٤٦ — ١٢٤٩. ترجمة الجزء الأول من جغرافية ملطبرون، اهتمام محمد على بالدراسات الجغرافية، رفاعة وانشاء مدرسة الألسن، اشتراكه فى مراجعة كتب مترجمة فى مختلف الفنون، تولية تنظيم الوقائع المصرية، ولاية عباس باشا العرش، الآراء فى عباس، نفى رفاعة إلى الخرطوم، الأسباب، رفاعة يترجم «تليماك» فى السودان، هل ترجم شيئا لمونتسكيو؟

بدأنا الحديث عن المترجمين من خريجى المدارس والبعثات بطليعتهم ورائدهم الأول عثمان نور الدين، وجدير بنا أن نختم هذا الحديث بالكلام عن المبعوث الأوحد للتخصص فى الترجمة رفاعة رافع الطهطاوى.

ولد فى طهطا سنة ١٢١٦ (١٨٠١ — ١٨٠٢)، وإليها ينسب، وفيها تلقى علومه الأولى، وفى سنة ١٢٣٢ (١٨١٧) وفد على القاهرة، والتحق بالأزهر، ومكث به نحو خمس سنوات أتم فيها دروسه، فلما أتم الحادية والعشرين من عمره أصبح أهلا للتدريس، فدرس فى الأزهر، وكان يتردد أحيانا على مدينته طهطا فيلقى على أهلها بعض دروسه، وقد كان رفاعة منذ عهده الأول مدرساً ممتازاً، فأقبل عليه الطلاب وأفادوا منه، وكانت حلقات دروسه فى السنتين التاليتين لتخرجه حافلة دائماً بالمستمعين من التلامذة والمشايخ، يقول تلميذه ومؤرخ حياته صالح مجدى: «وكان رحمه الله حسن الإلقاء بحيث ينتفع بتدريسه كل من أخذ عنه، وقد اشتغل فى الجامع الأزهر بتدريس كتب شتى فى الحديث، والمنطق، والبيان والبديع، والعروض، وغير ذلك وكان درسه غاصاً بالجم الغفير من الطلبة، وما منهم إلا من استفاد منه وبرع فى جميع ما أخذه عنه، لما علمت أنه كان حسن الأسلوب، سهل التعبير مدققاً محققاً، قادراً على الإفصاح عن المعنى الواحد بطرق مختلفة، بحيث يفهم درسه الصغير والكبير بلا مشقة ولا تعب ولا كد ولا نصب[1]».

ولقد كان من حسن حظ رفاعة أنه تتلمذ فى الأزهر على الشيخ حسن العطار، فقد كان هذا الشيخ سابقا

(١) حلية الزمن بمناقب خادم الوطن.

لعصره، طوف فى الأرض، وسافر براً وبحراً، وزار الشام، ووصل فى تطوافه إلى الآستانة وأقام بها سنوات، وأفاد من هذه الرحلات، واتسع أفق تفكيره، ولما نزلت الحملة الفرنسية بأرض مصر اتصل ببعض علمائها ولقنهم اللغة العربية كما أخذ عنهم بعض علومهم، وأعجب بما وصل إليه الشعب الفرنسى من رقى وحضارة، وقارن فى نفسه بين علوم الفرنسيين التى رأى بعض مظاهرها فى دار المجمع، واستمع لبعض أفكارها فى حديثه إلى علماء المجمع، وبين علوم المصريين التى درسها ويدرسها فى الأزهر، فرأى الفرق كبيراً، والبون شاسعاً، وتنبأ لهذا البلد بنهضة علمية سريعة تنهج فيها نهج فرنسا، قال: «لابد أن تتغير حال بلادنا، ويتجدد لها من المعارف ما ليس فيها».

وبدأ هو بنفسه فأقبل على كتب لم تكن تدرس وقتذاك فى الأزهر، أقبل على كتب فى التاريخ والجغرافيا، والطب والرياضة، والفلك والأدب، وقرأ الكثير من هذه الكتب وتفهمها، غير أنه يبدو أن نظام التدريس فى الأزهر لم يكن ليسمح له أن يدرس بعض هذه الكتب، أو ما أفاد منها، وإن سمحت النظم فإن المجموعة التى كانت تحيط به من شيوخ وطلاب ما كانت لتستسيغ هذه العلوم أو تقبلها، بل لعلها كانت تتهم المشتغلين بها بشىء من الزيغ عن الجادة، والبعد عن علوم السلف، وعما يجب أن يلزمه رجل الدين.

ولكن العطار كان ذا شخصية فذه، وطريقة جديدة، لهذا لم يلبث أن اختص به نفر من تلاميذه الممتازين، فقربهم إليه، وأقرأهم ما كان يقرأ[1]، ورغبهم فى هذه العلوم الجديدة فأقبلوا عليها، فلما بدأ محمد على نهضته، واحتاج إلى بعض مشايخ الأزهر للتدريس فى مدارسه الجديدة أو لتصحيح الكتب المترجمة، كان تلاميذ العطار، أمثال التونسى، والدسوقى، والطنطاوى الخ.. خير من ندب، وخير من قام بالواجب الجديد فى العهد الجديد.

وكان رفاعة أقرب تلاميذ العطار وأحبهم إليه، وقد فرح الأستاذ بنبوغ تلميذه فى التدريس بعد تخرجه، فلبث يشمله برعايته وحسن توجيهه، فلما طلب إليه محمد على أن يختار له إماماً لإحدى فرق الجيش الجديد، أسرع فرشح رفاعة لهذا المنصب، وعين الشيخ رفاعة فى سنة ١٢٤٠ (١٨٢٤) واعظا وإماما فى آلاى حسن بك المناسترلى، ثم انتقل إلى آلاى احمد بك المنكلى.

وفى سنة ١٢٤٢ (١٨٢٦) أوفدت أول بعثة كبيرة إلى فرنسا، وهنا أيضاً طلب محمد على إلى العطار «أن ينتخب من علماء الأزهر إماما للبعثة: يرى فيه الأهلية واللياقة، فاختار الشيخ رفاعة لتلك الوظيفة[2]».

(١) يقول على مبارك، الخطط ج ١٣، ص ٥٤ «وكان له رحمه الله (يقصد رفاعة) منزلة خاصة عند الشيخ حسن العطار، فكان يشترك معه فى الاطلاع على الكتب الغربية التى لم تتداولها أيدى علماء الازهر».

(٢) المرجع السابق، ج ١٣، ص ٥٤.

سافر رفاعة ليكون إماماً للبعثة لا طالباً من طلابها ، ولكنه وهو التلميذ الأثير لأستاذ مجدد صاحب مدرسة تفكيرية جديدة قد استمع إلى كثير من أحاديث شيخه وقرأ معه كتباً فى علوم لم يدرسها فى الأزهر ولا بد أن هذه الأحاديث فى معظمها كانت تدور حول ما شاهد الأستاذ الشيخ فى رحلاته خارج مصر ، وما شاهد فى مجمع الفرنسيين فى مصر ، وهذه هى الفرصة قد واتته أن يذهب لبلاد هؤلاء الذين سمع عن علمهم ونهضتهم الشيء الكثير ، ترى هل يترك هذه الفرصة تضيع دون أن يستغلها فيتزود من فرنسا بعلوم فرنسا ؟ أنه لو ذهب وقنع أن يقوم بواجبه الدينى فيؤم المبعوثين فى الصلاة ويعظهم فى أمور دينهم ، ثم يرجع معهم وقت يرجعون ، لما لامه إنسان ، ولكن رفاعة كان ذا نفس طموحة ، وآمال عريضة ، وحب للعلم ، وشغف بالبحث ، فأعد العدة بينه وبين نفسه أن يقبل على التحصيل منذ يغادر أرض مصر ، حتى يعود إلى وطنه خيراً مما غادره ، وقد بر بوعده لنفسه ، فحصل فى فرنسا الكثير ، وكان أنبغ أعضاء بعثته ، ثم كان زعيم النهضة العلمية فى عصر محمد على ، وقائدها بعد عودته ، وهكذا « أراد الله أن يكون الامام فى الصلاة إماماً للحركة العلمية فى مصر [١] » .

وذهب التلميذ الفتى للأستاذ الشيخ يودعه ويشكره ، ويسأله النصيحة ، فدعا له الشيخ وباركه وزوده بما يزود به الأستاذ المستنير تلميذه النابغ وطلب إليه قبل أن يغادره أن يعنى منذ اللحظه الأولى بتقييد مشاهداته فى رحلته هذه ، فالشيخ كما يقول تلميـــذه « مولع بسماع عجائب الأخبار ، والاطلاع على غرائب الآثار [٢] » .

وفى يوم الخميس من شهر رمضان [٣] سنة ١٢٤٢ (١٤ أبريل ١٨٢٦) أبحرت السفينة من الاسكندرية تحمل رفاعة وزملاءه ، وفى التاسع من شهر شوال وصلت بهم إلى « مارسيليا » ، ومنذ وطأت قدما رفاعة أرض هذه المدينة ، بدأ يتعلم اللغة الفرنسية ، يقول فى رحلته « وتعلمنا فى نحو ثلاثين يوماً التهجى [٤] » .

وفى باريس قضى تلاميذ البعثة جميعاً نحو سنة وهم يقيمون معاً فى بيت واحد ، ويشتركون معاً فى دراسة مواد واحدة ، يقول رفاعة : « كنا نقرأ فى الصباح كتاب تاريخ ساعتين ، ثم بعد الظهر درس رسم ثم

---

(١) أحمد أمين ، الشيخ رفاعة الطهطاوى ، الثقافة ، العدد ٢٣٠ .

(٢) تخليص الابريز ، ص ٤ .

(٣) أخذنا هذا التاريخ عن المرجع السابق ، ص ٣٠ ، ولكن عمر طوسون ذكر فى كتابه البعثات ، ص ١٢ أن هذه البعثة غادرت مصر فى مايو ١٨٢٦ ، ووصلت الى فرنسا فى يوليو ، وسبب هذا الاختلاف أن الأمير اعتمد على تقرير المسيو « جومار » الذى نشره فى المجلة الأسيوية سنة ١٨٢٨ حيث ذكر فيه أن البعثة وصلت إلى فرنسا فى يوليو ١٨٢٦ ، ولا شك أن « جومار » يقصد أن البعثة وصلت إلى باريس — لا فرنسا — ، فى هذا التاريخ ، لأن البعثة قضت شهر يونيو وأياما من مايو فى مارسيليا .

(٤) تخليص الابريز ، ص ١٧٢ ، وان كان على مبارك فى المرجع السابق ، نفس الجزء والصفحـة قد قال ، أنه « شرع حين ركوب الباخرة من الأسكندرية فى تعلم مبادىء اللغة الفرنساوية بهمة عالية وعزيمة صادقة » .

درس نحو فرنساوى ، وفى كل جمعة ثلاثة دروس من علمى الحساب والهندسة [١] » .

وكانت هـذه الخطة ترمى إلى عزل تلاميذ البعثة ، حتى لا يفسدهم الاختلاط ، أو الحياة فى باريس ، وحتى يستطيعون التوفر على دراساتهم ليحصلوا العلوم التى يريدون على أحسن وجه ، وفى أسرع وقت ، ولكن هذه العلوم التى أوفدوا لدراستها مودعة فى بطون المؤلفات الفرنسية ، ولا سبيل إليها إلا اتقان هـذه اللغة حديثاً وقراءة وفهماً ، ولا سبيل إلى هذا الاتقـان إلا أن يختلط هؤلاء الشبان بأندادهم من الفرنسيين حتى تستقيم ألسنتهم .

أحس بهذا النقص المشرفون على البعثة ، كما أحس به أعضاء البعثة أنفسهم ، يقول رفاعة : « مكثنا جميعاً فى بيت واحد دون سنة نقرأ معاً فى اللغة الفرنسية ، وفى هذه الفنون المتقدمة ، ولكن لم يحصل لنا عظيم مزية إلا مجرد تعلم النحو الفرنساوى [٢] لهذا صدرت الأوامر بتوزيع هؤلاء المبعوثين ، فتفرقوا فى مكاتب متعـددة ، كل اثنين ، أو ثلاثة ، أو واحد . . فى مكتب مع أولاد الفرنساوية ، أو فى بيت مخصوص ، عند معلم مخصوص ، بقدر معلوم من الدراهم فى نظير الأكل والشرب والسكنى والتعليم [٣] وفى هذه المكاتب أو « البانسيونات » كان التلاميذ المصريون يقضون ليلهم ونهارهم فى التحصيل ، ولم يكن يسمح لهم بالخروج إلا فى يوم الأحد ، أو بعد ظهر الخميس ، أو فى الأعياد الفرنسية ، وكان يحدث أحياناً أن يخرج بعضهم بعد العشاء إن لم يكن يشغله درس أو واجب .

وكان رفاعة أكثرهم انهماكا فى عمله ، وأشدهم إقبالا عليه ، ولم تكن تسعفه أوقات فراغه فى النهار ، فكان يقضى معظم ساعات الليل ساهراً بين كتبه ودروسه ، يقرأ ويتفهم ويترجم ، حتى أصيبت عينه اليسرى بضعف ، ونصحه الطبيب بالراحة ، ونهاه عن المطـالعة فى الليل ، ولكنه « لم يمتثل لخوف تعويق تقدمه [٤] » .

ولم يقنع رفاعة بالكتب التى تشترى له على حساب البعثة ، فقد أحس لذة المعرفة ، فأقبل يشترى كتباً أخرى من ماله الخاص ، ثم أحس أن دروس أستاذه لا تكفى لإشباع نهمه ، فاستأجر معلماً خاصاً ظل يدرس له أكثر من سنة ، وكان يدفع له أجره من مرتبه الخاص .

أرسل رفاعة إلى فرنسا ليكون إماماً للبعثة ، ولـكن يبدو أن الأوامر صـدرت فى آخر لحظة أن يسمح له بالدراسة ، فإن أقبل ووفق ، فليوجه إلى اتقان الترجمـة ، وذلك لأن ثقافته الأزهرية فى اللغة العربية ترشحه لهذا العمل إذا ألم باللغة الفرنسية وأتقنها ، وهذا عمل واسع عريض ، لأنه غير محدود

---

(١) تخليص الابريز ، ص ١٧٢ .

(٢) و (٣) تخليص الابريز ، ص ١٧٢ .

(٤) من تقرير أستاذ رفاعة المسيو « شواليه » عنه ، المرجع السابق ، ص ١٩٦ .

فحكومة محمد على كانت مقبلة على الترجمة فى كل علم وفن : فى الهندسة والطب ، والفنون العسكرية ، والتاريخ والجغرافيا إلخ ، فواجب رفاعة إذن أن يقرأ كتبا فى كل هذه العلوم ، وأن يمرن على الترجمة فيها جميعا ، وياله من واجب شاق ! ولكن همة رفاعة كانت همة عالية ، فاستسهل الصعب ، وأقبل ووفق .

وقد ذكر رفاعة فى رحلته العلوم والفنون التى درسها ، وعين الكتب التى قرأها ، والتى ترجمها ، أو بدأ يترجمها وهو فى باريس ، ومنها نلحظ أن ثقافته كانت موسوعية ، فقد قرأ كتباً كثيرة فى مختلف العلوم مع أساتذته ، ثم قرأ كتباً كثيرة أخرى وحده ، وبرهن بهذا أنه كان يتمتع بروح جامعية حقة ، ولا عجب فقد ساعد على تزويده بهذه الروح أمور أربعـــة : المران الذى اكتسبه وهو يطلب العلم فى الأزهر ، والنفحة التى أضفاها عليه أستاذه العطار ، وحبه العجيب للعلم وشغفه بالتحصيل ، ثم نفسه العالية الطموح ، ورغبته فى إشباع هذه النفس ، وإرضاء باعثه وباعث النهضة الجديدة فى مصر ولى النعم محمد على .

وكان هناك عامل آخر ، أو حافز آخر بعث رفاعة على الجد والاجتهاد لا يقل عن العوامل السابقة إن لم يكن أقوى منها ، ذلك أن رفاعة درس دراسة دينية فى أكبر جامعة دينية ، ثم تخرج عالماً دينياً ، وكان تلميذاً لشيخ الأزهر ، كما كان قوى الإيمان متين العقيدة ، وقد راعه منذ اللحظة الأولى الفارق الكبير بين ما كانت تتمتع به ديار المسيحية من تقدم فى مختلف نواحى الحياة ، وبين ما كانت تتمتع به مصر وديار الإسلام من تأخر وخمود وجمود فى مختلف نواحى الحياة ، وخاصة فى الناحية العلمية . ورحلته مليئة بهذه المقارنات . لهذا نحس فى جهوده التى ذكرها أنه ما كان يفرغ من قراءة كتاب فى أى علم أو فن حتى يقبل على ترجمته ، يريد بذلك أن ينقل لديار الإسلام وبنيه هذا العلم الجديد علّه يبعثهم إلى نهضة جديدة تنتهى بهم إلى أن يكونوا كأبناء المسيحية حضارة ورقيا ، ولكن أنى له الوقت لترجمة هذه الكتب جميعا؟ ومع هذا فقد بدأ وترجم كتبا أو رسالات صغيرة ، ثم ترجم فصولا من الكتب الكبيرة ، وكأنى به قد ترك الباقى حتى يعود لمصر فيتم ما بدأ ، وقد فعل ، ولكن جهده جهد انسانى محدود ، ووقته وقت محدود . وهنا ترقب الفرص حتى سنحت له فعرض على محمد على مشروعه لإنشاء مدرسة الألسن ، وقد أنشئت واتسعت بعد انشائها حركة الترجمة ، واستطاع رفاعة أن يحقق بعض آماله ، ويؤيدنا فى رأينا أن معظم الكتب الأولى التى ترجمها خريجو الألسن هى الكتب التى قرأها رفاعة فى باريس ، والتى كان يتمنى أن يترجمها بنفسه[1] .

والآن ليس أحسن من أن ننقل هنا تقرير رفاعة نفسه عن الكتب التى قرأها ، وعن جهوده فى الدراسة والترجمة وهو فى باريس ، قال فى رحلته :

(١) أنظر كتابنا ، رفاعة الطهطاوى ، زعيم النهضة الفكرية فى عصر محمد على ، مجموعة أعلام الإسلام ، القاهرة ، ١٩٤٦ .

فى التاريخ : « ابتدأنا فى بيت الأفندية حين كنا معاً بكتاب سير فلاسفة اليونان [1] » فقرأناه وتممناه ، ثم ابتدأنا بعده فى كتاب تاريخ عام مختصر يشتمل على سير قدماء المصريين [2] والعراقيين وأهل الشام واليونان وقدماء العجم والرومانيين والهنود ، وفى آخره نبذة مختصرة فى علم « الميثولوجيا » يعنى جاهلية اليونان وخرافاتهم ، ثم قرأت عند مسيو «شواليه» كتاباً يسمى لطائف التاريخ ، يتضمن قصصاً وحكايات ونوادر ، ثم بعده قرأت كتاباً يسمى سير أخلاق الأمم[3] وعوائدهم وآدابهم ، ثم تاريخ سبب عظم دولة قياصرة الروم وانقراضها ، ثم كتاب رحلة « انخرسيس » [4] الأصغر إلى بلاد اليونان ، ثم قرأت كتاب «سيغور» فى التاريخ العام ، ثم سيرة نابليون ، ثم كتاباً فى علم التواريخ والانساب ، ثم كتاباً يسمى «بانوراما» العالم يعنى مرآة الدنيا ، ثم رحلة صنفها بعض المسافرين فى بلاد الدولة العثمانيـــة ، ثم رحلة فى بلاد الجزائر [5] .

فى الرياضيات : وقرأت فى الحساب كتاب « بزوت Bezoüt » وفى الهندسة الأربع مقالات الأول من كتاب « لوجندر » [6] Legendre .

فى الجغرافيا : وقرأت مع المسيو « شواليه » كتاب جغرافية يشتمل على الجغرافية التاريخية والطبيعية والرياضية والسياسية ، ثم قرأت رسالة أخرى فى الجغرافية الطبيعية مقدمة لقاموس فى الجغرافية يعنى معجم البلدان ، ثم قرات الكتاب الأول بعينه مع معلم آخر غير مسيو « شواليه » ، وقرأت أيضا مع مسيو « شواليه » جملا عظيمة من جغرافية « ملطبرون [7] » ورساله ألفها لتعليم بنته فى هيئة الدنيا ، وقرأت وحدى مؤلفات عديدة فى هذا الفن .

فى علوم وفنون مختلفة كالمنطق والفلسفة والقوانين والاجتماع والأدب والمعادن والفنون الحربية :

(١) و (٢) و (٣) و (٤) يؤيد رأينا السابق أن أربعة من هـذه الكتب التاريخية قد ترجمها رفاعه وتلاميذه فى مدرسة الألسن وهى : سير فلاسفة اليونان ، وقد ترجمه عبد الله افندى حسين أحد تلاميذ الألسن وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٢ تحت عنوان « تاريخ الفلاسفة اليونانيين » ، وتاريخ قدماء المصريين والعراقيين الخ وقد تعاون على ترجمته ثلاثة من تلاميذ الألسن هم مصطفى الزرابى ومحمد عبد الرازق وعبد الله أبو السعود ، وراجعه وقدم له رفاعه ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٤ تحت عنوان بداية القدماء وهداية الحكماء ، ثم طبع طبعة ثانية فى سنة ١٢٨٢ فى عصر اسماعيل ، وكتاب سير أخلاق الأمم الخ وقد ترجمه رفاعه وهو فى باريس وطبع فى بولاق سنة ١٢٤٩ تحت عنوان « قلائد المفاخر فى غريب عوائد الأوائل والأواخر » ، ثم رحلة « انخرسيس » وقد وزع فصولا على اثنى عشر مترجما من خريجى الألسن فى ذى الحجة سنة ١٢٦٠ لترجمته فى مدد تتراوح بين ٥ و ١٠ أشهر ، وثائق عابدين دفتر ٢٠٩٨ ، ص ١٥٣ ، رقم ٢٤ ، ٣٥ الحجة ١٢٦٠ ، من مدرسة الألسن إلى ديوان المدارس ، ولكن هذه الترجمة لم تطبع أنظر الملحق الرابع فى آخر الرسالة .

(٥) تخليص الابريز ، ص ١٨٦ .

(٦) تخليص الابريز ، ص ١٨٦ — ١٨٧ .

(٧) بدأ رفاعه فترجم فصولا من هذا الكتاب وهو فى باريس ، ثم ترجم الجزئين الأول والثالث منه بعد عودته إلى مصر

وقرأت كتاباً فى علم المنطق [١] الفرنساوى مع مسيو « شواليه » ومسيو « المونرى » ، وعدة مواضع من كتاب « ليبرترواليال » من جملتها المقولات ، وكتاباً آخر فى المنطق يقال له كتاب «قندلياق Condillac » غير فيه منطق أرسطو ، وقرأت مع مسيو «شواليه» كتاباً صغيراً فى المعادن [٢] ، وترجمته، وقرأت كثيراً من كتب الأدب فمنها مجموع «نويل» ، ومنها عدة مواضع من ديوان «ولتير Voltaire» و «رسين .Racine » و ديوان « روسو Rousseau » خصوصا مراسلاته الفارسية ·Lettres Persanes » التى يعرف بها الفرق بين آداب الأفرنج والعجم ، وهى أشبه بميزان بين الآداب المغربية والمشرقيـة ، وقرأت أيضاً وحدى مراسلات انكليزية وصنفها « القونت شسترفيلد» لتربية ولده وتعليمه ، وكثيراً من مقامات الفرنساوية وبالجملة فقد اطلعت فى الآداب الفرنساوية على كثير من مؤلفاتها الشهيرة ، وقرأت فى الحقوق الطبيعية : Droit naturel مع معلمها كتاب «برلماكى Burlamaqui » وترجمته ، وفهمته فهما جيدا ، وهذا الفن عبارة عن التحسين والتقبيح العقليين ، يجعله الإفرنج أساساً لأحكامهم السياسية المسماة عندهم شرعية ، وقرأت أيضاً مع مسيو « شواليه » جزئين من كتاب يسمى « روح الشرائع » ·l'Esprit des Lois مؤلفه شهير بين الفرنساوية يقال له «منتسكوا Montesquieu» وهو أشبه بميزان بين المذاهب الشرعية والسياسية ، ومبنى على التحسين والتقبيح العقليين ، ويلقب عندهم بابن خلدون الأفرنجى ، كما إن ابن خلدون يقال له عندهم أيضاً « منتسكو » الشرق أى «منتسكو الإسلام »، وقرأت أيضاً فى هذا المعنى كتاباً يسمى عقد التأنس والاجتماع الانسانى : .Le Contrat Social مؤلفه يقال له « روسو » وهو عظيم فى معناه ، وقرأت فى الفلسفة تاريخ الفلاسفة المتقدم المشتمل على مذاهبهم وعقائدهم وحكمهم ومواعظهم ، وقرأت عدة محال نفيسة فى معجم الفلسفة للخواجه « ولتير » وعدة محال فى كتب فلسفة « قندلياق » ، وقرأت فى فن الطبيعة رسالة صغيرة مع مسيو «شواليه» من غير تعرض للعمليات ، وقرأت فى فن العسكرية من كتاب يسمى «عمليات كبار الضباط » مع مسيو « شواليه » مائة صفحة ، وترجمتها ، وقرأت كثيراً فى كازيطات العلوم اليومية والشهرية التى تذكر كل يوم ما يصل خبره من الأخبار الداخلية والخارجية المسماة « البوليتيقة » وكنت متولعا بها غاية التولع وبها استعنت على فهم اللغة الفرنساوية وربمـا كنت أترجم [٣] منها مسائل علمية وسياسية خصوصا وقت حرابة الدولة العثمانية مع الدولة الموسقوبية .[٤]

---

(١) ترجم فى عصر محمد على كتاب واحد فى المنطق من تأليف « ديمرسيه » Dumarsais ترجمه خليفة محمود أحد خريجى الألسن ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٤ تحت عنوان « تنوير المشرق بعلم المنطق » .

(٢) هذا الـكتاب من تأليف « فرارد » وقد ترجمه رفاعه وهو فى باريس ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٤٨ تحت عنوان « المعادن النافعة » .

(٣) أورد رفاعه فى رحلته ، ص ١٨٨ — ١٩١ ترجمة مقالة من هذه المقالات ، وهى رسالة من جندى فرنسى كان متطوعا فى الجيش الروسى أثناء الحرب بين روسيا وتركيا .

(٤) تخليص الابريز ، ص ١٨٧ — ١٨٨ ، أنظر أيضا :
Cara de Vaux; les Penseurs de l'islam, t.V, pp. 242 — 243.

هذه هى العلوم التى درسها رفاعة والـكتب التى قرأها، وهى تدل — كما سبق أن ذكرنا — على أنه ثقف ثقافة موسوعية ، وقد كان لابد له أن يتثقف هذه الثقافة ما دام قد بعث للتخصص فى الترجمة ، حتى إذا طلب إليه بعد عودته أن يترجم فى أى علم من العلوم لبى الطالب ونفذ الأمر ، وهذا ما حدث فعلا فإنه عين بعد عودته مترجماً بمدرسة الطب ثم نقل مترجماً بمكتب طره الحربى ، ولما أنشئت الألسن كان يشرف على أعمال خريجيها الذين ترجموا كتباً فى كل هذه العلوم والفنون .

قضى رفاعة سنة فى باريس ، ثم عقد له ولزملائه امتحان فى نهاية هذه السنة ، فنجح رفاعة بتفوق ، وأرسل إليه مسيو « جومار » مدير البعثة جائزة التفوق ، وهى كتاب « رحلة أنخرسيس فى بلاد اليونان » وهو « سبعة مجلدات جيـــدة التجليد مموهة بالذهب [١] » وأرسل إليه مع الجائزة خطاباً تاريخه أول أغسطس سنة ١٨٢٧ كله تشجيع وتقدير لما بذل رفاعة من جهد ولما نال من نجاح جاء فيه « قد استحقيت هدية اللغة الفرنساوية بالتقدم الذى حصلته فيها ، وبالثمرة التى نلتها فى الامتحان العام الأخير ، ولقد حق لى أن أهنىء نفسى بإرسالى لك هذه الهدية من الأفندية النظار دليلا على التفاتك فى التعليم ، ولا شك أن ولى النعمة يسر متى أخبر أن اجتهادك ، وثمرة تعليمك يكافآن للمصاريف العظيمة التى يصرفها عليك ، فى تربيتك وتعليمك ، وعليك منى السلام مصحوباً بالمودة . . . [٢] » .

وبعد عام آخر عقد امتحان ثان فوفق فيه كما وفق فى سابقه ، وكانت جائزته فى هذه المرة كتابين من تأليف المستشرق الفرنسى « دى ساسى » وهما : « الأنيس المفيـد للطالب المستفيد » و « جامع الشذور من منظوم ومنثور [٣] » .

وفى باريس اتصل الشيخ رفاعة بكبار المستشرقين الفرنسيين ، وخاصة المسيو « سلفستر دى ساسى » و « المسيو كوسان دى برسيفال » ، ونشأت بينه وبين هذين العالمين صداقة متينة وكان كل منهما يقدر جهد الشيخ التلميذ وعلمه ، وقد تبودلت بينه وبينهم كثير من الرسائل أثبت بعضها رفاعة فى رحلته ، وقد أطلعهما قبيل سفره على مخطوطة رحلته فأعجبا بها ، وكتبا عنها تقريظاً ، وأرسل كل منهما — للمسيو « جومار » بصفته مدير البعثة — خطاباً كله ثناء وتقريظ لرفاعة وكتابه ، قال « دى ساسى »: « أن مسيو رفاعة أحسن صرف زمنه مدة إقامته فى فرنسا ، وأنه اكتسب فيها معارف عظيمة، وتمكن منها كل التمكن ، حتى تأهل لأن يكون نافعاً فى بلاده ، وقد شهدت له بذلك عن طيب نفس وله عندى منزلة عظيمة ومحبة جسيمة » [٤] .

---

(١) تخليص الابريز ، ص ١٩١ .

(٢) المرجع السابق . ص ١٩٢ .

(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٨٠ .

وقال « دى برسيفال » : « إن هذا التأليف (الرحلة) يستحق كثيراً من المدح ، وأنه مصنوع على وجه يكون به نفع عظيم لأهالى بلد المؤلف ، فإنه أهدى لهم نبذات صحيحة من فنون فرنسا ، وعوائدها ، وأخلاق أهلها ، وسياسة دولتها ولما رأى أن وطنه أدنى من بلاد أوربا فى العلوم البشرية ، والفنون النافعة ، أظهر التأسف على ذلك وأراد أن يوقظ بكتابه أهل الإسلام ، ويدخل عندهم الرغبة فى المعارف المفيدة ، ويولد عندهم محبة تعلم التمدن الأفرنجى والترقى فى صنايع المعاش ، وماتكلم عليه من المبانى السلطانية والتعليمات وغيرها ، أراد أن يذكر به لأهالى بلده أنه ينبغى لهم تقليد ذلك . وما نظر فيه فى بعض العبارات على سلامة عقله ، وخلوه من التعسف والتحامل ، وعبارة هذا الكتاب بسيطة أى غير متكلف فيها التنميق ومع ذلك فهى لطيفة . . إلخ[١] .

وبعد خمس سنوات عقد لرفاعة الامتحان النهائى ، فجمع المسيو « جومار » مجلساً فيه عدة أناس مشاهير ، ومن جملتهم وزير التعليمات الموسقوبى رئيس الامتحان[٢] ، يقول رفاعة « وكان القصد بهذا المجلس معرفة قوة الفقير فى صناعة الترجمة التى اشتغلت بها مدة مكثى فى فرنسا[٣] » .

وتقدم رفاعة إلى لجنة الامتحان بخلاصة مجهوداته فى الترجمة طول هذه السنوات الخمس ، وهى اثنتا عشرة رسالة ترجمها عن الفرنسية إلى العربية ، وهذا بيانها :—

١ — نبذة فى تاريخ اسكندر الأكبر[٤] مأخوذة من تاريخ القدماء .
٢ — كتاب أصول المعادن .
٣ — بوزنامة (يقصد تقويم) سنة ١٢٤٤ ، ألفه مسيو « جومار » لاستعمال مصر والشام ، متضمناً لشذرات علمية وتدبيرية .
٤ — كتاب دائرة العلوم فى أخلاق الأمم وعوائدهم .
٥ — مقدم جغرافية طبيعية مصححة على مسيو « دهنبلض » .
٦ — قطعة من كتاب « ملطبرون » فى الجغرافية .
٧ — ثلاث مقالات من كتاب « لجندر » فى علم الهندسة .
٨ — نبذة فى علم هيئة الدنيا .
٩ — قطعة من عمليات رؤساء ضباط العسكرية .

---

(١) تخليص الابريز ، ص ١٨٢ .
(٢) و (٣) المرجع السابق ، ص ١٩٢ .
(٤) ارجح أن تكون هذه النبذة جزء من كتاب « بداية القدماء وهداية الحكماء » الذى ترجمه فيما بعد بعض خريجى الألسن تحت اشراف رفاعه . أنظر هذا الكتاب ، الطبعة الثانية ، بولاق ١٢٨٢ ، ص ١٣٤ — ١٥٠ .

١٠ — اصول الحقوق الطبيعية التى تعتبرها الافرنج .
١١ — نبذة فى الميثولوجيا[١] يعنى جاهلية اليونان وخرافاتهم .
١٢ — نبذة فى علم سياسات الصحة[٢] .

كذلك قدم رفاعة للجنة الامتحان كراسة أخرى فيها مخطوطة رحلته إلى باريس ، وذلك لأن هذه الرحلة ليست تأليفاً كلها ، بل فيها نبذ كثيرة مترجمة فى مختلف العلوم قصد بها رفاعة إلى تقريب هذه العلوم إلى القارىء المصرى ، وشرح نهضة الفرنسيين العلمية ، ومدى إقبالهم على الدرس والتحصيل ، وفى هذه الرحلة أيضاً ترجم رفاعة الدستور الفرنسى الذى وضعه « لويس الثامن عشر » . وسماه « الشرطة[٣] » .

وفيها أيضاً ترجم بعض الأشعار الفرنسية إلى شعر عربى ، وبعض هذا الشعر لشعراء مجهولين ، وبعضه أبيات « من القصيدة المسماة نظم العقود فى كسر العود ، للخواجة يعقوب المصرى منشأ ، الفرنساوى استيطاناً[٤] » .

وقد ذكر رفاعة أنه ترجمها فى سنة ١٢٤٢ (١٨٢٦ — ١٨٢٧) أى بعيد وصوله إلى باريس بقليل ، وقد أحس رفاعة أن الشعر يفقد كثيراً من روعته إذا ترجم من لغة إلى أخرى ، فقال فى نهاية القصائد التى ترجمها : « وهذه القصيدة كغيرها من الأشعار المترجمة من اللغة الفرنساوية عالية النفس فى أصلها ، ولكن بالترجمة تذهب بلاغتها ، فلا تظهر علو نفس صاحبها ، ومثل ذلك لطائف القصائد العربية فإنه لا يمكن ترجمتها إلى غالب اللغات الأفرنجية من غير أن يذهب حسنها ، بل ربما صارت باردة[٥] . . . »

---

(١) ارجح أن تكون هذه النبذة جزء من ملحق الكتاب السابق فى موضوع « الميثولوجيا اليونانية » ترجمة محمد عبد الرازق أحمد خريجى الألسن ، المرجع السابق ص ٢٠١ — ٢٧٩ .
(٢) أرجح أن تكون هذه النبذة هى التى ضمنها رفاعة رحلته تحت عنوان « نبذة فى قانون الصحة » فقد قال فى ص ١٢٠ « ولنذكر لك نبذة من فن قانون الصحة ، وتدبير البدن ، حتى تتم فائدة هذه الرحلة ، وهذه النبذة ترجمتها فى باريس لقصد استعمال جميع الناس بمصر لها لصغر حجمها . . الخ » أنظر تخليص الأبريز ، ص ١٢٠ — ١٣٩ .
(٣) ترجمة هذا الدستور موجودة فى تخليص الأبريز ، ص ٨١ — ٩٣ وانظر أيضا ص ١٩٧ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٧٦ — ٧٩ ، وفيما يلى بعض أبيات من قصيدة الخواجة يعقوب التى ترجمها رفاعة :

أحرق العشق قلبها كاحتراق … فأتت تطفىء اللظا بالعناق
فتضامنا ضمة المشتاق … وتلاءمنا عادة العشاق
فتثنت لتخجل الغصن قدا

هذا ولم أوفق لمعرفة شىء عن هذا الشاعر يعقوب أكثر مما ذكر رفاعة ، وقد ذكر عمر طوسون ، البعثات ، ص ١٥٢ — ١٥٤ أنه كثيرا ما ذكر فى دفتر رقم ٨٧٥ (بدار المحفوظات المصرية ، وهو دفتر به حساب بعثة ١٨٢٦) اسم الخواجة يعقوب ، وأمامه مبالغ من الفرنكات شهرية ، قيمة مشروبه من النبيذ ، وقد عقب الأمير على هذا بقوله ، واننا لا ندرى من هو الخواجة يعقوب هذا ، وما هى المهمة التى كان يتقاضى عنها هذا المرتب؟ »
(٥) تخليص الابريز ، ص ٧٦ — ٧٩

ولم تقتنع لجنة الامتحان بهذه الجهود المكتوبة ورأت أن تختبره اختباراً شفهياً لتتأكد من مقدرته على الترجمة الصحيحة ، فأحضرت له بعض الكتب المطبوعة فى بولاق ، فترجم بعض فقراتها بسرعة ، «ثم قرأ بالفرنساوى مواضع منها ما هو صغير ، ومنها ما هو كبير فى كازيطة مصر المطبوعة فى بولاق[١]» (يقصد الوقائع المصرية).

وبهذا تم اختباره فى الترجمة عن العربية إلى الفرنسية ، ثم أعطته اللجنة النص العربى للرسالة التى ترجمها عن « عمليات رؤساء الضباط العسكرية » وأمسك أحد أعضاء اللجنة بالنص الفرنسى ، وأعاد رفاعة ترجمة النص الذى بيده إلى الفرنسية ، والممتحنون يقابلون بين ما يقول وبين النص الأصلى الذى بأيديهم ، ووفق فى ترجمته ، وقررت اللجنة « أنه تخلص من هذا الامتحان على وجه حسن ، فأدى العبارات حقها من غير تغيير فى معنى الأصل المترجم[٢] » ، ولكنها أخذت عليه أنه « ربما أحوجه اصطلاح اللغة العربية أن يضع مجازاً بدل مجاز آخر ، من غير خلل فى فى المعنى المراد ، مثلا فى تشبيه أصل علم العسكرية بمعدن مشبع يستخرج منه كذا ، غير العبارة بقوله علم العسكرية بحر عظيم يستخرج منه الدرر ، وقد اعترض عليه فى الامتحان بأنه بعض الأحيان قد لا يكون فى ترجمته مطابقة تامة بين المترجم والمترجم عنه ، وأنه ربما كرر ، وربما ترجم الجملة بجمل ، والكلمة بجملة ، ولكن من غير أن يقع فى الخلط ، بل هو دائماً محافظ على روح المعنى الأصلى ، وقد عرف الشيخ الآن أنه إذا أراد أن يترجم كتب علوم ، فلابد له أن يترك التقطيع ، وعليه أن يخترع عند الحاجة تغييراً مناسباً للمقصود[٣] » .

وبنفس الطريقة اختبر فى كتاب آخر مما ترجمه وهو « مقدمة القاموس العام المتعلقة بالجغرافية الطبيعية » ، ولاحظت اللجنة أن ترجمة هذا الكتاب ضعيفة ، ولكنها التمست لرفاعة العذر لأنه ترجمه بعيد وصوله إلى فرنسا ، ولم يكن قد وصل حينذاك إلى « درجته الآن فى اللغة الفرنساوية » ، ولهذا كانت ترجمته لهذا الكتاب أضعف من ترجمته للكتاب السابق ، « وكان عيبه أنه لم يحافظ على تأدية عبارة الأصل بجميع أطرافها ، وعلى كل حال فلم يغير فى المعنى شيئاً بل طريقته فى الترجمة كانت مناسبة[٤] » وتفرق الممتحنون أخيراً وهم مجمعون على اتقانه صناعة الترجمة وعلى « أنه يمكنه أن ينفع فى دولته بأن يترجم الكتب المهمة المحتاج إليها فى نشر العلوم ، والمرغوب فى تكثيرها فى البلاد المتمدنة . . .[٥] » .

اجتاز رفاعة الامتحان بعد أن قضى فى فرنسا ٥ سنوات طوال أقبل فيها على الدرس والتحصيل إقبال الطالب المجد المحب لعمله ، وقد قرأ فى هذه السنوات كتباً شتى فى علوم متباينة ، وترجم الكثير من هذه الكتب ، ولكنه — متأثراً بميله الخاص وبدراسته الأدبية الأولى فى الأزهر — شغف أكثر

---

(١) و (٢) المرجع السابق ، ص ١٩٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٩٤ .

(٤) و (٥) تخليص الابريز ، ص ١٩٤ .

ما شغف بعلمى التاريخ والجغرافيا ، ورشح نفسه لترجمة هذين العلمين ، فهو يقول فى خاتمة رحلته : « وإن شاء الله تعالى بأنفاس ولى النعم يصير التاريخ على اختلافه منقولا من الفرنساوية إلى لغتنا . . فقد تكفلنا بترجمة علمى التاريخ والجغرافيا بمصر السعيدة بمشيئة الله تعالى ، وبهمة صاحب السعادة محب العلوم والفنون حتى تعد دولته من الأزمنة التى تؤرخ بها العلوم والمعارف المتجددة فى مصر مثل تجددها فى زمن خلفاء بغداد . . .[١] » .

فى رمضان سنة ١٢٤١ غادر رفاعة الاسكندرية مرتحلا إلى فرنسا وفى رمضان سنة ١٢٤٦ غادر باريس عائداً إلى مصر . خمس سنوات كاملة تغير فيها الشيخ عقلا وعلماً وتفكيرا وآمالا ولكنه لم يتغير بل لم يتأثر ديناً وأخلاقاً ، يقول على مبارك « ولم تؤثر إقامته بباريز أدنى تأثير فى عقائده ، ولا فى أخلاقه وعوائده . . .[٢] » .

وفى الاسكندرية تشرف بمقابلة ابراهيم باشا فرحب به لأنه سمع عنه ثناء جا أثناء زيارته لباريس ، ولأنه كان يعرف أسرته فى طهطا معرفة وثيقة ، وفى ختام المقابلة وعده ابراهيم باشا « بدوام الالتفات إليه[٣] » ، وأنعم عليه بستة وثلاثين فداناً فى الخانقاه فكانت أول مكافأة نالها رفاعة على جده واجتهاده وأول الغيث طل .

وسافر إلى القاهرة وحظى بمقابلة ولى النعم محمد على باشا ، وكان محمد على قد عرفه معرفة أكيدة من تقارير «مسيو جومار» الكثيرة عنه ، وكلها مدح وتقريظ لجهوده وتقدير لعمله ، وفى هذه المقابلة لقى رفاعه من مولاه كل عطف وتشجيع « ورأى من ميله إليه ماحمله عل الثقة بنجاح المبدأ والنهاية[٣] » وصدر أمره العالى بتعيينه مترجما بمدرسة الطب فكان أول مصرى يعين مترجما بهذه المدرسة فقد كانت هيئة المترجمين جميعاً حتى ذلك الوقت من السوريين كما سبق أن ذكرنا ، لهذا لم يلبث رفاعة أن تفوق عليهم فى عمله ، فهو يتقن العربية اتقانا لا يدانيه فيه أحد من هؤلاء المترجمين السوريين وهو يجيد الفرنسية مثلما يجيدونها وترجمته فى النهاية صحيحة سليمة لا تحتاج — كترجمة السوريين — إلى مراجعة أو تصحيح شيخ من شيوخ الأزهر المحررين بالمدرسة .

لبث رفاعه مترجما فى مدرسة الطب نحو سنتين ، ولكنه يبدو أنه كان فى هذه المدرسة مصححاً ومحررا أكثر منه مترجما إذ لم يعرف أنه ترجم فى الطب غير الرسالة[٤] الصغيرة التى ترجمها وهو فى باريس

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٤٤ .

(٢) الخطط التوفيقية ، ج ١٣ ، ص ٥٤ .

(٣) على مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج ١٣ ، ص ٥٤

(٤) ذكر صالح مجدى فى حلية الزمن أن رفاعة ترجم فيما ترجم . رسالة فى الطب . وليس فى كتب رفاعة التى طبعت رسالة بهذا العنوان ؛ أنظر أيضا الرافعى ، عصر محمد على ، ص ٥١٤ .

وضمنها رحلته . ولكنه قام فى هذه الفترة بمراجعة كتاب «التوضيح لألفاظ التشريح » فى الطب البيطرى [١] ، الذى ترجمته يوسف فرعون وصححه مصطفى كساب ، فقد قرر مجلس الجهادية فى ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٢٤٨ « بناء على ما ورد على مجلس المشورة فى مدرسة الطب البيطرى الموافقة على طبع كتاب التشريح الذى ترجم بعد مراجعة الترجمة بمعرفة الشيخ رفاعة افندى وهرقل البيكباشى واتضاح صحتها . . . [٢] » وقد ذكر فى خاتمة الكتاب أنه تم ترجمة فى التاسع عشر من شعبان سنة ١٢٤٧ وأنه تم طبعاً فى بولاق فى غرة صفر سنة ١٢٤٩ [٣] وفى سنة ١٢٤٩ نقل رفاعة من مدرسة الطب ليكون مترجما بمدرسة الطوبجية [٤] بطرة خلفاً للمستشرق الشاب «كنيك Kening » وفى هذه المدرسة قام رفاعة بترجمة بعض الكتب الهندسية والجغرافية اللازمة لمدرسة الطوبجية وغيرها من المدارس الحربية ، فأتم أولا ترجمة كتاب مبادىء الهندسة [٥] الذى طبع فى سنة ١٢٤٩ .

أما علم الجغرافيا ، وهو العلم الحبيب إلى رفاعة منذ كان يتلقى العلم فى باريس ، فقد كان علماً هاماً وضرورياً لتلاميذ المدارس الحربية ، ولم يكن فى متناول أيديهم حتى ذلك الحين كتاب واحد فى هذا العلم باللغة العربية أو التركية ، فأشار « سكورابيك » Don Antoni de Seguera ناظر المدرسة بأن يعيد طبع كتاب « الكنز المختار فى كشف الأراضى والبحار » ، وهو كتاب جغرافى صغير سبق أن طبع فى مالطة غير أن رفاعة وجد أن عبارة الكتاب « مالطية وحشية » فأعاد تصحيحها وتحريرها حتى خرجت الطبعة الثانية « بالنسبة للعبارة أظرف من طبعة مالطة وأجمل » ومع هذا فإن رفاعة لم يقنع بأن يعتمد على جهود غيره ، وقد كان فى عزمه منذ عاد من البعثة أن ينقل كتب الجغرافية التى قرأها إلى العربية ، فبدأ بترجمة كتاب خاص أسماه « التعريبات الشافية لمريد الجغرافية . وهو كما يتضح من مقدمته أصول دروسه فى هذا العلم تخيرها من كتب فرنسية مختلفة — لا من كتاب واحد — وألقاها على تلاميذ مدرسة خاصة أنشئت فيما يبدو ملحقة بمدرسة طرة لتدريس علم الجغرافية ولتخريج مدرسين مختصين فى هذا العلم يتولون تدريسه فى المدارس الحربية الأخرى .

(١) كانت مدرسة الطب البيطرى قد نقلت فى ذلك الوقت من رشيد الى أبى زعبل لتكون ومدرسة الطب البشرى تحت اشراف واحد

(٢) الوقائع المصرية ، العدد ٤٤٦ ، غرة جمادى الآخرة سنة ١٢٤٨ .

(٣) التوضيح لالفاظ التشريح ، ص ٢٩١ — ٢٩٢

(٤) صالح مجدى ، المرجع السابق ، ص ١٥ ، وانظر تفصيلات وافية عن هذه المدرسة فى عزت عبد الكريم : المرجع السابق ص ٤٠٣ — ٤١٨ .

(٥) طبع هذا الكتاب طبعة ثانية فى ١٢٥٩ وثالثة فى ١٢٧٠ فى مطبعة المهندسخانه ، وقام بتنقيح الطبعة الأخيرة « برعى أفندى » وبتصحيحها الشيخ الدسوقى ، أنظر الطبعة الثالثة ، ص ٣ — ٤ .

لم تشر المراجع التى كتبت عن تاريخ التعليم فى عصر محمد على إلى هذه المدرسة ولكن بعض وثائق العصر أشارت إلى وجودها وأيد هذا الوجود رفاعة نفسه فى مقدمته للكتاب السابق الذكر ، فقد صدر أمر من محمد على باشا إلى ناظر الجهادية فى ١٤ جمادى الآخره سنة ١٢٥١ (قبيل إنشاء مدرسة الألسن) بتعيين (عباده) مدرساً للجغرافيا بمكتب البيادة بدمياط ، وهو ضمن الأربعة المتممين السابق ارسالهم لطره للقيام بتدريس (يقصد تعلم) الجغرافيا بمدرستها ، وهم من الذين رباهم الشيخ رفاعة، وارسال ١٠ شبان للشيخ لتربيتهم » . [١]

وهذه كما يتضح من الأمر السابق لم تكن مدرسة بالمعنى الصحيح ، ولكنها لم تعد أن تكون فصلا ملحقاً بمدرسة المدفعية خصص لتعليم بعض الطلبة علم الجغرافية . ليتخرجوا مدرسين لهذا العلم فى المدارس الحربية الأخرى ، غير أن رفاعة يسمى هذا الفصل مدرسة ، ويذكر أنها أنشئت بموافقة «مشورة الجهادية» لتعليم الجغرافيا والتاريخ ، فلا بأس اذن من أن نحاول شرح الأسباب التى أدت إلى فتح هذا الفصل أو المدرسة ، فإنها فى نظرى النواة التى نشأت عنها مدرسة الألسن بعد قليل .

لم يكن رفاعة على اتفاق مع (سكورابيك) ناظر المدسة ، فقد عرف هذا الرجل باعتداده الزائد بنفسه ، وبحدة طبعه ، وبعدائه للفرنسيين ، وبالتالى للمثقفين ثقافة فرنسية ، فهو أسبانى الأصل ، وكان — قبل حضوره إلى مصر — ضابطاً برتبة (كولونيل) فى سلاح المدفعية فى الجيش الأسبانى ، واليه كما يقول الدكتور عزت عبد الكريم « يرجع الفضل فى إنشاء المدفعية المصرية ، ومدرسة المدفعية بطره » ، غير أنه للأسباب السابق ذكرها كان يرفض أن يستمع لأوامر مختار بك مدير المدارس ، كما كان يكره سليمان باشا مفتش الحربية كرها شديدا ، ويطعن فى معارفه العسكرية ، وخاصة فى فن المدفعية ، وقد أدت هذه السياسة ، وهذا الخلق ، إلى عزله فى سنة ١٨٣٦ (١٢٥١) ، ففى تلك السنة صدرت أوامر محمد على بتكوين لجنة لتنظيم التعليم فى مصر ، ورأت اللجنة أن يكتب كل عضو فيها اقتراحاته ، ثم يجتمع الأعضاء فينظرون فى هذه المقترحات مجتمعين ، ولكن « سكورابيك » رفض وحده هذا الرأى ، قائلا أنه لا يخضع لرأى غيره ، ولا يعمل إلا مايراه هو ، « فكان ذلك سبب عزله لاعتباره أجنبياً عن مصلحة الجناب العالى وليس من العقل اتيان الأجنبى المتجنب على المصالح ، كما كان عزله سبباً فى طاعة بقية نظار المدارس ، فانصرفوا ينفذون القرار ، ويدونون مقترحاتهم [٢] » .

لم يكن من المنتظر إذن أن تحسن العلاقات بين رفاعة وبين هذا الناظر المتعجرف وكان رفاعة قد

(١) تقويم النيل ، ج ٢ ، ص ٤٥١ .

(٢) عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٤١٥ — ٤١٦ ، (عن وثائق عابدين ، دفتر ٢١٢ ، معية ، ص ٣٩ ، رقم ١٧٧ إلى الباشا السر عسكر ، فى ١٩ رمضان ١٢٥١) .

شغف منذ كان طالباً فى باريس بدراسة وترجمة علمى التاريخ والجغرافيا ، ورسم لنفسه أن يقوم بترجمة الكتب فيهما بعد عودته ، فقد قال فى رحلته « وإنشاء الله تعالى بأنفاس ولى النعم يصير التاريخ على اختلافه منقولا من الفرنساوية إلى لغتنا ، وبالجملة فقد تكفلنا بترجمة علمى التاريخ والجغرافيا بمصر السعيدة ، بمشيئته تعالى ، وبهمة صاحب السعادة محب العلوم والفنون . . »[1] ، فلعله رفع — وهو يدرس الجغرافيا بمدرسة طرة إلى محمد على باشا ، أو إلى مشورة الجهادية اقتراحه بأن ينشىء مدرسة لتدريس هذين العلمين وترجمتهما ، ولعل المشورة وافقت على إنشاء هذا الفصل كتجربة فإذا تبين نجاحه أكملته ، وزادت فى اختصاصه ، يقول رفاعة فى مقدمة « التعريبات الشافية » موضحاً لهذه الفكرة ، وداعياً لها ، ومبيناً للغرض من ترجمة هذا الكتاب ، وطريقة ترجمته : « . . لما سمحت مشورة الجهادية ، ذات الآراء السنية الذكية ، أن أفتتح لفنون الجغرافيا والتاريخ مدرسة تكون على قراءة هذه العلوم مؤسسة ، لتشتهر ثمراتها الزاهرة ، فى أيالات أفندينا الفاخرة العامرة ، فإن ذلك مما تدعو الحاجة إليه ويتأكد العمل به والوقوف عليه ، لاسيما لأرباب الدولة والسياسة المدنية ، وأصحاب التدبير والإدارة الملكية ، وأصول أهل المناصب وضباط الطوائف العسكرية ، وكامل ذوى الصنايع والحرف والمهمات التجارية ، فكل من تأمل فيها وعرف ، رقى فيها إلى أعلى مراتب الفضل والشرف ، على أن كثيراً منها ما تبنى عليه أحكام شرعية ، وحكم وآداب عرفية وقوانين بين سائر ملوك البرية ، فهو لمثل هذا الغرض ، يعد عند أرباب الصناعة من المفترض ، أخذت عدة تلامذة لهذا المعنى الممدوح ، وتوجهت بالقلب والقالب لتعليمهم بصدر مشروح ، وليس بيدى من كتب الجغرافيا شىء باللغة العربية يحتوى على التفصيل والترتيب على نسق ما فى الكتب الأفرنجية ، فلهذا اعتمدت كتاباً موجزاً فى هذا الفن النفيس موضوعاً لمدارس مبادىء العلوم بمدينة باريس ، وشرعت فى ترجمته درساً بعد درس لهذا القصد حتى لايضيع السعى ولا يخيب الجد ، ولما رأيت أن مؤلفه أطنب فى أوربا لكونها وطنه ، وأوجز فى غيرها حيث لم تكن داره ولا سكنه ، فبهذا الوصف لايكون لنا كافياً ، ولا لغليل المتطلعين إليه شافياً ، وكنت أطلعت على غيره من كتب العلوم الجغرافية ، ومارست كثيراً منها ، وراعيتها حق رعايتها مدة إقامتى بمملكة الفرنساوية ، أردت أن أتم المرام بتلخيص مايناسب المقام ، حتى تحصل الموازاة والموازنة ، والمعادلة والمقارنة . . » إلى أن قال « وإنشاء الله يترجم من اللغة العربية إلى اللغة التركية ، حتى تكون ثمرته عامة جلية ، وأسأله تعالى أن يجعله من المؤلفات المطلوبة والمصنفات المرغوبة فى سائر مدارس أفندينا الناجحة . . الخ »[2] .

(١) تخليص الابريز ، ص ٢٤٤ .

(٢) ص ٣ — ٤ ، وقد طبع هذا الكتاب فى ١٢٥٠ ، ثم أعيد طبعه فى ١٢٥٤ ، وقد أضاف إليه رفاعة ملحقاً فى =

ولعل الأمر الصادر من محمد على فى ٥ ذى الحجة سنة ١٢٤٩ « بطبع ألف نسخة من كتاب الجغرافيا المترجم عن الفرنسية للعربية بمعرفة الشيخ رفاعة » ، خاص بذلك الكتاب فقد تم طبعه فى سنة ١٢٥٠ ، وهو أول ما ترجم من الكتب الجغرافية . وقد أشير فى نفس الأمر إلى طبع « ألف نسخة من الأطلس بعد إتمام ترجمته بمعرفة المذكور » وذلك « لما فى هذين الكتابين من المنفعة الكلية التى تعود على تلامذة المدارس » ، غير أنى لم أعثر فى فهارس الكتب العربية المطبوعة على أثر لهذا الأطلس[1] ، فلعله لم يتم ترجمة ، أو لعله ترجم ولم يطبع .

انتهى رفاعة من ترجمة هذا الكتاب فى الشهر الأخير من سنة ١٢٤٩ ، ثم أسلمه للمطبعة فى أوائل ١٢٥٠ ، فطبع ، وكان قد قدم للمطبعة فى هذه السنوات الثلاث التى مرت منذ عودته من فرنسا (١٢٤٦ — ١٢٤٩) كتابين مما ترجم وهو فى باريس ، وهما :

١ — كتاب المعادن النافعة ، تأليف « فرارد » وهو رسالة صغيرة فى ٤٧ صفحة من القطع المتوسط ، ذكر رفاعة فى خاتمته أنه ترجمه « بمشورة جناب مسيو جومار » ناظر الأفندية بباريس ، ومحب الديار المصرية وعزيزها ولى النعم » ، وقد تم طبع هذا الكتاب فى بولاق فى شوال سنة ١٢٤٨ .

٢ — « قلائد المفاخر فى غريب عوائد الأوائل والأواخر » وهو رسالة صغيرة أيضاً تقع فى ١١٢ صفحة من القطع المتوسط ، ذكر رفاعة أنه ترجمها إجابة لطلب المسيو « جومار » فقد قال فى مقدمته ص ٥٣ « قد اشتهر بين الخاص والعام أن طائفة الافرنج قد امتازت الآن بين الطوائف بالتجارات والمخالطة لسائر البلاد ، بل لقد اتخذت معرفة البلاد وأحوالها سبباً ، وانتخبت بذلك نخباً ، فاتسعت معارفها ، فى الجغرافيا والميقات ، ولا زالت فى الزيادة فى العلوم على سائر الأوقات ، فلا سبيل حينئذ فى معرفة أحوال البلدان والخلائق إلا بنقلها عمن حققها من الافرنج ، ولاشك أن من أعلم الأفرنج وأحكمهم طائفة الافرنسيس ، فإنها الآن بلاد الفنون والمصانع من غير شك وتلبيس ، ولما كان للفقير معرفة هذه اللغة وفيه ملكة مطالعة عظيم كتبها وتمييز الغث من الثمين طلب منى الخواجة « جومار » مدير تعليم الأفندية المصريين المبعوثين من طرف حضرة ولى النعمة إلى باريس كرسى الفرنسيس أن أترجم إلى العربية كتاباً لطيفاً يسمى بما معناه ديوان قلائد المفاخر . . الخ فأجبته لذلك علماً بأنه نصوح فى محبة أفندينا ولى النعم ، ومحب لبلاد مصر كأنها وطنه . . . ولما كان هذا الكتاب غير مقصور على مجرد نقل العوائد ، بل هو

= القسموغرافية أى علم هيئة الدنيا » وأضاف اليه فى آخره قائمة بالألفاظ الاصطلاحية المستعملة فى الجغرافيا مرتبة على حروف المعجم شأنه فى كثير من الكتب التى ترجمها — وذلك كما يقول لتسهيل هذا الفن على الطالب ، وفى نهايته لوحتان بهما صور إيضاحية .

(١) ذكر Lindsay, Letters on Egypt, Edom and the Holy L,and vol 2. p. 50. أن أقيم كتاب طبعه الباشا هو الأطلس العربى الذى نقل عن نسخة طبعتها الارسالية الدينية فى جزيرة مالطة .

مشتمل على استحسان واستقباح بعضها أشار على مدير التعليم المذكور أن أحذف ما يذكره مؤلف الكتاب من الحط والتشنيع على بعض العوائد الإسلامية ، أو مما لا ثمرة لذكره فى هذا الكتاب .. الخ» .

وقد ذكر رفاعة فى خاتمة الكتاب أنه أتم ترجمته فى يوم الاثنين من العشر الأوائل من جمادى الآخرة سنة ١٢٤٥ — أى وهو فى باريس — ، وأنه تم طبعاً فى بولاق فى غرة شعبان سنة ١٢٤٩ [١] .

ولم يذكر رفاعة — فى المقدمة أو الخاتمة — اسم مؤلف الكتاب ، وقد رجح مسيو بيانكى Bainchi أنه من تأليف Depping فقد قال عند ذكر هذا الكتاب فى قائمته Ceci est, je pense, l'ouvrage de Depping, intitulé : "Mœurs et usage des nations."

وقد أكد رفاعة هذا الترجيح ، فقد أورد فى رحلته ترجمة رسالة وصلته قبيل عودته إلى مصر من المستشرق الفرنسى مسيو « رينو Reinaud » جاء فيها « . . . قد حملنى مسيو «دبنغ» أن أسأل عن ترجمتك لكتاب العلوم الصغيرة المشتمل على أخلاق الأمم وعوائدهم وآدابهم ، لأن مسيو « دبنغ » مؤلف هذا الكتاب ، فإذا كانت ترجمتك تنطبع فى مصر ، هل يتيسر لمؤلف الأصل أن يقيد اسمه لتحصيل عدة نسخ من هذا الكتاب بالشراء . . . [١] » .

وهكذا كان رفاعة بعد عودته ، كما كان قبل عودته ، دائم العمل دائب النشاط ، فقد استطاع فى السنوات الثلاث التى تلت عودته أن يراجع كتباً مترجمة فى الطب والجغرافية ، وقدم للمطبعة كتابين مما ترجم فى باريس ، أحدهما فى علم المعادن ، والثانى فى علم الاجتماع ، وترجم كتابين جديدين طبعا أيضا فى بولاق ، أولها فى الهندسة ، وثانيهما فى الجغرافية ، واستطاع بعد هذا كله أن يوفق لفتح مدرسة صغيرة تولى وحده فيها تدريس على التاريخ والجغرافيا .

وفى أوائل سنة ١٢٥٠ ظهر فى مصر مرض الطاعون ، وانتشر فى القاهرة وكثير من البلدان الأخرى فطلب رفاعة أجازة وسافر إلى بلده طهطا ، ولبث هناك نحو ستة أشهر ، زار فى خلالها الأهل والأقارب ولكنه لم ينعم فى خلالها بالراحة ، بل حمل معه الجزء الأول من جغرافية ملطبرون Malte Brun وكان قد بدأ فترجم منه صفحات وهو فى باريس ، فأكمل ترجمة الجزء الأول كله ، يقول فى المقدمة «وكان ذلك فى نحو سبعة أشهر مع تراكم غيره من الأشغال على . من ترجمة هندسة ، أو طبع ما كان وقت تعريبه بين يدى » ويتضح من مقدمة هذا الجزء أن رفاعة عرض على محمد على رغبته فى ترجمة هذا الكتاب فطلب منه الباشا أن يترجم هذا الجزء فى مدة لا تزيد عن هذه الشهور السبعة ، ولهذا بذل رفاعة الجهد كل الجهد ليفى بوعده ، وقد فعل ، وذلك «قصدا لكسب رضاء ولى النعم الأكرم ، الذى أمر بترجمته فى نحو هذا الزمن

(١) ص ١١١ — ١١٢ .

(٢) تخليص الابريز ، ص ١٨٥ .

وختم» [١] وقد عاونه فى تبييض الكتاب وتحريره أثناء الترجمة الشيخ محمد هدهد الطنتدائى ، «فقام بواجبات هذه الوظيفة وزيادة من غير ارتياب ، وربما تصرف بعد مشاورتى فى بعض عبارات ، وأشار على بتغيير مايظن أنه يعسر فهمه ، على من لم يسبق له فى هذا الفن علمه ، فأجبته حيث قام عندى على صحة ذلك إمارات .» إلخ [٢]

تقدم رفاعة بهذا الجزء من الجغرافيا العمومية إلى محمد على ، فحاز الكتاب القبول وحاز رفاعة الرضاء فقد كان محمد على معنيا منذ بدأت حرب الشام الأولى بالكتب والمصورات الجغرافية ، يريد أن يعرف — وهو يبنى ملكه الجديد — أين هو من الشرق القديم المنحل ، وأين هو من الغرب الجديد الناهض ، وفى الوثائق المعاصرة شواهد كثيرة على هذه العناية . فقد كتب سامى بك إلى الديوان الخديوى فى ١٢ جمادى الأولى سنة ١٢٤٨ يخبره برغبة الجناب العالى فى الاطلاع على خرائط الشام والأناضول ، وبوجوب استدعاء أرتين افندى للتفتيش على هذه الخرائط فى خزينة الأمتعة ، أو فى خزينة القصر العينى ، أو فى أى محل آخر [٣] .

وبعد عشرة أيام من هذا الخطاب (٢٢ جمادى الأولى) صدر أمر من محمد على إلى حبيب افندى أشار فيه إلى أنه سبق أن طلب منه « خرائط رسم عن بر الشام والأناضول » وأنه علم مما ورد منه عدم وجود ذلك » . وأشار فى هذا الأمر إلى أنه متذكر وجود أطلس فلمنك ، وآخر فرنساوى به رسم جميع الكرة الأرضية ، فيجرى البحث عن هذين الكتابين بخزينة الأمتعة أو بمحل وجودها . وارسالها لطرفه متى وجدت [٤] » .

وفى ١٨ ذى القعدة سنة ١٢٤٨ كتب ابراهيم باشا إلى سامى بك يأمره « بوجوب ترجمة الجغرافيتين البرية والبحرية بمعرفة استيفان افندى وأرتين افندى ، وبوجوب حفر الخرائط اللازمة بمعرفة الشيخ أحمد العطار الذى عاد من باريز [٥] » .

(١) الجغرافيا العمومية لملطبرون ، ترجمة رفاعه ، ج ١ ، ص ٢ ، وقد سأل مسيو « رينو » الشيخ رفاعه — فى خطابه اليه قبل عودته من باريس — إن وصل فى ترجمة الجزء الأول ، وذكر له أن هذا الكتاب يطبع طبعة جديدة فيها زيادات ، أنظر تخليص الابريز ، ص ١٨٥ ، وقد أشير فى الطبعة السادسة من الأصل الفرنسى لهذا الكتاب إلى ترجمة رفاعه ، فقد ورد فى ص ٩ هامش واحد مايلى
"Depuis que nous avons terminé le précis, des traductions en ont été publiée dans plusieurs pays, entre autres une en anglais, à Edinbourg, et une en arabe au Caire." Voir ; Malte-Brun, Géographie Universelle 6 eme, édition, t,I. Paris 1853.

(٢) الجغرافية العمومية ، ج ١ ، ص ٢ — ٣ .

(٣) عابدين ، خديوى تركى ، دفتر ٧٧٨ ، رقم ١٩٩ و ٢٠٣ (أنظر أسد رستم ، بيان بوثائق الشام ، ج ٢ ، ص ١٣٤) .

(٤) تقويم النيل ، ج ٢ ، ص ٤٠٧ .

(٥) عابدين ، محفظة ٢٤٥ ، رقم ٧٣ (أنظر أسد رستم ، بيان بوثائق الشام ، ج ٢ ص ٢٩٥) .

وفى ٥ ذى الحجة سنة ١٢٤٩ صدر أمر من محمد على إلى وكيل الجهادية بطبع ألف نسخة من كتاب التعريبات الجغرافية «وكذلك ألف نسخة من الأطلس بعد اتمام ترجمته بمعرفة المذكور لما فى هذين الكتابين من المنفعة الكلية (١) » .

وفى غرة ذى القعدة سنة ١٢٥٠ ، أرسلت إلى بوغوص بك إفادة سنية ، تقضى بتقديم خريطة نهر الفرات ونواحيه إلى المقر العالى(٢) .

كانت الفرصة سانحة إذن — ومحمد على معنى هذه العناية بالدراسات والرسوم الجغرافية — أن يتقدم إليه رفاعة باقتراحه الجديد لتحقيق أمنيته القديمة . كان ذلك الاقتراح يتلخص فى أن يؤذن لرفاعة بافتتاح مدرسة للترجمة تعلم فيها الألسن الشرقية والغربية ، وبعض المواد المساعدة كالتاريخ والجغرافية والرياضة ، ليقم خريجوها بترجمة الكتب فى العلوم المختلفة .

ووافق محمد على وأنشئت المدرسة فى أوائل سنة ١٢٥٠ ، وكان عدد تلاميذها وقت إنشائها خمسين تلميذاً ، تولى رفاعة اختيارهم بنفسه من مكاتب الأقاليم ، ثم زاد هذا العدد إلى ٨٠ ، ثم إلى مائة وخمسين ونقص فى سنة ١٨٤١ إلى ٦٠ تلميذاً ، ويقول الدكتور عزت عبد الكريم «وظلت مدرسة الألسن محتفظة بنحو هذا العدد حتى نهاية عصر محمد على(٣) .

وفى سنة ١٢٥٥ (١٨٣٩) اكتملت المدرسة فأصبحت تتكون من ٥ فرق ، وخرجت الدفعة الأولى ، وبدأ تلاميذها وخريجوها يترجمون الكتب فى العلوم المختلفة .

وفى سنة ١٢٥٨ (١٨٤١) أنشىء قلم الترجمة ملحقاً بمدرسة الألسن وتحت إشراف رفاعة .

ستة عشر عاماً ظل فيها رفاعة ناظراً للألسن ، ومدرساً بها ، ومديراً لها ، ومشرفاً على قلم الترجمة ، ومصححاً لجميع الكتب التى ترجمها تلاميذه مما سنوضحه عند كلامنا عن المترجمين من خريجى الألسن .

ومع هذا فقد كان يلجأ إليه المترجمون من أعضاء البعثات فى المدارس الخصوصية الأخرى لمراجعة ما يترجمون من كتب ، فقام — وهو يدير الألسن — بمراجعة وتصحيح كتب مختلفة فى الطب والجغرافية ، والرياضيات .

ففى سنة ١٢٥٢ (١٨٣٧) ترجم محمد أفندى عبد الفتاح كتاب «تحفة القلم فى أمراض القدم» (طب بيطرى) وقابله على أصله الفرنسى العمدة الفاضل « والحجة الكامل ، من لا ينازعه فى الفصاحة منازع ، حضرة رفاعة أفندى رافع » ، وفى سنة ١٢٥٧ ترجم نفس المترجم كتاب « نزهة المحافل فى معرفة المفاصل ،

(١) تقويم النيل ، ج ٢ ، ص ٤١٩ .
(٢) معية تركى ، دفتر ٥٩ ، رقم ٣٩٨ (انظر رستم ، بيان بوثائق الشام ، ج ٢ ، ص ٥٠٤) .
(٣) تاريخ التعليم فى عصر محمد على ، ص ٣٣٢ .

«وبعد أن قام على تصحيحه الشيخ مصطفى كساب ، قابله على أصله الفرنساوى قدوة الأفاضل ، وعدة الأماثل ، اللوذعى البارع ، رفاعة أفندى رافع » .

ولما عاد السيد أحمد الرشيدى من بعثته الطبية عهد إليه ديوان المدارس بترجمة كتاب « الدراسة الأولية فى الجغرافيا الطبيعية » ، ومع امتيازه فى الترجمة ، وحذقه للغة العربية رأى ألا يقدم الكتاب إلى المطبعة إلا بعد أن يراجعه مدرس الجغرافيا ، ومترجم كتبها رفاعة أفندى ، يقول الرشيدى فى خاتمة كتابه ، ولما كمل حسب الطاقة تصحيحا ، وتم تهذيباً وتنقيحا ، رأيته يحتوى على أسماء بلاد كثيرة وأنهار ، ونحو ذلك ، لست فى ترجمتها إلى العربية قوى البضاعة ، لأنى وإن كنت درست أصول الجغرافيا بالأوروبا إلا أننى لم اتخذها صناعة ، فجزمت أن لا مرد لها إلا العمدة الفاضل والسيد الكامل ، الحاذق اللبيب ، والنحرير النجيب رفاعة أفندى معلم الجغرافيا الطبيعية ، ومن له فى هذا الفن التآليف والتراجم البهية ، فأعرضت (كذا) للديوان أن لابد من مقابلته مع هذا الهام ، فأجبت لذلك وبلغت من سؤالى المرام ، وقابلته معه على أصله مع غاية الانتباه والاتقان ... إلخ(١) . وقد طبع هذا الكتاب فى شهر ربيع الأول سنة ١٢٥٤ .

وفى سنة ١٢٥٧ ترجم أحمـد أفندى فايد المدرس بالمهندسخانة كتاب « الأقوال المرضية فى علم بنية الكرة الأرضية » ، وقام على تصحيحه الشيخ ابراهيم الدسوقى ، ثم « قوبلت ترجمته بأصله على حسب الاقتدار على يد مصطفى بهجت أفندى ، ورفاعة أفندى بأمر المختص من المعارف بالنفائس ، سعادة أدهم بك مدير ديوان عموم المدارس»(٢) .

وفى هذه الفترة أيضاً — فى سنة ١٢٥٧ — عهد إلى رفاعة بتنظيم صحيفة الوقائع المصرية والإشراف على تحريرها ، فأحدث فيها تغييرات جمة ، وخطا بها وبتحريرها خطوات واسعات ، فى تلك السنة اجتمعت لجنة مكونة من « سعادة مدير المدارس والبيك الترجمان وكانى بك ، ومحمود بك مدير الإيرادات وغيرهم » وذلك للنظر — تنفيذاً لرغبة الجناب العالى فى « وضع خطة سديدة تضمن صدور الوقائع على الوجه الأكمل كما هو الحال فى الممالك الأخرى » (٣) ، ورأت اللجنة بعد اجتماعها فى ٢٧ ذى القعدة سنة ١٢٥٧ (١١ يناير ١٨٤٢) أن الغرض من طبع الوقائع إنما هو لنشر الأخبار الحديثة على الناس حتى يستفيد منها كل إنسان ، ولا يجب الاكتفاء بنشر أخبار مصر فحسب ، وقد أصبح من اللازم إضافة بند للحوادث الخارجية فى الجريدة حتى يتقبلها الناس برغبة وشوق . وحيث أن نشر مثل هذه الأخبار يتوقف على

(١) ص ٢٣٦ .
(٢) ص ٤ .
(٣) عابدين ، وثيقة رقم ٦٥ ، دفتر رقم ٢٨٦ . شورى المعاونة ، تاريخ غرة صفر ١٢٥٨ .

قراءة الجرائد التى تنشر فى الخارج ويستوجب أن يكون الموظف المشرف على ترتيب الجريدة وتنظيمها ملماً باللغتين ، وعلى ذلك فقد تقرر إحالة أعمال ترجمة المواد المناسبة من الجرائد وعلاوة بعض قطع أدبية من الكتب الأدبية وانتخاب أخبار الملكية وترتيب الجريدة المصرية بصفة عامة على حضرة الشيخ رفاعى أفندى ناظر مدرسة الألسن ، لوجود مترجمين جاهزين فى هذه المدرسة . . . وحيث أن حضرة الشيخ رفاعى سيضع أصول الجريدة بحسب اللغة العربية فتحال أعمال إفراغ الترجمة فى قالب حسن بدون الإخلال بالأصل العربى وتنظيم المواد حسب النظام التركى على حضرة حسين أفندى ناظر المطبعة العامرة ، وحيث أن الحوادث الأجنبية معتاد تقديمها إلى الجناب العالى بعد ترجمتها إلى اللغة التركية فيكلف البك المترجم بانتخاب المناسب منها ، وإرسال صورها إلى ديوان المـــدارس ، فبهذه الطريقة يمكن نشر الجريدة أسبوعيا »[1].

وهكذا عهد إلى رفاعة تنفيذاً لهذا القرار الصادر فى ٢٧ ذى القعدة[2] سنة ١٢٥٧ أعمال ترجمة المواد المناسبة من الجرائد الأجنبية وعلاوة بعض قطع أدبية من الكتب الأدبية ، وانتخاب أخبار الملكية وترتيب الجريدة المصرية بصفة عامة ، وقد قام رفاعة بهذا العمل الجديد خير قيام ، وطبع الوقائع فى عهد تحريره لها بطابع جديد مستعيناً فى هذا بخبرة طويلة ، وثقافة فرنسية وعربية واسعة ، قدر هذا التأثير الجديد ، وهذه الجهود الفذة الدكتور ابراهيم عبده فى كتابه عن تاريخ الوقائع المصرية فقال : « وكان لمكانة رفاعة الطهطاى وأثر كبير فى تقدير الصحيفة واعتبارها ، واحترام لغة البلاد فيها ، فإن مكان اللغة قد تبدل ، فأصبحت العربية فى الناحية اليمنى تتصدر فى الجريدة صفحاتها الأربع ، وأخذت التركية مكان اليسار[3] » .

وقال أيضاً : (وقد استطاع رفاعة أن يفرض وجوده وشخصيته فى تحرير الجريدة بالرغم من تعيين الحكومة لأرتين بك مشرفاً على أخبارها الداخلية فيما بعد بحيث تمكن من إهماله والانتصار عليه . . . ومن أهم ما لاحظناه منذ تعيين الطهطاوى أن ناظر الوقائع أصبح فى المرتبة الثانية بالنسبة لمحررها ، وقد بذل رفاعة جهده فى رعاية الصحيفة ، وأضاف فيها ، وحورها تحويراً يليق بفهمه ، ويتصل بإدراكه ، واستعان فى ذلك بفئة من المحررين ، أهمهم أحمد فارس الشدياق ، والسيد شهاب الدين تلميذ العطار ومساعده[4] .

(١) عابدين ، وثيقة رقم ٥٨٤ ، دفتر ٢٠٧٣ ، ص ٨٢ — ٨٣ ، تاريخ ٢٧ ذى القعدة سنة ١٢٥٧ .

(٢) ذكر صالح مجدى ، فى حلية الزمن ص ١٥ — ١٦ أن رفاعه تولى نظارة الوقائع فى ١٢٥١ ، وأنه ظل مشرفا عليها حتى ١٢٦٧ ، والتاريخان فيما يظهر غير صحيحين لأن قرار اللجنـة صدر فى ذى القعدة ١٢٥٧ ، وفى ١٢٦٧ كان رفاعه فى السودان ناظر المدرسة بالخرطوم .

(٣) تاريخ الوقائع المصرية ، ص ٥١ .

(٤) تاريخ الوقائع المصرية ، ص ٤٧ — ٤٩ .

على أن المظهر الهام حقاً الذى ظهرت به الوقائع فى عهدها الجديد — عهد رئاسة رفاعة لتحريرها — هو التغير الوضح فى موضوعاتها « التى انتقلت فجأة من توافه الأخبار والحوادث ، والافتتاحيات الثقيلة المحشوة مديحاً وثناء للوالى بمبرر وبغير مبرر إلى موضوعات رئيسية لها خطرها لا فى الشرق وحده ، بل فى أوربا فى ذلك الوقت »[1] .

قام رفاعة بهذه الجهود الشاقة خير قيام ، وبذل لها كل وقته وتفكيره ، وكان يدفعه إلى الإخلاص فى عمله والتفانى فى أداء واجبه وازع قوى من ضميره الحى ، وحب لوطنه وبنيـــه ، وتشجيع مستمر من « ولى النعم » محمد على باشا وأولاده ، ففى سنة ١٢٦٠ أنعم على رفاعة برتبة القائمقام ، وفى ١٤ ذى الحجة ١٢٦٣ أنعم عليه برتبة أميرالاى[2] لمناسبة انتهائه من ترجمة مجلد آخر من جغرافية ملطبرون[3] ، وبهذا الانعام الأخير أصبح يدعى رفاعة بك ، بعد أن كان يدعى فيما مضى بالشيخ رفاعة ، ورفاعة افندى .

وقد أنعم عليه محمد على بمائتين وخمسين فداناً ، وأقطعه ابراهيم باشا « حديقة نادرة المثال فى الخانقاه تبلغ ستة وثلاثين فداناً »[4] ، وأنعم عليه سعيد باشا بمائتى فدان ، واسماعيل باشا بمائتين وخمسين فداناً .

وفى ١٣ ذى الحجة سنة ١٢٦٤ (١٠ نوفمبر ١٨٤٨) توفى ابراهيم باشا ، وفى ٢٧ من نفس الشهر تولى عرش مصر عباس باشا الأول ، وكان محمد على لايزال حياً يعانى من مرضه الأخير ، فلم يجرؤ عباس على

(١) المرجع السابق ، ص ٥١ ، وانظر لتفسير هذا القول افتتاحية العدد ٦٢٣ من الوقائع المصرية بتاريخ غرة ربيع آخر سنة ١٢٥٨ بعنوان « تمهيد » فقد بدأها بتفسير القول المعروف « الناس على دين ملوكهم » فى العصور المختلفة ، ثم ذكر أن الناس فى عصره كانوا يتحدثون دائما عن الأخبار الداخلية والخارجية ، « وهذا ما يسمى بالبوليتيقة ، والمتكلم فى شأن ذلك يقال له بوليتيقى ، فما كان بين الدول والملل يقال له « بولوتيقة خارجية » ، وما كان فى دولة واحـــدة مما يتعلق بانتظامها وتدبيرها يقال له بولوتيقة داخلية ، والغالب أن « الغازيتات » والوقائع هى التى تتكلم عن كل من البوليتيقا الداخلية والخارجية . . الخ » .

(٢) تقويم النيل ، ج ٢ ، ص ٥٤١ ، وقد ذكر الرافعى خطأ فى عصر محمد على ، ص ٤٨٧ أنه أنعم عليـه بهذه الرتبة فى سنة ١٢٦٢ .

(٣) هو الجزء الثالث ، ولم يطبع من هذا الكتاب إلا الجزءان الأول والثالث ، وقد يكون تفسير هذا ان الحاجة لم تكن ماسة لترجمة الجزء الثانى الخاص بأوربا ، اما الجزء الثالث الخاص بجغرافية آسيـــا فقد كان ضروريا ، ففى ربوع الشام ، وآسيا الصغرى ، وبلاد العرب — وكلها أقاليم أسيوية — كانت حروب محمد على ، وإليها كانت تنتهى آماله . والعجيب أنه لم يذكر بهذين الجزئين تاريخ طبعهما ، وإنما ذكر فى مقدمة الجزء الأول ، وخاتمة الجزء الثالث أنهما من ترجمة رفاعة بك « ناظر مدرسة الألسن وقلم ترجمة » مما يجعلنى أرجح أن الأول طبع بعد سنة ١٢٥٨ ، وهى السنة التى أنشىء فيهـا قلم الترجمة ، والثالث بعد ١٢٦٣ وهى السنة التى أنعم عليه فيها برتبة أميرالاى بمناسبة ترجمته هذا الجزء ، ويجب أن نشير هنا إلى أنه ليس صحيحا ما ذكره زيدان فى تاريخ آداب اللغة العربية ، ج ٤ ، ص ٢٥٧ ، من أن رفاعة ترجم من هذا الكتاب « أربعة أجـزاء طبعت فى بولاق » وقد ذكر عزت عبد الكريم فى كتابه « تاريخ التعليم فى عصر اسماعيل ، المجلد الأول ، ص ١٤٧ » أنه طلب من رفاعة بك أن يسرع قلم الترجمة (الذى كان يتولى نظارته فى عهد اسماعيل) فى اتمام ترجمة جغرافية « ملطبرون » التى أصدر رفاعة بعض أجزائها فى عصر محمد على ، فشكا القلم من قلة عدد المترجمين .

(٤) على مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج ١٣ ، ص ٥٤ .

تغيير ما يريد تغييره من الأوضاع القديمة ، وفى ١٢ رمضان سنة ١٢٦٥ (٢ أغسطس ١٨٤٩) انتقل محمد على إلى الرفيق الأعلى ، فاستقل عباس بالأمر .

ولم يكن عباس كجده وعمه ، بل لعله كان على النقيض منهما ، ولهذا يكاد يجمع مؤرخو عصره على وصفه بالجمود والرجعية ، فالرافعى يرى أنه كان « قبل ولايته الحكم ، وبعد أن تولاه خلوا من المزايا والصفات التى تجعل منه ملكا عظيما يضطلع بأعباء الحكم ويسلك بالبلاد سبيل التقدم والنهضة . . وبالجملة فلم تكن له ميزة تلفت الأنظار سوى أنه حفيد رجل عظيم أسس ملكا كبيراً ، فصار اليه هذا الملك دون أن تؤول اليه مواهب مؤسسه ، فكان شأنه شأن الوارث لتركة ضخمة جمعها مورثه بكفاءته وحسن تدبيره ، وتركها لمن هو خلو من المواهب والمزايا» [١] .

ويرى المؤرخ الايطالى« ساماركو : Sammarco » أن أظهر ماتتسم به حكومة « عباس عداؤه الوحشى للحضارة الأوربية ، وكرهه العنيف لجميع الأعمال التى كونت مجد جده ، والتى بذل هو كل الجهد فى تحطيمها شيئاً فشيئاً » . [٢]

ويرى الدكتور عزت عبد الكريم أن عباساً ، « أظهر منذ تولى الحكم فى مصر أنه لن يكون الحاكم الذى يتابع سياسة جدة ، ويحنو على مؤسساته ، ويؤيد نظمه [٣] . وأن سيرته فى الاصلاح الداخلى كانت فشلا متصلا ، ولا يشفع له فى ذلك أن حكمه كان قصيراً » . [٤]

والسبب الأساسى لهذا كله فى نظره يرجع إلى أن « سياسة عباس قامت على تسفيه الجهود التى بذلها محمد على وابراهيم فى ميدان الاصلاح الداخلى ، والسياسة التى اعتقد أنهما كانا يتمسكان بها ، ويدعوان اليها فى تقرير علاقات مصر بالدولة العثمانية ، والدول الأوروبية »[٥]

فإذا فهمنا سياسة عباس الأول على هذا الأساس لم يكن من العسير اذن أن نفهم لم أقفلت معظم المدارس الخصوصية فى أول عهده ، وكانت مدرسة الألسن أول مدرسة ألغيت ، وذلك أن مؤسسها وناظرها كان من المقربين لمحمد على وابراهيم الحائزين لثقتها، لهذا نشأ بين عباس ورفاعة نوع من الكراهية وسوء التفاهم . لم يوضح رفاعه نفسه ، ولم يوضح المؤرخون المعاصرون أسبابه الحقيقية مما دعا المؤرخين المحدثين إلى أن يذهبوا فى تفسيره مذاهب شتى ، فالأستاذ عبد الرحمن الرافعى بك يرى أن لكتاب رفاعة « تخليص الابريز » سبباً يتصل بنفيه ، إذ لا يخفى أنه طبع للمرة الثانية سنة ١٢٦٥ ، أى فى أوائل عهد عباس باشا ، والكتاب . يحوى آراء ومبادىء لا يرغب فيها الحاكم المستبد ، وعباس باشا الأول كان فى

(١) الرافعى ، عصر اسماعيل ، ج ١ ، ص ٩ — ١٠ ، وانظر أيضا ص ١٥ .

(٢) Sammarco, Précis de l'histoire d'Egypte, . IV, p. 4.

(٣) و (٤) و (٥) عزت عبد الكريم ، تاريخ التعليم فى عصر عباس وسعيد ، ص ٥ و ٦ ؛ وانظر أيضا Dunne, An Introduction to the History of Education in Egypt, p. 289 هذا ولم يدافع عن سياسة عباس التعليمية ، وخاصة نحو البعثات إلا المغفور له الأمير عمر طوسون فى كتابه عن هذا الموضوع ، ص ٤١٦ — ٤١٨ .

طبعه مستبداً غشوما ، فلا بد أن الوشاة قد لفتوا نظره إلى مافى كتاب رفاعة بك مما لا يروق لعباس ، فرأى أن يبعده إلى الخرطوم ليكون السودان منفى له ، ولا غرابة فى ذلك ، فلو أن هذا الكتاب ظهر فى تركيا على عهد السلطان عبد الحميد لكان من المحقق أن يكون سبباً فى هلاك صاحبه ، فمن الجائز أن يكون عباس باشا قد رأى نفى رفاعة . وأمثال رفاعة إلى السودان ، ليبعدهم ، ويبعد أفكارهم وثقافتهم عن مصر . واتخذ لنفيهم صورة ظاهرة وهى إنشاء مدرسة بالخرطوم » . [١]

أما الدكتور عزت عبد الكريم فيرى أن هناك احتمالين لابعاد رفاعة إلى السودان ، أولها سعى على مبارك « الذى عاد من أوربا مليئا بالاطماع والذى كان يحقد على رفاعة ما أصاب من مكانة ، وقد قرب عباس اليه على مبارك وأبعد رفاعة إلى السودان ، فلما خلفه سعيد قرب اليه رفاعة ، وأبعد على مبارك إلى القرم [٢] والثانى ما يحتمل أن يكون رفاعة قد لقيه من معارضة بعض المشايخ المتعصبين الذين ربما عدوه متطفلا على ميدانهم فى دراسة الشريعة والفقه [٣] .

وهذه كلها تفسيرات احتمالية أو اجتهادية تفتقر إلى سند تاريخى مادى ، وأصدق منها — فى نظرى — ما ذكره رفاعة نفسه من أنه سافر إلى السودان « بسعى بعض الأمراء بضمير مستتر بوسيلة نظارة مدرسة بالخرطوم [٤] وإن كان لم يذكر أسماء هؤلاء الأمراء ، أو ماهية الوشاية التى وشوا بها ضده .

غير أنه عاد فأشار اليهم واليها فى إيضاح مستتر فى قصيدة نظمها وهو فى السودان مستغيثا مما هو فيه بحسن باشا — كتخدا مصر — قال فيها :

وما خلت العزيز يريد ذلى ولا يصغى لأخصام لداد
لديه سعوا بألسنة حداد فكيف صغى لألسنة حداد
مهازيل الفضائل خادعونى وهل فى حربهم يكبو جوادى
وزخرف قولهم إذ موهوه على تزييفه نادى المنادى
فهل من صيرف المعنى بصير صحيح الانتقاء والانتقاد
قياس مدارسى قالوا عقيم بعصر فما النتيجة فى بعادى[٥] الخ

ويقول الأستاذ أحمد أمين بك ، « وكان الشيخ ماكرا فقد وضع القصيدة على وزن وقافية ،

لقد أسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادى[٦]

(١) الرافعى ، عصر محمد على ، ص ٤٨٩ — ٤٩٠ .

(٢) و (٣) عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٥٨ .

(٣) مناهج الألباب المصرية ، ص ٢٦٥ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٢٦٨ .

(٦) الثقافة ، العدد ٢٣٤ ،

ومهما تكن الأسباب الحقيقية فان عباسا قد أوعز فى شهر رجب سنة ١٢٦٦ إلى المجلس المخصوص برغبته ، واقترح هذا المجلس أن تؤسس مدرسة بالاقاليم السودانية إنقاذا لأولاد أهلها ، والمستوطنين بها من جحيم الجهل ، وأن يقوم على تأسيسها ونظارتها رفاعة بك ، وأن يشترك معه فى التدريس علم من أعلام النهضة العلمية التعليمية فى عصر محمد على وهو محمد افندى بيومى أستاذ الرياضيات فى المهندسخانة ورئيس أحد أقلام غرفة الترجمة ، وأنه من الجميل حقا أن نسجل لحكومة عباس أنها أول من فكرت فى إنشاء مدرسة مصرية فى ربوع السودان ، لو أنه كان خالص النية ، صادق الرغبة فى خدمة السودان وأبنائه ، ولكنه لم يكن كذلك ، وإلا فان إنشاء مدرسة ابتدائية فى الخرطوم لم يكن يستلزم أن يشرف عليها ، ويقوم بالتدريس فيها كبيرا رجال النهضة العلمية فى مصر ، رفاعة وبيومى ، ومع هذا فان قرار المجلس المخصوص أخفى الاسباب الحقيقية ، وأظهر لنا الغرض من إنشاء المدرسة فى صورة أخاذة براقة فقد ذكر فى هذا القرار أنه « لما كانت الاقاليم السودانية من البلاد الجسيمة ، ولما لم يكن قد أنشئت فى تلك الديار المتسعة مدرسة مدرسة يربى فيها أولاد مشايخها ، وغيرهم من أهلها ، وأولاد الأتراك الذين ذهبوا إلى تلك الديار ، وتوطنوا بها منذ أعوام خلت ، وكذلك أحفادهم ليتعلموا فيها الفنون والقراءة والكتابة فيزدادوا ثقافة وفطنة . ولما كان المجلس المخصوص قد تشاور فى جلسته التى عقدها أخيراً ، فقرر أمر إنشاء مدرسة بتلك البلاد بغية إنقاذ أولادها من ظلمات الجهل ، وتنويرهم بأنوار المعارف بمقتضى مراحم الذات الخديوية ، والمكارم السنية التى شملت جميع الرعايا والبرايا ، قد قر الرأى أن تفتح هذه المدرسة فى عاصمة الخرطوم ، وأن يكون نظامها موافقا لاصول المدارس المصرية ، وعلى نمط ترتيب مدرستى المبتديان والتجهيزية ، وأن يقبل ويسجل فيها نحو مائتين وخمسين غلاما من المشايخ ، والأهلين القاطنين بدنقلة ، والخرطوم ، وسنار ، وتاكه وملحقاتها ، وكذلك من أولاد الاتراك الذين توطنوا بتلك الديار ، وأحفادهم هذا ويولى عليها ناظر ملم بأصول المدارس ، ليتمكن من ترتيبها كما ينبغى ، وتنظيمها على أحسن وجه ، فاستحسن المجلس اختيار أمير الآلاى رفاعة بك الذى بديوان المدارس ناظرا للمدرسة المذكورة وإرساله إلى تلك الديار ، وانتخاب المعلمين الذين تحتاج اليهم تلك المدرسة برأى البك المشار اليه » الخ[1]

قضى رفاعة فى السودان نحو ثلاث سنوات قاسى فيها الأمرين ، لا كرهاً فى السودان . فهو القائل على لسان مصر والسودان .

نحن غصنان ضمنا عاطف الوجــــد جميعا فى الحب ضم النطاق
فى جبين الزمان منك ومــنى غرة كوكبية الانفـلاق

(١) عابدين ، دفتر رقم ١٩٥٨ ، قرارات المجلس المخصوص ، المكاتبة التركية رقم ٤ ، ص ١١٩ ، بتاريخ ١٥ رجب ١٢٦٦ أنظر تفصيل الحديث عن هذه المدرسة فى : « أول مدرسة مصرية فى السودان » للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد ، الثقافة ، العددان ، ٢٢٤ و ٢٢٥ .

إنما آلمه فى السودان شعوره بانه منفى ، وتألمه لما أصاب معظم زملائه من مرض ووفاة ، وخاصة بيومى أفندى صديقه فى باريس ومصر ، ووفيه فى الجهاد العلمى ، وصاحبه فى السراء والضراء ، يؤيد هذا قوله فى قصيدته السابق الاشارة اليها .

وحسبى فتكها بنصيف صحبى كأن وظيفتى لبس الحداد[1]

ومع ذلك فقد تذرع هناك بالصبر والايمان ، وقام بواجبه فى مدرسة الخرطوم خير قيام وتخرج على يديه بعض أبناء مصر والسودان ، وقد بث شكواه فى قصائد كثيرة تعد من أجمل ما قال من شعر ، ولم ينس أخيرا عمله الذى أحبه وأخلص له ، وهو الترجمة ، فشغل وقت فراغه بترجمة قصة « تليماك[2] » ، وقد أشار فى مقدمتها إلى ماكان يحس — وهو فى منفاه — من ألم ممض ، وكيف استعان على تحمل هذا الألم باشتغاله بترجمة هذا الكتاب ، قال « وإنما فقط لما توجهت بالقضاء والقدر إلى بلاد السودان ، وليس فيما قضاه الله مفر أقمت برهة خامد الهمة ، جامد القريحة فى هذه الملمة ، حتى كاد يتلفنى سعير الاقليم الفائر بحره وسمومه ، ويبلعنى فيل السودان الكاسر بخرطومه . فما تسليت إلا بتعريب « تليماك » وتقريب الرجاء بدور الأفلاك .

هذا هو مجهود رفاعة فى الترجمة حتى عهد إقامته فى السودان ، وله مجهود آخر فى نفس الميدان[3] وفى ميادين علمية أخرى بعد عودته فى عهدى سعيد واسماعيل ، لا نرى المجال هنا مناسباً للحديث عنها لخروجه عن موضوع بحثنا الذى جعلنا حدوده آخر عهد محمد على باشا .

غير أننا لا نستطيع أن نختم هذا الموضوع دون أن نشير إلى نقطة أخيرة تحتاج إلى المناقشة . وذلك أننا أحصينا فيما سبق جهود رفاعة فى الترجمة ، غير أنه أشار فى بعض شعره الذى قاله فى السودان إلى أنه ترجم عن « مونتسكيو » فقال :

على عدد التواتر معرباتى تفى بفنون سلم أو جهاد
وملطبرون يشهد وهو عدل ومنتسكو يقر بلا تمادى[4]

فهذه إشارة واضحة ، أكدها بعد وفاته الشيخ محمود دكشك الطهطاوى ، الذى أشرف على تصحيح الطبعة الثانية من كتاب « مناهج الألباب » ، فقد أشار فى آخره بجهد محمد بك رفاعة (حفيد رفاعة بك) وسعيه لنشر هذا الكتاب ، وأشار إلى أن همته لم تقف عند انجاز طبع هذا الأثر ، بل عزم حضرته على

(١) مناهج الألباب ، ص ٢٦٧ .
(٢) طبع هذا الكتاب فيما بعد أحد تلاميذ رفاعة بعنوان « مواقع الافلاك فى وقائع تليماك » فى بيروت (بدون تاريخ)
(٣) أنظر تفصيل هذه الجهود فى : عزت عبد الكريم ، تاريخ التعليم ، فى عصر اسماعيل المجلد الأول ، ص ١٤٠ — ١٥٥
(٤) مناهج الألباب ، ص ٢٦٦ .

إحياء باقى الكتب التى ترجمها جده عن الفرنساوية إلى العربية ، كرواية « تلماك » الشهيرة وترجمة « ملطبرون » وترجمة « منتسكو » وغير ذلك . . الخ

وأورد بعد ذلك صورة خطاب كتبه الشيخ عبد الكريم سلمان إلى حفيد رفاعة بتاريخ ١٦ جمادى الأولى سنة ١٣٣٠ ، قال فيه « فاجعل كتابى هذا غير قاصر على تقريظ عملك الجديد المفيد ، ومده إلى إيجاد ذينك السفرين (ترجمة ملطبرون وترجمة مونتسكيو)

ولقد رويت عن عمك الأعز رحمه الله أن والده الأكرم أكرم الله مثواه ترجمهما ، وإن نسختهما مجوودة ، وأسمعنى ما بقيت حافظه إلى الآن مما يبرهن على أنه طيب الله ثراه ترجمهما ، وهو :

وملطبرون يشهد وهو حبر ومنتسكو يقول ولا يمارى

وعلق على هذا الخطاب بقوله « ونحن نزف البشرى إلى الجمهور بوجود أصول هذين الكتابين فى خزانة كتب المؤلف ، وتعويل حضرة حفيده الأكرم على طبعهما إجابة لطلب فضيلة الأستاذ ، وحبا فى تعميم النفع لأبناء العصر »[١]

وغاية مانستطيع أن نقول أننا رجعنا إلى ثبت ماترجم رفاعة من كتب فى عهدى محمد على واسماعيل فلم نجد من بينها كتاباً لمونتسكيو ، وكل ما نعرفه أنه قرأ كتبه وهو فى باريس . وتأثر بها كثيرا فى بعض كتبه ، وخاصة كتاب « مناهج الألباب المصرية » ، فهو متأثر فيه بكتاب مونتسكيو « روح الشرائع » ، كذلك لم يترجم تلاميذه فى مدرسة الألسن من كتب « مونتسكيو » إلا كتاب (برهان البيان وبيان البرهان فى استكمال واختلال دولة الرومان) ، فقد ترجمه حسن افندى الجبيلى ، وكانت الترجمة تحت اشراف رفاعة ، فقد قال المترجم فى مقدمته : (ولم أغفل عن مراجعة الفاضل اللبيب ، والكامل الأريب ، الدقيق فهمه ، الكثير علمه ، سيدى رفاعة افندى فى حل بعض مشكلاته ، وفك ماعسر على فهمه من معضلاته » .

ولم ينته من ترجمته إلا فى الثانى عشر من ربيع الآخر سنة ١٢٩٠ بعيد وفاة أستاذه رفاعة ، وتم طبع الكتاب بعد ثلاث سنوات فى ذى العقدة سنة ١٢٩٣ .

لم يبق اذن إلا أن يكون رفاعة قد ترجم حقاً بعض كتب (مونتسكيو) ، وأجزاء أخرى من جغرافية (ملطبرون) — غير التى طبعت — وأن مسودات هذه الكتب ماتزال مخطوطة فى مكتبته .



(١) المرجع السابق ، ص ٤٤٩ — ٤٥٠ .

٣ — المترجمون من خريجى الألسن

أغراض المدرسة ، عدد الخريجين ، عدد الكتب المترجمة ، طريقة رفاعة فى التدريس بالمدرسة ، وفرة الانتاج وتنوعه ، اشراف رفاعة على مراجعة الكتب المترجمة ، اشتراك بعض المصححين معه ، اختيار الكتب التى تترجم ، عناية رفاعة بالكتب التاريخية ، مشروعه لترجمة مكتبة فى عصور التاريخ المختلفة ، كتب فى السير والتراجم ، الحديث عن اثنين من خريجى الألسن ، أبو السعود افندى ، ترجمة موجزة له صالح مجدى بك ، ترجمته ، جهوده فى الترجمة ، أثر رفاعة فى الرجلين وعلاقتهما به

كانت مدرسة الألسن منذ إنشائها ترمى إلى تحقيق غرضين اثنين :

(ا) اعداد مترجمين فى مختلف الفنون والعلوم .

(ب) اعداد مدرسين للغة الفرنسية فى المدارس التجهيزية والخصوصية .

وقد حققت المدرسة هذين الغرضين بهمة رفاعة التى لاتعرف الملل ، وجهده المتصل ، وملأت مصر والمدارس بالمترجمين والمدرسين ، وقد ذكر صالح مجدى بك فى كتابه (حلية الزمن) أسماء النابهين الذين نبغوا من تلاميذ رفاعة فى مدرسة الألسن ، وعدة هؤلاء سبعةوستون ، وذكر المستر (دن)[١] إن المدرسة خرجت فى مدى عشر سنوات نحو سبعين مترجماً . ويبدو لى أن خريجى الألسن منذ سنة ١٢٥٥ (وهى السنة التى تخرجت فيها الدفعة الأولى) إلى سنة ١٢٦٥ (وهى السنة التى توفى فيها محمد على) كانوا يبلغون نحو المائة ، فقد ذكر أبو السعود افندى أحد خريجى المدرسة وتلاميذ رفاعة ، أن المدرسة كان (يخرج منها كل عام عشرة)[٢] .

وقد قدر خريج آخر من خريجى المدرسة — محمد قدرى باشا —[٣] الكتب التى ترجمها خريجو الألسن — ما طبع منها وما لم يطبع — بنحو الفى كتاب .

ومهما كان عدد الخريجين ، أو عدد الكتب التى ترجمت ، فقد أشاع رفاعة فى هذا الرعيل قبساً من روحه . ونفحة من نشاطه ، فكانوا أركان النهضة فى عهد محمد على . ثم كانوا القائمين على إحيائها . والإشراف عليها فى عهد اسماعيل ، وقد أجمل رفاعة القول فى جهده وجهودهم فى مقدمته لقصة تلياك ، قال : (قد تقلدت بعناية الحكومة المصرية ، الفائقة على سائر الأمصار ، فى عصر المدة المحمدية العلوية السامى على سائر الأعصار ، بوظيفه تربية التلاميذ مدة مديدة ، وسنين عديدة ، نظارة وتعليما ، وتعديلا وتقويماً ، وترتيباً وتنظيما ، وتخرج من نظارات تعليمى من المتفنين رجال لهم فى مضمار السبق ، وميدان

---

(١) Dunne. Printing and Translations etc. p. 348

(٢) أبو السعود ، منحة أهل العصر . . الخ ، ص ٥٩ .

(٣) قدرى باشا ، معلومات جغرافية .

المعارف وسيع مجال ، وفى صناعة النثر والنظم أبهر بديهة وأبهى روية وأزهى ارتجال ، وحماة صفوف لا يبارون فى نضال ولا سجال ، وعربت لتعليمهم من الفرنساوية المؤلفات الجمة ، وصححت لهم مترجمات الكتب المهمة ، من كل كتاب عظيم المنافع ؛ وتوفق حسن تمثيلها فى مطبعة الحكومة وطبعها ، ومالت طباع الجميع إلى مطبوع ذوقها وطبعها ، وسارت بها الركبان فى سائر البلدان ، وحدا بها الحادى ، فى كل واد ، وقصدها القصاد كأنها قصائد حسان ، وكان زمنى إلى ذلك مصروفا ، وديدنى بذلك معروفا ، مجاراة لأمير الزمن (يقصد محمد على) ، على تحسين حال الوطن ، الذى حبه من شعب الإيمان . . » الخ .

ووصف على مبارك خريجى الألسن بأنهم كانوا « جميعهم فى الانشاءات نظما ونثرا أطروفة مصرهم ، وتحفة عصرهم »[1] .

وقد أخذ رفاعة تلاميذه فى الألسن بما أخذ هو به نفسه — وهو يتلقى العلم فى باريس — أى أنه أخذهم أولا — بالجد والنشاط فى التحصيل منذ اللحظة الأولى فكان « لا يقف . . فى اليوم والليلة على وقت محدود . وربما عقد الدرس للتلامذة بعد العشاء ، أو عند ثلث الليل الأخير ، ومكث نحو ثلاث أو أربع ساعات على قدميه فى درس اللغة أو فنون الإدارة والشرائع الإسلامية ، والقوانين الأجنبية » . الخ[2] ، وبهذا استطاع أن يعهد لبعض النابغين من تلاميذه بترجمة الكتب فى السنوات الأولى من إنشاء المدرسة ومن عجب ، أن نرى بعض الكتب قد ترجمت وطبعت قبل أن تخرج المدرسة دفعتها الأولى ، ففى سنة ١٢٥٢ — أى بعد إنشاء المدرسة بسنة واحدة — ظهر كتاب تاريخ الفلاسفة اليونانيين مترجما بقلم عبد الله افندى حسين الذى يقول فى مقدمته « وكنت وقت ترجمته بمدرسة الألسنة بالأزبكية » أى كان لا يزال تلميذا بها .

وبعد نحو ٣ سنوات من إنشاء المدرسة (١٢٥٤) أخرجت كتابين آخرين وهما « تنوير المشرق بعلم المنطق » ترجمة خليفة محمود ، « وبداية القدماء وهداية الحكماء » وقد اشترك فى ترجمته مصطفى الزرابى ومحمد عبد الرازق وأبو السعود ، وهم جميعا من تلاميذ المدرسة .

ثانيا — وأخذ رفاعة تلاميذه أيضا — بما أخذ به نفسه من قبل — من إقبال على الترجمة فى مختلف العلوم والفنون . فلم تعرف المدرسة ولم يعرف خريجوها التخصص[3] فى ترجمة علم بعينه ، وإنما كان يفرغ أحدهم من ترجمة كتاب فى التاريخ فيعهد اليه بترجمة أخر فى الطب . ثم ثالث فى الكيمياء ، أو فى الجغرافيا ، وهكذا ، ولكننا نلاحظ أن ميول الخريجين الخاصة . ووظائف الترجمة التى تولوها بعد تخرجهم قد وجهت كلا منهم إلى نوع من التخصص فى الترجمة ، أو التأليف فى علم من العلوم ، فاتجه محمود خليفة وأبو السعود ،

(١) و (٢) الخطط التوفيقية ، ج ١٣ ، ص ٥٤ — ٥٥ .

(٣) بين وثائق عابدين قوائم مختلفة لتوزيع الكتب على المترجمين فى مدرسة الألسن ، انظر مثلا ، دفتر ١٠٩١ (مدارس تركى) ورقة ١٠ ، رقم ٨٢ ، ودفتر ٢٠٩٨ (مدارس تركى) رقم ٢٤ ، وغيرها ، وقد أثبتنا واحدة من هذه القوائم كملحق لهذا البحث أنظر أيضا عزت عبد الكريم : التعليم فى عصر محمد على ، ص ٣٤٣ .

ومصطفى الزرابى ، ومحمد مصطفى البياع إلى ترجمة الكتب التاريخية ، واتجه صالح مجدى وأحمد عبيد الطهطاوى إلى ترجمة الكتب الهندسية والحربية ، ومحمد الشيمى ، والسيد عمارة وحسين على الديك إلى ترجمة الكتب الرياضية ؛ وعبد الله بك السيد ، ومحمد قدرى باشا إلى ترجمة الكتب القانونية ، والتأليف فيها . وهكذا .

ورغبة فى ترجمة أكبر عدد ممكن من الكتب ، وإنجاز الترجمة فى أسرع وقت ، كانت الكتب توزع على المترجمين أجزاء ، إذا كان الكتاب يتكون من أجزاء كثيرة ، أو فصولا إذا كان الكتاب جزءاً واحدا وكان يحدد لكل مترجم وقت معين لانجاز الترجمة حسب كبر الجزء أو الفصل أو صغره ، وكانت تتراوح هذه المدة بين أربعة عشر شهرا وخمسة أشهر .

وكان رفاعة يشرف بنفسه على مراجعة وتصحيح معظم الكتب ، إن لم يكن كلها ، يشهد بذلك المترجمون من تلاميذه جميعا فى مقدمات كتبهم ، فهذا عبد الله حسين يقول فى مقدمة تاريخ الفلاسفة : « فاستعنت فى مشكلات الكتاب ، وتحرير ترجمته بمدير تلك المدرسة البهية » ؛ وهذا خليفة محمود يقول فى مقدمة « اتحاف الملوك الالبا بتقدم الجمعيات فى بلاد أوربا » . « وحيث أنها باللغة الفرنساوية من مستصعبات التآليف . ومختصرات التصانيف ، استعنت فى تذليل صعابها ، وكشف نقابها بمراجعة من لسان القلم فى مدحه ووصفه قصير ، ومن أتى فى مدحه بأبدع مقال فإنما هو آت بيسير من كثير ، حضرة رفاعة افندى مدير مدرسة الألسن ، حين التوقف والحاجة إلى ذلك ، وهو أيضاً الذى صححها على أصلها ، وقابلها كل المقابلة ، فبهذا كانت خير ترجمة لا سيما من أمثالى حيث أنه لم يكن لى فى مدرسة الألسن غير سنتين ، فى اشتغالى بهاتين اللغتين . الخ » وقال فى مقدمة « اتحاف ملوك الزمان بتاريخ الامبراطور شارلكان » : « بذلت الهمة فى تعريبه ، وتنقيحه وتهذيبه ، وازداد تهذيبا بمقابلته مع رب البلاغة والتدقيق ، من أوتى فى هذا الفن مفاتيح كنوز الحقيقة والتحقيق ، حضرة رفاعة افندى ناظر قلم الترجمة الخ .

ولم يكن من المستطاع أن يقوم رفاعة بمراجعة وتصحيح كل الكتب المترجمة — على كثرتها واختلافها — بنفسه ، ولهذا أخذ — بعد حين — يشرك معه فى هذا العمل بعض مدرسى المدرسة ومصححيها ، وخاصة الشيخ محمد قطه العدوى ، قال أحمد عبيد الطهطاوى فى خاتمة كتاب « الروض الأزهر فى تاريخ بطرس الأكبر » : « يقول مترجمه ، قد صرفت فى ترجمته على صعوبته الهمة ، وسهرت فى مطالعته وفهمه الليالى المدلهمة واستعنت فيما حواه من المشكلات ، وما اشتمل عليه من المعضلات ، بمراجعة صاحب الرفعة رفاعة بك ناظر قلم الترجمة ، وتصحيح غالبه بمعرفة العلامة الشيخ محمد قطه العدوى[1] » ، وقال حسن قاسم فى كتاب « تاريخ ملوك فرنسا » : « وكان تصحيح هذا الكتاب الفائق . بمعرفة حضرة العلامة الأوحد

(١) الروض الأزهر ، ص ٣٤٧ .

سعادة الميرالاى رفاعة بك الأمجد وعلى يد المستنصر بربه القوى ، محمد قطه العدوى ، مصحح قلم ترجمة »[1]
وممن شارك مشاركة جدية فى مراجعة وتصحيح الكتب التى ترجمت فى مدرسة الألسن ، وقلم الترجمة الشيخ أحمد عبد الرحيم الطهطاوى ، كبير مصححى الألسن ، فقد عين فى المدرسة منذ إنشائها ، ولم يطبع من كتبها كتاب « إلا طالعه وتصفحه ، وقابله وصححه وهو يشتغل ليلا ونهارا »

أما اختيار الكتب التى تترجم فقد كان موكولا لرفاعة بك ، وقد بدأ كما ذكرنا فاختار لتلاميذه بعض الكتب التى قرأها ودرسها وهو فى باريس ككتاب « تاريخ الفلاسفة اليونانيين » وكتاب « بداية القدماء وهداية الحكماء » وكتاب « دى مارسيه » ، فى المنطق الذى ترجم بعنوان « تنوير المشرق بعلم المنطق » الخ .

غير أنه كان يحدث أحيانا أن يكتب ديوان المدارس إلى مدرسة الألسن مشيرا بترجمة كتب معينة ، وإذا قلنا ديوان المدارس ، فانما نعنى فى الواقع مديره أدهم بك فقد كان رجلا مثقفا واسع الثقافة وخاصة فى اللغة الفرنسية والعلوم الرياضية ولهذا نلاحظ أن معظم الكتب التى أشار ديوان المدارس بترجمتها كانت إما كتبا رياضية ، وإما كتبا فى الرحلات ، قال السيد افندى عمارة فى مقدمة كتاب « تهذيب العبارات فى فن أخذ المساحات : « قد حللت كغيرى بتلك المدرسة (الألسن) اجتنيت من ثمر اللغة العربية والفرنساوية أنفسه ، بارشاد ناسج حلة بردها ، وناظم جوهر عقدها . . العلامة السيد رفاعة افندى بدوى رافع ، فلما علم منى الرغبة فى التحصيل . . حبانى من فضله إمداده ، إلى أن بلغت المأمول وزياده ، وأمرنى عملا بما صدر من ديوان المدارس المصرية أن أترجم كتابا للمؤلف « لوكوه » يتضمن بيان المسافات ، وفن أخذ المساحات . . الخ » .

وقال سعد نعام فى مقدمة (سياحة فى أمريكا) : (قد صدر الأمر بتعريبه ، وتفسير تراكيبه من ديوان المدارس المصرية ، التى هى بكسب العلوم حرية ، بأنفاس مديرها حضرة البك المفخم ، سعادة مير اللوا ابراهيم أدهم . . الخ .

وقال ابراهيم مصطفى البياع (الصغير) فى مقدمة (سياحة فى الهند) : (هذه خدمة يسيرة ، وتعريب رحلة صغيرة ، للمؤلف « أوبير ثرولد » ، ألفها فى سياحته إلى بلاد الهند وجدت فى كتبخانة حضرة البك المفخم مدير المدارس . . سعادة أمير اللواء أدهم بك ، فصدر الأمر بترجمتها من الديوان إلى حضرة علامة الزمان ، من رقى فى مراقى الشرف أرفع محل وأعظمه ، حضرة أمير الآى رفاعة بك ناظر قلم الترجمة ، فعينى حفظه الله لترجمتها . . » الخ .

ويبدو لى أن رفاعة كان راعى رغبات وحاجات الوالى والحكومة والمدارس فى اختيار الكتب التى

(1) تاريخ ملوك فرنسا ، ص ٢٧٦ ، أنظر أيضا سياحة فى أمريكا ، ص ١١٩ ، وتهذيب العبارات فى فن أخذ المساحات ، ص ١٧٢ . . . الخ .

تترجم ، ولكنه كان يتخير الكتب التاريخية تبعاً لخطة خاصة رسمها لنفسه ، فإنه يتضح من مراجعة هذه الكتب أنه كان يريد أن يترجم كتباً مختلفة تغطى تاريخ العالم منذ أقدم العصور حتى أحدثها ، وإن كان تاريخ فرنسا قد حظى منه بعناية خاصة ، فقد ترجم فيه أكثر من كتاب ، ولعل هذا راجع لثقافة رفاعة الفرنسية ، وميله إلى هذه الدولة ، أو العلاقة التى كانت تربط بين مصر وفرنسا منذ نزلت بأراضيها الحملة ، أو لاستعانة محمد على بالفرنسيين فى إصلاحاته ، وإيثاره فرنسا بإيفاد معظم البعثات اليها .

وقد عنى رفاعة بعلم التاريخ هذه العناية ، وعهد إلى تلاميذه بترجمة الكتب الكثيرة فيه لأسباب كثيرة أولها ميله الخاص وثانيها وأهمها ما كان يحسه من شغف محمد على باشا الشديد بدراسة حوادث الأمم ، وتراجم عظماء الرجال . ورفاعة حريص الحرص كله فى كل ما يعمل على أن يرضى « ولى النعم » .

بدأ رفاعة بتنفيذ هذه الخطة ، فاختار كتاباً فى تاريخ الدول والشعوب القديمة ، من مصريين وسوريانيين وبابليين ، وأكراد ، وفرس ، ويونانيين الخ ، وعهد إلى تلاميذه فى مدرسة الألسن بترجمته ، ولما كان هذا الكتاب فى أصله الفرنسى « ناقصاً تاريخ الخليقة والعرب » ، وكان فى كتاب عماد الدين أبى الفدا سلطان حماه ما يفى بالأرب » ، فقد أضاف رفاعة إليه فصولا من هذا الكتاب « لكمال المطلوب ، وبلوغ المرغوب » والمطلوب والمرغوب ، كما رجحنا ، هو تغطية تاريخ العالم بسلسلة من الكتب ، ولهذا نراه لا يتقيد بنصوص المؤلفين عند الترجمة ، بل يبيح لنفسه إضافة أجزاء من كتب عربية قديمة ليكمل بها ما فى هذه الكتب من نقص ، وليحقق خطته التى رسمها لنفسه .

وقد كتب رفاعة مقدمة لهذا الكتاب — وهو أول كتاب تاريخى تترجمه مدرسة الألسن ، فقد طبع فى سنة ١٢٥٤ — فلسف فيها دعوته لدراسة التاريخ ، وأوضح الأغراض من دراسته ، وأشار إلى شغف محمد على بهذا العلم ، وهى مقدمة طيبة لا يشوبها — فيما نرى — إلا التزامه السجع فى فقراتها ، ولكنه كان مضطراً إلى هذا اضطراراً ، فقد كان متأثراً بتقاليد العصر الأدبية ، قال فى هذه المقدمة : « من المعلوم أن الإنسان مدنى بطبعه ، مائل إلى التأنس والعمران بأصله وفرعه ، مضطر إلى السياسة والرياسة ، وحسن الاجتماع والكياسة ، وما يكون به استجلاب كماله ، ومعرفة أسباب حفظه أو تحوله وانتقاله ، وما يكون عليه حال الملك فى نفسه أو مع رعيته ، وعمارة مدائن مملكته ، حيث احتاج إلى ذلك تنظيم المصالح وضبط المهمات على وجه راجح ناجح ، لما أنه يستنبط من ذلك كمال فوائده ، من كان تدريب التجاريب نصب مصادره وموارده ، ولا يشم ذلك إلا من للأخبار اختبر ، وللسير والتواريخ سبر ، حتى تضلع من وقائع المشارق والمغارب ، وتجرع من محيطها بأنواع الأذواق والمشارب ، ورجع عن طروق الشبه إلى أهل الذكر ، وهرع إلى طرق التاريخ بالهمة والفكر ، لما أنه يجود بذكر ما جرى عليه النسيان ، ويجيد حوادث الحدثان ، ويخرجها من حيز الخفاء إلى حيز العيان ، ولولا أن مصباح التاريخ به الاستصباح ، لأصبح ما مضى

هشيما تذروه الرياح ، فمنفعته عامة ، للخاصة والعامة ، وهو مشير كل أمير ، وأمير كل مشير ، وسمير كل وزير ، وظهير كل سمير ، إذا سئل أجاب ، وأبدى العجب العجاب ، ترتاح به الأرواح الفاضلة ، وتلتاح إليه النفوس الكاملة ، من الحكماء والأساطين ، والملوك والسلاطين ، فلذا كانت مطمح نظر الخديو الأعظم ، وملمح بصر الداورى الأفخم ، نادرة الدهر ، أنموذج الفخر ، سيد مصر ، وصاحب العصر ، مغناطيس التعجب ، صاحب اليد البيضاء التى لا توارى ، والحسنات الجمة التى لا تجارى ، من به اضمحل الظلم وتلاشى، أفندينا ولى الممالك محمد على باشا . الذى سارت الركبان بذكره فى كل ناد ، . . وتلقب بأعظم الألقاب ، لا سيما عند ملوك أوربا . أوليس أنه يلقب عندهم معيد تمدن الاسلام ،ومبيد تمكن الأوهام

ولما كان تولعه بالتواريخ شديدا ، وتطلعه لأخبار الملوك الماضين مزيدا ، وله فى معرفة فحول رجال القرون الأولى ، المادة الغزيرة واليد الطولى ، والقريحة الوقادة ، والبصيرة النقادة ، وكان تاريخ تلك العصور ، بالكتب العربيـــة فى غاية القصور ، لاسيما تاريخ اليونان ، المشتمل على فحول رجال تلك الأزمان . . وكان بمدرسة الألسن من يقوم بتعريب طرفه ، ويخرج دره من صدفه، أعطيته لعدة أفراد ، لتعريب المراد فى أقرب ميعاد . . » الخ .

وقد اشترك فى ترجمة هذا الكتاب مصطفى الزرابى افندى ، ومحمد عبد الرازق افندى ، وأبو السعود افندى

وبعد الانتهاء من ترجمة هذا الكتاب فى تاريخ العالم القديم ، تخير رفاعة كتاباً آخر فى تاريخ العصور الوسطى ، وعهد لمصطفى افندى الزرابى بترجمته ، فخرج كتاباً كبيرا فى جزئين ، يقع الجزء الأول فى ٢٦٨ صفحة ، والثانى فى ٣٥٩ صفحة ، وقدم له رفاعة بما يؤكد خطته التى زعمناها ، قال : « يقول الفقير إلى الله تعالى رفاعة رافع ناظر مدرسة الألسنة ، هذه رسالة فى تاريخ القرون المتوسطه تكملة لتاريخ القدماء الذى طبعه ولى النعم ، صاحب الجود والكرم » وقد سمى هذا الكتاب ، « قرة النفوس والعيون بسير ما توسط من القرون » .

تناول هذان الكتابان تاريخ العصور القديمة والمتوسطة ، وقد انقسم العالم فى العصور الحديثة إلى دول كثيرة مختلفه ، ولكل دولة تاريخها ، وقد عنى رفاعة بتاريخ فرنسا خاصة للأسباب المتقدم ذكرها . فعهد إلى أحد النابغين من تلاميذه — أبى السعود أفندى — بترجمة كتاب « نظم اللآلىء فى السلوك فيمن حكم فرنسا من الملوك » فترجمه . وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٧ .

وبعد سنوات قليلة من ترجمة هذا الكتاب أهدى المؤرخ الفرنسى « مونيقورس » كتابه فى « تاريخ ملوك فرنسا » إلى شريف باشا « مدير عموم المالية » . « وبالمذاكرة مع حضرة البك المفخم مدير عموم المدارس ابراهيم أدهم . استقر الرأى على طبعه وأن يطبع على ذمة حضرة الباشا المشار إليه مكافأة لمؤلفه

فى نظير الإهداء »[١] وقد قام بترجمته حسن قاسم أفندى أحمد خريجى الألسن . وطبع فى بولاق فى سنة ١٢٦٤ .

وقد عرف رفاعة أن محمد على يعنى عناية خاصة بدراسة سير أمثاله من الملوك المصلحين . الذين نهضوا بأممهم نهضات يذكرها التاريخ . ولهذا « اختار تاريخ ملك من ملوك الافرنج تعلو همته بينهم على المريخ . وهو تاريخ بطرس الأكبر . الذى فضله بين ممالك أوربا أشهر من أن يذكر »[٢] وعهد إلى نابغ آخر من تلاميذه ومواطنيه — وهو أحمد عبيد الطهطاوى أفندى — بترجمته . والكتاب من تأليف الفيلسوف الفرنسى المعروف « ڤولتير »

ومن كتب التراجم التى عربها خريجو الألسن كذلك كتاب « مطالع شموس السير فى وقائع كارلوس الثانى عشر » ترجمه محمد مصطفى الزرابى أفندى « وكانت ترجمته بأوامر مدير المدارس . لازال مختارا لإبراز الدرر والنفائس »[٣]

ولما كان الكتاب يؤرخ لمملكة « أسوج » — السويد — حتى عهد كارلوس الثانى عشر . فقد رأى المترجم أنه من المناسب أن يذيله . « بتذييل لطيف يذكر فيه من حكمها بعده من الملوك إلى عهدنا هذا — طبع الكتاب فى ١٢٥٧ — على طريق الإيجاز . لتعلم أحوال تلك البـــلاد الشمالية . وتتم بذلك فائدة الكتاب » وقد انتخب المترجم هذا التذييل من « كتاب المؤلف راغوان فى أحوال القرن الثامن عشر »[٤]

ذكرنا قبل هـــذا أن خريجى الألسن فى نحو عشر سنوات يتراوحون بين السبعين والمائة وأنهم ترجموا ما يقرب من الألفى كتاب . ومن العسير أن نترجم هنا لجميع هؤلاء الخريجين . أو أن نذكر بالتفصيل جهودهم فى الترجمة . فاكتفينا بعرض التيارات العامة التى كانت توجه المترجمين فى قلم الترجمة الملحق بالمدرسة وتحدثنا حديثاً موجزاً عن بعض جهود الخريجين تحت ضوء هذه التيارات . وسنتخير هنا علمين من أعلام الخريجين . فنتحدث عن جهودهما فى الترجمة واكتفينا بالإشارة إلى جهود الآخرين بذكر الكتب التى ترجموها فى الثبت العام للكتب التى ترجمت فى عصر محمد على الذى ألحقناه بهذه الرسالة

هذان العلمان هما عبد الله أبو السعود أفندى والسيد صالح مجدى أفندى (بك فيما بعد) . وقد دفعنا إلى اختيارهما أنهما كانا أكثر الخريجين اتصالا بأستاذهم رفاعة فى عهد محمد على . ثم فى عهد اسماعيل . وأنهما كانا أكثر الخريجين إنتاجاً وترجمة . بل وتأليفاً فيما بعد .

أما أبو السعود أفندى فقد ولد فى دهشور سنة ١٢٣٦ . وكان والده قاضياً ثم اختير ناظراً لأحد

(١) تاريخ ملوك فرنسا ، ص ٢ .

(٢) الروض الأزهر فى تاريخ بطرس الأكبر . ص ٣ .

(٣) مطالع شموس السير . ص ٣ .

(٤) المرجع السابق . ص ٢٥٥ .

المكاتب التى أنشأها محمد على . وهو مكتب البدرشين . وذلك فى سنة ١٢٤٨ . فألحق ابنــه تلميذا بهذا المكتب . ومنه اختاره رفاعه بك فى سنة ١٢٥٠ ليكون تلميذا بمدرسة الألسن . وفيها تفوق على أقرانه وخاصة فى اللغة العربية . فاختير فى سنة ١٢٥٤ مدرساً لهذه اللغة خلفاً لأستاذه الشيخ حسنين الغمراوى . ومنح رتبة الملازم الثانى . وبعد قليل رقى إلى رتبة الملازم الأول ونقل إلى مدرسة المهندسخانة فكان يدرس بهـا اللغة الفرنسية . ويشترك فى تصحيح الكتب الرياضية التى يترجمها مدرسوها . ولم يكتف فى هذه السنوات بالثقافة التى تلقاها فى الألسن . بل كان يحضر دروس الفقه بالجامع الأزهر ومن أساتذته الشيخ خليل الرشيدى . والشيخ أحمد المرصفى . والشيخ المنصورى . والشيخ التميمى المغربى .

وفى سنة ١٢٥٩ عند ما أعيد تنظيم قلم الترجمة الملحق بالألسن تحت رئاسة رفاعه بك. ونظارة كانى بك نقل إليه أبو السعود أفندى . ولم يترجم فى تلك الفترة إلا كتاب « نظم اللآلى فى السلوك فيمن حكم فرنسا ومن قام على مصر من الملوك » والثلثان الأولان من الكتاب مترجمان عن الفرنسية . وموضوعهما تاريخ ملوك فرنسا من الدولة « الميروفنجية » إلى عهد الملك « لوى فيليب » . أما الثلث الأخير فمن وضعه وقد ضمنه تاريخ حكام مصر وولاتها منذ عهد الخليفة أبى بكر الصديق إلى عهد السلطان عبد المجيد . وقد طبع هذا الكتاب فى بولاق سنة ١٢٥٧ .

وفى عهد عباس الأول انزوى أبو السعود أفندى موظفاً عادياً لا جهد له ولا نشاط . ولا عجب فهو تلميذ رفاعة . فلما تولى سعيد باشا الحكم عاد أبو السعود إلى الحياة . وسافر مع الوالى إلى السودان كاتباً لمعيته . وبعد عودته عين بقلم الترجمة بالخارجية . وفى أوائل عهد اسماعيل عاد إلى قلم الترجمة الملحق بديوان المدارس ليعمل من جديد بالاشتراك مع زميله صالح مجدى تحت رئاسة أستاذهما رفاعة بك .

وفى هذا العهد بلغ نشاطه فى الترجمة والتأليف أوجه فترجم سبعة كتب(١) معظمها فى التاريخ وهو العلم الذى تخصص فيه . وبعضها فى الزراعة والكيمياء أو القانون أو الجغرافيا . وفى هذا العهد أيضاً خطا أبو السعود خطوة جريئة فأنشأ فى مصر أول صحيفة وطنية شعبية هى جريدة « وادى النيل »(٢) وقد كان لهذه الصحيفة شأن كبير فى التمهيد للحركة الوطنية فى عهد اسماعيل .

وقد ساهم أبو السعود فى تحرير أول مجلة مصرية ظهرت فى ذلك الوقت وهى « روضة المدارس » . ثم اختير فى أخريات أيامه ناظرا لقــلم الترجمة خلفاً لأستاذه رفاعة ، ثم كان مدرساً للتاريخ بمدرسة دار العلوم . وعضوا بمجلس الاستئناف إلى أن توفى فى الثامن من صفر سنة ١٢٩٥ .

أما السيد صالح مجدى فهو من أسرة عربية الأصل . ولد فى قرية أبى رجوان من أعمال مديريه الجيزة

(١) انظر قائمة كتبه فى معجم سركيس . عمودا ٣١٤ — ٣١٥ .

(٢) انظر ملابسات انشاء هـذه الصحيفة . وجهود أبى السعود فى تحريرها فى : (ابراهيم عبده . أعلام الصحافة العربية . ص ١١٤ - ١١٨) .

فى سنة ١٢٤٢ أو سنة ١٢٤٣ . وتلقى علومه الأولى فى مكتب حلوان الأميرى . ومنه اختير كما اختير زميله أبو السعود ليكون تلميذا بمدرسة الألسن . فألحق بها فى سنه ١٢٥٢ .

وفى عهد تلمذته بهذه المدرسة ظهر نبوغه فى اللغتين العربية والفرنسية . فلما أنشىء قلم الترجمة فى سنة ١٢٥٨ وجعل من أقسامه قسم لترجمة الكتب الرياضية تحت رئاسة بيومى أفندى جعل السيد صالح مجدى وكيلا لهذا القسم . وفيه ترجم كتابين « أحدهما جداول المهندسين . وثانيهما تطبيق الهندسة على الميكانيكا والفنون »(١) .

وفى سنة ١٢٦٠ نقل إلى مدرسة المهندسخانة — خلفاً لزميله أبى السعود الذى نقل من المهندسخانة إلى قلم الترجمة فى سنة ١٢٥٩ — وفى هذه المدرسة عين مجدى « لتدريس اللغتين الفرنساوية والعربية وتعليم نجباء تلامذتها فن الترجمة وتعريب فروع الرياضيات التى تدرس بها القواعد العربية »(٢) ويقول على باشا مبارك فى كتابه الخطط : « إنى قد كنت من رجال هذه المدرسه . فعرفت المترجم فيها . واتخذته لى صاحباً وصديقاً . كنت قد تعينت فى سنة ٦٠ التى التحق هو فيها بتلك المدرسه للسفر مع عدة من أمثالى إلى مملكة الفرنسيس لتكميل العلوم الرياضية ، وتحصيل الفنون العسكرية المتعلقة بالطوبجية والاستحكامات فلما رجعت إلى مصر بعد خمس سنين وجدته قد وصل إلى رتبة يوزباشى ، وأخبرنى أنه أحرزها فى سنة ١٢٦٢ وأنه عرب فى هذه المدة عدة كتب فى فروع الرياضيات منها كتاب فى الطبوغرفيا والجيودوزية . وكتاب مكانيكا نظرية . وكتاب ميكانيكا عملية وكتاب أدروليكا ، وكتاب حساب آلات . وكتاب طبيعة . وكتاب هندسة وصفية وكتاب فى حفر الآبار ورسالة فى الأرصاد الفلكية تأليف الشهير « أرجو » ، ولما أحيلت على عهدتى نظارة المهندسخانة وما معها سنة ست وستين بعد انتقالى من رتبة صاغ قول أغاسى إلى إلى رتبة أميرالاى كان لى المترجم رفيقاً مع قيامه بوظائفه ، وطالما استعنت بقلمه على تأليف كتب متنوعة فى فنون شتى . وقد ترجم فى تلك المدة عدة كتب فى الرياضة ، منها كتاب فى الحساب ، وكتاب فى الجبر وكتاب فى تطبيق الجبر على الأعمال الهندسية وكتاب فى الظل والمنظور وكتاب فى حساب المثلثات . وكتاب فى الهندسة الوصفية . وكتاب فى قطع الأحجار والأخشاب . وهى كتب جار عليها العمل إلى الآن فى المدارس . وله غير ذلك من الكتب التى تجل عن الحصر » .

وهكذا كان صالح مجدى أسعد حظاً من صديقه أبى السعود . فقد مهدت له معرفته بعلى مبارك السبيل

(١) الخطط التوفيقية . ج ٨ ص ٢٣ . وقد ترجم للسيد صالح مجدى ترجمة مختصرة جورجى زيدان فى «مشاهير تراجم الشرق» ج ٢ ص ١٢٦ — ١٢٩ . وترجم له ترجمة مطولة ابنه محمد مجدى فى مقدمة ديوانه الذى نشره بعد وفاته ص (د — ى) والترجمتان معتمدتان كثيرا على ما جاء فى ج ٨ من الخطط عنه .

(٢) الخطط التوفيقية . ج ٨ . ص ٢٣ .

إلى البقاء فى مدرسة المهندسخانة فى عهد عباس . وفى هذه المدرسة قضى نحو عشر سنوات أنتج فيها هذا الإنتاج الضخم . وفى عهد سعيد باشا عاد أستاذه رفاعة من السودان غير أنه ظل مدة عاطلا . فنقل مجدى فى سنة ١٢٧٢ وكيلا لمأمورية أشغال الطوابى بالقلعة السعيدية . وعهد إليه بترجمة الكتب العسكرية . ثم مباشرة طبعها فى مطبعة بولاق . ثم لم يلبث أن جذبه رفاعة إليه فنقل ناظراً لقلم الترجمة الملحق بالمدرسة الحربية بالقلعة التى كان يتولى نظارتها رفاعة .

وفى أوائل عهد اسماعيل ، أعيد انشاء قلم الترجمة [1] الملحق بديوان المدارس وتولى الإشراف عليه رئيسه القديم رفاعة بك . وكان من مترجميه أبو السعود وصالح مجدى . بل لقد أتى على هذا القلم وقت لم يكن به من المترجمين غير صاحبينا وزميل ثالث لهما كان له شأن أى شأن فى ترجمة الكتب التاريخية فى عصر محمد على وهو حسن افندى الجبيلى .

وقد شارك مجدى فى تلك الفترة كأستاذه رفاعة وزميله أبى السعود فى التحرير فى روضة المدارس . ثم فى ترجمة « قانون نابليون » Code du Napoleon وفى ترجمة القوانين المختلفة الأخرى التى تم نقلها إلى اللغة العربية فى عهد اسماعيل ، وظل يتقلب فى الوظائف حتى عين فى سنة ١٢٩٢ (١٨٧٥) قاضياً بمحكمة مصر . ولبث يشغل هذا المنصب حتى توفى فى ذى الحجة سنة ١٢٩٨ .

وفى كل تلك العهود كان على باشا مبارك يستعين به وبجهوده وعلمه فى تأليف وتصنيف معظم كتبه . فقد قال فى الخطط « وفى سنة ثلاث وثمانين ومائتين بعد الألف أحيلت على عهدتى — وأنا إذ ذاك ناظر القناطر الخيرية — مأمورية تأليف كتاب الهجاء والتمرين ، فطلبت المترجم من ديوان المدارس بأمر عال فحضر عندى . واشتغل معى بالكتاب المذكور حتى تم على أحسن حال . . . وتكرر طبعه حتى زادت نسخه على خمسة عشر ألفاً [2] » . ثم قال « ولما أحيلت على عهدتى نظارة عدة دواوين ومصالح فى آن واحد استعنت بقلمه على تحرير عدة لوائح وترتيبات نافعة لادارة هذه المصالح [3] » . وقال أيضاً « وباشر معى أيضاً بعض التاريخ الذى عملته للديار المصرية فى عدة مجلدات . وبعض رسائل جمعتها وطبعت بمعرفته فى جرنال روضة المدارس . . [4] » وقال محمد مجدى فى ترجمة والده التى نشرها فى مقدمة ديوانه أنهما أتما من هذا الكتاب « ما يتعلق بالفراعنة والأكاسره والبطالسة والرومانيين . ووصلا فيه فى مدة الإسلام إلى سنة ستين ومائة بعد الألف من الهجره . وبلغ ما جمع فيه من المجلدات نحو أربعمائة كراسة . وهو الآن

(١) انظر عزت عبد الكريم . تاريخ التعليم فى عصر اسماعيل . ص ١٠٨ — ١١٢ .
(٢) الخطط التوفيقية . ج ٨ ص ٢٤ .
(٣) المرجع السابق ص ٢٥ .
(٤) المرجع السابق ص ٢٤ .

لدى سعادة على مبارك باشا . والغالب أنه مهيأ للطبع . . » [1] . وقد ظن البعض أن المقصود بهذا الكتاب هو كتاب الخطط . غير أن الخطط تم طبعها فى سنة ١٨٠٦ . وديوان صالح مجدى طبع فى سنة ١٩١١ . فكأن الكتاب الذى كان مهيأ للطبع فى سنة ١٩١١ هو غير الخطط قطعاً وخاصة أن موضوعه هو تاريخ مصر فى مختلف العصور لا طوبغرافيتها . غير أنى رجعت إلى قائمة الكتب المطبوعة التى ألفها كل من على مبارك وصالح مجدى . فلم أجد من بينها كتاباً فى تاريخ مصر . فلعله لم يطبع .

هذا هو صالح مجدى . وهذا موجز عن جهوده . فقد قضى العمر كله يترجم ويؤلف حتى زادت ترجماته ومؤلفاته عن « خمسة وستين كتاباً ورسالة » [2] .

أبو السعود وصالح مجدى علمان كما قلنا من أعلام خريجى الألسن . وهما خير نموذجين لهذه الطائفة من المترجمين . وعلى مثالها بذل إخوانهما الجهد فى الترجمة . ومن صنفهما عثمان جلال فى ميدان الأدب . وقدرى باشا فى ميدان القانون .

وقد ربطت الحوادث بين هذين العلمين وبين أستاذهما رفاعة . فعملا معه فى قلم الترجمة فى عصرى محمد على واسماعيل . واشتركا معه فى تحرير روضة المدارس وفى ترجمة قانون نابليون . غير أنهما رغم هذا اختلفا الواحد عن الآخر فى ميادين أخرى ، فقد كان صالح مجدى أقرب إلى على مبارك فى دراساته وثقافته الرياضية والعسكرية ولهذا تعاون فى إنتاجه العلمى مع على مبارك أكثر من تعاونه مع أستاذه رفاعة . ومع هذا فقد كان فضل رفاعة عليه كبيراً فإن ثقافته الفرنسية والعربية التى تلقاها فى مدرسة الألسن هى التى رشحته للعمل فى قلم الترجمة فى عهدى محمد على وإسماعيل . وهى التى رشحته للعمل فى مدرسة المهندسخانة فى عهدى محمد على وعباس . وثقافته القانونية فى الألسن أيضاً هى التى رشحته للعمل فى ترجمة القوانين ثم لتولى وظيفة القضاء فى عصر اسماعيل . لهذا كان مجدى أبر التلامذة بأستاذه ، فهو الوحيد من بين تلاميذ رفاعة الذى أرخ له بعد وفاته ، فكتب عنه كتابه القيم — رغم صغره — « حليه الزمن بذكر مناقب خادم الوطن »

أما أبو السعود فكان أكثر تأثراً بأستاذه . فقد تخرج من الألسن شغفاً كأستاذه بعلمى التاريخ والجغرافيا . ولهذا كانت معظم مترجماته ومؤلفاته فى هذين العلمين . وقد اعترف بفضل رفاعة عليه وتأثره به فى هذا الميدان فى مقدمة كتاب عربه فى الجغرافيا فى عصر اسماعيل . ونشره بالتتابع فى صحيفته وادى النيل . ثم طبعه على حدة تحت عنوان « الدرس المختصر المفيد فى علم الجغرافيا الجديد » قال « وكان قد سبقنى فى انتهاج هذا المنهاج . . فى منتصف هذا القرن الأخير . وأول عهد المرحوم محمد على باشا الكبير .

(١) ديوان صالح مجدى . المقدمة . ص (ط) .
(٢) الخطط التوفيقية . ج ٨ . ص ٢٥ .

حضرة أستاذى رفاعة بك افندى الشهير . وهو وإن كان لم يزل له فضل السبق . وكان بالاحترام والتبجيل أحق . ولربما جئت بالغث وجاء بالسمين . وتزييت بالرث وتزى بالثمين . غير أنه لما كان هذا العلم عبارة عن استقصاء حقيقة أحوال هذا العالم السريع الانتقال من حال إلى حال . واستمرار تنقل الملل والنحل وغير ذلك من التقلبات الموالية على ممر الأوقات واللحظات . احتاج هذا العلم لمن يقف له بالمرصادو يبذل فى خدمته على الدوام — كالحاصل فى البلاد المتمدنة — كل الاجتهاد ، فلذلك قفوت من أستاذى الأثر . وحذوت حذوه فى مشقة ذلك السفر . . وإذا كان أستاذى حفظه الله قد أتى من هذا الأكل بالباكورة فقد أتيت بوفرة الثمر . أو كان قد بدر يالبدر فقد جئت بالشمس والقمر . وإذا كان قد جاء بالتعريبات الشافية فى علم الجغرافيا . فهذه الرسالة بحمد الله هى الخلاصة الكافية . . إلخ »[1].

(١) ص (ج — د) من المقدمة .

٤ — المترجمون من الموظفين

معظم الكتب التى ترجمها هذه الطائفة كانت لخدمة الحكومة وخاصة الجيش . ولارضاء محمد على وابراهيم . معظم هذه الكتب ترجمت عن الفرنسية أو العربية إلى التركية . كانى بك . جهوده فى ترجمة الكتب الحربية . ترجمة وصايا « فريدريك الأكبر » لفواده . الكتب التى ترجمت بأمر ابراهيم باشا . كانى بك ناظر لقلم الترجمة التركية فى عهد ابراهيم ، أسطفان أفندى . أحمد أفندى خليل . ما ترجمه . عناية محمد على بدراسة التاريخ وخاصة سير العظماء والمصلحين . الكتب التى ترجمت له فى هذا الميدان كتاب . واحد ترجم عن الفارسية إلى العربية وهو كلستان سعدى . الكتب الرياضية . جهود أدهم بك فى هذا الميدان . كتابان فى الطب ترجما إلى اللغة التركية

كانت معظم الكتب التى ترجمها السوريون — إن لم تكن كلها — كتباً طبية ولخدمة التعليم فى مدرستى الطب البشرى والبيطرى . وكانت معظم الكتب التى ترجمها خريجو المدارس والبعثات كتباً طبية ورياضية فلما أنشئت مدرسة الألسن . تنوعت الترجمة . فترجم خريجوها فى كل علم وفن . وإن كانت ترجماتهم اتجهت فى معظمها إلى الأدبيات . متأثرة فى ذلك بروح ناظر المدرسة وأستاذها رفاعة رافع الطهطاوى

وقد شاركت فى الترجمة فى عصر محمد على طائفة رابعة لم تكن تجمعها ثقافة واحدة وهى طائفة من موظفى الحكومة . وكانت معظم الكتب التى ترجمتها هذه الطائفة لخدمة الحكومة — وخاصة الجيش — ثم لإرضاء رغبات الوالى محمد على . وفى بعض الأحيان لإرضاء رغبات ابنه « السر عسكر » ابراهيم باشا ولهذا كانت معظم الكتب التى ترجمها هؤلاء الموظفون عن الفرنسية إلى التركية . أو عن الترجمات العربية لكتب فرنسية إلى التركية . أو عن العربية إلى التركية . فقد كانت اللغة التركية هى اللغة الأولى لمحمد على ولمعظم رجال حكومته .

شمل برنامج الاصلاح المحمدى العلوى جميع مرافق الحياة المصرية . غير أن العناية كل العناية كانت موجهة للجيش . فهو دعامة محمد على للاستقلال ولاحياء العالم العثمانى . ولتنفيذ نواحى النشاط الأخرى . وقد كان معظم من ألحقوا بالمدارس الحربية أول إنشائها — ليتخرجوا ضباطاً للجيش الجديد — من عنصر تركى . وكانت الخطة الموضوعة ترمى إلى تكوين الجيش . وتمرين ضباطه على النظم الأوربية الجديدة وكانت فرنسا هى الدولة التى ينقل عنها محمد على ولهذا ترجمت الكتب الحربية عن الفرنسية إلى التركية .

ولم يكن من المترجمين السوريين أو المصريين من خريجى البعثات أو الألسن من يعرف التركية أو يجيدها . ولهذا ألقى هذا العبء على كواهل موظفى الحكومة ممن يتقنون الفرنسية والتركية . وقد ذكرنا قبلا أن هذا الجهد بدأه عثمان نور الدين غير أنه غادر مصر فى سنة ١٨٣٣ . والحرب بين مصر والدولة

العثمانية لم تهدأ أسبابها ، لهذا خلفه فى هذا الميدان أناس كثيرون أهمهم كانى بك . وهو رجل من أصل تركى كان من كبار موظفى الدولة فى عهد محمد على . وشارك مشاركة فعالة منتجة فى جميع اللجان التى أشرفت على تنظيم التعليم فى ذلك العهد . وخاصة فى لجنتى ١٨٣٥ و ١٨٤١ . وقد قام بترجمة معظم الكتب الحربية التى ترجمت فى عصر محمد على وإن كان لم يذكر إسمه عليها لأنها كانت فى معظمها تعليمنامات أو قانونامات ولهذا كان من العسير أن نحقق كم كتاباً ترجم . غير أن بعض أوامر محمد على كانت تشير إلى بعض ما ترجم من كتب .

فى ١٤ المحرم سنة ١٢٤٨ (١٨٣٣) « قرر مجلس الجهادية ضرورة تنفيذ إرادة ولى النعم بطبع ألف نسخة من ترجمة الكتاب الذى ترجمه كانى بك ميرالاى الرجال المشتمل على مدافعة المشاة والفرسان بالمزاريق . لما يترتب على نشره من عظيم الفوائد »[١] .

وقد ذكر «بيانكى»[٢] فى قائمته أن هذا الكتاب طبع فى بولاق سنة ١٢٤٨ (١٨٣٣) تحت عنوان « فى تعليم الحربة والمزراق » ولم يشر إلى أنه من ترجمة كانى بك .

وفى تلك السنة أحس ابراهيم باشا سر عسكر الجيوش المصريه فى الشام حاجته إلى كانى بك . فأرسل يطلبه ، ووافقت حكومة محمد على على إرساله على أن يقوم أسطفان افندى — وهو أرمنى الأصل وواحد من خريجى البعثات — بما كان يقوم به كانى بك من ترجمة الكتب الحربية عن الفرنسية إلى التركية . فى ٢٩ ربيع الثانى ١٢٤٨ « قرر مجلس الجهادية إرسال كانى بك أميرالاى ليكون فى معية أفندينا رئيس العسكر المنصور . . ويحال على أسطفان افندى بقية ترجمة كتاب تعليمنامة الفرسان . لمهارته فى اللغتين الفرنسية والتركية . التى كان مكلفاً به كانى بك وترجم معظمه . وأن يسرع فى إتمامه . وهذا بناء على ماقدمه حضرة أمير اللواء سامى بك رئيس معاونى افندينا ولى النعم طبقاً لإرادة أفندينا سر عسكر »[٣] .

وفى ١٣ جادى الأولى[٤] كتب محمد على باشا إلى محمد حبيب افندى يستصوب القرار السابق . وبعد سبعة عشر يوماً كتب يوحنا بحرى[٥] إلى الباشمعاون ينبئه بوصول كانى بك إلى طرسوس ، وفى ٢٣ رجب[٦] كتب كانى بك إلى سامى بك يخبره بأن السر عسكر قد عهد إليه بكتابة التقارير التى ترسل من ديوانه إلى مصر « لتعرض على الأعتاب السنية الخديوية » .

(١) الوقائع المصرية . العدد ٣٩٦ فى ٢٥ المحرم سنة ١٢٤٨ .

(٢) Bianchi, Catalogue Général des livres arabes, persans et turc . . . etc .

(٣) الوقائع المصرية . عدد ٤٣٧ فى ٩ جمادى الأولى ١٢٤٨ .

(٤) عابدين . معية تركى ، ٥٠ رقم ١٥ .

(٥) عابدين . محفظة ٢٣٩ . رقم ٢٣٩ و ٢٤٠ .

(٦) عابدين . محفظة ٢٤١ . رقم ١٤٨ .

وقد قام كانى بك بعمله الجديد خير قيام . ثم عاد إلى مصر فى سنة ١٢٤٩ . فكتب ابراهيم باشا إلى سامى بك بأنه « يرى فى كانى بك الموجود فى القاهرة الكفاءة اللازمة لرتبة أميرالاى ويقترح تعيينه قائداً على آلاى الفرسان »[١] .

وفى أثناء غياب كانى بك كان أسطفان افندى هو المترجم للكتب الحربية ، فأكمل ترجمة الكتاب السابق . ثم أتم فى سنة ١٢٤٩ ترجمة كتاب آخر عنوانه « كومانداريه الفرسان » فقرر مجلس الشورى العسكريه طبع ألف نسخة منه « لما فيه من الفوائد الشاملة »[٢] فلما عاد كانى بك من الشام بدأ يستأنف جهده القديم . ففى ٢٩ رجب سنة ١٢٥١ صدر أمر من محمد على باشا إلى أدهم بك يشير فيه إلى أنه « اطلع على الشقة المرغوب بها صدور الأمر إلى كانى بك بترجمة الثلاثة كتب تعليمات الطوبجية الجديدة الموجودة بطرفه وعليه قد صدر الأمر إلى المومأ إليه بذلك فيلزم تسليمه إياها لترجمتها »[٣] .

وقد ذكر له مسيو بيانكى[٤] كتابين آخرين هما « تحفه الضابطان » و « قانو نامه ثالث سوارى » وذكر أنهما من تأليفه ، والصواب أنه ترجمهما عن الفرنسية إلى التركية وطبعا فى بولاق سنة ١٢٥١ (١٨٣٦) .

وفى سنة ١٢٥٠ قام سليمان باشا الفرنساوى بتصنيف كتاب فى فن المناورات الحربية جمع موضوعاته من كتب فرنسية مختلفة ، فكتب اليه محمد على يشكره . وأوصى بأن يلحق به عدد من المترجمين لترجمة هذا الكتاب إلى اللغة التركية . وكان من بين هؤلاء المترجمين كانى بك . ففى ٦ جادى الآخرة سنة ١٢٥٠ كتب محمد على إلى سليمان باشا بأنه « صار ممنوناً جداً من اهتمامه بجمع وتأليف كتاب المناورات الحربية من كتب أوربا الشاملة لذلك بقصد بث هذا الفن بين عساكره الجهادية . إذ أن ذلك مما كان فى حيز فكره لأنه من الأمور المهمة الصالحة الخيرية . ولما كان مرغوب سعادته اعطاؤه كاتباً ومترجماً من المستعدين قد صدر أمره إلى وكيل الجهادية بتعيينهم . وبهو وإتمام هذه الخدمة الخيرية يتضاعف رضاه عليه فيرجوه الاهتمام فى ذلك »[٥] . وفى نفس التاريخ صدر منه أمر إلى وكيل الجهادية « بتعيين مترجم وكاتب لسليمان باشا الفرنساوى لترجمته كتاب المناورات الحربية . ويشير بتعيين كانى بك وحسن افندى القرنجى لانتفاع الآلايات المصرية بانتشار هذا الكتاب »[٦] .

وكثيراً ما كان ابراهيم باشا يشير — وهو فى ميدان الجهاد فى الشام — بترجمة بعض الكتب الحربية

(١) عابدين . محفظة ٢٤٨ رقم ٧٥ .

(٢) الوقائع المصرية العدد ٥٤٨ . بتاريخ ٢٠ ربيع الثانى سنه ١٢٤٩ .

(٣) تقويم النيل . ج ٢ . ص ٤٥٥ .

(٤) Bianchi. Op. Cit.

(٥) تقويم النيل ج ٢ . ص ٤٢٨ .

(٦) المرجع السابق . . ص ٤٢٧ .

أو التاريخية . وإرسال نسخ منها اليه ليستعين بها على تدريب جنوده وضباطه وتثقيفهم . يؤيد هذا كثير من الأوامر المحفوظة فى وثائق عابدين ؛ ففى ٥ جمادى الآخرة سنة ١٢٤٨ أرسل ابراهيم باشا إلى سامى بك يرجوه ارسال بعض ماطبع فى مصر فى الفنون والتمرينات العسكرية [١] فكتب اليه محمد على باشا فى الثانى والعشرين من نفس الشهر يفيده بأنه أصدر أمره إلى محمود بك « كى يرسل النسخ المطلوبة من قانون تعليم المشاة وغيره » [٢]

وفى ٢١ رمضان سنة ١٢٤٨ كتب ابراهيم باشا إلى والده يخبره أن مختار افندى الدويدار كان قد ترجم « وصايا فريدريك الأكبر إلى قواده . وهو فى باريس ويقترح الموافقة على طبعها [٣] ومن العجيب أن هذا الكتاب كان واحداً من الكتب الأولى التى ترجمت فى عصر محمد على . فقد ترجمه عن الفرنسية إلى التركية « شانى زاده محمد عطاء الله » [٤] فى سنة ١٢٢٠ . وأمر محمد على بطبعه فطبع فى مطبعة بولاق بعيد إنشائها ، وليس فى مقدمته أو خاتمته مايبين السنة التى طبع فيها . ولكننى أرجح أنه طبع حوالى سنة ١٨٢٢ أو ١٨٢٣ ، ويؤيد هذا الترجيح طبعه الردىء ، وحروفه المعتلة الشبيهة بحروف الكتب الأولى التى طبعت فى بولاق ، كالقاموس الإيطالى العربى وصناعة صباغة الحرير ، لهذا كتب محمد على إلى ابنه فى ٨ شوال [٥] يخبره بأن هذا الكتاب سبق أن ترجم وطبع

وفى ذى الحجة سنة ١٢٥٠ أرسل ابراهيم باشا إلى وكيل الجهادية يستصوب « ترجمة الكتاب الفرنسى الخاص بنظامات وترقيات العساكر » [٦] فبادر محمد على باشا وأصدر أمره إلى سليمان باشا الفرنساوى « بأنه لكون ترجمة هذا الكتاب من الأمور المهمة المستعجلة يلزم جمع التراجمة ، وحل حبكته ، واعطاء كل مترجم كراس منه لسهولة ترجمته فى أقرب وقت » [٦]

وفى ٧ شوال سنة ١٢٥١ أرسل ابراهيم باشا إلى سامى بك يشير بترجمة كتاب فرنسى آخر فى المناورات الطوبجية والسوارى والبيادة » [٧]

---

(١) عابدين محفظة ٢٤٠ ، رقم ٣٠ .

(٢) عابدين دفتر ٢١٠ ، رقم ١٨٥ .

(٣) عابدين محفظة ٢٤٣ رقم ٤٤ — ١٤٦ .

(٤) ترجم هذا الكتاب تحت عنوان « وصايانامه سفرية » ولفظ سفر فى اللغة التركية معناها الحرب ويقابلها لفظ الحضر أى السلم . لأن الجند أثناء القتال يكونون دائما على سفر . ولهذا يكون معنى العنوان « وصايا فريدريك الأكبر الحربية لقواده » (صدرت هذه الوصايا فى سنة ١٧٦٠) وهو كتاب صغير فى ١٤٥ صفحة من القطع الصغيرة . انظر مقدمته حيث يشير فيها المترجم إلى أنه ترجمه فى سنة ١٢٢٠ . وأنه طبع تنفيذا لأمر محمد على (أنظر صورة الصفحة الأخيرة من هذا الكتاب فى الصفحة المقابلة) .

(٥) عابدين دفتر ٢١٠ رقم ٤٠٤ .

(٦) تقويم النيل ، ج ٢ ص ٤٣٤ .

(٧) عابدين محفظة ٢٥٢ ، رقم ١٠٩ — ٢٠٣ مكرر .

اشبو زبور زبان عذب البيان تركى به له مزين ومذهب اولان ✻ نسخهٔ
نادرهٔ فنون جهاد ✻ منافع للعباد ابراستا دكامللك آثار جميل
وركدار حزيلى اولوب ✻ مضمن اصول واسلوب حرب وغزا ولازم
الاملا اولمغله ✻ محافظهٔ بيضهٔ امة خير الانام ✻ وحراستهٔ عامهٔ
بلاد اهل الاسلام ايچون ✻ طبع وتمثيل ايله تكثيرينه ✻ بالامشير
مشيرى تدبير ودزبر عديم النظير ✻ مرحمتلو ولى النعم ✻ والجامع
لرقاب الامم ✻ الغازى الحاج محمد على باشا وفقه الله بما يريد وما يشا ✻
افندمز حضرتلرينك ارادهٔ عاليهٔ سامية لرى تعلق ايتمكله ✻
محروسهٔ مصر اسكله سى اولان بولاقده انشا بيورلان دار
الطباعه ده ✻ بيك ايكيوز اوتوز تاريخى ربيع
الاولنك آخرنده ✻ عيون سطور تنظيم
وتكميلى كحل كحال ✻ وخدود
صحائف طبع وتمثيلى مزين
خال ختام ما لاختتام
اولمشدر

وز براىكه مثلش نيايد بياد ✻ كه بطعاو بعز زد شمن مستاد
دراوصاف اومككرده ام سعى ✻ كه ابدور بعهاد عامى جهاد
رهانعت بكوش آدم اى بدا ✻ بهيمبر انس وجدا يار باد

الصفحة الأخيرة من كتاب « وصايانامه سفرية »

أى وصايا فردريك الأكبر الحربية لقواده ، ترجمها شانى زاده محمد عطاء الله وهو من أوائل الكتب التى طبعت فى بولاق

وهكذا كان يتنافس الرجلان : الأب والابن في التقاط الكتب الحربية ، والأمر بترجمتها لتتبع تعاليمها في إنشاء الجيش الجديد وتنظيمه حتى يصل إلى مستوى الجيوش الأوربية الحديثة . وقد ظلت هـــذه الأوامر تصدر من الرجلين حتى عهد متأخر . ففى ١٧ جمادى الآخرة سنة ١٢٥٦ صدر أمر من محمد على إلى باقى بك « بترجمة رسم محاربة نابليون من الفرنساوى للعربى بنفسه »[1] وفى نفس اليوم أصدر أمراً آخر إلى كانى بك بترجمة التقرير المرفق بالرسم السابق إلى اللغة التركية وأن يترجمه « بنفسه دون أن يأمر أحداً بترجمته »[2] والرسم والتقرير من وضع المسيو « بون قور » .

هذه لمحة سريعة لما كان يتبع فى ترجمة الكتب الحربية . ولبعض جهود كانى بك فى هذا الميدان . وقد كان كانى مقرباً إلى ابراهيم باشا محبوباً منه . ولهذا لم يكد يعهد إليه بولاية مصر فى ٢٤ شوال سنة ١٢٦٤ — عندما اشتد المرض بوالده — حتى أصدر أمره فى ٢٦ ذى القعدة من نفس السنة بإعادة تنظيم قلم الترجمة الملحق بالألسن ، وقسمه إلى قسمين . قسم يعنى بالترجمة إلى اللغة التركية وناظره كانى بك . وقسم يعنى بالترجمة إلى اللغة العربية وناظره رفاعة بك وجعل الرئاسة العليا للقلم لكانى بك . فى التاريخ السابق نشرت الوقائع المصرية القرار الآتى : « لما كانت ترجمة الكتب المرغوبة التى تشتمل على القوانين والتراتيب والآداب وسائر العلوم والفنون النافعة من اللغة الفرنساوية إلى التركية والعربية ، وطبعها ونشرها وسيلة عظمى لتكثير المعلومات المقتضبة ، وقضية مسلمة عند أولى النهى . وكان حصول ذلك لا يتأتى إلا بوجود المترجمين البارعين فى ألسنة الأفرنجى والتركى والعربى ، واجتماعهم فى محل واحد ، وقسمهم إلى قلمى ترجمة وضمهم إلى نظارة حضرة أمير اللواء كانى بك وكيل ديوان التفتيش ، الفريد فى فن الترجمة ، المشهور بالسلاسة والبلاغة . حصل فتح القلمين كما ذكر ، وقد تعين حضرة رفاعة بك أمير الاى الذى كان ناظر مدرسة الألسن التابعة إلى ديوان المدارس ناظراً على قلم الترجمة العربى فى معية حضرة الأمير المومى إليه »[3] .

بدأ عثمان نور الدين الجهود بترجمة الكتب الحربية ، فلما غادر مصر استأنف هذه الجهود كانى بك . فلما سافر إلى الشام ، قام بالعمل من بعده إسطفان أفندى إلى أن عاد فبدأ يكمل جهوده . وقد شارك فى هذه الجهود أيضاً رجال آخرون من موظفى الدولة أهمهم أحمد أفندى خليل[4] . وقد يكون من أصل

(١) تقويم النيل . ج ٢ ص ٥٠٨ .

(٢) المرجع السابق . ص ٥٠٧ .

(٣) الوقائع المصرية العدد ١٣٧ تاريخ ٢٦ ذى القعدة ١٢٦٤ . وانظر أيضا المرجع السابق ص ٦٢٠ .

(٤) ظهر من رجال الهندسة الحربية فى عصر محمد على رجلان بهذا الاسم . أما أولهما فمصرى من البتانون ترجم له على مبارك فى الخطط ج ٩ ص ٧ فذكر أنه دخل القصر العينى فى ١٢٤٩ (١٨٣٣) ثم نقل إلى مدرسة أبى زعبل ثم إلى المهندسخانة فاستوفى جميع فنونها . ثم وظف مهندسا بديوان المدارس ؛ أما الثانى فتركى الأصل واسمه قيصرلى أحمد خليل أفندى . وقد ترجم له عمر طوسون فى كتابه عن البعثات ص ٢٨٩ . ٢٩٢ فذكر أنه تعلم فى مدارس مصر ودخل مدرسة السوارى بها ، ثم اختير منها لبعثة سنة ١٨٤٤ =

تركى . ولا نعرف عنه إلا أنه عين حوالى سنة ١٢٤٠ ناظراً لمدرسة الطوبجية خلفاً لمصطفى بهجت أفندى الذى عين ناظراً لهذه المدرسة بعد « سكويرا بك » ، وقد ترجم كتباً حربية كثيرة أهمها :

١ — « قانون نامه عساكر بياده كان جهادية » . ترجمه تنفيـــذاً لأمر محمد على[1] وطبع فى بولاق سنة ١٢٣٨ . وطبع ثانية فى غاية شهر شوال سنة ١٢٤٥ لنفاد نسخ الطبعة الأولى .

٢ — « قانون نامه عساكر طوبجيان جهاديه بحرية » . وقد ذكر فى مقدمته أنه ترجمة للقانون البحرى الفرنسى قام بها أحمد أفندى خليل « ناظر مدرسة جهادية ورئيس مهندسخانة برية مصرية »[2] وقد طبع هذا الكتاب فى بولاق فى غرة شعبان سنة ١٢٤٢ .

وممن شارك فى حركة ترجمة الكتب الحربية من موظفى الدولة — ولكن بجهود ضئيلة — جركس محمود قبودان (محمود نامى باشا) فقد ترجم كتاباً فى فن الحرب البحرى ، وعبد الحميد بك الديار بكرلى وترجم مؤلفاً فى مقياس السفائن ، ومحمد شنن أفندى (بك فيما بعد) وترجم قانون البحرية .

كانت العلوم الحربية هى الميدان الأول الذى عمل فيه بعض المترجمين من الموظفين فى عهد محمد على . وكان علم التاريخ هو الميـدان الثانى . ولعله لم يكن أقل أهمية فى نظر الوالى من الميدان الأول . فقد كان يرى نفسه — وهو منشىء دولة جديدة وصاحب سياسة إصلاحية جديدة — فى حاجة إلى أن يقرأ ويدرس تراجم أمثاله من القواد والملوك والمصلحين ليفيد من خبرتهم . ويتجنب اخطائهم . وأنا لنرى أنه أفاد من هـذه القراءة . وهذا هو الفارق الكبير بينه وبين القائد العظيم نابليون . كلاهما من أبناء عصر واحد . ومن غمار الشعب ، وصلا إلى العرش بجهودهما — وخاصة الجهود الحربية — ولكل منهما تاريخ مجيد فى الاصلاح الداخلى . غير أن نابليون لم يقدر قيمة القوة التى وقفت فى سبيله . فلم يعترف بالهزيمة فقضت هذه القوة عليه وعلى ملكه . أما محمد على فقـــد ناضل حتى أيقن أن لا فائدة من النضال فخضع مكرهاً وقنع بولاية مصر مضطراً . وبهذا احتفظ لنفسه ولأسرته بالملك .

قال محمد على للدكتور « بورنج » فى حديث له : لقد أخبرنى « الكولونيل دوهامل C. Duhamel » أننى أصبح رجلا عظيما إذا قرأت التاريخ . وألممت بالألفاظ اللطيفة التى يمكن أن أعثر عليها فى الكتب .

= (١٢٥٠) فالتحق بالمدرسة الحربية المصرية بباريس . وقد رجع الأمير إلى كتاب حقائق الأخبار فوجد به ما يفيد أن من يسمى أحمد افندى خليل قد ترجم كتابين حربيين ، فرجح أن يكون هو ثانى الرجلين أى خليل أفندى الذى أرسل فى البعثة ، غير أننى أرى أن مترجم الكتابين هو خليل أفندى ثالث غير المذكورين . فقد ذكر فى مقدمة كتابه الثانى الذى طبع فى ١٢٤٢ أنه كان ناظرا لمدرسة الطوبجية . ولا يعقل أن يترجم هـذه الكتب ويدير مدرسة الطوبجية فى ١٢٤٢ ثم يرسل فى بعثة فى ١٢٥٠ . أنظر أيضاً عزت عبد الكريم ، تاريخ التعليم فى عصر محمد على . ص ٤١٦ .

(١) أنظر مقدمة الطبعة الثانية و ص ١٩٥ منها .

(٢) أنظر مقدمة هذا الكتاب ، وانظر أيضاً سرهنك باشا . حقائق الأخبار . ج ٢ . ص ٤٨ .

ولكننى الآن لست رجل ألفاظ بل رجل أعمال » ثم عاد فقال فى نفس الحديث « لقد نصحنى الكولونل أن أدرس التاريخ لأتعلم فن الحكم ، ولكنى وصلت سنا لا تسمح لى بدراسة التاريخ ، لقد كتب إلى ولدى يطلب تعليماتى عند ما أحاطت به الصعاب ، غير أننى رأيت أن خير تعليمات هى أن أذهب بنفسى ، وقد سافرت إلى يافا وأخضعت الفتنة حالا ، وهذا هو الحكم العملى[1] » .

هذه هى خطة محمد على فى الحكم . العمل لا الكلام . غير أن تاريخه ينبئنا بأنه لم يهمل هذه النصيحة . بل لقد أقبل على كتب التاريخ . والتراجم ونظم الحكم بوازع أول من نفسه . ووازع ثان من هذه النصائح . فأمر أن تترجم له الكتب التاريخية عن اللغات العربية والإيطالية والفرنسية إلى لغته الأصليــة التركية فترجمت له كتب فى سيرة النبى محمد . وفى تاريخ الإسكندر ونابليون . وكاترين ملكة الروسيا . وترجم له تاريخ إيطاليا ... الخ وفيما يلى بيان تفصيلى بما ترجم له من هذه الكتب ، وقد ترجمها جميعاً موظفون يجيدون الفرنسية والتركية ، وهم مجموعة عجيبة فيهم السورى واليونانى والتركى[2] . وبعض هذه الكتب قد طبع . والبعض الآخر لايزال مخطوطاً ينتظر من يعنى بنشره .

١ — ترجمة مظهر التقديس بخروج الفرنسيس تأليف المؤرخ المصرى الكبير الشيخ عبد الرحمن الجبرتى ، ترجمه عن العربية إلى التركية السيد احمدعاصم افندى وفرغ من ترجمته فى غرة ربيع الأول سنة ١٢٢٥ ولا يزال هذا الكتاب مخطوطاً[3] فى دار الكتب الملكية بالقاهرة تحت رقم ٨٨٥٤

٢ — الأمير فى علم التاريخ والسياسة والتدبير . تأليف ، مكيافللى » . ترجمه عن الايطالية إلى العربية الأب رفاييل انطون زاخور ولا تزال نسخته المخطوطة — بخط المترجم — محفوظة فى دار الكتب الملكية تحت رقم ٤٣٥ تاريخ . وقد فصلنا الكلام عن هذا الكتاب عند حديثنا عن المترجمين السوريين فى عصر محمد على . وذكرنا فى ذلك الفصل أن محمد على أمر بهذه المناسبة فترجمت له مقدمة ابن خلدون إلى اللغة التركية . ليقارن بينها وبين كتاب الأمير .

(١) Bowriug, op. Cit. , P. 145.

(٢) يبدو أن محمد على كان قد أنشأ فى القلعة غرفة للترجمة تترجم له خاصة ما يأمر بترجمته ، وأن معظم هذه الكتب التى نذكرها فيمايلى ترجمت فى هذه الغرفة ، أماأعضاء هذه الغرفة فهم المترجمون المذكورون إلى جانب هذه الكتب ، يؤيد ترجيحنا هذا رواية رحالة أجنبى معاصر زار هذه الغرفة بالقلعة وذكر أسماء هؤلاء المترجمين ، هــذا الرحالة هو الانجليزى Saint John ، فقد قال فى كتابه Egypt and Mohemed Ali V. 1: P. 127 — 129 أنه زار فى القلعة غرفة كانت بها لجنة تقوم بترجمة بعض الأوراق والكتب وذكر من أسماء المترجمين بها : Kalavagi (هو جاكوفاكى أرجيربولو مترجم قترينه تاريخى إلى اللغة التركية) و Artanin Effendi (هو أرتين أفندى) و Yaussouff Effendi و Stephan Effendi (هو اسطفان افندى) .

(٣) أنظر فهرس الكتب التركية المحفوظة بالكتبخانة الخديوية المصرية .

٣ — « التلخيصات المتعلقة بتدبير أمور سلطنة الدولة العثمانية » تاليف الأمير قوجه مصطفى بك الكوروجه لى فاتح بغداد . ومن أصحاب السلطان مراد خان الرابع . ألفها وقدمها له حينما وقع الاحتلال وظهرت الفتن فى أوائل سلطنته ، ترجمه إلى اللغة العربية عبد الله افندى عزيز بن خليل الكاتب والمترجم بديوان الخديوى باسكندرية . وكتب له مقدمة فى صورة « عرض حال » ورفعها إلى محمد على باشا ، أتم ترجمته فى سنة ١٢٤١ . ولا يزال هذا الكتاب مخطوطاً ومعه الأصل التركى فى دار الكتب الملكية .

٤ — « قترينه تاريخى » ، تأليف المؤرخ الفرنسى « كاسترا » ، وهو كتاب فى تاريخ الأمبراطورة كاترين الثانية ، وبه مقدمة قصيرة عن تاريخ الروسيا ، ترجمه عن الفرنسية إلى التركية « جاكوفاكى ارجيروبولو » الموظف والمترجم بالديوان الخديوى ، وقد طبع فى بولاق فى جزء واحد سنة ١٢٤٤ (١٨٢٩) ثم أعيد طبعه فى سنة ١٢٤٦ (١٨٣١) تحت عنوان « ايكنجى قترينه نام روسيه ايمبراتريجه نك تاريخى » بعد أن راجعه وصححه سعد الله آمدى أفندى .

٥ — تاريخ نابوليون بونابرته . وهو مذكراته التى كتبها بنفسه حينما كان منفياً فى جزيرة « سانت هيلانة » ترجم عن الفرنسية إلى التركية وطبع فى بولاق سنة ١٢٤٧ (١٨٣٢) ولم أعثر على اسم مترجمه .

٦ — « ترجمه سير الحلبى » وهو ترجمة السيرة النبوية الحلبية المشهورة ، ترجمها عن العربية إلى التركية سعيد أحمد يلم ، وطبعت فى بولاق سنة ١٢٤٨ (١٨٣٨) .

٧ — ترجمة تاريخ دولة إيطاليا[1] ، تأليف المؤرخ الإيطالى « بوتا » ترجمه إلى اللغة التركية عبدالله أفندى عزيز وحسن أفندى ، الكاتبان بالديوان الخديوى وطبعا فى مطبعة سراى الاسكندرية سنة ١٢٤٩ (١٨٣٤) .

٨ — تاريخ نابوليون بونابرته[2] تأليف « الدوق دى روفيجو » ترجمه إلى التركية المترجمان السابقان . وطبع فى مطبعة سراى الإسكندرية سنة ١٢٤٩ (١٨٣٤) .

٩ — « سفارت نامه رفاعة بك » وهى رحلة رفاعة ترجمها عن العربية إلى التركية — بأمر محمد على — المولى رستم أفندى بسيم العرضحالجى بالدائرة السنية الخديوية ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٥ (١٨٤٠) .

(١) يبدو أن هذين الكتابين ترجما تحقيقا لرغبة إبراهيم باشا . والدافع لترجمتهما واضح . فقد ترجما فى ٢٤٨ (١٨٣٣) والحرب السورية الأولى على وشك الانتهاء . كتب حسن أفندى الى ابراهيم باشا فى ٩ جمادى الآخرة سنة ١٢٥١ يذكر له أنه أنجز الباقى من ترجمة تاريخ إيطاليا . عابدين محفظة ٢٥٢ رقم ٢٠ ؛ وفى ٢١ رمضان ١٢٤٨ كتب إبراهيم باشا الى سامى بك يوصيه أن يأمر عزيز أفندى القائم على طبع تاريخ نابليون بالجد والنشاط لاخراج الأجزاء الباقية ، عابدين محفظة ٢٤٣ . رقم ١٥٣ مكرر . وفى ٨ شوال ١٢٤٨ أرسل زكى أفندى إلى إبراهيم باشا بما يفيد أنه بعث إليه ثلاثة أجزاء أخرى من تاريخ نابليون الذى طبع حديثا بمعرفة عزيز أفندى . عابدين دفتر ٢١٠ رقم ٤٠١ . وتحت الرقم ٤٠٢ إشارة إلى أن حسن أفندى التاتار نقل هذا الكتاب إلى العربية . انظر أيضاً عابدين محفظة ٢٤٧ رقم ١٩٦ بتاريخ ١٣ ربيع الآخر ١٢٤٩ .

(٢) أنظر الهامش السابق .

١٠ — شرح قصيدة البردة ، ترجمه عن العربية إلى التركية أحمد أفندى مصطفى، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٦ (١٨٤١) .

هذه هى الكتب التاريخية التى ترجمت فى عصر محمد على وبأمره إلى اللغة التركية تبين فى وضوح اتجاهه نحو تثقيف نفسه ثقافة تاريخية واسعة ، ونستطيع أن نضيف إليها ماترجمه خريجو الألسن إلى اللغة العربية من كتب فى تاريخ أوربا فى عصورها المختلفة ، وتاريخ فرنسا وبطرس الأكبر ، فمما لا شك فيه أن كثيراً من هذه الكتب كانت تقرأ لمحمد على أو تعرض عليه فيقرها قبل طبعها .

ونلاحظ أخيراً أن هذه الكتب جميعها ترجمت تحقيقاً لرغبات محمد على أو لرغبات ابنه ابراهيم ، ولولا هذه الرغبات ما ترجمت هذه الكتب ، غير أنا عثرنا بين الكتب التى ترجمها موظفو الدواوين فى ذلك العصر على مثال فريد فى كل ما يحيط به فهو فريد فى نوع الترجمة لأنه مترجم عن الفارسية إلى العربية ، وهو فريد فى الدافع على ترجمته ، فقد ترجمه مترجمه بدافع من هوايتـــه الشخصية وشغفه بالدراسة ، وهو فريد أخيراً فى نوعه ، فهو كتاب فى الأدب ، بل لعله الكتاب الوحيد فى علم الأدب الذى ترجم فى عصر محمد على .

هذا الكتاب هو ترجمة عربية لكلستان سعدى قام بها جبرائيل بن يوسف المخلع السورى الأصل والكاتب بالديوان الخديوى بثغر الإسكندرية ، وطبعت هذه الترجمة فى بولاق فى صفر سنة ١٢٦٣ .

وقد ذكر « الخواجة جبريل » فى مقدمة الكتاب أنه كان شغفاً بالبحث والقراءة ، لكن « الأشغال الديوانية » كانت تحول بينه وبين تحقيق رغبته ، ثم رأى أخيراً أن يخصص ساعات من وقت فراغه لدراسة اللغة التركية ، وذلك « لعموم نفعها من وجهين ، وكثرة توقعها على الأذنين ، فإنها بعد اللغة العربية أوفر تداولا فى المصالح العربية »[١] وبدأ هذه الدراسة فى الليلة السادسة عشره من جمادى التالى سنة ١٢٥٧ . ثم لاحظ أن هذه اللغة التركية تعتمد اعتماداً كبيراً على اللغتين العربية والفارسية ، وأن ماعليها « من الحلى والحلل لم يكن من ذاتها حصل ، وإنما هو مكتسب من مواهب اللغتين العربية والفارسية » ولذلك يقول « أدركت أننى لا أرتوى من حياضها ، ولا أجتنى من رياضها . . . ألا بحوز مستعملات اللغة الفارسية . وأما العربى فهو لسانى بالسجية » ولهذا شرع فى تعلم اللغة الفارسية « فى ثانى ساعة من ثانى ليلة من المحرم الحرام سنة ثمان وخمسين وألف من هجرة الإسلام »[٢] . وكان من بين الكتب التى قرأها أثناء دراسته اللغة الفارسية كتاب « كلستان »[٣] وقد أعجب به فرأى أن يترجمه ليحقق بذلك رغبتين : أولاهما أن

(١) كلستان سعدى . الترجمة العربية . ص ٦ و٧ .

(٢) المرجع السابق . ص ٨ و٩ .

(٣) طبع النص الفارسى لهذا الكتاب فى بولاق سنة ١٢٤٤ (١٨٣٨) ، ثم أعيد طبعه مرة أخرى فى سنة ١٢٥٠ (١٨٤١)

يستعين بالترجمة على إتقان هذه اللغة ، وثانيهما إفادة قراءة اللغة العربية ، يقول فى هذا المعنى « وبينما أنا فى بعض الليالى مكب على مطالعته ، مستغرق فى مسامرته ، إذ أشارت إلى العناية الربانية ، وألهمتنى الإرادة الصمدانية ، أن أستخرج درة من بحر الفاسية إلى شاطىء العربية ، ليتم لى بذلك فائدتان : إحداهما التقوى فى هذا اللسان ، والثانية نفع من رغب فهمه ممن وقف عند العربية فى البيان » .

وقد ذكر أنه أتم ترجمته فى شهر وأيام ، فقد بدأ الترجمة فى يوم الاثنين السادس من شهر رمضان سنة ١٢٥٨ وأتمها فى السادس عشر من شوال من نفس السنة .

الميدان الثالث الذى ظهرت فيه جهود المترجمين من الموظفين هو ميدان العلوم الرياضية ، فقد كانت هذه العلوم تدرس فى المدارس الحربية كما كانت تدرس فى مدارس الهندسة . ومعظم تلاميذ المدارس الحربية — فى العهد الأول — إن لم يكن كلهم كانوا من سلالات تركية . وكانوا يدرسون فى تلك المدارس باللغة التركية . لهذا كان من الواجب أن تترجم لهم هذه الكتب إلى اللغة التى يفهمونها وبعض هذه الكتب ترجم عن الفرنسية إلى التركية مباشرة . والبعض الآخر كان قد ترجم إلى العربية لاستعماله فى مدارس المهندسخانة فصدرت الأوامر بترجمته عن العربية إلى التركية .

والاسم البارز فى هذا الميدان هو إبراهيم أدهم بك مدير ديوان المدارس فقد كان المشرف على حركة الترجمة الرياضية إلى اللغة التركية ، ولا عجب فهو من أصل تركى ، وقد درس علوم المدفعية فى انجلترا ، وكان رئيساً لبعض البعثات الصناعية التى أرسلت إلى انجلترا ، وقد بدا له وهو فى بلاد الانجليز أن يتشبه بهم فى كل شىء فخلع ملابسه الشرقية ولبس ملابسهم ، وحاكاهم فى عاداتهم ، فغضب عليه محمد على غضباً شديداً وأعاده إلى مصر ، وظل عاطلا حتى شفع له عباس باشا[١] فعفى عنه بعد أن اعترف بخطأه واعتذر عنه . وعينه محمد على مديراً لديوان المدارس خلفاً لمختار بك الذى توفى فى سنة ١٨٣٩ .

وقد كان أدهم رجلا قديراً نشيطاً وافر الذكاء واسع الثقافة ، وخاصة فى العلوم الحربية والرياضية ، يجيد اللغتين الفرنسية والإنجليزية معرفة وحديثاً . وقد ذكر كلوت بك أنه تعلم اللغة الفرنسية « بقوة إرادته وعلى غير أستاذ ، وهو صحيح اللهجة فيها ، وتعلم الرياضيات بفروعها فقبض على ناصيتها ، وأحاط بشتات المعلومات الخاصة بفن الطوبجية ، وأرى أنه يناظر فيها أحسن ضباط المدفعية ، وأمهر مديرى الإدارات المتعلقة بها ، وأنه أقدر من عرفتهم من الناس فى الشئون الإدارية ، ولا شك فى أن محمد على كان صادق النظر حينما اختار مثل هذا العامل النشيط بل كان سعيد الطالع بعثوره على مثله[٢] » .

وقد ترجم أدهم بك بعض هذه الكتب بنفسه ، ومنها :

١ — رسالة فى علم جر الأثقال ، ترجمها عن الفرنسية إلى التركية ، وطبعت فى بولاق سنة ١٢٤٩ (١٨٣٤) .

(١) تقويم النيل ، ج ٢ . ص ٤٩٥ — ٤٩٦ .

(٢) كلوت بك لمحة ، عامة إلى مصر . ج ٢ . ص ٣٢٦ (نقلا عن « المارشال دى راجوز ») .



أدهم بك

مدير ديوان المدارس

٢ — رسالة فى الهندسة ، ترجمها عن الفرنسية إلى التركية ، وطبعت فى بولاق سنة ١٢٥٣ (١٨٣٧) .

٣ — مقالات الهندسة ، ترجمها عن الفرنسية إلى التركية ، وطبعت فى بولاق سنة ١٢٥٢ (١٨٣٧) ؛ وقد ترجم بعض الكتب الرياضية الأخرى موظفون آخرون بإشارة أدهم بك وإشرافه . أظهر هؤلاء عصمت أفندى ، وعلى افندى الجيزلى ، وقد ترجموا الكتب الآتية : —

١ — أصول الهندسة تأليف « لوجاندر » ترجمه عن الفرنسية إلى التركية أدهم بك ، ثم ترجمه عن التركية إلى العربية محمد عصمت افندى وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٥ (١٨٤٠) .

٢ — مبادىء الهندسة ، ترجمه عن الفرنسية إلى العربية رفاعه ، رافع الطهطاوى ، ثم ترجمه عن العربية إلى التركية محمد عصمت افندى . وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٩ .

٣ — إفاضة الأذهان فى رياضة الصبيان . ترجمه عن الفرنسية إلى العربية محمد الشيمى أحد خريجى الألسن . وكانت ترجمته « برسم حضرات أنجال الخديو الأعظم ، وحفدة الداورى الأكرم . وليشتغل به تلاميذ المكتب العالى الشهير ، وتلاميذ المكتب السامى بالقصر المنير ، وليكون أيضاً مستعملا فى مكاتب المبتديان بالمحروسة والأقاليم . . [١] » ، وقد ترجمه عن العربية إلى التركية على افندى الجيزلى « الخوجة بالمدارس المصرية » بإشارة ابراهيم بك أدهم مدير المدارس المصرية ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٩ .

وهنالك كتابان أخيران مما ترجم الموظفون إلى اللغة التركية فى عصر محمد على وهما كتابان فى الطب من تأليف كلوت بك ، أمر بوضعهما محمد على لنشر الثقافة الطبية ووسائل الوقاية والعلاج البسيطة بين أفراد الشعب . وقد تحدثنا طويلا عنهما فى الفصل الخاص بالمؤلفين والكتب . وهما « كنوز الصحة ويواقيت المنحة » و « الدرر الغوال فى معالجة أمراض الأطفال » وقد ترجمهما عن الفرنسية إلى العربية الدكتور محمد الشافعى ، وقام على تصحيحهما وصياغتهما فى أسلوب بسيط قريب من فهم العامة الشيخ محمد عمر التونسى ، وإذ كانت طائفة كبيرة من سكان مصر فى ذلك الوقت تجيد التركية دون العربية فقد أمر محمد على بترجمة هذين الكتابين إلى اللغة التركية ، وترجمهما مصطفى رسمى الجركسى افندى ، وذلك بإشارة أدهم بك أيضاً ، وطبع الأول فى سنة ١٢٦١ ، والثانى فى سنة ١٢٦٠ .

---

(١) أنظر مقدمة الترجمة العربية .

الفصل الرابع

المحررون والمصححون

بدء تعيين المصححين . كان المصححون يختارون عناوين الكتب المترجمة ويكتبون مقدماتها وخاتماتها ، إهمال أسماء المؤلفين . تفريق جورجى زيدان بين المحررين والمصححين . المصححون فى مدرسة الطب : الشيخ محمد الهراوى . الشيخ محمد محرم . الشيخان أحمد حسن الرشيدى وحسين غانم الرشيدى ، الشيخ سالم عوض القنياتى . الشيخ محمد عمر التونسى ؛ مصحح مدرسة الطب البيطرى الشيخ مصطفى كساب . مصحح مدرسة الزراعة الشيخ نصر أبوالوفا الهورينى . مصحح مدرسة الهندسة الشيخ ابراهيم الدسوقى . مصححو مدرسة الالسن . أثر هؤلاء المشايخ فى حركة الترجمة ، ما أفاده بعضهم من هذه الحركة

كانت الطائفة الأولى التى تولت الترجمة فى عصر محمد على هى طائفة السوريين ولم يكن أفراد هذه الطائفة على علم واسع متين باللغات التى يترجمون عنها أو باللغة العربية ، وذلك لأن معرفتهم بهذه اللغة كانت معرفة بممارسة لا معرفة دراسة . ولأنهم كانوا جميعا مسيحيين . فلم يقوّم القرآن لسانهم أو أسلوبهم.

ولما كانت حكومة محمد على ترى أن هذه الكتب المترجمة هى صفحة جديدة فى نهضة علمية جديدة ، سينسبها التاريخ إلى صاحب هذه النهضة . فقد فكرت فى الطريقة التى تقوم بها ما اعوج من أسلوب هؤلاء السوريين ، وهداها تفكيرها إلى اختيار جماعة من شيوخ الأزهر ليتولوا مراجعة هذه الكتب بعد ترجمتها ويصححوا ما بها من أخطاء ، ويقوموا ما بأسلوبها من اعوجاج .

وقد كان من تقليد ذلك العصر أن يترك للشيخ المحرر أو المصحح كتابة مقدمة الكتاب وخاتمته ، واختيار عنوان عربى جديد له ، واعتاد هؤلاء الشيوخ — متأثرين بالكتب القديمة التى قرأوها — أن يلتزموا السجع فى اختيار العنوان وعند كتابة المقدمة والخاتمة . وقد كان لهذه الطريقة فى اختيار العنوان عيبها ، وفى كتابة المقدمة والخاتمة فائدتها ، وذلك أنهم بعدوا بالعنوان المسجوع عن العنوان الأصلى للكتاب بعداً كبيراً ، فلما حاولتُ إرجاع هذه الكتب إلى أصولها لمعرفة أسمائها الأجنبية عزّ على ذلك ، بل واستحال ، فكيف يمكن تحقيق الأسماء الأصلية لكتب هذه عناوينها : « نزهة الأنام فى التشريح العام » أو « منتهى الأغراض فى علم الأمراض » أو « رضاب الغانيات فى حساب المثلثات » أو « منتهى البراح فى علم الجراح » الخ .. الخ ..

أما المقدمات والخاتمات فقد أفدت منها فوائد جمة . فقد اعتاد كل شيخ أن يذكر فى مقدمة كل كتاب

يراجعه كلمة عن فضل « ولى النعم » فى إحياء النهضة العلمية الحديثة . ثم يشير إلى جهود ناظر المدرسة التى ترجم فيها هذا الكتاب . مع مبالغة ملحوظة فى مدحه والثناء عليه وعلى جهوده وعلمه ، فكلوت بك فى نظر الشيخ التونسى هو « ابقراط زمانه . وأفلاطون أقرانه . أمهر من قال أنا طبيب . من يكاد الداء إذا رآه بدون معالجة يطيب »[1] والشيخ مصطفى كساب يصف المسيو « آمون » ناظر الطب البيطرى بأنه « الطبيب النجيب ، اللوذعى اللبيب . ذو اللطائف والفنون . الحاذق الماهر آمون »[2] . . وهكذا .

فاذا انتهى الشيخ من هذا التقريظ ذكر اسم المترجم مثنيا على نبوغه ومقدرته وقد يذكر السبب الدافع لترجمة الكتاب . أو الشخص الموحى بترجمته . وقد يشير إلى طريقة الترجمة مما سنفصل الكلام عنه عند تقديرنا العام للترجمة فى هذا العصر .

وفى الخاتمة كان يشير الشيخ إلى أن الكتاب قد « تم . . على يد مصحح مسائله ومنقح دلائله » أو أنه « كمل حسب الطاقة تصحيحاً . وتم تهذيبا وتنقيحا » أو أنه « هذب عباراته ومبانيه . وحرر بعد السؤال معانيه . وبذل فيه غاية المجهود . ونظمه نظم اللآلى فى العقود . . » أو أنه روجع « على يد مصحح كلمه عند الترجمة . محرر جمله لدى القراءة والمقابلة . مفرغه فى قالب التصانيف الأولية ، صائغه على تمثال التآليف العربية . مؤاخيه حال القراءة والجمع . موافيه عند التمثيل والطبع . . مغفور المساوى محمد الهراوى » الخ الخ

فإذا انتهى الشيخ من مدح نفسه والثناء على مجهوده ، ذكر اسم الكتاب ونص على أنه هو الذى اختاره ثم أشار إلى تاريخ الانتهاء من الترجمة ، وتاريخ الانتهاء من طبعه ، وكان بعض المشايخ يؤرخ لكتابه بأبيات من الشعر — كتقليد العصر — ثم يذكر فى هذه الأبيات — أحيانا عدد النسخ التى طبعت من الكتاب وقد كان المعتاد أن يطبع من كل كتاب ألف نسخة ، وفى النهاية كان يشير الشيخ إلى المطبعة التى طبع بها الكتاب

من هذا كله يتضح أن هذه المقدمات والخاتمات هى فى الواقع وثائق هامة جداً لتاريخ الحركة الفكرية فى ذلك العصر ، فمنها استطعت أن أعرف الشىء الكثير عن الكتب ومترجميها ومصححيها ، وطريقة الترجمة ، والمراجعة والتصحيح وعدد الطبعات ، وسنة الطبع وأغراض الترجمة ، وموجهيها .

والشىء الوحيد الذى كان يغفله الشيوخ — رغم أهميته — هو أسماء المؤلفين فقلما كانوا يشيرون إلى هذه الأسماء ، ولم يحدث هذا إلا فى الكتب التى وضعها مدرسو المدارس ، أو فى الكتب التى ترجمت فى مدرسة الألسن ، وألفها رجال عظام « كفولتير » أو « روبرتسون » الخ . ، وكانت هذه الأسماء تكتب بحروف عربية ، ولم يحدث أبدا أن كتبت بحروف لاتينية ، مع وجود هذه الحروف فى مطبعة بولاق منذ إنشائها ، بدليل استعمالها فى طبع القاموس الإيطالى العربى .

(١) كنوز الصحة . ص ٣

(٢) غاية المرام فى أدوية الأسقام . ص ٢ .

وقد انتقل هذا التقليد فى الكتب التى ترجمها خريجو الألسن ، فأصبح المترجمون يكتبون المقدمات والخاتمات بأنفسهم غير أن الشىء الوحيد الذى كان يعانى منه الشيوخ المحررون كثيرا ، ثم عانى منه خريجوا الألسن أيضا وهم يتبعون طريقتهم ، هو السجعات التى تتفق وأسماءهم ، فكانوا يتحايلون على هذه الأسماء تقديما وتأخيرا ، وتبديلا وتغييرا حتى تتفق أخيرا مع مايكمل السجعة ، وفيما يلى أمثلة طريفة لما كان يبذله هؤلاء الشيوخ من جهد لنظم أسمائهم فى سجعات مختلفة .

فالشيخ ابراهيم الدسوقى يعانى من لقبه ، وأخيرا يوفق إلى أنه « المتوسل إلى الله بالقطب الحقيق ، ابراهيم عبد الغفار الدسوقى » ثم لاتعجبه هذه السجعة . فيبدل من وضع أجزاء اسمه . وينتهى إلى أنه « راجى غفر الأوزار — أو سير الأوزار — إبراهيم الدسوقى عبد الغفار » ، أما الشيخ التونسى فهو دائما « المتوكل على عفو المنان ، محمد التونسى بن سليمان » . فاذا سئمهافهو « مصحح كتب الطب الآن محمدالتونسى ابن سليمان » . أما الشيخ محمد الهراوى فكانت مهمته سهلة . لأنه دائما « مغفور المساوى ، محمد الهراوى » وكذلك الشيخ مصطفى كساب فهو دائما « المفتقر إلى رحمـــة ربه الوهاب — أو راجى حسن المآب — السيد مصطفى حسن كساب » .

وقد حذا حذو المشايخ فيما بعد خريجو الألسن فالتزموا — مثلهم — السجع فى مقدمات كتبهم . ولهذا عانوا مثلما عانى الشيوخ ، ورأينا فى كتبهم أمثال هذه السجعات : « راجى رحمة ربه على الدوام ، الفقير إلى الله تعالى سعد نعام » و « راجى رحمة الملك الودود ، عبده خليفه محمود » و « وراجى رحمة ربه المتعال ، السيد عمارة بن عبد العال » وأخيرا أستاذهم « المؤيد برعاية الملك المبدى ، السيد رفاعة بدوى » أو « الراجى فضله الواسع ، رفاعة بدوى رافع » ، الخ

وقد حاول جورجى زيدان أن يصنف هؤلاء الشيوخ إلى محررين ومصححين . وذكر أن « التحرير فى الأصل هو الإصلاح والتقويم . فيقولون حرر الكتاب أى قومه وحسنه وخلصه بإقامة حروفه . وإصلاح سقطه . والمحرر الذى يقوم بذلك » أما المصحح فى رأيه فهو الذى « يتولى تصحيح الكتاب فى أثناء الطبع » وذلك « لأن المحررين يشترط فيهم معرفة العلم الذى يعهد اليهم بتحريره . وفهم مصطلحاته العلمية . وغير ذلك فضلا عن معرفة اللغة، أما المصححون فيكفى فيهم معرفة قواعد اللغةوشواردهاوضبط العبارات حسب القواعد » . [1] والواقع أن الشيوخ الذين قاموا بمراجعة الكتب المترجمة فى ذلك العصر كانوا يقومون بالعملين معا . بل كان لهم جهد مشكور — وخاصة الشيخ التونسى — فى أحياء المصطلحات العلمية العربية القديمة ومحاولة التوفيق بينها وبين المصطلحات الأوروبية الحديثة بعد مراجعة كتب العرب

(١) جورجى زيدان . تاريخ آداب اللغة العربية . ج ٤ ، ص ١٧٥ .

فى الطب والهندسة والرياضيات ، ولفظ المحرر لفظ حديث شاع استعماله بعد نشأة الصحافة وانتشارها ، أما وثائق العصر فكانت تسميهم دائمـــاً مصححين ، فإذا فرقت بينهم سمت هذا مصححاً أول أو باشمصحح ، وسمت الآخرين مصححين ، والشيخ الوحيد الذى أطلقت عليه كتب العصر لفظ « محرر » هو الشيخ التونسى .

وكان المصحح يمنح فى العادة — حسب تقاليد العصر — رتبـــة اليوزباشى ، وبذلك يكون راتبه ٤٥٠ قرشاً فى الشهر . أو رتبة الملازم فيكون راتبه ٣٠٠ قرش [1] .

كانت أول مدرسة خصوصية شهدت نظام المحررين والمصححين هى مدرسة الطب غير أن هذا النظام أصبح تقليداً فيما بعد ، فألحق بكل مدرسة خصوصية مصححون لمراجعة الكتب التى تترجم بها ، وحتى مدرسة الألسن فإنها خضعت لهذا النظام ، وذلك لأن الكثيرين من خريجيها لم يكونوا من أبناء الأزهر ، بل جمعوا كما ذكرنا من مكاتب الأقاليم ، فكانوا — رغم دراستهم اللغة العربيـة فى مدرسة الألسن على فطاحلها فى ذلك العصر — فى حاجة إلى من يراجع كتبهم ، ويصحح لغتها ويقوم أسلوبها ، وسنحاول فيما يلى أن نتحدث عن هؤلاء المصححين وجهودهم .

فى مدرسة الطب :

١ — الشيخ محمد عمران الهوارى : هو أقدم وأول من عين من المصححين بمدرسة الطب ، ولا نستطيع أن نحدد بالضبط فى أى سنة عين ، ولكنه عين قطعاً قبل سنة ١٢٤٨ (١٨٣٢) وهى السنة التى طبع فيها أول كتاب طبى ترجم فى مدرسة أبى زعبل ، وهو كتاب القول الصريح فى علم التشريح [2] وترجمه يوحنا عنحورى ، وقام على تصحيحه الشيخ الهراوى بالاشتراك مع الشيخ أحمد الرشيدى .

وقد قام الشيخ الهراوى بتصحيح كل الكتب الطبيـة التى ترجمها المترجمون السوريون : عنحورى وفيدال ، وسكاكينى [3] ، فلما عاد أعضاء البعثة الطبية الأولى بدأ يراجع ترجماتهم أيضاً ، فكان أول كتاب راجعه من هذه الكتب هو كتاب « الأربطة الجراحية » الذى ترجمه النبراوى وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٤ .

وكان كلوت بك قد أنشأ — فى السنوات الأولى من تأسيس مدرسة الطب — مدرسة تجهيزية لإعداد الطلاب لمدرسة الطب ، وأسماها « مدرسة المارستان » ، وقد ظلت هـذه المدرسة قائمة حتى أواخر سنة ١٢٥١ أو أوائل سـنة ١٢٥٢ (١٨٣٦) حيث تعرضت لعوامل الضعف والانحلال ، وأهم هذه

(١) تاريخ التعليم فى عصر محمد على . ص ٦٨٦ .

(٢) قال مستر « دن » فى مقاله عن الطباعة والترجمة . ص ٣٤٢ هامش ١ أنه يرجح أن يكون هذا الكتاب هو Éléments de Chirurgie تأليف Begin ، ولكننى رجعت إلى الترجمة العربية فوجدت الشيخ الهراوى يذكر صراحة أن الكتاب من تأليف « المعلم بايل » Bayle .

(٣) راجع بيان هذه الكتب فى الفصل الخاص بالمترجمين السوريين .

العوامل عدم توفر المدرسين من الأطباء لتدريس العلوم التمهيدية للطب لتلاميذ تلك المدرسة حتى لم يعد « بها من المدرسين إلا ناظرها الشيخ »[١] — أى الشيخ محمد عمران الهراوى .

وعند وضع لائحة سنة ١٨٣٦ لتنظيم التعليم رؤى الاستغناء عن هذه المدرسة ، وكتب « شورى المدارس » إلى كلوت بك يسأله رأيه ، فاقترح إلغاء المدرسة ، ثم رأى الشورى أن يستطلع رأى ناظر المدرسة الشيخ الهراوى ، فكتب الشيخ إليهم أنه « لا يمكن الاستفادة من هذه المدرسة وهى على حالتها الحاضرة ، ولكن لو عين لها مدرسون وما تحتاج إليه ، ونظمت أسوة بالمدارس الأخرى تصبح مفيدة ، أما إذا تركت على ماهى عليه الآن من الفوضى ، فلا يمكن أن يتعلم طلبتها شيئاً . ونكون قد صرفنا مبالغ طائلة فى غير محلها[٢] » . ولكن كلوت بك أصر — رغم هذا البيان — على إلغاء المدرسة ، لأنه كان يعلم كما يقول الدكتور عزت عبد الكريم أن « إيجاد المدرسين من الصعوبة بمكان ، وأن تنظيمها يحتاج إلى مصروفات باهظة[٣] » .

ويبدو أن هذا الموضوع كان مثار خلاف شديد بين الرجلين — كلوت والهراوى — وأن الشيخ اعتد برأيه وأصر عليه ، ووصل خبر هذا النزاع إلى محمد على باشا وكانت للشيخ لديه سابقة أخلاقية ، فأصدر أمره فى الحال إلى وكيل الجهادية بأنه « علم من اطلاعه على المضبطة المؤرخة فى غرة الجارى (جمادى الآخرة ١٢٥١) حصول المعارضة من الشيخ الهراوى فى أمور لا تعنيه ، وبالنسبة لعلمه بآدابه لم يقابل بشىء من شورى الأطباء ، ويشير بأن المذكور ليس ممن يجب احترامهم ، بل من الأشرار المحتاجين للإيقاظ وحتى أن تزويره معلوم لديه من قبل ، وأن التزامهم السكون ، وعدم إدراكهم كيفية المذكور أوجب استغرابه فيلزم بوصول أمره هذا استحضار المذكور ، والتنبيه عليه مؤكداً بعدم تداخله فى شىء خارج عن وظيفته ، وبأنه ينفى ويطرد لو حصل إقدامه ثانياً على ما يوجب التشكى منه[٤] » .

وفى الحادى عشر من نفس الشهر كتب محمد على أيضاً إلى مأمور ديوانه حبيب أفندى يستدعى الشيخ وينبه عليه « بتجنب التدخل فى أمور ولوازم مدرسة المارستان وشؤون تلاميذها ، بل يحصر اهتمامه فى تصحيح ترجمة الكتب المحولة إلى عهدته فقط ، وإذا لم يلتفت يصحح يزجه فى غرفة خالية ويشغل خاطره بالعصا[٥] » .

وقد استقر الرأى نهائياً على إلغاء المدرسة ، واكتفى الشيخ الهراوى بأن « يحصر اهتمامه فى تصحيح

(١) عابدين دفتر ٢٠٠٢ (مدارس تركى) جلسة شورى المدارس فى ٥ المحرم ١٢٥٢ (عن عزت عبد الكريم المرجع السابق ص ٢٨٩ . حيث ذكر فى ص ٢٥٨ هامش ٣ خطأ أن الشيخ الهراوى أرسل فى بعثة طبية إلى فرنسا .

(٢) و (٣) عابدين دفتر ٢٠٠١ (مدارس تركى) جلسة شورى المدارس فى ٢١ ذى الحجة سنة ١٢٥١ . وتاريخ التعليم فى عصر محمد على ص ٢٩٠ .

(٤) تقويم النيل ، ج ٢ ، ص ٤٥١ بتاريخ ٧ جمادى الآخرى ١٢٥١ .

(٥) عابدين ، دفتر ٦٨ (معية) رقم ١٧٩ إلى حبيب أفندى فى ١١ جماد ثانى ١٢٥١ وانظر أيضا Dunne, Printing and translations, etc. p. 342.

ترجمة الكتب المحولة إلى عهدته فقط » . وظل يمارس هذا العمل نحو ست أو سبع سنوات أخرى ، فقد توفى فى أواخر سنة ١٢٥٧ ، أو أوائل سنة ١٢٥٨ . يقول الشيخ محمد عمر التونسى فى مقدمة الجزء الأول من كتاب « الجواهر السنية فى الأعمال الكيماوية » تأليف وترجمة الدكتور « برون » الذى طبع فى سنة ١٢٥٨ : « وكان الأمر قد صدر بطبع هذا الكتاب على يد سلفى الفاضل حاوى كمالات الفضائل والفواضل ، المرحوم برحمة من يغفر ، الشيخ محمد الهراوى ، فطبع منه على يده فى ظرف سنتين ثمان وخمسين ملزمة ، ودعاه داعى الحمام فلباه ولما أتمه ، فتوليت طبعه من بعده ، واقتفيت أثره فى قصده ، ونحوت نحو إعرابه ، وإن لم أكن من أضرابه . . . » .

وبهذا يكون الشيخ الهراوى قد قضى فى مدرسة الطب نحو عشر سنوات ، كان يقوم فى خلالها بوظيفة المصحح الأول ، وكان يساعده فى بعض الأحيان مصححون آخرون هم :

٢ — الشيخ محمد محرم ، ويبدو أنه التحق بمدرسة الطب حوالى سنة ١٢٥٠ ، فقد قام بتصحيح كتاب « إسعاف المرضى من علم منافع الأعضاء » الذى ترجمه الدكتور هيبه وطبع سنة ١٢٥٢ ، وقد اشترك أيضاً مع الشيخ الهراوى فى تصحيح « نبذ كلوت بك » التى ترجمها الدكتور النبراوى ، وطبعت فى سنة ١٢٥٣ .

٣ و ٤ — الشيخان أحمد حسن الرشيدى ، والشيخ غانم الرشيدى[١] ، من طلاب الأزهر أصلا ، ثم ألحقا مصححين بمدرسة الطب فى السنوات الأولى من إنشائها وعملا بها تحت إشراف المصحح الأول الشيخ الهراوى ، واشتركا معه فى تصحيح بعض الكتب الأولى التى ترجمت فى المدرسة ، وكانا يحضران دروس الطب مع تلاميذ المدرسة ، فأظهرا نبوغاً وتفوقاً ، ولهذا اختارهما كلوت بك ليكونا عضوين فى البعثة الطبية الأولى التى أرسلت إلى فرنسا سنة ١٨٣٢ (١٢٤٨) فلما سافرا قرر مجلس الجهادية فى ٢٦ صفر ١٢٤٨ « انتخاب اثنين مصححين بمعرفة الشيخ الهراوى رئيس مصححى مدرسة الطب البشرى ، من المشايخ : عبد الرحمن الصفتى ، ومحمد هدهد ، ومحمد عياد الطنطاوى ، وعبد المنعم الجرجاوى بدلا من كل من الشيخ السيد أحمد الرشيدى ، والشيخ السيد حسين غانم من مصلحى الترجمة بالمدرسة المذكورة نظراً لسفرهما إلى أوربا صحبة كلوت بك »[٢] .

وهؤلاء المرشحون جميعاً من خيرة شيوخ الأزهر فى ذلك العصر ، فقد عاون الشيخ محمد هدهد الطنتدائى الشيخ رفاعة فى مراجعة الجزء الأول من جغرافية « مالطبرون » .

أما الشيخ محمد عياد الطنتدائى (أو الطنطاوى) فكان من أنبغ تلاميذ العطار وممن نهجوا نهجه فى تجديد

(١) راجع ما كتبناه عنهما فى فصل المترجمين .

(٢) الوقائع المصرية ، العدد ٤١٢ بتاريخ ٧ ربيع الأول سنة ١٢٤٨ .

الحركة الفكرية . فبدأ بتدريس كتاب الحماسة [١] فى الأزهر ولكنه لم يلبث أن اتهم من زملائه بالكفر والإلحاد ، وانفض المستمعون عن دروسه ، فانصرف عن دروس الأدب إلى غيرها .

وقد كان الطنطاوى كأستاذه كثير الاتصال بعلماء الفرنجة الموجودين فى مصر فتتلمذ عليه كثير من المستشرقين من جنسيات مختلفة أمثال دكتور « برون » و « فرسنل » و « ج . فيل : .G. Weil » و دكتور « برنر .Dr. Pruner » و « ر . فراهن R. Frehn » ، وكان أشد هؤلاء إعجاباً به الدكتور « برون » فهو إذا ذكره — وكثيراً ما يذكره — لا يقول إلا « شيخنا محمد عياد [٢] » : "Notre Schaykh M. Ayyad." .

وقد أشاد تلميذه المستشرق الروسى « فراهن » بذكره عند عودته إلى الروسيا فقررت وزارة الخارجية الروسية دعوته لتدريس اللغة العربية فى معهد اللغات الشرقية « بسانت بطرسبرج » ، فسافر إليها فى سنة ١٨٤٠ (١٢٥٦) ومعه زوجته وابنه ، وظل يشغل منصب الأستاذية فى جامعة « بطرسبرج » حتى عاجلته المنية فى سنة ١٨٦١ ، فمات ودفن فى « لينجراد » [٣] ولا زال قبره موجوداً بها ، وقد خلف بعد موته مكتبة كبيرة بها كثير من تآليفه بخطه ، وهى محفوظه الآن فى مكتبة الجامعة بالروسيا .

أما الشيخ عبد المنعم الجرجاوى فقد اختير فيما بعد ليكون مدرساً بمدرسة الألسن .

هؤلاء هم الشيوخ المرشحون ليختار منهم الهراوى مصححين لمدرسة الطب ولكنه لم يختر واحداً منهم ، أو لعله اختار وكان الرفض من قبلهم ، فإن وثائق العصر ، والكتب الطبية المترجمة بعد سنة ١٨٣٢ لا تشير إلى اشتغال واحد منهم بالتصحيح بالمدرسة ، وليس صحيحاً ما ذكره مستر « دن [٤] » فى مقاله عن الطباعة والترجمة من أنهم اشتغلوا جميعاً — لفترة ما — مصححين بمدرسة الطب أما من وقع عليه الاختيار فإثنان غير هؤلاء ، هما الشيخ سالم عوض القنياتى ، والشيخ محمد عمر التونسى .

٥ — الشيخ سالم عوض القنياتى ، من بلدة القنايات بمديرية الشرقية ومن شيوخ الأزهر ، وتلاميذ العطار ، بدأ عمله فى الحكومة المصرية واعظاً لأحد الآلايات التى سارت إلى الشام فى سنة ١٨٣٢ (١٢٤٨)[٥]

ولسنا نعرف بالتحديد متى ألحق بمدرسة الطب ، ولكنا نعرف أنه التحق والشيخ التونسى بها فى وقت متقارب ، وأنهما كانا يتعاونان — فى أكثر الأوقات — على مراجعة وتصحيح الكتب المترجمة ، ويشركان

---

(١) Voyage au Darfour (trad. francaise par Dr. Perron), p. 451

(٢) Artin Pacha, Lettresdu Dr. Perron, pp. 11, 47, 64, 113.

(٣) واجع تفصيلات أكثر عن حياته فى Kratschovsky, Enc, Isl. Art. Tantawi وتيمور باشا . الشيخ محمد عياد الطنطاوى مقال فى مجلة المجمع العلمى العربى . ج ٩ . ايلول ١٩٢٤ . ونفس المرجع . « كراتشكوفسكى » . ج ١٢ . كانون الأول ١٩٢٤ ومحب الدين الخطيب . الشيخ الطنطاوى ، مجلة الزهراء . ج ٧ . رجب ١٢٤٣ . ثم انظر مقالنا عن « دكتور برون والشيخان التونسى والطنطاوى » فى مجلة كلية الآداب بجامعة فاروق الأول العدد الثانى ١٩٤٤ .

(٤) Dunne. Op, Cit p. 345

(٥) ذكر هذا ولده الدكتور سالم باشا سالم فى ترجمته لنفسه فى الخطط التوفيقية ج ١٤ . ص ١٢٥ .

معهما فى هذا العمل « الدكتور برون » فقد قام الشيخ التونسى بتصحيح كتاب « روضة النجاح الكبرى فى العمليات الجراحية الصغرى » الذى ترجمه الدكتور محمد على البقلى ، وطبع سنة ١٢٥٩ ، فلما طبع منه ما ينوف على ثلاثين ملزمة كما يقول الأستاذ القناياتى « سلمه إلىّ لكونه مشغولا بغيره من الكتب المحتمة الطبع ، وللمدرسة لازمة ، فشمرت الذيل فى تصحيحه وترتيبه ، واستنهضت الرجل والخيل فى تنقيحه وتهذيبه ، واجتنبت فيه الإسهاب والإطناب ، والتزمت فيه جزالة العبارة ليسر أولى الألباب » .

ويقول الشيخ القناياتى بعد ذلك فى نفس : المقدمة « ولطالما كنا (أى هو والتونسى) نقابله على أصله بحضرة وملاحظة من بلغ ذروة تلك العلوم ، وعلى أقصى درجه فى منطوقها والمفهوم ، الماهر اللبيب ، اللوذعى الأديب الحكيم الكيماوى . حائز فرائض تلك الفنون ، ناظر مدرســـة الطب البشرى الشهير بيرون ، ولكونه يحسن اللغتين الفرنساوية والعربية ، وله بهذا الفن خبرة وحسن روية صار يقتنص إلى هذا الكتاب كل عويصة شاردة ، ويرد إليه كل فريدة دقيقة الفهم نادرة آبدة » .

كذلك اشترك الشيخان فى تصحيح كتاب « التنقيح الوحيد فى التشريح الخاص الجديد » الذى ترجمه الدكتور محمد الشباسى ، وتم طبعه فى بولاق سنة ١٢٦٦ وهو كتاب ضخم فى ثلاثة أجزاء كبار ، يقول الشيخ التونسى فى مقدمته « ولما تم ترجمة وإتقاناً ، وتهذيبا وإحسانا ، وكل أمر تصحيحه إلى حضرة المصحح الأول ، من كان عليه فى مساعدتى المعول ، الأخ المواتى ، الشيخ سالم عوض القنياتى ، فصحح منه الجزء الأول ، وعاقه الرمد عن الثانى ، فشرعت فى تصحيح ما بقى منه بدون توانى » .

ويبدو أن مقام الشيخين كان واحدا ، فقد كان لها الصدارة بين بقية المصححين ، ولكن وثائق العصر تلقب الشيخ سالماً « بالمصحح الأول » بينما تلقب التونسى « بالباشمصحح . »

٦ — الشيخ محمد عمر التونسى ، هو نابغة المصححين والمحررين ، وزعيمهم جميعا فى ذلك العصر ، وقد أهلته لهذا المنصب ثقافة واسعة جناها من الكتب أولا ، ومن رحلاته العديدة ثانيا .

وحياة هذا الرجل عجيبة من عجائب ذلك العصر ، فهو تونسى أصلا ومولدا ، وإن كانت أمه مصرية وقد عشقت أسرته الرحلة ، فعاش هو وأبوه وجده فى مصر وبلاد العرب والسودان أكثر مما عاشوا فى وطنهم الأصلى تونس .

ولد الشيخ محمد عمر فى (٢٧ يوليو ١٧٨٩ — منتصف ذى القعدة ١٢٠٤) ثم نشأ نشأته الأولى فى مصر وكان أبوه قد رحل إلى السودان باحثا عن أبيه ، فأعجبته الحياة هناك فاستقر بتلك البلاد ، ونال الحظوة الكبرى عند سلطان دارفور عبد الرحمن بن أحمد (توفى ١٢١٤ — ١٧٩٩) ولما ضاقت سبل الرزق فى وجه محمد رحل هو أيضاً إلى دارفور باحثا عن أبيه ، وقد أقام هناك مدة طاف فى خلالها بأرجاء دارفور

ووادای ، ثم عاد إلى مصر فى الوقت الذى كانت تتأهب فيه حملة المورة بالمسير فعين واعظا للآلاى الثامن من آلايات تلك الحملة .

وفى سنة ١٨٣٢ (وهى السنة التى سافر فيها الرشيديان إلى باريس) عاد إلى مصر مع الحملة فاختير مصححا بمدرسة الطب ، وهناك تعرف على الدكتور «برون» وأعجب كل منهما بالآخر ، وتتلمذ برون على التونسى ، وقرأ عليه كتاب كليلة ودمنة وكتبا أخرى . وتعاونا معاً على مراجعة الكتب الطبية العربية لاختيار المصطلحات التى تيسر لهم ترجمة الكتب الفرنسية ، وفى جلساتهما الخاصة تحدث التونسى إلى صاحبه عن مشاهداته فى بلاد السودان . فأوعز إليه أن يسجلها فى كتاب خاص ، يقول التونسى «فذكرت له بعض ما عاينته فى أسفارى من العجائب فحملنى على أن أزين وجه الدفتر بإيضاح ما شاهدته ، فامتثلت أمره لما له على من اليد البيضاء»[1] . وأذعن الشيخ فعلا لمشورة صديقه ، فزين وجه الدفتر بكتابين قيمين سجل فيهما مشاهداته فى دارفور ووادای ، وسمى الكتاب الأول «تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان» ، وضمنه رحلته إلى دارفور ، وسمى الكتاب الثانى «الرحلة إلى وادای» ، وقد قام الدكتور «برون» بنشر النص العربى للرحلة الأولى فى باريس سنة ١٨٥٠ ، ثم ترجمها إلى الفرنسية ونشر الترجمة فى باريس سنة ١٨٥٥ تحت عنوان «Voyage au Darfour.» . أما النص العربى لرحلة وادای فلم ينشر ، وإنما نشرت ترجمته الفرنسية التى قام بها «برون» فى باريس سنة ١٨٥١ تحت عنوان : «Voyage au Ouaday» والكتابان من أحسن المراجع التى وصفت السودان فى النصف الأول من القرن التاسع عشر .

وقد قام التونسى فى مدرسة الطب بتصحيح الكتب الآتية :

١ — الدر اللامع فى النبات وما فيه من الخواص والمنافع . تأليف الدكتور «فيجرى بك» وترجمة السيد حسين غانم الرشيدى . وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٧ .

٢ — واشترك مع الشيخ القنياتى فى تصحيح كتاب «روضة النجاح الكبرى فى العمليات الجراحية الصغرى» الذى ترجمه محمد على البقلى ، وطبع فى سنة ١٢٥٩ .

٣ — واشترك مع الدكتور «برون» فى مراجعة وتصحيح كتاب «كنوز الصحة ويواقيت المنحة» الذى ترجمه الدكتور محمد الشافعى ، وطبع فى سنه ١٢٦٠ .

٤ — وقام على تصحيح كتاب «الدرر الغوال فى معالجة أمراض الأطفال» تأليف كلوت بك وترجمة الدكتور محمد الشافعى . وطبع فى سنة ١٢٥٠ .

(١) التونسى تشحيذ الأذهان . ص ٥ — ٦ . وقد استقينا معلوماتنا عنه من ترجمته لنفسه فى مقدمة رحلة دارفور . وقد نقلها عنه على مبارك فى الخطط التوفيقية ج ١٧ . ص ٣٤ — ٣٧ Enc. Isl . Art. Tunisy. انظر أيضا مقالنا السابق الذكر عن «الدكتور برون والشيخان الطنطاوى والتونسى» .

٥ — واشترك مع الدكتور «برون» فى ترجمة وتصحيح كتاب الأخير «الجواهر السنية فى الأعمال الكيماوية» الذى طبع فى سنة ١٢٥٨ — ١٢٦٠ .

٦ — واشترك مع الشيخ القنياتى فى تصحيح كتاب «التنقيح الوحيد فى التشريح الخاص الجديد» تأليف «كروليبه» وترجمة الدكتور محمد الشباسى . وتم طبعه فى سنة ١٢٦٦ .

وللتونسى فوق هذا جهود مشكورة فى السعى لطبع قاموس المحيط . وترجمة قاموس «Fabre» الطبى مما سنفصل الحديث عنه فى الفصل الخاص بالقواميس .

وقد شارك التونسى أيضا فى حركة نشر الكتب العربية . فأشرف على نشر مقامات الحريرى . والمستطرف فى كل فن مستظرف للابشيهى .

وفى السنوات الأخيرة من حياته كان يدرس الحديث بمسجد السيدة زينب فى يوم الجمعة من كل أسبوع إلى أن توفى فى القاهرة فى سنة ١٢٧٤ (١٨٥٧)

٧ و ٨ — الشيخان رفاعة الطهطاوى وابراهيم الدسوقى . عملا فترة كمصححين بمدرسة الطب . ثم نقل رفاعة إلى مدرسة المدفعية . ونقل الدسوقى إلى مدرسة الهندسة .

(ب) فى مدرسة الطب البيطرى

١ — الشيخ مصطفى حسن كساب . ألحق مصححا بمدرسة الطب البيطرى منذ انشائها فى رشيد . وقد قام بتصحيح جميع كتب الطب البيطرى التى ترجمها يوسف فرعون . ثم محمد عبد الفتاح . وعطيه افندى من بعده . فكان أول كتاب قام على تصحيحه كتاب «التوضيح لألفاظ التشريح» ، تأليف «جيرار» وترجمة يوسف فرعون . وطبع فى بولاق سنة ١٢٤٩ (١٨٣٤) وآخر كتاب راجعه هو كتاب «مجمع الغرر فى سياسة البقر» تأليف «روبينيه» وترجمة عطية افندى أحد خريجى الألسن ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٦٤

٢ — الشيخ عبد المنعم : وقد ذكر الدكتور عزت عبد الكريم أنه كان بالمدرسة مصحح آخر يدعى الشيخ عبد المنعم[1] وقد نقل فيما بعد «باشخوجه» بمدرسة المبتديان . غير أننى لم أعثر بين كتب الطب البيطرى المترجمة على كتاب واحد صححه هذا الشيخ .

(ج) فى مدرسة الزراعة :

الشيخ نصر أبو الوفا الهورينى . كان المصحح الوحيد بمدرسة الزراعة . ولم أعثر إلا على كتاب واحد قام على تصحيحه الهورينى وهو كتاب «أجل الأسباب فى أحل الاكتساب» وقد أثبت فى نهايته أنه انتهى من كتابته سنة ١٢٥٩ . وفى نهاية تلك السنة نقل الشيخ مصححا بقلم الترجمة الملحق

(١) تاريخ التعليم فى عصر محمد على . ص ٣٢٤ .

بمدرسة الألسن . وفى سنة ١٢٦٠ (١٨٤٤) اختاره محمد على باشا بنفسه ليكون أماما لبعثة الأنجال التى أرسلت فى تلك السنة إلى فرنسا . ولما عاد إلى مصر اشتغل بالتدريس فى الأزهر . ثم نقل مصححا بمطبعة بولاق . وهناك أشرف على طبع كثير من كتب اللغة . وله عليها حواش وتعليقات قيمة . وخاصة القاموس للفيروزبادى . والصحاح للجوهرى . والمزهر للسيوطى . وغيرها كثير ، وله مؤلفات [1] كثيرة طبع منها كتاب « المطالع النصرية للمطابع المصرية » ويقول الأمير عمر طوسون فى كتابه عن البعثات « ومع أنه لم يرسل إلى فرنسا للتعلم إلا أنه تعلم اللغة الفرنسية هناك . وكان يتكلم بها ويقرأها جيداً . كما أخبرنا بذلك حفيده عباس افندى نصر » [2] وقد ظل الشيخ على نشاطه إلى أن توفى فى سنة ١٨٧٤ .

(د) فى مدرسة الهندسة :

الشيخ ابراهيم عبد الغفار الدسوقى : كان المصحح الوحيد بمدرسة المهندسخانة . ولد فى دسوق سنة ١٢٢٦ . ثم أتم علومه فى الأزهر ، وفى سنة ١٢٤٨ عين مصححا بمدرسة الطب . ولكنه لم يلبث بها إلا قليلا ثم نقل إلى مدرسة المهندسخانة . وقد قام بتصحيح جميع الكتب الرياضية التى ترجمت بها فى عهدى محمد على وعباس . فلما ألغيت المدرسة فى عهد سعيد باشا نقل مصححا بمطبعة بولاق وقد شارك فى أوقات مختلفة فى تحرير « الوقائع المصرية » ومجلة « اليعسوب » الطبية

وفى عهد اسماعيل رقى إلى رئيس مصححى مطبعة بولاق ، وقد اتصل الدسوقى اتصالا وثيقا بالمستشرق الانجليزى « المستر لين [3] » واشتركا معا فى قراءة « القاموس » وتفهمه . فإذا افترقا ترجم « لين » ما قرأه إلى اللغة الانجليزية . وظل على ذلك سنوات حتى أتم تسعة أعشاره ، ثم سافر إلى لندن حيث أعد العشر الأخير وطبع القاموس لأول مرة فى لندن سنة ١٨٦٣ تحت عنوان Lane's "Arabic English Lexicon" وقد عاش الدسوقى نحو أربع وسبعين سنة ، وتوفى فى سنة ١٣٠٠

(هـ) فى مدرسة الألسن :

كان رفاعة يشرف بنفسه على مراجعة وتصحيح الكتب التى تترجم فى المدرسة أول إنشائها . فلما كثر انتاجهم ، اشرك رفاعة معه فى هذا العمل بعض مدرسى الألسن ، وخاصة المشايخ محمد قطة العدوى ، واحمد عبد الرحيم الطهطاوى . ومحمد الفرغلى ، وقد أشرنا إلى الكتب التى صححها كل منهم فى قائمة الكتب المترجمة الملحقة بهذه الرسالة .

---

(١) ذكر الزركلى فى كتابه الأعلام ج ٣ ص ١٠٠٣ . أن له مؤلفات كثيرة لا زالت مخطوطة منها « تسلية المصاب على فراق الأحباب » و « التوصل لحل مشاكل التوسل » و « المؤتلف والمختلف » و « شرح العينين فى شرح عنين » و « حاشية على بسملة الاحراز فى أنواع المجاز » الخ .

(٢) عمر طوسون البعثات العلمية ص ١٧٤ . هامش ١ .

(٣) روى الدسوقى قصة اتصاله بلين فى أسلوب طريف ونقلها عنه مبارك . الخطط ج ١١ ص ١٠ — ١٣ . ثم فصل العلاقة بين الرجلين الأستاذ أحمد أمين فى الثقافة العددان ١٢٦ و ١٢٧ .

هؤلاء هم المصححون والمحررون ، وهذه لمحة عن جهودهم تبين فى وضوح أنهم أفادوا حركة الترجمة والنهضة العلمية الحديثة فوائد جمة ، فخرجت الكتب المترجمة سليمة من اللكنة والعجمى ، خالية بقدر الامكان من الأخطاء ، وقد حاول الكثيرون منهم قدر استطاعتهم التوفيق بين المصطلحات العلمية الحديثة والمصطلحات العلمية القديمة ، وجمعوا لكتبهم مجموعة كبيرة منها تصلح لأن يتخذها المجمع اللغوى أساساً طيباً لجهوده فى هذا الميدان .

وفى نفس الوقت أفاد بعض هؤلاء المحررين — وخاصة الشيخ التونسى — الكثير من أشتغاله بهذه الحركة ففهموا بعض ما جاء فى الكتب العلمية المترجمة وكسبوا لأنفسهم معارف جديدة واسعة ، وأضافوا إلى ثروتهم اللغوية ثروة جديدة لكثرة ما قلبوا الكتب باحثين ومنقبين ولكثرة ما نحتوا واشتقوا واقتبسوا من ألفاظ ومصطلحات جديدة . ولهذا كانوا يحاولون دائماً — فيما يكتبون من مقدمات — أن يعلنوا عن هذه المعرفة الجديدة التى كسبوا ، وفيما يلى مثال لهذا الاعلان تخيرناه مما كتبه التونسى — زعيم هذا الميدان — فى مقدمته لكتاب « الجواهر المسنية فى الأعمال الكيمياوية » للدكتور « برون » ، وقد شحن التونسى هذه المقدمة بمعظم المصطلحات الكيميائية التى وردت فى متن الكتاب ، قال : « .. يامن تتصاعد إليه الأرواح وتتسامى ، وتذوب الأجسام من هيبة جلاله وعلى باب عفوه تترامى ، تنزهت ذاتك العلية عن التركيب والتحليل ، وتقدست صفاتك السنية عن التغيير والتبديل ، لا إله إلا أنت خلقت لنا ما فى الأرض من المعادن والنباتات والحيوانات ، وأوجدت لنا الحلو والحامض ، والعذب والملح من المطعومات ، وألهمتنا معرفة العناصر والبسائط والمركبات ، فسبحانك من إله تفطرت دموع الخائفين من سطوة عذابه ، والتهبت أحشاء المذنبين من أليم عقابه ، ووجلت قلوب المحبين من خشية عتابه ، فيا من حمده أعظم كيمياء لاكسير الثواب ، وشكره أجود موصل إلى دار المآب ، نحمدك على نعمك التى علينا عمت وجلت ، حمداً تخلص به مهجنا وأجسامنا من حرارة النار التى أوقد عليها ألف عام حتى احمرت ، وألف عام حتى ابيضت ، ونشكرك شكر من ألنت له الحديد لعمل السابغات ، وأرسلت لولده عين القطر ، وسخرت له الجن يعملون ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب (؟) وقدور راسيات ، ونشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك شهادة تنقذنا بها من كل عمل مشكور ، كما انقذت من أنزلت عليه (حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور) ، ونشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبدك ورسولك الذى مثلت قلبه الشريف بزجاجة فيها مصباح ، وجذبت بمغناطيس أنواره الأرواح ، فانقادت له الأشباح ، وهديتنا به من المعوج إلى السمحا البيضا ، وأفضت عليه من العلوم اللدنية فيضاً ، وجعلت ذاته الشريفة قابلة لزيادة الكمال بلا ارتياب ، وأنزلت عليه (يؤتى الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً ، وما يذكر إلا أولوا الألباب) ، اللهم فصل عليه وعلى آله مصابيح الدين ، وأصحابه الذين كانوا كشواظ من نار ونحاس

على الكافرين ، ما رشحت أنابيق الغام فنزلت دموعها قطرات ، وسال تيار المياه على الوهاد فأصبحت الأرض مخضرة بأصناف النبات ، ولمعت قطع البرد على البسيطة كالبللورات المنشورية والمربعات ، وتولدت الحوامض والأكاسيد والأملاح من المعادن والنباتات والحيوانات وسلم تسليما كثيراً ، وبعد فيقول مرتجى العفو من المنان ، محمد التونسي بن عمر بن سليمان لما كانت الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها أينما وجدها ، وأبرك يوم عنده ما أحرز فيه مسألة واستفادها وأفادها ، وكان من أجلها علم الكيمياء الذي لم يسمح بمثله الزمان ، إذ هو أساس لعلم الشفاء ومعالجة الأبدان ، فهو له كالأم وعلم الطبيعة كأبيه ، ولا ينكر ذلك إلا كل جاهل سفيه ، لم لا وبه يعرف تحليل الأجسام وتركيبها ، وتقطير الأملاح وتبلورها وتذويبها وتأكسد المعادن واستحضار الغازات ، وتجهيز الحوامض والأملاح ومنافع الفلزات ، وتمييز السموم عن غيرها من الاستحضارات ، ولا تتم مهارة الطبيب إلا به ، ويدرك خطأً من صوابه كان الواجب على العاقل أن يتلقاه ولو من غير أهل الاسلام . . . الخ . . الخ) .

الفصل الخامس

القواميس والمعاجم

لم يكن في مصر قبل الحملة الفرنسية عارفون باللغات الغربية أو قواميس لها ، علماء الحملة يحضرون معهم بعض القواميس
اليوس بقطر يضع أول قاموس فرنسي عربي ، الجماعات والمجلات الأسيوية وجهودها ، قاموس الأب رفاييل ، مطبعة
بولاق تطبع بعض قواميس اللغات الثلاث ، ابراهيم باشا يشير على رفاعة بوضع قاموس فرنسي عربي ،
طريقة رفاعة في الحاق بعض المعاجم لكتبه التي ترجمها ، قاموس سربوس افندى ، تلاميذ رفاعة يقتدون به
جهود خريجي الألسن لوضع القواميس ، مترجمو المهندسخانة ينهجون نهج رفاعة ، جهود مدرسة
الطب لترجمة القواميس الطبية الفرنسية ، قاموس الشذور الذهبية ، قاموس مستر «لين»

ذكرنا من قبل أن الصلات العلمية بين مصر والغرب كانت مقطوعة مبتوتة طول العهد المملوكي العثماني فلم يكن في مصر معهد واحد تدرس فيه أية لغة من اللغات الأوربية ، ولم يكن في مصر من له معرفة بإحدى هذه اللغات ، أو يتحدث بها ، غير أفراد الجاليات الأوربية ، وقد كانوا يعيشون في عزلة وفي أحياء خاصة بهم حيث تقوم متاجرهم ومساكنهم .

وقد كانت الحكومة منذ عصر المماليك حتى مجيء الحملة الفرنسية تحتفظ دائماً بوظيفة تقليدية هي وظيفة «الترجمان» ، وكانت «خدمته الوقوف في كل ديوان لأجل تعريف الكلام بكل لسان»[١] ، وقد ظل هذا التقليد معمولا به حتى أوائل عصر محمد على ، فتولى هذا المنصب بوغوص بك ، ثم لقب فيما بعد بناظر الخارجية ، وتولى إدارة ديوان التجارة والأمور الخارجية ، أو بمصطلح العصر التركي «أمور أفرنجية وتجارهٔ مصرية ديوانى»[٢] .

فلما وفدت الحملة الفرنسية على مصر عانت ما عاونت من مشكلة الترجمة[٣] ، واستعانت على حلها بطائفة من السوريين ، وببعض من حضروا معها من المستشرقين ، وقد كانت ترجمة هؤلاء اجتهادية غير دقيقة ، فقد كانت تنقصهم القواميس التي تجمع بين مفردات اللغتين الفرنسية والعربية ، وقد ذكر الجبرتي أنه رأى في مكتبة المعهد العلمي عند زيارته لها كتبا «مفردة لأنواع اللغات وتصاريفها ، واشتقاقاتها بحيث يسهل

---

(١) شفيق غربال ، تقرير حسين افندى ، ص ١٣ و ٥٦ .

(٢) Deny, Sommaire des Archives Turques, etc. pp. 105, 125, 290. 332, 333.

(٣) انظر كتابنا «تاريخ الترجمة في مصر في عهد الحملة الفرنسية» ، دار الفكر العربي ، ١٩٥٠ .

عليهم نقل ما يريدون من أى لغة كانت إلى لغتهم فى أقرب وقت [١] ، ولكن هذا النص عام لم يفصل أنواع اللغات التى كانت تتناولها هـذه القواميس ، وهل كان من بينها ما يجمع بين اللغة العربية وأى لغة أوربية أخرى ؟

كذلك ذكر الأب لويس شيخو خطأ أن مطبعة الحملة طبعت — فيما طبعت فى مصر — معجما فرنسياً عربياً [٢] .

وبدأت الحملة قبيل رحيلها تعد بعض الشبان الأقباط لتعلم اللغة الفرنسية ، فلما عادت الحملة إلى فرنسا خرج معها بعض هؤلاء الشبان ، وقد نبغ منهم بعد سنوات أليوس بقطر الذى وضع فى فرنسا أول قاموس فرنسى عربى ، وأشرف على طبعه فى باريس سنة ١٨٢٩ بعد وفاته المستشرق كوسان دى برسيڤال وكانت حركة الاستعمار فى أوربا فى ذلك الوقت نشيطة ، والتنافس بين الدول الأوربية على أتمه ، وصحب هـذا التنافس تنافس آخر لدراسة أحوال الشرق — مطمح الأنظار — ولغاته ، وتاريخه ، وجغرافيته ، وعاداته ، وأنشئت فى دول أوروبا المختلفة الجماعات والمجلات الأسيوية ، ومدارس اللغات الشرقية ، وأنتجت هذه الحركة نتاجا وافراً من دراسات قيمة كان من بينها قواميس كثيرة تجمع بين اللغات الشرقية الثلاث — العربية والفارسية والتركية — وبين اللغات الأوربية المختلفة .

فلما بدأت حركة الترجمة فى عصر محمد على حوالى سنة ١٨٢٠ ، وكانت متجهة فى أول الأمر إلى النقل عن اللغة الإيطالية ظهرت الحاجة إلى قاموس يجمع بين مفردات اللغتين العربية والإيطالية ، وكلف بوضعه الأب روفائيل زاخور راهبة ، فلما أنشئت المطبعة فى أواخر سنة ١٨٢١ ، كان ثانى أو ثالث كتاب طبع بها هو قاموس ايطاليانى وعربى « يتضمن بالاختصار كل الألفاظ الجارى بها العادة ، والألزم لتعليم الكلام ، والمفهومية (كذا) اللغتين على الصحيح ، وقد يقسم إلى قسمين ، القسم الأول فى القاموس المرتب على حسب المعتاد ، وبموجب ترتيب حروف الهجا ، القسم الثانى ، ويتضمن مجموع مختصر من أسماء وأفعال من الأشد إلزام وأكثر فايدة لدرس اللغتين » [٣] .

وقد وضح المؤلف الأغراض التى دفعته إلى وضع هذا القاموس فى مقدمته فقال : « .. فقد اضطررت من قبل وظيفة التعليم ، وسهوله درك معنى الألفاظ بهذه اللغة والتفهيم على التلامذة الدارسين ، وعلى من يتندب لترجمة الكتب من المتفقهين ، لأنى (كذا) أؤلف قاموساً ترجماناً وجيزاً ، مقتطفاً عزيزاً ، يشتمل على

---

(١) عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ٣٦ . وقد كانت المطابع الأوروبية قد أخرجت فى أواخر القرن ١٨ بعض القواميس التى تضم اللغة العربية للغات الأوروبية ، أنظر مثلا القاموس الأسبانى اللاتينى العربى الذى طبع فى مدريد سنة ١٧٨٧ .
Francisco Canes : Dictionario Espanol Latio-Arabigo, Madrid, 178.7.

(٢) الآداب العربية فى القرن ١٩ ، ج ١ ، ص ٣ ،

(٣) أنظر مقدمة القاموس ،

كل ما يحتاج الأمر إليه ، وما كان المعول عليه ، وذلك فى اللغتين الإيطاليانية والعربية مما فى الترجمة من الألفاظ الضرورية . . [١] » ، وقد طبع هذا القاموس فى بولاق سنة ١٢٣٨ (١٨٢١) .

وقد كانت الترجمة فى عصر محمد على واسعة الآفاق ، فشملت النقل عن كل اللغات — شرقية وغربية — ولهذا لم تلبث مطبعة بولاق أن أخرجت بعد خمس سنوات (١٢٤٢ — ١٨٢٦) قاموساً فارسياً تركياً من وضع خيرت أفندى [٢] سكرتير ديوان محمد على (ديوان افنديسى) . ثم قامت المطبعة على إخراج عدد من القواميس التركية والفارسية والعربية [٣] ، وكلها فيما عدا « تحفهٔ خيرت » مما سبق وضعها وطبعها فى الآستانة .

ففى سنة ١٢٤٥ (١٨٣٠) طبع فى بولاق « تحفهٔ وهبى » وهو قاموس فارسى تركى سبق أن طبع فى الآستانة سنة ١٢١٣ (١٧٩٨) .

وبعد سنة واحدة (١٢٤٦ — ١٨٣١) طبع موجز عن القاموس السابق بعنوان «نخبهٔ وهبى» وأضيفت إليه الألفاظ العربية فأصبح قاموساً تركياً عربياً .

وفى سنة ١٢٤٩ (١٨٣٤) طبع قاموس فارسى تركى صغير عنوانه « سبحهٔ صبيان » وكان قد طبع فى الآستانة سنة ١٢١٧ (١٨٠٢) .

وفى سنة ١٢٥٠ (١٨٣٥) طبعت الترجمة التركية مع المتن العربى لقاموس الفيروز ابادى تحت عنوان « الاقيانوس البسيط فى ترجمة القاموس المحيط » ، وكان قد ترجم وطبع فى الآستانة سنة ١٨١٤ — ١٨١٧

وفى سنة ١٢٥١ (١٨٣٦) طبع « برهانى قاطعى » وهو قاموس فارسى تركى ، وضع المتن الفارسى ابن خلف ، وترجمه إلى التركية احمد أمين افندى « وكان قد طبع فى الآستانة سنة ١٢١٤ (١٧٩٩) .

وفى سنة ١٢٥٣ (١٨٣٨) طبع « الترجمان » وهو مجلد صغير به مفردات عربية وتركية .

وفى سنة ١٢٥٥ ، طبع « تحفهٔ خيرت » وهو قاموس تركى عربى فارسى صغير تأليف خيرت افندى وضع لاستعمال تلاميذ المدارس .

هذه هى قواميس « اللغات الثلاث » كما كانت تسمى ، وقد أدت مهمتها ، فسهلت للقائمين بالترجمة عن إحدى هذه اللغات إلى الأخرى عملهم .

---

(١) أنظر مقدمة القاموس ، وعنوانه الكامل بالايطالية كما يلى :
"Dizionario italiano e arabo, che contiene in succinto tutti i vocaboli che sono più in uso e più necessari per imparar a parlare le due lingue corretamente."

(٢) خيرت افندى هو صاحب كتاب رياض الأدباء وحياض الكتبا . أنظر تفصيلات أكثر عنـه وعن مؤلفاته فى :
Deny, Op. Cit., pp. 3—4.

(٣) Journal Asiatique, 4e. serie, 2, 1843, pp. 24—61.

وحوالى سنة ١٨٢٥ تحول محمد على بوجهه عن ايطاليا إلى فرنسا ، فاستدعى إلى مصر الفرنسيين ، وفى سنة ١٨٢٧ أنشئت مدرسة الطب المصرية ، وبدأت تتغلب على مشكلة اختلاف اللغات بالمترجمين وبترجمة الكتب الفرنسية إلى العربية ، وفى سنة ١٨٢٦ أرسلت أكبر بعثة إلى فرنسا ، وفى سنة ١٨٣٢ عاد معظم أعضاء هذه البعثة وبدأوا يشاركون فى حركة الترجمة عن الفرنسية إلى العربية ، وهنا ظهرت الحاجة الماسة إلى قاموس بل قواميس علمية مختلفة للغتين .

أحس هذه الحاجة قبل غيره كبير مترجمى العصر رفاعة رافع الطهطاوى ، وأحسها وهو فى فرنسا يتخصص فى الترجمة ، ويترجم فى مختلف الفنون والعلوم ، وأغلب ظنى أنه لم يوفق هناك إلا إلى قاموس بقطر فقد ظهرت طبعته الأوالى فى باريس بعد وصوله بثلاث سنوات ، وقبل عودته إلى مصر بسنتين ، فلما عاد إلى وطنه وبدأ يراجع بعض الكتب التى ترجمها فى باريس ويعدها للطبع أحس هذا النقص مرة ثانية ، وأحس به إحساساً قوياً ، وعبر عن شعوره هذا فى أول كتاب طبع له وهو كتاب المعادن النافعة ، الذى طبع فى بولاق بعيد عودته فى سنة ١٢٤٨ ، فقد قال فى مقدمته ، وقد فسرت مفرداته على حسب ماظهر لى بالفحص التام وما تعاصى منها حفظت لفظه ، ورسمته كما يمكن كتابته به ، وربما أدخلت بعض تفسيرات لطيفة . . والعذر لى إذا زل قدم ترجمتى فى بعض التفاسير ، لأن اللغة الفرنساوية لم يفض ختامها إلى الآن بقاموس شاف مترجم [1] » . ويبدو ان رفاعة كان قد عبر عن شعوره هذا لابراهيم باشا عند مقابلته له أول وصوله إلى الاسكندرية ، فبادر إبراهيم باشا وكلفه بوضع هذا القاموس ، فقد أشار رفاعة فى هامش الكتاب السالف أمام الجملة السابقة إلى هذا الأمر فقال « وقد أمرنى سعادة ولى النعم أفندينا إبراهيم باشا بترجمة قاموس ، وعين لى حضرة عثمان بك (يقصد عثمان باشا نور الدين) قاموس أكاديمية » ولكن عاقنى عنه عوايق . . منها أشغال أبى زعبل ومنها أنه يحتاج إلى وضع المترجم فى كتب خانة ويحتاج أيضا إلى أن يكون معى مساعد فرنساوى ، بل هذا الشغل هو شغل نحو عشرة أنفار حتى يكون مستوفيا ومستوعبا للالفاظ الاصطلاحية . [2]

أمام هذه العقبات لم تنفذ الفكرة ، ولكنها ظلت تشغل تفكير رفاعة ، فلما قدم كتابه الثانى «قلائد المفاخر فى غريب عوائد الأوائل والأواخر » إلى المطبعة فى السنة التالية (١٢٤٩) بدأ يحتال على تنفيذ الفكرة ، ورأى أن يضع للكتاب فى أوله قاموسا صغيراً لشرح ماورد به من ألفاظ غريبة ، ودعا غيره من المترجمين أن ينهجوا نهجه ، فيحلق كل منهم بكل كتاب يترجمه قاموسا شبيها بقاموسه ، حتى إذا مضى بعض الوقت كان لمصر من جهودهم قاموس على كبير « مشتمل على سائر غريب الألفاظ المستحدثة التى

(١) المعادن النافعة ، ص ٣ .

(٢) المعادن النافعة ، ص ٣ .

ليس لها مرادف أو مقابل فى لغة العرب أو الترك ، وهذا نص تقدمته للقاموس وشرحه للفكرة ، قال : « شرح الكلمات الغريبة التى توجد فى كتاب قلائد المفاخر . . مرتبة على حروف المعجم ، مضبوطة حسب الإمكان ، ومفسرة على الوجه الأتم سواء كانت أسماء بلدان أو أشخاص ، أو أشياء . ولما كانت هذه الألفاظ فى الأغلب أعجمية ، فلم ترتب إلى الآن فى كتب اللغة العربية ، وكان يتوقف فهم هذا الكتاب عليها عربناها بأسهل ما يمكن التلفظ به فيها على وجه التقريب ، حتى أنه يمكن أن تصير على مر الأيام دخيلة فى لغتنا ، كغيرها من الألفاظ المعربة عن الفارسية واليونانية ، ولو صنع المترجمون نظير ذلك فى كل كتاب ترجم فى دولة أفندينا ولى النعم الأكرم ، لانتهى الأمر بالتقاط سائر الألفاظ المرتبة على حروف الهجا ، ونظمها فى قاموس مشتمل على سائر الألفاظ المستحدثة التى ليس لها مرادف أو مقابل فى لغة العرب أو الترك ، فإن هذا مما يفيد التسهيل على الطلاب وبه تحصل الإعانة على فهم كل علم أو كتاب . » [1]

وقد كانت طريقة رفاعة فى هذا القاموس أن يكتب اللفظ بحروف عربية مراعياً طريقة نطقه باللغة الفرنسية ، ثم ينص على كيفية نطق هذا اللفظ بالطريقة الأزهرية القديمة ، ثم يشرح معنى اللفظ بجملة أو جمل تكثر أو تقل حسب الظروف ، وفيما يلى أمثلة من هذا القاموس :

١ — ابريزيلة = بسكون الموحدة ، وكسر الراء بعدها مثناه تحتية ، فزاى مكسورة ، فلام ، فتاء تأنيث ويقال أيضاً « ابرزيلة » و « ابرزيل » بفتح الراء = اسم لسلطنة كبيرة فى القطر الشرقى من أمريكة الجنوبية ، محكومة بعيلة (كذا) من بلاد «البرتوغال» ، وحاكمها يلقب «امبراطور» يعنى سلطانا ، أو قيصراً ، وأهلها المتأصلون بها غير الافرنج أكثرهم قبائل أرباب شرور وجبر وتوحش عظيم ، حتى أن منهم من يأكل لحم الآدميين ، خصوصا لحم العدو الذى يقبضون عليه فى الحرب » [2] .

٢ — « اسقيمو = بكسر الهمزة ، وسكون السين ، بعدها قاف مكسورة ، فياء ساكنة ، فميم مضمومة بعدها واو ، وربما زيد فيها شين معجمة ثقيلة «اسقيموش» = قبائل بشمال أمريكا همل مثل أهل «لابونيا» والسويد ولهم توحش عظيم [3] » .

٣ — « أوبرا ، أوبرة = بضم الهمزة ، وكسر الباء الفارسية التى تقرأ بين الفاء والباء ، فراء مفتوحة ، هى أعلا « سبكتاكلات » فرنسا (راجع سبكيتاكل) ، وتطلق على نوع مخصوص من الأشعار [4] الخ » .

وفى نفس الوقت الذى كان يفكر فيه رفاعة فى وضع قاموس ، ثم يحتال على وضعه هذا الاحتيال ،

(١) قلائد المفاخر ، ص ٢ .

(٢) قلائد المفاخر ، ص ٢ .

(٣) المرجع السابق ص ٤ .

(٤) المرجع السابق ص ٨ .

كان موظف آخر اسمه «سريوس افندى» قد تقدم إلى محمد على بقاموس شامل للغات الخمس (ولعله يقصد اللغات الثلاث الشرقية واللغتين الأوربيتين الشائعتى الاستعمال الفرنسية والايطالية) ووافق محمد على على طبعه، فقد قرر مجلس الجهادية فى ٢٥ رجب سنة ١٢٤٧ (١٨٣٢) «بناء على التماس سريوس افندى المترجم طبع الكتاب المشتمل على اصطلاحات اللغات الخمس السابق صدور أمر سعادة افندينا ولى النعم بطبعه بعد ترجمته وإصلاحه، بشرط أن يقوم المترجم بمباشرة طبعه، وأن يذهب بذاته لمراجعة تصحيحه بالمطبعة، ويكون بمعيته رجل خبير باللغات الثلاث [1]».

وقد رجعت إلى جميع القوائم التى أحصت الكتب المطبوعة فى بولاق فى عصر محمد على فلم أجد بها إشارة إلى هذا القاموس، كذلك راجعت فهارس دور الكتب التى أفدت منها فلم أجد له فيها ذكراً، فلعله لم يطبع.

أما رفاعة فلم ينس مشروعه، بل حافظ على تنفيذه فى معظم الكتب التى ترجمها وطبعت بعد ذلك، ففى سنة ١٢٤٩ طبع كتاب «مبادىء الهندسة» وفى أوله «معجم يتضمن بيان بعض كلمات هندسية، وتفسير ألفاظ اصطلاحية، ينتفع به الطلاب، وتكمل به فائدة الكتاب».

وفى سنة ١٢٥٠ طبع كتاب «التعريبات الشافية لمريد الجغرافيا» وفى نهايته «جدول الألفاظ الاصطلاحية المستعملة فى الجغرافيا بأنواعها، مرتبا على حروف المعجم لتسهيل هذا الفن على الطالب».

فلما أنشئت مدرسة الألسن، وبدأ تلاميذها وخريجوها يترجمون، أخذهم أستاذهم رفاعة بطريقته، فظهرت معظم كتبهم وفى آخرها ملاحق مرتبة ترتيبا أبجديا لشرح الأعلام والألفاظ الاصطلاحية الواردة فى تلك الكتب، فهذا خليفة افندى محمود قد ألحق بكتابه «إتحاف الملوك الألبا بتقدم الجمعيات فى بلاد أوربا» جدولا «لشرح الكلمات الغريبة» فى ٤٧ صفحة.

وهذا حسن افندى قاسم قد خصص ٢١ صفحة من كتابه «تاريخ ملوك فرنسا» لذكر «معجم البلدان والأماكن الخفية فى هذا الكتاب التى تحتاج للذكر، وأما الأماكن الشهيرة فتطلب من كتب الجغرافيا»، وقد قلد فيه أستاذه رفاعة تقليداً صادقا، وهذه أمثلة من معجمه:

١ ـ «اكسيلاشبيل» بكسر الهمزة، وسكون الكاف، وفتح الشين المعجمة = مدينة ببلاد الألمان فى دوقية «باسرين» [2].

٢ ـ «كسل»، بفتح الكاف، وتشديد السين المهملة = مدينة فى فرانسا بفلندرة بمديرية الشمال [3].

٣ ـ «لنبرديا»، بضم اللام، وسكون النون، وكسر الموحدة التحتية، وسكون الراء وكسر الدال المهملة = اسم لجميع أجزاء ايطاليا من ابتداء ثغور طوسكانة إلى نهاية السويسة (يقصد سويسرا) [4].

(١) الوقائع المصرية، العدد ٣٤٨، فى رمضان ١٢٤٧.

(٢) و (٣) و (٤) تاريخ ملوك فرنسا، ص ٣ و ١٣ و ١٥ من المعجم.

وقد بدأ قاسم افندى يجدد فى الطريقة، فقصر المعجم السابق على أسماء البلدان، ثم ألحقه بمعجم آخر لأسماء الأعلام، أو «معجم الرجال الموجودين فى هذا الكتاب» على حد تعبيره.

غير أننا نأخذ على هذه المعاجم أو القواميس الصغيرة كلها أنها أهملت ذكر الألفاظ والمصطلحات بالحروف اللاتينية إلى جانب الحروف العربية، ولو أن المترجمين فعلوا هذا لأعفوا أنفسهم من الإطالة فى ذكر طريقة النطق بالأسلوب القديم.

وقد كان لتلاميذ الألسن وخريجيها جهود فى حركة وضع القواميس، فصنف خليفة افندى فى سنة ١٢٦٤ قاموساً للغات الثلاث، العربية والتركية والفارسية، ونشرت الوقائع المصرية فى العدد ١٢٢ بتاريخ ٩ شعبان ١٢٦٤ «أن اليوزباشى محمود خليفة افندى المتخرج من مدرسة الألسن بالأزبكية قد ألف رسالة تشتمل على مفردات اللغات الثلاث العربية والتركية والفارسية، فصدر الأمر بطبع ما يلزم منها على نفقة الميرى، وإعطاء الأفندى المومى إليه ربحها ليحصل بذلك على السرور، وينال الحظ الموفور».

وذكر صالح مجدى فى ختام رسالته عن رفاعة «حلية الزمن» ثبتاً بأسماء تلاميذه، فقال إن من بينهم «مصطفى بك السراج، وقد شرع فى عمل قاموس فرنسى عربى لم يتمه».

وقد امتد أثر رفاعة وتلاميذه فى هذا الميدان إلى المدارس الأخرى، ففى مدرسة المهندسخانة اتبع بعض أساتذتها الطريقة السابقة، فألحق احمد افندى فايد مثلا بكتابه «الأقوال المرضية فى علم بنية الكرة الأرضية» نبذة فى ٣٨ صفحة «تشتمل على بيان ألفاظ هذا الفن الاصطلاحية»، ولما خرجت الألسن دفعاتها الأولى عين منها اثنان هما أبو السعود وصالح مجدى فى مدرسة المهندسخانة، وعهد إليهما بتدريس اللغة الفرنسية وترجمة مايلق من دروس «ووضع قاموس أزمعت المدرسة وضعه فى العلوم الرياضية» [1].

أما مدارس الطب، فقد قام بالترجمة فيها أول إنشائها طائفة السوريين، وقد بذلوا فى عملهم جهداً اجتهادياً، فلما عاد أعضاء البعثات من الأطباء المصريين، وبدأوا يشاركون فى حركة الترجمة، كانت مهمتهم أسهل من مهمة أسلافهم السوريين، وذلك لأنهم كانوا — إلى إتقانهم اللغتين العربية والفرنسية — على علم بالعلوم الطبية ومصطلحاتها.

ولكنهم مع هذا كانوا فى حاجة إلى قاموس طبى، ولم يتبع طريقة رفاعة فى مدرسة الطب إلا الدكتور «برون» فى كتابه «الجواهر السنية فى الأعمال الكيماوية» فقد ألحقه بذيل فى ١١٩ صفحة «لشرح الآلات الواردة فى الكتاب» ورتب هذا الذيل على حروف المعجم الشيخ التونسى مصحح الكتاب، وقدم له بقوله: «وبعد فلما من الله سبحانه وتعالى بإتمام كتاب الكيميا للماهر فى جميع الفنون، ناظر مدرسة الطب البشرى الشهير «بيرون»، وكانت فيه أعمال جمة، تحتاج إلى آلات معرفتها مهمة، وكان لم يذكر فى الكتاب

(١) عابدين، دفتر ١٠ (مدارس عربى) ص ٩٩٤، رقم ١٩٥، إلى مدرسة الألسن فى غاية جماد ثانى ١٢٦١.

منها إلا القليل . . فقصد أن يجمع جميع الأشكال ، ويجعلها كالذيل ليكون بها الإتمام ، ولأجل أن تكون كلها مجموعة فى ورقات قليلة ، لتسهل مراجعتها فى المهمات الجليلة ، فجمعها فى هذه الورقات ، ووضحها أتم توضيح كما هو المقصود للمراجعات ، وأمرنى أن أرتبها على حروف المعجم لتكون فى المراجعة أسهل وأقوم ، فامتثلت أمره لما فيه من الفوائد الخ » ، ومن الآلات التى شرحت فى هذا المعجم : الأنبوبة ، والأنبيق ، والبوتقة ، والجفنة ، وجهاز تعيين الوزن النوعى للهواء والغازات ودورق ولف ، والمخبار ، والمرشح . . الخ وكلها ألفاظ واصطلاحات لهؤلاء الطلائع الفضل فى كشفها أو صياغتها فإننا لا نزال نستعملها حتى الآن فى كتبنا الكيميائية .

غير أن كثرة الكتب الطبية التى ترجمت كانت تتطلب إيجاد أو ترجمة قاموس طبى ، وقد بدأت المدرسة بترجمة قاموس صغير [١] فى هذا الموضوع من تأليف « نايستن Nysten » [٢] ، ولكنه لم يف بالغرض ، فأحضر كلوت بك من فرنسا « قاموس القواميس الطبية Dictionnaire des Dictionnaires de Médecine تأليف « فابر . Fabre » وهو فى ٨ أجزاء ويشتمل على جميع الاصطلاحات العلمية والفنية فى الطب والنبات والحيوان والعلوم الأخرى المختلفة المتصلة بالعلوم الطبية .

وتعاونت مدرسة الطب بكل هيئاتها على ترجمة هذا القاموس إلى اللغة العربية ، « ففرقه ناظر المدرسة إذ ذاك « وهو الدكتور برون » على مهرة معلميها ، وهم : حضرة ابراهيم افندى النبراوى معلم الجراحة الكبرى ، وحضرة محمد على افندى معلم الجراحة الصغرى ، وحضرة محمد شافعى افندى معلم الأمراض الباطنية ، وحضرة محمد افندى الشباسى معلم التشريح الخاص ، وحضرة عيسوى افندى النحراوى معلم التشريح العام وحضرة العلامة السيد احمد افندى الرشيدى معلم الطبيعة ، وسعادة حسين افندى غانم الرشيدى معلم الاقرابادين والمادة الطبية ، وحضرة مصطفى افندى السبكى معلم أمراض العين ، وحضرة حسنين على افندى معلم النباتات فى ذلك الحين فترجم كل منهم الجزء الذى أعطيه ، واجتهد فى توقيع لفظه على المعنى حتى شكرت مساعيه [٣] » .

ولم يكتف الدكتور « برون » بهذا بل أراد أن يكون القاموس الجديد جامعاً أيضاً للألفاظ والمصطلحات الطبية القديمة ، فأتى بالقاموس المحيط ووزعه على أفراد هذه الهيئة ، وأشرك معهم مصححى المدرسة الشيخ محمد عمر التونسى ، والشيخ سالم عوض القنياتى ، والشيخ على العدوى ، وأمر كلا منهم أن يراجع الجزء الذى بيده ، وينتقى منه « كل لفظ دل على مرض أو عرض ، وكل اسم نبات أو معدن أو

(١) Dunne, Printing and Translations. etc, p. 343.

(٢) ترجم هذا القاموس إلى اللغة التركية فى عهد السلطان عبد العزيز تحت عنوان : لغات طبية أثر جمعيه طبيه عثمانية . وطبع فى الآستانة سنة ١٢٩٠ فى ٦٤٠ صفحة .

(٣) الشذور الذهبية فى المصطلحات الطبية ، ص (ج) من المقدمة ،

حيوان » ، ولم يقنع « برون » بهذا أيضاً ، يقول الشيخ التونسى : « ثم خصنى الناظر المذكور باستخراج ما فى القانون من التعاريف ، وما فى تذكرة داوود من كل معنى لطيف ، وزدت على ذلك ما فى فقه اللغة ، ومختصر الصحاح ، وما فى الهروى من التعاريف الصحاح ، وضممت لذلك أسماء الأطباء المشهورين ، وأسماء عقاقير كنت رأيتها فى بلاد السوادين » [١] .

فلما تمت هذه الجهود جميعاً ، عهد بهذا القاموس الجديد إلى الشيخ التونسى ، فرتب الألفاظ والمصطلحات على حروف المعجم ، وراجعه مراجعة دقيقة ، ولم يأل جهداً — كما قال — « فى تصحيح كلماته ، وتهذيب عباراته » [٢] ، فلما انتهى من هذا كله قابله معه وكيل مدرسة الطب الدكتور محمد شافعى افندى ، وسماه التونسى فى النهاية « الشذور الذهبية فى المصطلحات الطبية » ولم يقصره على الألفاظ العربية ، بل ضمنه « أسماء لاطينية ، وأخرى فرنساوية ، وأخرى فارسية ، سواء استعملتها العرب أو كانت محدثة ودخلت فى الألفاظ الطبية لأدنى سبب » [٣] .

ولم يكد التونسى ينتهى من إعداد قاموسه حتى كان محمد على باشا قد لبى نداء ربه ، وأخذت الحياة العلمية فى عهد عباس الأول تركد ويخمد نشاطها ، وخشى كلوت بك أن يضيع القاموس فاصطحبه معه إلى باريس وفى التاسع من سبتمبر سنة ١٨٥١ قدمه هدية للمكتبة الأهلية [٤] Bibliothèque Nationale. هناك .

وفى مفتتح القرن العشرين فكرت مصر ثانية فى هذا القاموس ، وأحضرت له نسختان شمسيتان أودعتا فى دار الكتب الملكية فى القاهرة ، وفى حدود سنة ١٩١٠ بدأت نظارة المعارف تفكر فى طبعه ، وعهدت بالأمر إلى الدكتور أحمد عيسى بك ، فنشر منه مائة صفحة فقط ، انتهى فيها إلى لفظ « أزدران » أى أنه لم يستوف حرف الألف ، ولم يقف جهد الدكتور عيسى بك عند نشر النص العربى كما تركه التونسى ، بل أعاد ترجمة كل لفظ من ألفاظ القاموس إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية ، ونشره جامعاً لهذه اللغات الثلاث ، وطبع هذا الجزء على نفقة دار الكتب الخديوية ، فى مطبعة المقتطف بالقاهرة سنة ١٣٣٢ (١٩١٤) ، غير أنه وقف عند هذا الحد ولم يتم طبع بقية القاموس ، فظل حتى الآن منسياً فى دار الكتب ينتظر من يعنى بنشره وإحيائه .

وفى نفس الوقت الذى كان التونسى يعد فيه قاموس « الشذور الذهبية » فكر الدكتور « برون » فى طبع القاموس المحيط للفيروزابادى فى مصر ، وقد أشار إلى مشروعه هذا كثيراً فى رسائله إلى صديقه

(١) (٢) و (٣) الشذور الذهبية ، ص (ج — هـ) .

(٤) Dunne; Op. Cit. p. 344 وقد عاب فى مقاله على عميد كلية الطب (كان العميد وقت كتابة المقال هو على باشا ابراهيم) ، عدم معرفته بهذا القاموس حتى ذكره له ، وذكر أيضا أن الدكتور محمد بك شرف لم يحاول عند وضع قاموسه الطبى الجديد أن يفيد من قاموس التونسى ، ونسى مستر « دن » أنه أولى بالنقد لعدم معرفته بمشروع طبع هذا القاموس ، وما بذل الدكتور عيسى بك من جهد فى هذا السبيل ، هذا وقد أخبرنى عيسى بك مرة أن وزارة المعارف كانت قد كلفته بطبع القاموس بالاشتراك مع الدكتور فارس نمر باشا ، ولأمر ما تقاعس نمر باشا عن الاشتراك ، ولهذا لم يكمل الدكتور عيسى بك نشر الباقى ، ثم أخبرنى أنه يعد الآن قاموسا طبيا أضخم وأوفى من الشذور الذهبية ، وأنه سيظهره قريبا .

« جول مول » ، فى خطابه إليه المؤرخ ١٤ يناير سنة ١٨٤٥ قال « وتكون مخطئا إذا حسبت أن القاموس يوجد عند العلماء ، فليس هناك فى القاهرة ولا فى مصر كلها عشرة علماء يملكون هذا القاموس ، بل ليس هناك عشرة علماء يعرفون كيف يستعمل القاموس » وختم خطابه بجملة فيها تهكم مرير ، قال « فلنعط إذن قاموساً للعلماء [١] » : "Donnons donc un dictionnaire aux Ulémas."

وقد ذكر لصديقه فى خطابات أخرى أنه أعد للأمر عدته ، فأحضر نسخاً كثيرة مخطوطة كما أحضر نسخة القاموس المطبوعة فى كلكتا سنة ١٢٣٠ — ١٢٣٢ ، وأنه اتفق مع الشيخ التونسى على مراجعة النسخ ومقابلتها أثناء الطبع ، وأنه طلب من الباشا أن يأذن له بطبعه [٢] فى مطبعة بولاق ، غير أنى رجعت لأقدم نسخة من القاموس طبعت فى بولاق ، فوجدت أنها نشرت فى جزئين بإشراف وتصحيح الشيخين محمد قطة العدوى ونصر الهورينى ، وذلك فى سنة ١٢٧٢ [٣] (١٨٥٦) بأمر محمد سعيد باشا ، ولم أجد فى المراجع التى أفدت منها ما بين الأسباب التى عاقت « برون » والتونسى عن تنفيذ مشروعهما ، وجعلت تنفيذه على يد الشيخ نصر الهورينى .

واخيراً لا ننسى أن نذكر أنه بينما كانت هذه المحاولات تتخذ طريقها لوضع أو لترجمة أو لنشر القواميس ، كان هناك شيخان ، أحدهما انجليزى ، والثانى مصرى أزهرى ، يجتمعان كل ليلة — لمدة سبع سنوات — فى منزل متواضع بحارة الروم بالقاهرة وبين أيديهما نسختان من القاموس المحيط ، ونسخ كثيرة من قواميس اللغة العربية المختلفة ، فيقرآن ويراجعان ، ويتفهمان ويصححان ، فاذا مضى الهزيع الأول من الليل عاد الشيخ الأزهرى إلى داره ، وعكف الشيخ الانجليزى على ترجمة ما قرأ فى ليلته إلى اللغة الانجليزية ، فلما أتم تسعة أعشار القاموس عاد إلى وطنه ، وظل صديقه الأزهرى يوافيه بالعشر الباقى بعد مراجعته ، وهناك أتم ترجمة القاموس ، وطبع بنصيه العربى والانجليزى الطبعة الأولى فى لندن سنة ١٨٦٣ تحت عنوان « مد القاموس عربى انكليزى Arabic English Lexicon » .

أما الشيخ الانجليزى فهو المستشرق المعروف « مسترلين M. Lane » وأما الشيخ الأزهرى فهو الشيخ ابراهيم عبدالغفار الدسوقى الذى يقول بعد أن قص قصة علاقته بصديقه : « وقد وردت أجزاء من الكتاب المترجم إلى بعض الذوات بمصر ، مطبوعة باللغة العربية والانكليزية باسم هذا الرجل ، مرسوما فيها صورتى ، والثناء على ما كان من مروءتى » [١] .

---

(١) Artin Pacha, Lettres du Dr. Perron. pp. 29, 90–62.

(٢) Enc. Isl. Art. Tunisi وانظر : Jomard فى مقدمته لكتاب Voyage au Darfour p. 10.

(٣) أنظر الطبعة الأولى من القاموس ، ج ١ ، ص ٦٨٠ ، ج ٢ ، ص ٦٨٥ ، وقد طبع طبعات أخرى فى مصر فى ١٢٨٩ و ١٣٠٩ ، أنظر معجم سركيس ، ثم انظر عن هذا الموضوع مقالنا السابق الذكر دكتور برون والشيخان الطنطاوى والتونسى .

(١) كتب الدسوقى قصة علاقته بمسترلين بنفسه ، ونقلها عنه على مبارك ، الخطط ج ١١ ، ص ٩ — ١٣ ، أنظر أيضا أحمد أمين الثقافة ، العددان ١٢٦ و ١٢٧ و ثم انظر مقدمة قاموس لين .

الفصل السادس

الطبــــــع والنشر

تحقيق تاريخ انشاء مطبعة بولاق ، الباعث والمشير بانشاء المطبعة ، احضار أجزاء المطبعة الأولى من إيطاليا ثم من فرنسا ، إنشاء مصنع الورق بمصر ، مديرو المطبعة ، موظفوها ، المطابع الأخرى فى : مدارس الطب ، والهندسة والطوبجية ، وفى القلعة ، وفى سراى الأسكندرية ، الغرض الأساسى من إنشاء هذه المطابع ، توزيع الكتب على تلاميذ المدارس ، الاقبال على الكتب المترجمة خارج المدارس محمد على يهدى نسخا من الكتب المطبوعة لملك فرنسا ، ولملك روسيا ، وانشاء المجمع .

كانت أول دولة شرقية عرفت الطباعة هى تركيا ، فقد أدخلت إليها أول مطبعة فى سنة ١٧٢٨ ، ثم تلتها سوريا ، فقد جلبت إليها الإرساليات الدينية المطابع لطبع الكتب الدينية ، فلما وفدت الحملة الفرنسية على مصر أحضرت معها مطبعة « البروباجندا » من إيطاليا ، ولكن هذه المطبعة لم تعط الفرصة الكافية والهدوء اللازم لتخرج للشعب مطبوعاتها ، ثم قدر لها أخيراً أن تخرج من مصر بخروج الحملة .

وظلت مصر خالية من المطابع نحو العشرين عاما حتى بدأ محمد على يضع الأسس لإصلاحاته ، وكان عماد هذه الإصلاحات فى نظره مدارس جديدة ، وجيشاً جديداً ، يتبع فى إنشائهما النظم الأوربية الحديثة ، ورأى أن هذه النظم الحديثة لا توجد فى الكتب العربية أو التركية القديمة ، وهنا اتجه تفكيره إلى إنشاء مطبعة فى مصر تزود هذه المنشآت بالكتب اللازمة .

يرجع تفكير محمد على فى إنشاء المطبعة إلى سنة ١٨١٥ تقريباً ، وهى السنة التى أوفد فيها بعثته إلى إيطاليا للتخصص فى فن الطباعة . أما تاريخ إنشاء المطبعة فقد اختلف فيه المؤرخون حتى المعاصرون منهم والرأى المتفق عليه بينهم أنها أنشئت فى سنة ١٨٢٢ [١] ، غير أن وثائق العصر تفيد بأنها أنشئت قبل ذلك .

كتب شاعر اسمه سعيد ثلاثة أبيات باللغة التركية على لوحة تذكارية [٢] بمناسبة إنشاء المطبعة (ولا زالت هذه اللوحة موجودة فى المطبعة حتى الآن) ، وقد أشير فى نهايتها إلى إنها أنشئت فى سنة ١٢٣٥ (من أكتوبر ١٨١٩ إلى أكتوبر ١٨٢٠) ، وأرجح أن يكون الإنشاء فى أواخر سنة ١٢٣٥ أى فى سنة ١٨٢٠ ميلادية ، فقد ذكر الأستاذ توفيق اسكاروس أنه عثر فى نتيجة الحائط لسنة ١٩٠١ على بيتين من الشعر يؤرخ الأول منهما لسنة إنشاء المطبعة ، وهى سنة ١٨٢٠ ، ويؤرخ الثانى لسنة طبع النتيجة وهى سنة ١٩٠١ ، أما البيتان فهما :

---

(١) Bianchi, Catalogue Général des livres Arabes, . . etc' Journal Asiatique, 1843. p. 24.

(٢) انظر صورة هذه اللوحة ونص ما كتب عليها فى تاريخ الوقائع المصرية للدكتور ابراهيم عبده ، ص ٧ ، واللوحة المقابلة لها

حسن النتيجة قد نالته مطبعة   محمد ساكن الجنات أنشاها ١٨٢٠
واليوم في دولة العباس أيده   ربي ، تجدد بالإسعاد مبناها ١٩٠١ [١]

ويرى أمين سامي باشا أن المطبعة أنشئت في ٨ صفر سنة ١٢٣٧ (٤ نوفمبر ١٨٢١) معتمدا في ذلك على أمر صادر من محمد علي باشا في هذا التاريخ إلى كتخدا مصر محمد لاظ اوغلي بك يشير فيه إلى وجود «شخص هندي بمصر له معرفة وإلمام ببعض اللغات ، وحسن الخط ، يقتضي تعيينه لتعليم الخط الفارسي للشبان الموجودين بمعية عثمان افندي سقه زاده ببولاق» ، وفي آخر الأمر حاشية تشير إلى «تخصيص المذكور لعمل ترتيب لصنع حروف الطبع لطبع الكتب المصمم طبعها ببولاق أيضا، وتكون خطوط الكتب بخطه» [٢]

وفي ١١ ديسمبر سنة ١٨٢٢ زار المطبعة الرحالة الايطالي «بروكي» وقال في حديثه عنها «والمطبعة لم تبدأ عملها كاملا إلا منذ نحو أربعة اشهر» [٣] ، أي إنها بدأت العمل في أغسطس سنة ١٨٢٢ . ثم ذكر أن المطبعة أخرجت قبل زيارته كتابين ، احدهما باللغة التركية لتعليم الجنود الموجودين في الصعيد ، والثاني أجرومية باللغة العربية من تأليف أحد مشايخ القاهرة .

هذه هي صفوة الآراء التي تعرضت لتحديد تاريخ الإنشاء ، ومنها نستطيع أن نستنتج أن المطبعة بدىء في إنشائها في سنة ١٢٣٥ (١٨٢٠) ، فاللوحات التذكارية يذكر فيها دائما تاريخ البدء في البناء لا الانتهاء منه ، ونستطيع أن نستنتج أيضا ان الإنشاء تم في سنة ١٨٢١ ، وأنها بدأت الطبع في ١٨٢٢ .

وكما اختلف المؤرخون في تحديد سنة الإنشاء ، فقد اختلفوا أيضا في تاريخ تحديد الباعث لمحمد علي على إنشاء المطبعة ، والمشير عليه بذلك ، فرأى بعضهم ان الغرض الأول لإنشاء المطبعة هو اهتمام محمد علي بطبع القوانين واللوائح والمنشورات الإدارية التي كان يريد نشرها في مختلف مديريات القطر ، وهذا فيما نرى بعيد عن الصواب ، فإن النظام الذي وضعه محمد علي لم يكن قد صدر بعد [٤] ، وإنما إنشاء المطبعة يعاصر تماما إنشاء المدارس الجديدة والجيش الجديد [٥] فلا شك إذن ان الغرض الأساسي هو طبع الكتب والتعليمات لهاتين المنشأتين .

كذلك يرى «المسيو رينو» والأستاذ بشاتلي [٦] ان الفضل في تنظيم مطبعة بولاق يرجع إلى نصائح الأب رفاييل زاخور ، بينما ترى السيدة «لاكونتامبورين» [٧] La Contemporaine التي زارت مصر في

(١) توفيق اسكاروس ، تاريخ الطباعة في وادي النيل ، الهلال ، ديسمبر سنة ١٩١٣ ص ٢٠٠ .
(٢) تقويم النيل ، ج ٢ ، ص ٥٧٨ .
(٣) Brocchi, Op. Cit ; v. 1, p. 172.
(٤) ابراهيم عبده ، المرجع السابق ، ص ٨ .
(٥) Perron. Lettre sur les écoles et l'imprimerie, . . . etc. J. A., 1843, p. 18.
(٦) Bachatly. Un Membre Oriental . . etc. p. 257 & Reinaud. Notice des ouvrages arabee . . etc. J. A. 1831, p. 342.
(٧) La Contemporaine en Egypte, t. 11, pp. 276, 293—4.

سنة ١٨٣١ ان نجاح المشروع يرجع إلى عثمان نور الدين ، فإنه يبدو أنه هو صاحب الاقتراح ، وهو الذي عرضه على محمد علي ، وهذه آراء — فيما يتضح لي — تعتمد على الاستنتاج أكثر من اعتمادها على الحقيقة أو السند التاريخي المادي ، فإن البعثة التي أرسلها محمد علي إلى إيطاليا لتعلم فن الطباعة ، والتي كان من بين أعضائها نيقولا مسابكي أول رئيس للمطبعة أرسلت في سنة ١٨١٥ ، والأب رفاييل لم يعد إلى مصر إلا في سنة ١٨١٦ ، كذلك عثمان نور الدين لم يعد من بعثته إلى مصر إلا في سنة ١٨١٧ ، لهذا يصح أن نرى أن محمد علي هو صاحب الفكرة ، وإن كنا لا ننكر أنه أفاد فوائد جمة من نصائح وتوجيهات ومساعدات كل من عثمان نور الدين والأب رفاييل عند الانشاء الفعلي للمطبعة . وقد بدأ محمد علي فأحضر ثلاث آلات للطبع من ميلانو كما أحضر الحبر والورق والمواد الأخرى اللازمة للطباعة من ليجهورن Leghorn وتريستا Trieste ، غير أنه بعد أن صدف عن ايطاليا واتجه إلى فرنسا أخذ يحضر آلات للطباعة من باريس ، فإن «ميشو وبوجولات» [١] Michaut et Poujoulat ذكرا أنهما رأيا ثمانية منها تؤدي عملها في سنة ١٨٣١ .

ولقد أحضرت للمطبعة عند إنشائها مجموعات من الحروف العربية والإيطالية واليونانية ، وقد صنعت كلها في ميلانو بإيطاليا ، غير أنه تبين بعد طبع الكتب التركية والعربية الأولى أن هذه الحروف العربية المصنوعة في إيطاليا رديئة معتلة [٢] ، لهذا لم يكد محمد علي يعلم بوجود «سنكلاخ افندي» [٣] الخطاط الفارسي المشهور بالقاهرة حتى أصدر أمره في ٨ صفر سنة ١٢٣٧ بأن يكلف بنقش حروف جديدة للمطبعة ، فجاءت حروفه جميلة ، وأجمل الكتب التي طبعت بخطه الفارسي «ديوان محي الدين بن عربي» الذي طبع في بولاق سنة ١٨٥٤ . وقد كانت الحروف العربية بمطبعة بولاق صنفين : خط التعليق أو الفارسي ، وكانت تطبع به عناوين الفصول غالباً ، والخط النسخي المعتاد وتطبع به المتون .

أما الحبر فلم يلبث أن صنع في مصر ، وبذلك أوقف استيراده من أوربا ، كذلك الورق فقد أنشئت «فابريقة» لصنعه حوالي سنة ١٢٥٠ [٤] أو قبيلها بقليل ، وكان مقرها الأول في الحسينية ، ثم نقلت إلى بولاق ، وكان الورق يصنع أولا من مواده الأولية ، وفي ١٤ جمادى الأولى سنة ١٢٥٠ صدر أمر من محمد علي إلى ناظر الجهادية جاء فيه «بما أنه صار البدء في تشغيل فابريقة الورق التي تم انشاؤها ، وأن هذا الصنف يشتغلونه من الملبوسات الكهنة ، وما يشابهها ، فيشير بالتحرير من الجهادية إلى سائر الآلايات

(١) Michaud et Poujoulat, Correspondances d' Orient, t. VI, p.291.
(٢) أنظر مثلا قاموس رفاييل الايطالي العربي ، وفن الصباغة من ترجمته ، وفن الحرب باللغة التركية ترجمة شاني زادة ، وهي أول كتب ترجمت وطبعت في بولاق سنة ١٢٣٨ (١٨٢٣) .
(٣) اسكاروس ، المرجع السابق ، ص ١٩٨ .
(٤) تقويم النيل ، ج ٢ ، ص ٤٢٢ .

والأرط بإرسال الملبوسات المرتجعة إلى ديوان الجهادية أولا بأول ، وبورودها ترسل إلى فابريقة الورق أولى من بيعها أو اتلافها بالبقاء ، فضلا عما فى ذلك من الفائدة فى كثرة تشغيل الورق [١] » .

ولم يكن محمد على يسمع بأى تحسين صناعى يتم فى أوربا حتى يبادر بالأخذ به فى مصر ، ففى ١٣ شعبان سنة ١٢٦٣ — قبيل وفاته بسنتين — نشرت الوقائع المصرية « أنه استحضر من أوربا آلة بخارية لإدارة فابريقة الورق . . وصار المأمول ازدياد ما يعمل فيها من جميع أصناف الورق بدلا من إدارة الفابريقة بالمواشى [٢] » .

وقد ظلت الآلات الخاصة بالمطبعة وفابريقة الورق ، وأصول الحروف ، واللوحات الإيضاحية الملحقة بالكتب المترجمة — وخاصة الكتب الحربية والرياضية والجغرافية — تصنع فى أوربا — فى إيطاليا وفرنسا — حتى تاريخ متأخر .

ففى ٢٩ المحرم سنة ١٢٤٨ (١٨٣٢) صدر أمر من محمد على « إلى مدير أمور التلامذة المصرية بباريس بالتصريح له بمشترى أحجار المطبعة التى بها رسم حركة السوارى المصنوعة بمعرفة عبدى أفندى .. وإرسال ذلك بطرفه برسوماتها التى عليها ، واستلام قيمة أثمانها من النقدية المحولة بمعرفة الخواجة باغوص » . [٣]

وفى ٦ صفر سنة ١٢٥٠ صدر أمر منه إلى خورشيد باشا وكيل الجهادية « بأنه علم مما تقرر من حكاكيان مهندس فابريقة الورق التى صار انشاؤها حديثاً أنه يلزم لعمل المهمات والآلات التى تلزم للفابريقة هنا مدة مستطيلة نحو السنة ، وعليه يشير بأنه إن أمكن عمل ذلك فى عهد قريب فيها ، وإلا تحرر كشف بما يلزم بمعرفة المهندس المذكور . وتقديمه لطرفه لمداركتها من إيطاليا ، كما سبق استحضارها منها [٤] » .

وفى ١١ رمضان سنة ١٢٥٢ صدرت إفادة منه إلى باغوص بك « إنه بالنسبة لإعطائه أوراق عينات خط التعليق لاستحضار ذلك من أوربا برسم المطبعة ، ولاستعلام ناظرها شفاهياً من ورود ذلك من عدمه ، يلزم الإفادة عما ذكر ، وإن كان ورد منه شىء يرسل إلى المطبعة كمقتضى الأمر العالى [٥] .

وظل الأمر على ذلك حتى نهاية عصر محمد على ، فيما عدا اللوحات الإيضاحية ، فقد ألحقت بمطبعة بولاق حوالى سنة ١٨٤٢ [٦] مطبعة أخرى لصنع هذه اللوحات وطبعها .

---

(١) تقويم النيل ، ج ٢ ، ص ٤٢٦ .
(٢) الوقائع المصرية ، العدد ٧٥ ، بتاريخ ١٣ شعبان سنة ١٢٦٣ .
(٣) تقويم النيل ج ٢ ص ٣٩٨ .
(٤) المرجع السابق ، ٤٢٢ .
(٥) المرجع السابق ، ص ٤٧٩ .
(٦) Perron, Lettre(A. M. J. Mohl)sur les écoles et l' imprimerie du Pacha d' Egypte J. A.,1843 p. 19

وقد كان أول مدير للمطبعة هو نقولا مسابكى ، وظل يشرف على إدارتها من الناحيتين الفنية والعلمية حتى توفى فى سنة ١٢٤٤ (١٨٣٠) .

وقد ذكر « بروكى » أن مسابكى هفا — فى أول عهده بالعمل — هفوة خطيرة كادت تقصيه عن العمل وتودى به ، وذلك أن قساً إيطالياً من كالابريا اسمه « كارلو بيلوتى » كان مدرساً بمدرسة بولاق نظم قصيدة طويلة فى « الأديان الشرقية » ، وكانت تتضمن طعناً فى الدين الإسلامى ، وأعطاها لمسابكى ليطبعها فى مطبعة بولاق ، وكان المستر « سولت Salt » قنصل انجلترا فى مصر يكره هذا القس ، فأراد أن يوقع به ، ونقل خبر هذه القصيدة إلى محمد على الذى أمر فى الحال بإحراق أصل القصيدة ، ولولا وساطة عثمان نور الدين لما عفا عن مسابكى ، بل لناله منه عقاب أليم [١] .

وعقب هذه الحادثة أصدر محمد على أمره فى ١٣ يوليو سنة ١٨٢٣ (١٦ ذو القعدة ١٢٣٩) أن لا تطبع المطبعة أى كتاب حكومى إلا بعد صدور إذن خاص منه .

وقد ألحق بنقولا مسابكى منذ اللحظة الأولى عدد من تلامذة الأزهر ، وكلف بتعليمهم طريقة الطبع وصف الحروف ، ونواحى العمل الفنيه الأخرى ، فلما حذقوا العمل ومرنوا عليه أسندت رئاسة الأقسام إلى نفر منهم ، فعين الشيخ عبد الباقى رئيساً للمسبك ، والشيخ محمد أبو عبد الله رئيساً للطباعين ، والشيخان يوسف الصنفى ومحمد شحاته رئيسين للصفافين [٢] .

وقد تولى الإشراف الفنى على المطبعة منذ إنشائها نقولا مسابكى ، أما الرئاسة الإدارية فقد تولاها أناس كثيرون بألقاب مختلفة ، كان أولهم عثمان نور الدين الذى عين مفتشاً للمطبعة فى ٨ صفر سنة ١٢٣٧ (٤ نوفمبر ١٨٢١) وظل يشغل هذا المنصب حتى شهر ذى الحجة سنة ١٢٣٩ (يوليو ١٨٢٣) ، ثم خلفه قاسم أفندى الكيلانى « مأموراً » للمطبعة من سنة ١٢٣٩ إلى ١٢٤٨ (١٨٢٣ — ١٨٣٢) ، وفى ٢٦ ذى الحجة سنة ١٢٤٥ ، (١٩ يونيو ١٨٣٠) عين عبد الكريم أفندى « مفتشا » للمطبعة حتى فصل فى ٢٧ ذى الحجة سنة ١٢٥٠ (٢٦ ابريل ١٨٣٥) ، وفى سنة ١٢٤٨ عين من يدعى سعيد أفندى « ناظراً » للمطبعة غير أنه لم يل هذا المنصب إلا شهوراً قليلة ثم خلفه فى النظارة فاتح أفندى من ١٨ المحرم سنة ١٢٤٩ إلى رجب سنة ١٢٥٢ .

ثم اختفى لقب الناظر قليلا ، وعين حسين بك « مديراً للمطبعة وملحقاتها » من جماد أول سنة ١٢٥١ إلى صفر سنة ١٢٥٥ ، ثم ظهر لقب « الناظر » ثانية ، فعين حسن أفندى ناظراً للمطبعة والوقائع من ذى

---

(١) اسكاروس ، المرجع السابق ، ص ٢٠١ ، نقلا عن « بروكى » .
(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

الحجة سنة ١٢٥٢ إلى حوالى منتصف سنة ١٢٦٠ ، ثم خلفه حسين أفندى راتب ناظرا من سنة ١٢٦٠ إلى ١٢٦٤[١] .

وأول مانلاحظه على هذه القائمة أن تواريخها يتداخل بعضها فى البعض الآخر أحيانا وأن ألقاب رؤساء المطبعة كانت تختلف من سنة إلى أخرى ، فالرئيس مرة مفتش ، ومرة مأمور ، وهو حينا ناظر ، وحينا آخر مدير ، وتفسير هاتين الملاحظتين فى نظرنا أن المطبعة كانت ذات فروع وأقسام مختلفة ، فلعل رئيس كل قسم كان يحمل لقبا معينا ، وبهذا نستطيع أن نفسر وجود مفتش ومأمور ، أو مأمور وناظر ، أو ناظر ومدير فى وقت واحد .

ولقد كانت المطبعة الوسيلة الكبرى لتحقيق غرض محمد على من نقل الحضارة الغربية إلى مصر ، فلقد كانت طريقته فى هذا النقل هى الترجمة ، وماكان للترجمة أن تحقق غرضها إذا لم تطبع من الكتب المترجمة نسخ كثيرة توزع على الجند فى فرق الجيش ، وعلى الطلاب فى المدارس ، بل وعلى الأهلين .

ولهذا أنشئت مطابع أخرى كثيرة ، وألحق معظمها بالمدارس ، وخاصة البعيدة منها عن بولاق ليتيسر لها طبع الكتب التى تترجم بها دون تكبد مشقة الانتقال إلى مقر المطبعة الكبرى ، فكانت هناك مطبعة ملحقة بمدرسة الطب حين كانت فى أبى زعبل ، وقدطبع بها فى سنة ١٢٤٨ أول كتاب ترجم فى الطب وهو كتاب « القول الصريح فى حلم التشريح » ، ثم ظلت تطبع بها الكتب الطبية المترجمة حتى نقلت المدرسة إلى قصر العينى فأصبحت كتبها تطبع فى بولاق .

وكانت هناك مطبعة ملحقة بمدرسة الطوبجية بطرة ، وأول كتاب طبع بها هو كتاب : « الكنز المختار فى كشف الأراضى والبحار » . وقد طبعت بها كتب حربية ورياضية وجغرافية أخرى ، كذلك كانت هناك مطبعة أخرى فى المدرسة الحربية بالجيزة . وكان فى القلعة مطبعة طبعت بها الوقائع المصرية مدة ما .

ورغم وجود مدرسة المهندسخانة فى بولاق فقد ألحقت بها حوالى سنة ١٢٦٠ مطبعة حجر خاصة لطبع الكتب الرياضية المختلفة ، وما يتصل بها من أشكال ولوحات إيضاحية .

وهناك مطبعة أخرى لم يعن أحد بذكرها أو الاشارة اليها رغم أهميتها ، وهى مطبعة سراى الاسكندرية ، ولسنا نعرف بالتحديد متى أنشئت هذه المطبعة ، ولكننا نعرف أنها شاركت فى طبع بعض الكتب المترجمة فى ذلك العصر ، وخاصة الكتب التاريخية التى ترجمت إلى اللغة التركية ، ومنها نستطيع أن نرجح أن هذه المطبعة أنشئت فى سراى رأس التين حوالى سنة ١٨٣٢ ، ففيها طبع فى سنة ١٢٤٩ (١٨٣٤) كتاب « تاريخ نابليون » تأليف « دوق دى روفيجو » ، وكتاب تاريخ إيطاليا تأليف « بوتا » ، وقد قام بترجمة الكتابين عن الفرنسية إلى التركية عزيز أفندى كاتب الديوان بثغر الاسكندرية .

---

(١) اسكاروس ، المرجع السابق ، ص ٢٠١ ، وانظر أيضا Dunne, Op. cit, P. 331

وفى هذه المطبعة أيضاً كانت تطبع الجريدة الرسمية الفرنسية « لومونيتور اجيسيان Le Moniteur Egyptien » التى ظلت تصدر نحو ثمانية أشهر من أغسطس سنة ١٨٣٣ إلى مارس سنة ١٨٣٤[١] .

وبعد وضع التنظيم الإدارى الجديد لمصر الحق ببعض الدواوين مطابع خاصة بها لنشر أوامرها ومنشوراتها وقوانينها فقد كان لديوان المدارس مطبعة ، ولديوان الجهادية مطبعة ، غير أنا نلاحظ أن هذه المطابع شاركت أيضاً فى طبع الكتب المترجمة ، ففى مطبعة ديوان الجهادية طبعت « رسالة فى علاج الطاعون » فى سنة ١٢٥٠ ، و « رسالة فيما يجب اتخاذه لمنع الجرب والداء الافرنجى عن عساكر الجهادية ونسائها » . فى سنة ١٢٥١ ، والرسالتان من تأليف كلوت بك .

وقد كان الغرض الاساسى من انشاء هذه المطابع هو طبع الكتب المترجمة ، ولكنها قامت أيضاً باحياء كثير من المخطوطات القديمة التى دعت الحاجة إلى طبعها ، وقد كانت تقاليد العصر تقضى بطبع الف نسخة من كل كتاب يترجم ، وإن كان القليل منها قد طبع منه خمسمائة فقط .

وكانت هذه الكتب توزع على تلاميذ المدارس ، فهى من أجلهم ترجمت وطبعت ، وكانت أثمان الكتب تخصم منهم فى أول الأمر ، وثمن الكتاب هو ما صرف على طبعه دون تقدير أى ربح ، وحوالى سنة ١٢٥٨ (١٨٤٢) رأت الحكومة أن تصرف الكتب للتلاميذ على نفقتها الخاصة ، ولكنها كانت تأمر بأن تكون هذه الكتب عارية للتلاميذ تجمع منهم إذا انتقلوا إلى فرقة أعلى لتصرف إلى التلاميذ الجدد[٢] وهكذا يستمر الكتاب يتداول بين التلاميذ من يد إلى أخرى حتى يهلك فيستهلك .

وبعد مدة أخرى رأى ديوان المدارس أن يقرر مبدأ ملكية التلميذ للكتاب ، وبهذا أصبح كل تلميذ يحتفظ بكتبه إذا انتقل من فرقة إلى أخرى ، أو من مدرسة إلى أخرى ، ويبدو لى أن الديوان قرر هذا النظام بعد أن رأى أن الكتب التى طبعت لم تجد لها قراء غير تلاميذ المدارس ، فتكدست أكواما فى المخازن .

وقد كانت الكتب التى طبعت فى مصر تجدلها أسواقا رائجة فى تركيا وبلاد المغرب[٣] وبذلك نافست مطبعة بولاق مطبعة الاستانة .

أما فى مصر فقد كان الإقبال على الكتب المترجمة — خارج المدارس — قليلا جدا ، وذلك لقلة عدد القارئين ، ولأن معظم الكتب التى ترجمت كانت كتبا فنية لا يفيد منها قراء المعهد القديم — الازهر — ، ولهذا كانت هذه الكتب تختزن فى مخازن المطبعة فى بولاق ، أو فى « الكتبخانة الخديوية » التى أنشئت فى سنة ١٢٥٠ «وكان الديوان والكتبخانة دائمى الشكوى من صعوبة (تصريف) الكتب التى اكتظت بها

---

(١) ابراهيم عبده ، تاريخ الوقائع المصرية ، ص ١١٩ — ١٢١ ، وانظر أيضا :
St. John, Egyt & Mohamed Ali, vol. 11, p. 358.

(٢) عزت عبد الكريم ، تاريخ التعليم فى عصر محمد على ، ص ٤٧٦ .

(٣) Perron, Lettre sur les écoles et l' imprimerie du Pacha, etc. J. A., 1843,P. 18.

برغم الاجراءات التى كانت تتخذها لتشجيع الاقبال على شرائها فكانت تبيع الكتب أحيانا بثمن مؤجل وتخفض أثمانها أحيانا أخرى . رغبة فى انتشار العلوم بين الأهالى»[١] . وقد كان فى عزم محمد على أن ينشىء فى القلعة ، بعد اتمام الجامع الشريف ، دار كتب جديدة تنقل اليها الكتب النفيسة من خزينة الأمتعة «لمطالعة الجمهور»[٢] ، غير أن المراجع المعاصرة لا تذكر أن هذا الأمل حقق فى عصر محمد على .

وكانت لجنة الامتحان فى مدرسة الالسن تكافىء المجيدين من المترجمين فتمنح كل مترجم أنجز عمله فى الموعد المحدد له ، وطبع كتابه — خمس نسخ من هذا الكتاب — هدية وتشجيعا له[٣] .

وكان محمد على يفخر بنهضته العلمية كل الفخر ، ويعتز بكتبه التى ترجمت وطبعت ويجب أن يباهى بها الدول الأخرى ، بل كان يعتبرها خير هدية تهدى لملوك أوربا المختلفين ، ففى ٢٠ ربيع الثانى سنة ١٢٦١ أصدر أمره إلى مدير ديوان المدارس ، بانتخاب ثلاث نسخ من كل كتاب من الكتب الكبيرة النفيسة التى طبعت فى مطبعة مصر ، والتى سبق إرسالها إلى أوربا ، وتجليدها وتذهيبها ، وإرسالها لطرفنا ، وخصم الثمن على طرف الديون ، لترسل بمعرفة أرتين بك مدير التجاره والأمور الخارجية ، لصاحب الجلالة ملك فرنسا بصفة هدية »[٤] .

وفى ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٢٦١ صدر منه أمر آخر ، جاء فيه: «الكتب المدرجة بالجدول طيه سترسل هدية منى إلى صاحب الحشمة ملك الروسيا ، فيلزم فرزها وتجليدها وتذهيبها ، مع ٣ نسخ من كل نوع من أنواع الكتب السابق طبعها بمطبعة بولاق ، وأرسل منها إلى أوربا »[٥] .

وفى ١٥ رجب سنة ١٢٥٦ أعطى ميرزا هاشم مجموعة من الكتب التى طبعت فى بولاق لتقديمها إلى شاه العجم[٦] .

---

(١) تاريخ التعليم فى عصر محمد على ، ص ٤٧٧ .

(٢) تقويم النيل ، ج ٢ ، ص ٤٨٣ ، وقد عبر محمد على عن هذا الأمل فى خطاب منه إلى باقى بك فى ٥ المحرم سنة ١٢٥٣ .

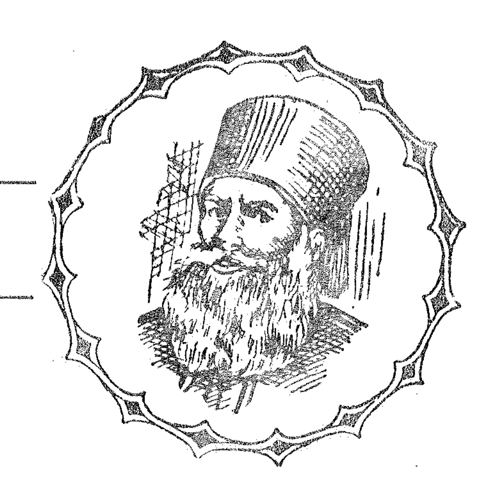
(٣) تاريخ التعليم فى عصر محمد على ، ص ٣٤٢ (عن وثائق عابدين) .

(٤) تقويم النيل ، ج ٢ ، ص ٥٧٩ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٥٣٣ .

(٦) فى عابدين ، محفظة ٢٦٠ رقم ٧٢ بيان بأسماء هذه الكتب ؛ أنظر : أسد رستم ، بيان بوثائق الشام ، مجلد ٤ ، ص ٤٠٦

الباب الثالث



تقدير عام للترجمة فى ذلك العصر

١ — أغراض الترجمة .

٢ — عن أى اللغات وإلى أى اللغات .

٣ — طريقة الترجمة .

٤ — المصطلحات .

٥ — أسلوب الترجمة .

٦ — أثر الترجمة فى اللغة العربية .

٧ — أثرها فى المجتمع المصرى .

والآن ، وقد انتهينا من التأريخ للترجمة ، وأدواتها ، وما يتصل بها ، يحق لنا أن نلقى على هذه الحركة المباركة نظرة عامة شاملة ، لنقدرها حق قدرها ونتعرف على أغراضها المختلفة ، وننقد طريقتها وأسلوبها ونبين أثرها فى تاريخ اللغة العربية ، والمجتمع المصرى .

١ — أغراض الترجمة :

(ا) ظهر لنا من الفصول السابقة أن محمد على كان يتجه فى سياسته الاصلاحية إلى النقل عن الغرب ولهذا يمكن أن نقول أن الغرض الأول والأساسى للترجمة فى ذلك العصر كان يرمى إلى نقل ما عند الغرب والغربيين من علم جديد ، ومن نظم وقوانين جديدة فى الجيش والأسطول ، والمدارس ، والمستشفيات والإدارة الحكومية الخ .

(ب) أما الغرض الثانى فهو نقل العلوم الحديثة المختلفة إلى اللغتين العربية والتركية ، ليسهل على الطلاب والمدرسين استعمالها ودرسها ، وتدريسها فى المدارس الحديثة .

(ح) وهناك كتب كثيرة ترجمت تحقيقاً لرغبة محمد على باشا ، أو لرغبة ابنه ابراهيم باشا فى بعض الأحيان ، وهذه فى الغالب إما كتب تبحث فى فن الحكم . ونظمه ، وسياسته ككتاب الأمير لمكيافيللى أو مقدمة ابن خلدون ، وإما كتب فى التاريخ ، وخاصة ما تناول منها سير وتراجم العظماء والمصلحين ، كالسيرة النبوية ، وتاريخ الاسكندر ونابليون . وكاترين ، وبطرس الأكبر ، وإما كتب فيها تعريف بالدول الأوربية الكبيرة . كتاريخ إيطاليا ، ورحلة رفاعة ، وتاريخ فرنسا . الخ ، أما الكتب التى كان يشير بترجمتها ابراهيم باشا ، فكانت فى الغالب كتباً حربية ، كوصايا فريدريك الأكبر لضباطه ، أو الكتب التعليمية لفريق الجيش المختلفة .

(ى) وكانت بعض الكتب تترجم خصيصاً للمكتب العالى ، حيث تستعمل لتعليم أولاد محمد على وأحفاده ، فقد ذكر مثلا فى مقدمة كتاب « إفاضة الاذهان فى رياضة الصبيان » أنه ترجم « برسم حضرة أنجال الخديو الأعظم ، وحفدة الداورى الأكرم ، وليشتغل به تلاميذ المكتب العالى » .

(ه) ولم نلاحظ أن هناك كتباً ترجمت لتحقيق المثل الأعلى لمثل هذه الحركة — وهو نشر الثقافة العامة بين الشعب — ، وإن كنا لا ننكر أن محمد على خطا مرة خطوة نحو تحقيق هذا الغرض ، فأمر بتأليف وترجمة كتابين لنشر الثقافة الطبية بين عامة الشعب ، وهما : « كنوز الصحة ويواقيت المنحة » و « الدرر الغوال فى معالجة أمراض الأطفال » ، غير أنه لم يتبع هذه الخطوة بخطوات أخر ، أما المعهد الذى سعى لتحقيق هذا الغرض وكان يقدر له النجاح لو طال به العمر ، فهو مدرسة الألسن ، وسنفصل الكلام عن جهد هذه المدرسة فى هذه الناحية عند كلامنا عن أثر الترجمة فى المجتمع المصرى .

٢ — عن أي اللغات وإلى أي اللغات :

كذلك نلاحظ أن حركة الترجمة فى عصر محمد على كانت حركة واسعة شاملة ، فلم تقتصر على الترجمة عن اللغات الأوربية ، بل شملت الترجمة عن كل اللغات الأوربية والشرقية الحية واليها ، فترجمت كتب عن الفرنسية ، أو الإيطالية ، أو عن ترجمات فرنسية عن الإيطالية والانجليزية ، أو عن ترجمات إيطالية عن الفرنسية ، إلى اللغتين العربية والتركية[٢] .

وترجمت كتب عن العربية إلى التركية ، أو عن التركية إلى العربية .

وترجمت كتب عن الفارسية إلى التركية ، وترجم كتاب واحد — وهو كلستان سعدى — عن الفارسية إلى العربية[٢] .

وقام بالترجمة عن العربية إلى اللغات الأوربية جماعة من المستشرقين الذين عاشوا فى مصر فى ذلك الوقت ، فقام « الدكتور برون[٣] مثلا بترجمة كتب كثيرة فى الأدب والتاريخ عن العربية إلى الفرنسية ، كما قام « مستر لين » بترجمة القاموس المحيط إلى اللغة الانجليزية .

وهناك محاولة مصرية وحيدة للترجمة فى هذه الناحية ، فقد أشار محمد على مرة بتصنيف كتاب رسمى عن جهوده الاصلاحية أسماه « روضة العمران[٤] » ثم كلف بعض مترجميه وهم : حكاكيان أفندى وارتين أفندى ، ويوسف أفندى ، واسطفان أفندى ، وكانى بك ، ورفاعة بك[٥] بترجمته عن العربية إلى الفرنسية ، ليكون وسيلة للدعاية له ولجهوده فى الخارج ، غير أننى لم أوفق ، — رغم البحث الطويل — للعثور على ما يثبت وجود هذا الكتاب — مخطوطا أو مطبوعا - بالعربية أو بالفرنسية .

٣ — طريقة الترجمة :

شهد العالم الاسلامى ، منذ بدء الإسلام حتى الآن ، حركتين للترجمة ، : كانت الأولى فى عهد الدولة العباسية ، وخاصة فى عصرى الرشيد والمأمون ، وبدأت الثانية فى عصر محمد على ، وقد عانى المترجمون فى العهدين كثيراً من صعوبات الترجمة وخاصة عند نقل المصطلحات العلمية التى لا مرادف لها فى اللغة العربية

أما المترجمون فى العصر العباسى ، فقد كان لهم فى النقل — كما يقول الصلاح الصفدى — طريقان : « أحدهما هو أن ينظر إلى كلمة مفردة من الكلمات الأعجمية ، وما تدل عليه من المعنى فيثبتها وينتقل إلى الأخرى كذلك ، حتى يأتى على جملة ما يريد تعريبه ، وهذه الطريقة رديئة لوجهين ، أحدهما أنه لا يوجد فى الكلمات العربية كلمات تقابل جميع الكلمات الأعجمية ، ولهذا يقع فى خلال هذا النقل كثير من الألفاظ

(١) انظر الملحقين ١ و ٢ .

(٢) انظر الكلام عن هذه الترجمة فى فصل المترجمين .

(٣) انظر بيانا مفصلا عن هذه الكتب فى مقالنا السابق الذكر « دكتور برون والشيخان الطنطاوى والتونسى » .

(٤) انظر الملحق رقم ٣ .

(٥) تقويم النيل ، ج ٢ ، ص ٤٥١ .

الأعجمية على حالها ، والثانى أن خواص هذا التركيب ، والنسب الاسنادية لا تطابق نظيرها من لغة لأخرى دائماً ، وأيضاً يقع الخلل من جهة استعمال المجازات ، وهى كثيرة فى جميع اللغات .

والطريق الثانى فى الترجمة هو أن يأتى بالجملة فيحصل معناها فى ذهنه ، ويعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها ، سواء ساوت الألفاظ أم خالفتها ، وهذا الطريق أجود »[١] .

هاتان هما الطريقتان اللتان اتبعتا فى العصر العباسى ، وهما طريقتان اجتهاديتان كان الباعث عليهما أن الترجمة فى ذلك العصر كانت ترجمة فردية . حقيقة أن الترجمة فى العصر العباسى — كانت مثلها فى عصر محمد على — ترجمة رسمية ، يوعز بها ، ويرعاها ويشجعها الحكومة والحكام ، غير أن الخليفة فى العصر الأول كان يوعز إلى المترجمين بالترجمة ، فيبذل كل منهم جهده وحده ، ويتصرف فى النقل حسب اجتهاده .

أما الترجمة فى عصر محمد على فكانت تقوم بها هيئات متعددة ، ولهذا نراها أحيطت بالضمانات الكافية والممكنة لتخرج سليمة ، دقيقة متقنة بقدر الإمكان .

بدأ الترجمة فى عصر محمد على جماعة السوريين ، وكان أولهم الأب رفائيل ، وقد ترك وشأنه فى الترجمة ، فقد كانت الحركة فى أول خطواتها ، ولهذا خرجت ترجماته رديئة ضعيفة الأسلوب ، غير واضحة ولا مفهومة ، فلما ألحق نفر آخرون من السوريين بمدرسة الطب ، أحست الحكومة فيهم هذا الضعف فى اللغة العربية فبدأت بوضع تقليد جديد ، وهو إشراك جماعة من شيوخ الأزهر معهم فى النقل لتخير الألفاظ والمصطلحات العلمية العربيـــة ، أو لاشتقاق ونحت ألفاظ ومصطلحات جديدة ، ثم لتصحيح الأسلوب وصياغته صياغة عربية صحيحة .

ولهذا لم يكن المترجم ينفرد بالترجمة وحده ، ثم يقدم الترجمة للشيخ المصحح ليقوم بتصحيحها وحده ، بل كان الرجلان يجلسان معاً ، فيمسك المترجم بكتابه ، والشيخ بدفتره ، ويبدأ الأول فى الترجمة جملة جملة ، ثم يمليها على رفيقه ، وهما فى أثناء ذلك يتشاوران ، ويراجعان الأصل ، أو الكتب العربية القديمة ، أو مابين أيديهما من قواميس ومعاجم ، إلى أن يتفقا على الصورة النهائية . يشير إلى هذا التعاون والاشتراك فى العمل الشيوخ المصححون فى مقدمات الكتب المترجمة ، فهذا الشيخ مصطفى كساب يقول فى مقدمة كتاب « نزهة الأنام فى التشريح العام » : « وترجمه من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية المترجم الحاذق الخواجة يوسف فرعون . مع مصحح مسائله ، ومنقح دلائله . . مصطفى حسن كساب » ، ويقول أيضاً فى مقدمة كتاب « منتهى البراح فى علم الجراح » : « ترجمه يوسف فرعون مع مرتب مبانيه ، ومهذب معانيه مصطفى كساب . . » ، وقال الشيخ محمد الهراوى فى مقدمة كتاب « منتهى الأغراض فى علم الأمراض » ، الذى ترجمه

(١) الدكتور أحمد عيسى بك ، التهذيب فى أصول التعريب ، ص ١١٣ (نقلا عن الصلاح الصفدي) .

يوحنا عنحورى : « وكان ممن استملى منه نحو نصف هذا الكتاب أخى ووحيدى أحمد صوبيع الرشيدى، ولكون الكتاب المذكور نقل للطليانية ، وكان يفسر بها حين قراءة المعلم للدرس ، وخفت من أن يكون قد وقع فى شىء منه اللبس ، تصفحته ثانية مع على أفندى هيبة على أصله المطبوع بالفرنساوية » ، ثم يقول فى خاتمة الكتاب : «لذا تعبت فى تحريره عند الجمع والطبع غاية التعب ، واستهونت ماحل بى حينذاك من دوام السهر والوصب ، حتى صغته صياغة التآليف العربية فى انسجام المعانى ، وتناسب الكلمات ، بعد أن بذلت الجهد فى تهذيب المبانى وتناسق العبارات . حتى صار لايرى عليه غبار الترجمة ، ولا ما تعرف به من غيار اللعثمة» .

وقال نفس الشيخ فى مقدمته لكتاب « المنحة فى سياسة حفظ الصحة » : « فجمع الخواجا برنار ، هذا الكتاب من مجلدات كبار ، وترجمه من الفرنساوى للعربى بالكتابة والمقال المترجم الحلبى جورجى فيدال وكنت مقيداً لتصليح ماترجم ترجمة لفظية ، وتوقيعه مواقع عبارات عربية ، مع إبقاء أسلوبه لمساق الكلام على ماهو عليه ، واصطلاحهم فى كثرة التقسيمات وتطويل العبارات على ما مالوا إليه . . غير أنى بذلت فى أن تستفاد المعانى من المبانى غاية الجهد ، وحفظت أن لا أكتب شيئاً إلا بعد معرفتى إياه » ، ثم قال فى خاتمته أنه روجع « على يد مصحح كلمه عند الترجمة ، محرر جمله لدى القراءة والمقابلة ، مؤاخيه حال القراءة والجمع ، موافيه عند التمثيل والطبع . محمد الهراوى » .

وضع هذا التقليد خصيصا للمترجمين من السوريين . فلما خرجت المدارس والبعثات خريجيها من المصريين ، وبدأوا يشاركون فى حركة الترجمة ، لم يلغ هذا التقليد ، بل أبقى عليه ، فقد كانت حكومة محمد على — وهذه الكتب المترجمة جهد من جهودها — حريصة على أن تظهر للقارئين أقرب ماتكون إلى الصحة موضوعا وأسلوبا ، وكان معظم خريجى المدارس والبعثات من خريجى مدرستى بولاق وقصر العينى ، أو من تلاميذ المكاتب الاقليمية ، ولهذا كانت ثقافتهم فى اللغة العربية ضعيفة محدودة ، فكان من الضرورى أن يعينهم شيوخ الأزهر على أداء مهمتهم ، وقد فعلوا ؛ جاء فى مقدمة كتاب « اسعاف المرضى من علم منافع الأعضاء » أن مترجمه على افندى هيبه « كان يمليه على الشيخ محمد محرم أحد المصححين بمدرسة أبى زعبل »، وذكر فى مقدمة « نبذ كلوت بك » أنه قام بترجمتها ، ابراهيم النبراوى حكيم أول ابن عرب باملائه للشيخ محمد محرم أحد المصححين قبل الطبع ، وقال الشيخ مصطفى كساب فى مقدمة كتاب « الطب العملى » : « وترجمه . . . محمد افندى عبد الفتاح . . . وقد استمليت منه هذا الكتاب ، وصححته بأعذب خطاب» ، وقد اتبع الشيخ محمد عمر التونسى نفس الطريقة مع الدكتور «برون» أثناء ترجمته لكتابه الجواهر السنية ، فقد قال فى مقدمته : « على أن جل هذا الكتاب كان أملى علىّ من قبل ذلك ، وصححت أكثره

بلا مشارك (يقصد من المصححين) . . . وساعدنى فى ذلك معرفة مؤلفه باللغة العربية ، لأنى قابلت كل مشكلة معه على أصوله الفرنساوية . . . » .

غير أنا نلاحظ أن هذا التقليد لم يكن عاماً ، بل لقد أعفى منه خريجو المدارس والبعثات من الأزهريين، أعفى منه الشيخ رفاعة ، وأعفى منه الشيخان (ثم الدكتوران) أحمد حسن الرشيدى ، وحسين غانم الرشيدى، فقد كانا ممتازين فى معرفتهما للغة العربية ، بل لقد كانا مصححين فى مدرسة الطب قبل ايفادهما إلى فرنسا ضمن بعثة ١٨٣٢ الطبية .

ولم يكتف القائمون على حركة الترجمة فى ذلك العصر بهذا التقليد ، بل كانوا يعهدون ببعض الكتب بعد ترجمتها وتصحيحها إلى لجنة أخرى من مترجم مصحح آخرين لمراجعتها على الأصل ، وكانت بعض الكتب تراجعها لجنتان أو ثلاث الواحدة بعد الأخرى ، حدث هذا فى الغالب للكتب التى ترجمها يوحنا عنحورى [1] ، لأن هذا المترجم كان يتقن اللغة الايطالية دون الفرنسية ، فكانت الكتب تترجم له عن الفرنسية إلى الايطالية ، ثم يقوم هو بترجمتها إلى العربية ، فإذا راجعها معه المصحح ، أعطيت الترجمة للجنة أخرى لمراجعتها على النص الأصلى الفرنسى .

وحدث هـــذا الإجراء أيضاً فى بعض كتب الطب البيطرى ، والكتب الرياضية ، فقد ترجم فرعون كتاب « التوضيع لألفاظ التشريح » وصححه الشيخ مصطفى كساب ، ثم صدر أمر من ديوان الجهادية بأن تكون لجنة ثانية من رفاعة افندى والبكباشى هرقل لمراجعته « فبادرا بالامتثال ، وقابلاه مقابلة ليس لها مثال ، مع امعان النظر ، وإيضاح ما خفى واستتر » ، وكذلك كتاب « اللآلىء البهية فى الهندسة الوصفية» ترجمه ابراهيم رمضان افندى ، ثم عهد به إلى حسن الجبيلى افندى « فقابله على أصله الفرنساوى .. وأطلق عنان قلمه فيه وصححه ، وأمعن نظره فى ترجمته وأصلحه ، ثم أعطاه للشيخ ابراهيم الدسوقى فحرره وصححه تصحيحاً ثانياً . . الخ .. الخ .

كذلك نلاحظ أن المبدإ العام لم يتجه فى هذه الحركة إلى التخصص فى الترجمة ، فقد رأينا طبيباً يترجم فى الجغرافيا ، ومبعوثاً للتخصص فى صناعة الحرير يترجم كتاباً فى التاريخ ، ورأينا رفاعة يترجم فى كل علم وفن ، ولهذا نلاحظ أنه أخذ تلاميذه فى مدرسة الألسن بنفس الطريقة ، فكان المترجم ينتهى من ترجمة كتاب فى التاريخ أو الجغرافيا ، فيعهد إليه بترجمة كتاب آخر فى الكيمياء أو النبات ، أو الهندسة ، أو أو الرحلات . . . الخ .

غير أنا نلاحظ أن الحركة كانت تتجه فى أواخر العهد نحو التخصص ، فالذين عينوا فى مدرسة الطب من خريجى البعثات تخصصوا فى ترجمة العلوم الطبية دون غيرها ، والذين عينوا فى مدرسة المهندسخانة تخصصوا

---

(١) راجع مثلا مقدمة كتاب « اسعاف المرضى من علم منافع الأعضاء » .

فى ترجمة العلوم الرياضية ، بل إنا لنلاحظ أن خريجى الألسن كانوا فى طريقهم إلى انتهاج هذا النهج ، فأبو السعود وخليفه محمود كادا — فى آخر العهد — يتخصصان فى ترجمة الكتب التاريخية ، وصالح مجدى فى ترجمة الكتب الهندسية والحربية ، ومحمد الشيمى فى ترجمة الكتب الرياضية . . وهكذا ، وفى رأيى أنه لو كان قد امتد بالمدرسة العمر لانتهت إلى التخصص التام .

كذلك لم يكن نظام المترجم الواحد للكتاب الواحد عاماً فى عصر محمد على ، بل نستطيع أن نقرر أن هذا النظام لم يتبع عادة إلا فى مدرستى الطب البشرى والبيطرى ، أما فى مدرسة الهندسة فقد اتبع هذا النظام فى بعض الكتب ، ولم يتبع فى البعض الآخر ، فرأينا كتاب « الروضة الزهرية فى الهندسة الوصفية » يشترك فى ترجمته ابراهيم رمضان ومنصور عزمى ، وكتاب « رمز السر المصون فى تطبيق الهندسة على الفنون » يشترك فى ترجمته عيسوى زهران ، وصالح مجدى ، ومحمد الحلوانى الخ ، وكان يتبع هذا النظام عند ترجمة بعض الكتب التى يأمر محمد على بترجمتها ، وذلك رغبة فى انجازها بسرعة ، فقد أصدر أمره مرة بترجمة كتاب « نظامات وترقيات العساكر » وأن يجمع « التراجمة » وتحل حبكة الكتاب ويعطى لكل مترجم « كراس منه لسهولة ترجمته فى أقرب وقت » وذلك « لكون ترجمة هذا الكتاب من الأمور المهمة المستعجلة »[1] .

وقد أخذت مدرسة الألسن بهذا النظام أيضاً فى معظم الأحيان ، فكان يشترك فى ترجمة الكتاب الواحد أكثر من مترجم ، وخاصة إذا كان كبير الحجم ، أو كثير الأجزاء فقد اشترك أربعة من تلاميذها فى ترجمة كتاب « تاريخ الدولة العربية »[2] ، واشترك اثنا عشر مترجماً منهم فى ترجمة كتاب « رحلة انخرسيس جوان فى بلاد اليونان »[2] .

هذا ولم يكن النص يترجم كاملا فى كل الأحيان ، بل كان يخضع للأغراض العامة والخاصة للترجمة فى ذلك العصر ، فهناك كتب جمعت أجزاؤها من كتب كثيرة مختلفة ، وكتب تركت بعض فصولها ، وكتب أضيفت اليها أجزاء وفصول عن كتب أفرنجية ، وأحياناً من كتب عربية ، والأمثلة الآتية توضح مانقول :

فالدكتور « برنار » المدرس بمدرسة الطب جمع كتاب « المنحة فى سياسة حفظ الصحة » « من مجلدات كبار » وعندما ترجم الدكتور أحمد حسن الرشيدى كتاب « ضياء النيرين فى مداواة العينين » . قال فى مقدمته : « وقد أضفت اليه نبذة من كتاب الحكيم « والير » النمساوى فى كيفية تحضير أدوية العين ، واستعمالها فى التداوى ، وزدت على ذلك جملة مستحضرات تستعمل هنا ومركبات من نحو أكحال ومراهم ، وبرودات

(١) تقويم النيل ؛ ج ٢ ، ص ٤٣٤ . (٢) انظر الملحق رقم ٤ .

وقطرات التقطها من المؤلفات الجليلة ، ليكون المرتاد جامعاً لكل فضيلة » .

وقال الدكتور « برون » فى مقدمة كتابه « الأزهار البديعة فى علم الطبيعة » : « واقتطفت من روضة كتب هذا الفن كل زهرة بديعة ، وجمعت هذا الكتاب من أحاسن الفن المذكور » .

وذكر الشيخ الهراوى فى مقدمة كتاب « القول الصريح فى علم التشريح » تأليف « بايل » وترجمة عنحورى ، إنه « ترجم مع ماضمه اليه كلوت بك فى أثناء التعليم من زيادات احتاج المقام اليها ، وذيل بكراسة فى تعليم صناعة التشريح ، وتصبير الأجسام » .

أما كتاب « منتهى الأغراض فى علم الأمراض » تأليف « بروسيه وسانسون » وترجمة عنحورى فقد نسخه الدكتور « ديفينو » بخطه ، ولم يتصرف فيه كما قال : « بغير التقديم والتأخير فى مباحث بعض الأبواب ، وحذف بعض عبارات من الأصل وقع بها فيه الإسهاب ، وأضاف له مبحث مشاهدات الأمراض ، وقاعدة الاستقصا من فتح الموتى ليعلم ماحل بها من الأعراض ، وذيله بمبحث الديدان المتولدة فى باطن الأعضاء حتى لا يبقى محتاجاً إلى ماتتشوف اليه النفس ، أو يوجبها للإغضاء » .

وهكذا فعل رفاعة ببعض كتبه ، فقد جمع فصول كتابه « التعريبات الشافية لمريدى الجغرافيا » من كتب فرنسية مختلفة ، فخرج بعد ترجمته « متضمناً لخلاصة كتب (هذا العلم) المطولة » .

وعند ماترجم كتابه « قلائد المفاخر فى غريب عوائد الأوائل والأواخر » وهو يطالب العلم فى باريس قال فى مقدمته « ولما كان هذا الكتاب المذكور غير مقصور على مجرد نقل العوائد بل هو مشتمل على استحسان واستقباح بعضها أشار على مدير التعليم المذكور (مسيو جومار) أن أحذف مايذكره مؤلف الكتاب من الحط والتشنيع على بعض العوائد الإسلامية ، أو مما لا ثمرة لذكره فى هذا الكتاب » .

وعند مابدأ جهوده فى مدرسة الألسن أراد أن يخرج مكتبة تاريخية تتحدث عن تاريخ العالم منذ أقدم عصوره إلى أحدثها ، وكان أول كتاب ترجم من هذه المجموعة كتاب « بداية القدماء وهداية الحكماء » وهو كتاب شامل لتاريخ الشعوب المختلفة فى العصور القديمة كاليونان والسوريان ، والبابليين والفرس ، وغيرهم ، وقد اشترك جماعة من تلاميذ الألسن فى ترجمته ، وقال رفاعة فى مقدمته « ولما كان المؤلف ناقصاً تاريخ الخليقة والعرب ، وكان فى كتاب عماد الدين أبى الفداء سلطان حماة مايفى بالأرب ، أضفته إلى الترجمة لكمال المطلوب وبلوغ المرغوب» .

٤ — المصطلحات :

كان أمر هذه المصطلحات فى الترجمة عن بعض اللغات الشرقية إلى البعض الآخر سهلا هيناً فقد كان عصر أخذ كل لغة من اللغات الثلاث عن مصطلحات اللغتين الأخريين قد انتهى منذ أمد طويل ، وكانت كل لغة منها قد هضمت ما اقتبسته من اللغتين الشقيقتين ، فأصبح مفهوم المعنى والمدلول كأنه من ألفاظها.

أما المشكلة كل المشكلة عند المترجمين فى عصر محمد على فقد كانت فى محاولاتهم نقل الألفاظ والمصطلحات العلمية الأوربية إلى اللغة العربية أو التركية .

ولو أن اللغة العربية كانت تكتب بحروف لاتينية . أو لو أن اللغات الأوربية كانت تكتب بحروف عربية لسهل العمل على المترجمين قليلا ، فان رسم اللفظ ـ الذى تصعب ترجمته من لغة إلى لغة أخرى تشبهها فى رسم الحروف ـ يسهل على القارىء قراءته قراءة صحيحة ، وقد يعينه على فهم معناه إذا كانت اللغتان متشابهتين أو متقاربتين ، أو منحدرتين من أصل واحد ، ذكر هذه الحقيقة خليفة محمود فى مقدمة كتابه «اتحاف الملوك الالبا بتقدم الجمعيات فى بلاد أوربا » فقد ألف هذا الكتاب فى الأصل المؤرخ الانجليزى « روبرستون » ثم ترجمه خليفه أفندى عن ترجمة فرنسية ، ووصف فى أوله مايلاقيه هو وغيره من المترجمين من صعاب أثناء الترجمة ، ثم شرح الفكرة السابقة بقوله : « إن فن الترجمة جبل صعب المرتقى . . . وتاريخ الأمبراطور شارلكان من أصعب ما نظم فى السلوك من تواريخ الدول والملوك . . . لأن من ترجموه إلى اللغات المختلفة كانوا أبطالا شهد لهم بالذكاء والألمعية . . . ومع ذلك فقد استصعبوه، وبالدقة وصفوه ، مع أن لغاتهم مشابهة لبعضها ، والحروف واحدة ، فاذا عثر من يترجم من الانجليزية مثلا إلى الفرنساوية على كلمة لم يجد لها مقابلا فى لغته ، يكتبها على أصلها فى ترجمته ، وتقرأ وتفهم من غير صعوبة . . »

أدرك المترجمون هذه الصعوبة الناتجة عن اختلاف اللغة العربية عن اللغات الأوروبية فى أصول الكلمات واشتقاقاتها، وفى رسم الحروف، وكانوا يستطيعون أن يتغلبوا عليها لو أنهم رسموا الألفاظ الجديدة بالحروف العربية وأثبتوها كما هى بحروفها اللاتينية إلى جانب الرسم العربى ، كما نفعل نحن الان فى كثير من الأحيان ، ولكنهم لم يفعلوا ، ولست أدرى السر فى إحجامهم عن استعمال هذه الطريقة مع أن مطبعة بولاق منذ أنشئت ، بل ومعظم المطابع الأخرى ـ وخاصة مطبعة سراى رأس التين بالاسكندرية ـ كانت بها مجموعات للحروف اللاتينية ، بأشكال وأحجام مختلفة .

أهمل المترجمون إذن الحروف اللاتينية تماما ، ثم حاولوا مستعينين بما وصلت اليه أيديهم من قواميس ومعاجم ، وبجهود المحررين والمصححين من المشايخ البحث فى كتب الطب ، والكيمياء ، والنبات العربية القديمة على ألفاظ ومصطلحات تقابل مايعثرون عليه من ألفاظ ومصطلحات فى المؤلفات الأوروبية ، واستطاعوا بهذه الطريقة أن يحيوا ألفاظاً علمية عربية كثيرة ، غير أن العالم الأوروبى فى أوائل القرن التاسع عشر كان قد أوجد علوما جديدة ، وأحدث اختراعات ، وعرف نظما وأوضاعاً سياسية واجتماعية واقتصادية جديدة لم يكن للعرب القدامى بها عهد .

وهذا العالم الاوربى قد اتصلت الأسباب بينه وبين مصر والمصريين بعد قطيعة طالت أمدها ، ولهذا

العالم الأوربى تاريخ وجغرافيا مفعمتان بالأسماء التى لم تعرفها ولم تذكرها الكتب العربية القديمة ، بل هناك عالم جديد قد اكتشف وعالم قديم كان فى سبيله إلى الاكتشاف . وعلماء أوربا قد وضعوا التصانيف الكثيرة فى دراسة هذه العوالم جميعاً ، وبرنامج الترجمة فى عصر محمد على كان يرمى إلى نقل كتب كثيرة للتعريف بهذه العوالم ، فكيف إذن يستطيع المترجمون التغلب على هذه الصعوبة ؟

لقد حاولوا ، وبذلوا الجهد ، وبدأوا يصطنعون طرقاً تمهد لهم السبيل ، واللغة كما نعرف كائن حى ، ينمو ويتطور ، فإذا كنا قد انتهينا إلى صياغة ألفاظ ومصطلحات علمية كثيرة تقابل الألفاظ والمصلحات العلمية الأوربية الحديثة ، فالفضل الأكبر يرجع لجهود هؤلاء الرواد ، ولنتتبع الآن الطرق التى اصطنعوها لأنفسهم .

لقد حاولوا أولا إيجاد ألفاظ ومصطلحات عربية تقابل الألفاظ والمصطلحات الأوربية ، بل إنا لنلاحظ أن هؤلاء المترجمين لم يكونوا جامدين ولا متزمتين ، ولم يقيدوا أنفسهم بالألفاظ العربية دائماً . فكانوا إذا وجدوا أن اللفظ العربى قد أهمله المتكلمون بالعربية أنفسهم ، وبدأوا يستعملون اللفظ الأوربى ، أو لفظاً قريباً منه ، فضلوا اللفظ الجديد على اللفظ القديم ، يقول رفاعة فى مقدمة « التعريبات الشافية » : « واعلم أنه قد تمر عليك أسماء بلدان أبقيناها على أسمائها الفرنساوية ، إما لاشتهارها فى هذا العهد بتلك الأسماء ، كجزيرة « سرنديب » فإنها الآن تسمى جزيرة « سيلان » ، واشتهرت عند عامة الناس بهذا الاسم ، وجزيرة « صقلية » فإنها اشتهرت الآن باسم جزيرة « سيسيليا » ، وجزيرة « أقريطش » فإنها يقال لها الآن جزيرة « كريد » ; وإما لعدم الوقوف على الاسم العربى ، ولعل هذا السبب الأخير هو الموجب لما فعله المرحوم الحاج خليفة افندى صاحب كتاب الجغرافيا المطبوع فى مدينة اسلامبول من إبقائه أسماء أماكن على لفظها الفرنساوى ، لعدم اطلاعه على أسمائها العربية والتركية » .

هذه كانت خطوتهم الأولى ، وكانوا إذا عجزوا عن العثور على لفظ عربى يؤدى المعنى المطلوب ، أو يقابل اللفظ الأوربى ، نقلوا اللفظ أو المصطلح الجديد كما هو ، ورسموه بحروف عربية ، وإذ كانت الحروف العربية فى مطابع ذلك العصر خالية من الشكل تماماً ، فقد لجأوا للطريقة القديمة ، فبينوا بالكلمات طريقة نطق هذه الألفاظ ، ثم أشفعوا هذا كله بتفسير للمصطلح الجديد ، أو تعريف له ، فى جملة أو جمل كثيرة ; يقول رفاعة فى مقدمة كتاب « المعادن النافعة » : « وقد فسرت مفرداته على حسب ما ظهر لى بالفحص التام ، وما تعاصى منها حفظت لفظه ، ورسمته كما يمكن كتابته به ، وربما أدخلته بعض تفسيرات لطيفة » ; ونستطيع بحق أن نقول أن رفاعة هو مبتدع هذه الطريقة وصاحبها ، فقد اتبعها فى معظم كتبه التى ترجمها ، وعنه أيضا أخذها تلاميذه فى مدرسة الألسن ، فهذا خليفة افندى محمود يقول فى مقدمة كتاب « اتحاف الملوك الالبا » : « . . إن اللغة العربية بمعزل عن اللغات الأفرنجية ، فلزم لى معاناة أين ، ومكابدة

مشاق بين حين إلى حين ، لأجل أن آتى بمقابل ألفاظ يصعب وجود مقابل لها فى العربية ، يكون مطابقاً لمعناها ، ومؤديا لجميع مفادها وفحواها ، حتى أنه ربما ورد على بعض ألفاظ لم أجد لها مقابلا بالكلية ، فبلفظها الأصلى ذكرتها ، وبجملة اعتراضية فسرتها . » ؛ ولنأت الآن ببعض الأمثلة التى توضح هذه الطريقة نقلناها عن بعض الكتب التى ترجمها رفاعة وتلاميذه .

١ — الانستتوت ، — بفتح الهمزة وسكون النون وكسر السين — أى مشورة العلوم وأكابرهم .

٢ — الاكتريستة ، بكسر الهمزة ، وسكون الكاف وكسر التاء والراء ، وكسر السين وفتح التاء — المسماة الرسيس ، بفتح الراء المشددة وكسر السين ، التى هى خاصة الكهربا عند حكمها .

٣ — شمبردوبير ، بفتح الشين وسكون الميم — يعنى ديوان « البير » بفتح الموحدة أى أهل المشورة الأولى .

٤ — ديوان رسل العمالات ، وهذه هى ترجمة رفاعة للاصطلاح الفرنسى (Chmbre des députés.) ولهذا الاصطلاح عندنا فى مصر منذ عهد محمد على حتى اليوم تاريخ طويل ، فقد سمى هذه التسمية ، ثم أطلق عليه « مجلس شورى القوانين » ، ثم « الجمعية العمومية » ثم « الجمعية التشريعية » الخ إلى أن سميناه أخيراً بمجلس النواب ، كما سميناه الشمبردوبير » بمجلس الشيوخ .

٥ — الجرنالات ، جمع جرنال ، وهو يجمع فى اللغة الفرنساوية على « جورنو » وهى ورقات تطبع كل يوم ، وتذكر كل ما وصل إليهم علمه فى ذلك اليوم ، وتنتشر فى المدينة ، وتباع لسائر الناس ، وسائر أكابر باريس يرتبونها كل يوم ، وكذلك سائر القهاوى ، وهذه الجرنالات مأذون فيها لسائر أهل فرنسا أن تقول ما يخطر لها ، وأن تستحسن وتستقبح ما تراه حسناً أو قبيحاً ، وأن تقول رأيها فى تدبير الدولة فلها حرية تامة ما لم تضر فى ذلك ، فإنه يحكم عليها وتطلب قدام القاضى ، « والجورنو » عصب ، فكل جماعة لها فى مذهبها مذهب كل يوم يقويه ويحاميه ويؤيده ، ولا يوجد فى الدنيا أكذب من الجرنالات أبداً خصوصا عند الفرنسيس .

٦ — التلغراف — يعنى إشارة الأخبار . الخ . . الخ . .

٥ — أسلوب الترجمة :

أخص ما يمتاز به أسلوب الكتب المترجمة أنه أسلوب علمى خالص ، لأن الكتب التى ترجمت فى عصر محمد على كانت كلها — إذا استثنينا كلستان سعدى — كتباً علمية ، غير أنا نلاحظ أن المترجمين قد ساروا — رغم ما فى ترجماتهم من عيوب — باللغة العربية خطوة إلى الأمام ، فقد تخلصوا فى كتبهم المترجمة من قيود المحسنات البديعية — وخاصة السجع — التى ظلت مسيطرة على الكتب العربية قروناً طويلة ، وكان

هذا التخلص شيئاً طبيعياً ، إذ لم يكن من الممكن البتة أن يلتزم أى مترجم السجع فى كتاب بأكمله ، يقيده فيه النص الأجنبى الذى ينقل عنه ، أو المصطلحات والتعريفات العلمية التى يترجمها ، والتى كثيراً ما يحار فى ترجمتها ، ولهذا لاحظنا أن معظم المترجمين فى ذلك العصر ، إن لم يكن كلهم ، قد قيدوا أنفسهم بالنص تقييداً أضر بالأسلوب وبالمعنى فى كثير من الأحيان ، ومع هذا فإن الأساليب الأوربية لم تخل تماماً من بعض المحسنات ، كالاستعارة أو التورية ، أو التشبيه ، فلكل لغة محسناتها . وهنا أباح المترجمون لأنفسهم فى بعض الأحيان التصرف فى نقل هذه المحسنات ، وكثيراً ما كانوا يعربونها ، أى يضعون مكانها استعارات وتشبيهات تتفق والذوق العربى ، وذلك إذا أيقنوا أن المحسنات الأوربية مما لا يفهمه ، أو يعقله ، أو يهضمه القارىء العربى .

وقد تخيرت أن أنقل هنا بعض فقرات من كتاب « أتحاف الملوك الألبا » الذى ترجمه خليفة محمود ، فقد وضع فيها المترجم هذه المبادىء التى راعاها عند ترجمته لهذا الكتاب ، غير أن الباحث يستطيع — بالنظر فى معظم الكتب التى ترجمت فى ذلك العصر — أن يعتبرها مبادىء عامة كان يلتزمها غالبية المترجمين فى عملهم ، قال خليفة افندى : « قد حاولت مجاراة عبارات الأصل كل المحاولة ، وزاولتها كل المزاولة ، ولذا كانت بعض العبارات فى ترجمتى على نسق يبعد بعض الوجوه عن قالب الفصاحة العربية ، ويقرب من قالب اللغات الأعجمية ، لأن المترجم يلزمه أن يكون أسيرا للأصل فى تركيبه . ونظمه وترتيبه ، والفرع إن لم يقف أثر أصله قل أن ينجح فى فعله ، وربما راعيت أدنى ملاءمة بين التشبيهات وأوجه الاستعارات ، ولكن عدلت عن كل تشبيه فى الأصل يكون أعجميا محضاً ، فبدلت بعضاً ، وحسنت بعضا . . . »[1] .

هذه هى المبادىء التى التزمها خليفة محمود فى ترجمته لهذا الكتاب ، غير أنه لم يلتزمها وحده ، بل يمكننا أن نعتبرها مبادىء عامة تنطبق على معظم ما ترجم المترجمون فى عصر محمد على ، وقد رأيت أن اتخير بعض أمثلة من الكتب التى ترجمت فى ذلك العصر لمقارنتها بالأصل المنقول عنه ، ونقدها والحكم عليها تحت ضوء هذه المبادىء العامة .

وقد راعيت أن تكون هذه الأمثلة مختلف كل منها على الآخر فى كل شىء : فى اللغة التى ترجم عنها . وفى المترجم الذى ترجمه وفى الموضوع الذى ترجم فيه ، فالمثال الأول قطعة من كتاب الأمير لمكياڤيللى الذى ترجمه عن الإيطالية إلى العربية الأب رفاييل زاخور ، وهو واحد من المترجمين السوريين ؛ والثانى قطعة من كتاب الجغرافيا العمومية لمالطبرون الذى ترجمه عن الفرنسية إلى العربية رفاعة الطهطاوى ، وهو واحد من خريجى البعثات ؛ والثالث قطعة من كتاب ، اتحاف الملوك الألبا فى تقدم الجمعيات فى أوروبا للمؤرخ الانجليزى « روبرتسون » وقد ترجمه عن ترجمة فرنسية للكتاب خليفة محمود وهو مترجم من خريجى الألسن .

(١) اتحاف الملوك الألبا ، ص ٨ — ٩

هذا ولم أوفق للعثور على النص الفرنسى للكتاب الأخير ، وهو الذى نقل عنه المترجم وإنما عثرت على النص الإنجليزى الأصلى ، فلم أر بأساً فى مقارنة الترجمة العربية به .

المثال الأول : قطعة من الفصل الأول من كتاب الأمير لمكياڤللى Il Principe del Maciavelli ، وسنذكر هنا النص الايطالى وإلى جانبه الترجمة العربية التى قام بها الأب رفاييل ، وإذ كانت هذه الترجمة ركيكة الأسلوب ، غامضة المعنى ، وكان قد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية مترجم مصرى آخر هو الأستاذ محمد لطفى جمعه بك . وذلك فى مفتتح القرن العشرين (١٩١٢) فقد رأينا أن ننقل نص ترجمته إلى جانب الأصل ونص ترجمة رفاييل ، ليسهل علينا الحكم على الترجمة الأولى .

ترجمة الأب رفائيل	النص الإيطالى Testo del Machiavelli	ترجمة محمد لطفى جمعة
الرأس الأول : فى كم هى أنواع الأميريات وبأيتما طرايق تحاز أى يحصل عليها . إن كل الأحكام ، وكل السيادات تلك التى قد ملكت وتملك سلطة على الناس ، كانت ولم تزل إما مشيخات وإما أميريات ، فالأميريات إما أنها مستورثة ، وهذه دم من سادها يكون قد استمر مدة مستطيلة أميرا ، وإما أنها مستجدة . ثم إن المستجدة إما أنها كلها جديدة كما كانت أميرية مديولان (كذا) على الأمير فرنسيس سفورزا ، وإما أنها كأعضاء مضافة لحكم الوارث ما للأمير (كذا) الذى يحوزها ، كمملكة نابولى للملك أسبانيا فإن هذه سيادات هكذا محافرة (كذا) أو معتادة أن تعيش تحت أحكام أمير ، أو أنها أميريات اعتادت أن تكون محررة وتحاز إما بقوة أسلحة آخرين أو بأسلحة ناسها خاصة أو بواسطة السعد أو بواسطة الفضل .	Tutti gli stati, tutti i diominii che hanno avuto ed hanno imperio spora gli uomini, sono stati e sono o republiche o principati, I principati sono, o ereditari, dé quali il sangue del loro signore ne sia stato lungo tempo principe; o é sono nuovi' I nuovi, o sono nuovi tutti, come fu Milano a Francesco Sforza; o sono come membri aggiunti allo stato ereditario del principe che gli acquista, come è il regno di Napoli al re di Spagna. Sono questi domini cosi acquistati, o consueti a vivere sotto un principe, o usi ad essere liberi, ed acquistansi o con l'armi d'altri o con le proprie, o per fortuna o per virtu.	كانت الحكومات التى حكمت الأمم فى الأزمان الغابرة ، إحدى اثنتين ، إما جمهوريات عادلة وإما ملكيات معتدلة ، والملكية نوعان نوع تحكمه أسرة واحدة عريقة فى القدم يرث أفرادها الملك ، الواحد بعد الآخر ، ونوع حديث التأسيس ، وملوكه حديثو العهد بالسلطان ، ولذلك النوع الأخير صنفان صنف تكون الممالك فيه حديثة بالكلية كما كانت إمارة « ميلانو » فى عهد « فرنشسكو سفورزا » ، وصنف يضمه الأمير إلى ما ورثه عن آبائه وأجداده بحق الفتح ، مثل امارة « نابولى » التى ضمها ملك أسبانيا إلى أملاكه على أن بعض الممالك التى تقهر ويغلب أهلها على أمرهم ، يكون قبل الفتح متعودا حكم أمير من الأمراء ، ويكون بعضها حرا مستقلا ووقوع تلك الامارات فى أيدى الفاتح يحدث إما بقوة الحرب ، وإما عفوا صفوا .

والقارىء لترجمة رفاييل يستطيع أن يدرك لأول وهلة ماتمتاز به من ركاكة . بل عجمة فى الأسلوب ، والسبب فى ذلك كما يتضح من مقارنتها بالأصل أنه تقيد بالمبدأ الأول من المبادىء العامة للترجمة فى ذلك

العصر ، وهو التقيد التام بالأصل ، فرفاييل فى ترجمته لم يفعل أكثر من حذف كل لفظ إيطالى ، ووضع لفظ عربى مكانه ، وحتى الألفاظ العربية لم يحسن تخيرها ، فالأمارات عنده « أميريات » ، وجديدة أو حديثة عنده « مستجدة » إلخ . ، ثم هو لم يراع بتاتا أن لكل لغة مميزاتها الخاصة فى وضع الألفاظ ، وتركيب الجمل وعلاقة كل لفظ بالآخر ، وكل جملة بالتى تليها ، حتى تتصل المعانى وتنسجم ؛ بل وضع الألفاظ العربية موضع الألفاظ الايطالية تماما ، فخرجت الترجمة — مع ركاكتها وعاميتها — غامضة غير واضحة ولا مفهومة [1] ، وإنى لأعتقد أن القارىء لا يستطيع — إن لم يكن تحت يده النص الأصلى أو الترجمة الحديثة — أن يفهم شيئا ما من ترجمة رفاييل ، وأنا لا أبالغ فى الحكم ، فهذه قطعة أخرى من كتاب ترجمه رفاييل ، وهو كتاب « قانون الصباغة » تأليف « ماكير » رأيت أن أنقلها وحدها دون ذكر للنص الفرنسى : « إن الحرير حال خروجه من على الشرنق له خشونة ويبوسة صادرة أم صادرتان له عن نوع صموغية خامية مغشاة به ذاتا ، ثم وكذلك له لون محمر بصفار ، وعلى حسب الاعتيادى غامق جدا أيضا ، وهذا نقوله قلما يكوعن (كذا) حرير بلادنا ، هذه ربما كله خشونة الحرير هذه لا توافق قط مطلقا لأغلب أصناف الأقمشة المتجهز لنسجها ، ثم وموافقة لونه الذاتى لا تفيد الألوان ربما جميعها تلك المقصود أخذها منه » [2] .

فهل يستطيع القارىء أن يفهم شيئا من هذا الكلام ؟؟ ثم ما هذه التعابير الأعجمية العجيبة : « من على الشرنق » و « غامق جدا أيضا وهذا » و « لا توافق قط مطلقا » الخ . . الخ

ولكن لا يظنن أحد أن كل ماترجم المترجمون السوريون كان بهذه التفاهة والركاكة والغموض ، فإن الكتب التى ترجمها عنحورى وفيدال وسكاكينى فيما بعد تختلف كل الإختلاف عما ترجمه رفاييل ، والسبب فى هذا الاختلاف واضح . وذلك أن رفاييل كان أول من عهد إليه بالترجمة من السوريين ، وقد ترك وشأنه أثناء الترجمة ، فلما ألحق المترجمون الآخرون بمدرسة الطب رأى القائمون بالأمر أن يتفادوا هذه العيوب ، فوضعوا التقليد الصالح الذى ذكرناه من قبل وهو تعيين جماعة من شيوخ الأزهر لمراجعة وتصحيح وتحرير ما يترجم المترجمون السوريون .

فإذا كنا لم نفهم شيئا مما نقلناه عن ترجمات رفاييل ، وإذا كنا نستطيع أن نفهم الكثير مما ترجم خلفه من المترجمين السوريين ، بل ومن المترجمين المصريين ، فيجب أن نعترف بالفضل لأولئك المشايخ المصححين

المثال الثانى :

قطعة من المقالة التاسعة من الجزء الأول من كتاب « الجغرافيا العمومية » لملطبرون الذى ترجمه رفاعة رافع الطهطاوى ، ومعها النص الفرنسى .

(١) أنظر نقد الآنسة « ماريا نالينو » لهذه الترجمة فى مجلة : Oriente Moderno, 1931, pp. 609—611.

(٢) قانون الصباغة ، ص ١٠ .

الترجمة العربية	النص الفرنسي
« أعلم أن قسم أفريقيا من منذ عصر « هيردوط » هو الذى كشف به الأقدمون أقل مما كشفوا لغيره من البلاد ، وذلك لأن « هردوط » الذى كان سواحا ومؤرخا التقط من مدينة منف ببلاد مصر ، ومن مدينة القيروان ببرالمغرب جميع الأخبار المعلومة لحكماء مصر ، ولليونان المقيمين ببلاد أفريقيا ، وأما معارف القرطاجيين فلم تصله إلا مقطعة قطعة بعد قطعة فلهذا لم يمد نظره جهة منابع النيل إلا على بعد ، وربما مد نظره كذلك أيضا جهة نهر النجير (كذا) وجبل الدرن المسمى جبل أطلس ، وأما خارج هذه الحدود فانه كان يقف عقله عن الحكم عليه بشيء . ومن هذا الزمن تغير حكم الاقليم المصرى ، وصار مملكة من ممالك اليونان ، فتوجهت غزواته وانكشافاته جهة خليج العرب وبحر الهند ، وقد التقط « ايراطسثينيس » من مدينة اسكندرية معارف محررة متعلقـة بالتعريجات والانعطافات الكثيرة الموجودة فى جريان نهر النيل ببلاد النوبة ، وقد عرف أوضح من تعريف هردوط النيل الحقيق الذى يجىء من الغرب ، وهو الذى يسمى الآن بالبحر الأبيض ، ثم نهر اسطابوس ، الذى هو نيل السودان ويسمى نهر « أبوى » ثم نهر اسطابوراس وهو المسمى الآن نهر تقازه » (١)	"De toutes les parties du Monde, l'Afrique est celle où les anciens ont fait le moins dé découvertes depuis le siècle d'Hérodote. Ce voyageur historien avait recueilli à Memphis et à Cyrène les renseignements que possédaient les prêtres égyptiens et les Grecs établis en Afrique ; les connaissances des Carthaginois ne lui parvinrent que par fragments : ainsi ses regards pénétrants n'aperçurent que dans un lointain obscur les sources du Nil, le Niger peut-être et le mont Atlas ; au-delà de ces limites sa prudence suspend tout jugement. Depuis cette époque, l'ancienne Egypte, transformée en une monarchie Grecque, dirigeait ses conquêtes et ses decouvertes vers le golfe Arabique et la mer de l'Inde. Eratos thène avait recueilli à Alexandrie des renseignements trés exacts sur les grandes sinuosités que présente le cours du Nil dans la Nubie ; il distingue plus clairement que ne l'afait Hérodote, le vrai Nil venant d'ouest, notre Bahr-el-Abiad, d'Astapus, qui est le Nil d'Abyssinie. le Bahr-el-Azrak ou l'Abaya, et l'Astaboras, ou notre Tacazzé." (2.)

وهذه القطعه تمثل الخطوة الثانية من خطوات التطور الذى خضعت له الترجمة فى عصر محمد على ، فهى لواحد من خريجى البعثات ، بل هى للعضو الوحيد الذى تخصص فى الترجمة ، ومع هذا نلاحظ أن رفاعة كان يخضع للمبدأ العام الذى قررناه ، وهو التقيد بالنص الاجنبى تقيداً يخرج الترجمة وفيها شيء من العجمى ، حتى ليحس القارىء لأول لحظة أن ما يقرأ نص مترجم . والمترجم الماهر يشعر قارئه دائماً أن ما يقرأ نص عربى أصيل ، ونحن إذا طبقناهذا المبدأ على هذه القطعة وجدناه صحيحاً إلى حد كبير ، أنظر كيف ترجم رفاعة هذه الجملة "il distingue plus clairement que ne l'a fait Herodote, le vrai Nil." إنه لم يفعل أكثر من أن حذف كل كلمة فرنسية ، ووضع مكانها المعنى العربى الذى تخيره ، فأتت الترجمة كما يلى ، « قد عرف أوضح من تعريف هردوط النيل الحقيق » وهو تعبير بعيد عن التعبير العربى

(١) الجغرافيا العمومية ، ج ١ ، ص ٦٤ .
(٢) Malte-Brun, Geographie Universelle, t.1, p. 83.

الصحيح ، وكان أجدر به — وهو العالم الأزهرى أن يقرب بين الفعل والمفعول ، ثم يضع الجملة العرضية فى الآخر ، فيقول « وقد عرف النيل الحقيق أوضح من تعريف هردوط » .

وحتى عندما كان رفاعة يبيح لنفسه التصرف فى أوضاع أجزاء الجملة الواحدة ، لم يستطع صياغتها فى أسلوب عربى مقبول ، فهو مثلا قد قدم بعض ألفاظ الجملة الأولى ، وأخر البعض الآخر ، ثم أخرجها فى النهاية هذا الاخراج : « أن قسم أفريقيا من منذ عصر هردوط هو الذى كشف به الاقدمون أقل مما كشفوا لغيره من البلاد » ، وكان أقرب إلى الصحة أن يقول مثلا : « لقد كان ما كشفه القدماء من قارة أفريقيا أقل مما كشفوه من أجزاء العالم الأخرى » .

كذلك نلاحظ فى ترجمة رفاعة أموراً أخرى ، منها ، : أنه كان متأثرا تأثرا كبيرا بثقافته الازهرية وباسلوب الكتب العربية القديمة التى قرأها ، فهو يبدأ كل فصل بلفظى « أعلم أنه » مع عدم وجود هذين اللفظين فى النص الافرنجى ، ومع أنه لا توجد ضرورة ملحة تلزمه باستعمالها ، ومن أمثلة هذا التأثر أيضاً أنه يسبق كل مصطلح دال على قطر أو إقليم جغرافى باللفظ العربى التقليدى « بلاد » أو « بر » فهو يترجم « l'Egypte. » ببلاد مصر ، و « l'Afrique » ببلاد أفريقيا ، ويقول « بر المغرب » وهكذا .

ورفاعة فى هذه الترجمة لم يدقق التدقيق الكافى عند تخير الألفاظ العربية الصحيحة فتراه يستعمل كلمة « انكشافات » بدل « كشوف » و « جريان » بدل « مجرى » و « سواح » بدلا من « رحالة أو سائح » و « الاقدمون » مكان « القدماء أو القدامى » .

وهو أيضاً لم يعن العناية الكافية بتخير الالفاظ العربية التى تؤدى المعنى الصحيح لمايقابلها من الالفاظ الفرنسية ، فتراه يترجم « Cyrène » بمدينة القيروان والصحيح أن يترجمها « برقة » أو يرسمها كما تنطق فيقول « قيرين » أو (قورين) كما فعل أحمد زكى باشا[١] فيما بعد ، وذلك لأن مدينة القيروان لم تبن إلا فى سنة ٥٠هـ وهى إلى هذا بعيدة الموقع عن « Cyrène » التى يقصدها المؤلف ، وشبيه بهذا أنه ترجم « le Nil d'Abyssinie » بنيل السودان ، بدلا من « نيل الحبشة » كما أنه ترجم (prêtres.) إلى حكماء وكان يصح أن يقول (كهنة) أو (قسس) ، والفعل (avait receuilli) إلى (التقط) والصحيح (جمع) .

وفى أحيان أخرى كان رفاعة يترك بعض الالفاظ دون ترجمة ، ولا أدرى أ كان ذلك سهوا أو عن عمد ، فهو قد ترجم (un lointain obscur.) إلى « إلا على بعد » . وهذا التعبير إن أدى معنى (un liontain) فانه لا يحمل البتة ما يشير إلى معنى : obscur .

كذلك قد أهمل فى الجملة الأخيرة لفظ (le Bahr al-Azrak) فلم يشر إليه فى الترجمة العربية .

(١) أنظر احمد زكى باشا ، قاموس الجغرافيا القديمة ، ص ٦٧ ، وعلى بهجت بك ، قاموس الأمكنة والبقاع ، ص ١٧٠ .

وكان رفاعة يخطىء أحياناً فى فهم بعض الجمل ، ومثال ذلك أنه فى الجملة الآتية :

"ainsi ses regards pénétrants n'aperçurent que dans un lointain obscur Les sources du Nil, le Niger peut-être et le mont Atlas."

قد نفى توجيه النظر إلى منابع النيل ، ولكنه أثبته بالنسبة للنيجر وجبل أطلس فقال (فلهذا لم يمد نظره جهة منابع النيل إلا على بعد ، وربما مد نظره كذلك أيضاً جهة نهر النيجر ، وجبل الدرن المسمى جبل أطلس) ، والجملة الأصلية تنفى (توجيه النظر) — على حد قوله — عن منابع النيل ، والنيجر ، وجبل أطلس جميعاً .

وقد ترجم رفاعة هذا الجزء حوالى سنة ١٢٥٠ أى بعد عودته من فرنسا بنحو ثلاث سنوات ، ومع هذا لم يخلص تماما مما أخذه به ممتحنوه من أنه (ربما ترجم الجملة بجمل ، والكلمة بجملة) ، فهو فى هذه القطعة قد ترجم (par fragments.) : إلى (مقطعة قطعة بعد قطعة) وترجم une monarchie Grecque إلى (مملكة من ممالك اليونان) .

هذه أمثلة لما يمكن أن يوجه إلى هذه القطعة من نقد ، ونستطيع أن نوجهه إلى معظم ما ترجم رفاعة ، وهو يثبت إلى حد كبير أن ممتحنيه فى باريس كانوا على حق حينما أخذوا عليه أنه « قد لا يكون (فى بعض الأحيان) فى ترجمته مطابقة تامة بين المترجم والمترجم عنه ، وأنه ربما كرر ، وربما ترجم الجملة بجمل ، والكلمة بجملة . .) ولكنه كان دائماً — كما قال ممتحنوه أيضاً — محافظاً على روح المعنى الأصلى ؛ وهذا هو الفرق الواضح بينه وبين مترجم كرفاييل ، فان ترجمة رفاعة — رغم مابها من عيوب — يمكن أن تقرأ فتفهم ، وكان يمكن أن تخرج ترجمته أكثر دقة واتقانا لو أنها خضعت لمراجعة غيره ، ولكن رفاعة كان الوحيد من بين خريجى البعثات — كما كان رفاييل الوحيد من بين المترجمين السوريين — الذى لم تخضع ترجماته لهذه المراجعة ، ويمكن أن نلتمس العذر لرفاعة أيضاً عن الاخطاء الواردة فى هذا الجزء بالذات ، لأنه ترجمه فى مدة وجيزة — فى نحو سبعة أشهر — .

المثال الثالث :

قطعة من كتاب (اتحاف الملوك الألبا بتقدم الجمعيات فى بلاد أوروبا) ، وهو ترجمة خليفة محمود — أحد خريجى الالسن — للجزء الأول من كتاب المؤرخ الانجليزى Robertson ، وعنوانه : "History of the Reign of Charles the Fifth" وقد ترجمه خليفه افندى عن ترجمة فرنسية له ، غير أننى لم أعثر على هذه الترجمة ، وإنما عثرت على الأصل الانجليزى ، فلم أر بأسا من المقابلة بينه وبين الترجمة العربية فيما يلى :

الترجمة العربية	النص الانجليزى
القسم الأول « فى ذكر التقدم الذى حصل فى أوروبا بالنسبة إلى الحكومة الداخلية ، والقوانين والآداب » . أعلم أنه حصل تغيران عظيمان فى الحالة السياسية وأخلاق الملل الافرنجية ، أحدهما نشأ عن تقدم المملكة الرومانية فى الشوكة ، والآخر صدر عن خراب هذه المملكة أيضا ، وذلك لأن التولع بالفتوحات لما وصل بالجيش الرومانى إلى خلف جبال « الپه » رأى سائر البلاد التى دخلها مسكونة بأمم خشنية متبربرة ، وكان الرومانيون يسمونهم أعجاما ، لكنها كانت مستقلة بنفسها ، فكانت لافراطها فى الشجاعة تحامى عن أرضها القديمة بقوة عجيبة ، ومقاومة غريبة ، لكن حسن تربية الرومانيين فى التعليم العسكرى كان هو السبب فى نصرتهم على هؤلاء الأمم ، لا كثرة شجاعتهم ، ومع ذلك لم تكن هؤلاء الأمم مثل سكان آسيا الذين هم كالنساء فى الارتخاء وفتور الهمة ، بحيث أنهم بمجرد غلبتهم فى واقعة واحدة سلموا أنفسهم ودولتهم لأعدائهم ، بل كانوا يأخذون السلاح بهمة وشجاعة خالية عن التعليم العسكرى ، ولكن لما كانوا أرباب همة عالية حاملة لهم على حب الحرية ، والتولع بالاستقلال قامت تلك الهمة عندهم مقام الفنون الحربية ، والتدبيرات العسكرية ، وفى مدة هذه الحروب الطويلة التى سفكت فيها دماء الأمم كان أحد الجانبين يحارب لأجل الدولة ، والجانب الآخر لأجل الحرية ، وكانت ولايات أوروبا العظيمة قد تهدمت على التعاقب ، وهلك من الأهالى قسم عظيم فى ميدان الحرب ، وقسم عظيم أيضا وقع أسيرا فى أيدى الرومانيين ، ولما لم يمكن لمن بقى منهم أن يقاوم العدو دخل تحت طاعة الدولة الرومانية.	* View of the progress of society in Europe with respect to interior government, laws and manners." Two great revolutions have happened in the political state, and in the manners of the European nations. The first was occasioned by the progress of the Roman power: the second by the subersion of it. When the spirit of conquest led the armies of Rome beyond the Alps, they found all the countries which they invaded inhabited by people whom they denominated barbarians, but who were nevertheless, brave and independent. These defended their ancient possessions with obstinate valour. It was by the superiority of their discipline, rather than that of their courage, that the Romans gained any advantage over them. A single battle did not as among the effeminate inhabitants of Asia, decide the fate of a state. The vanquished people resumed their arms with fresh spirit and undisciplined valour, animated by the love of liberty, supplied the want of conduct as well as of union. During those long and fierce struggles for dominion or independence, the countries of Europe were successively laid waste, a great part of their inhabitants perished in the field, many were carried into slavery, and a feeble remmant, incapable of farther resistance, submitted to the Roman power.

قد نتهم فى نقدنا لهذا المثال ، لأننا لا نقارن الترجمة فيه بالأصل الفرنسى الذى نقل عنه المترجم . وإنما نقارنها بالأصل الانجليزى ، ولكننا نرى أن مقارنة من هذا النوع لها قيمتها ، فهى تبين إلى أى حد تأثر المعنى بعد نقله أكثر من مرة .

وهذه القطعة تمثل الخطوة الأخيرة من خطوات التطور الذى خضعت له الترجمة فى عصر محمد على ، وهى تختلف عن القطعتين السابقتين ، فى أنها خضعت للمراجعة ، فقد ذكر المترجم فى مقدمته أنه كان يرجع دائماً إلى أستاذه رفاعة الذى « صححها على أصلها وقابلها كل المقابلة » ، ومع هذا فإنا نلاحظ أن المترجم كان — ككل مترجمى العصر — أسيراً للنص الذى ينقل عنه ، كما أنه كان — كأستاذه رفاعة —

متأثراً بالألفاظ والأساليب المتواترة فى الكتب العربية المتداولة فى ذلك العصر ، فهو يبدأ ، الفصل بقوله : « اعلم أنه » ، تماماً كما فعل رفاعة ، أو كما كان يفعل المقريزى أو ابن خلدون ؛ وهو يستعمل أمثال هذه الألفاظ : التولع ، والملل (ترجمة للفظ nations) والشوكة ، وتحامى عن ، ونصرة ، وأرباب همة عالية . . الخ وهى ألفاظ استعملها الجبرتى ومعاصروه من الكتاب .

كذلك لم يكن خليفة محمود دقيقا فى تخير المعانى التى تؤديها الألفاظ الأجنبية ، فهو قد ترجم لفظ (revolution) إلى « تغير » مع أن اللفظ الأجنبى يفيد معنى أقوى من معنى التغير ، وترجم (the spirit of conquest) إلى (التولع بالفتوحات) وهو معنى يخالف بعض الشىء المعنى الذى يريده المؤلف .

وكان خليفة محمود يترجم اللفظ الواحد أحياناً بجملة كاملة ، ولا عجب فهو تلميذ رفاعة وقد كان يقوم بالترجمة تحت إشرافه ، فهو قد ترجم لفظ (barbarians) إلى (خشنية متبربرة وكان الرومانيون يسمونهم أعجاماً) ، ونقل : .the superiority of their discipline إلى (حسن تربية الرومانيين فى التعليم العسكرى) وترجم the effeminate inhabitants of Asia إلى (سكان آسيا الذين كالنساء فى الارتخاء وفتور الهمة) الخ . . الخ . .

٦ — تأثير الترجمة فى اللغة العربية :

اضمحل شأن اللغة العربية فى العصر العثمانى المملوكى . ولم يعد يهتم بها إلى نفر قليل من علماء الأزهر ، وحتى هؤلاء العلماء كانوا قد عنوا بالقشور دون اللباب ، فغدت كتبهم التى يقرأون شروحا ، أو هوامش أو تعليقات . أما المتون والأصول فقد خلفوها وراء ظهورهم ، وأما أسلوب الشروح والهوامش والتعليقات وما ألف عامة من كتب ورسائل فى هذا العصر فقد ضعف وانحط انحطاطا بالغا ، لما دخل فيه من ألفاظ عامية ، وما أصابه من ركاكة فى التعبير .

وفى هذا العصر أيضا انتشرت اللغة التركية فى مصر ، وفى تاريخ الجبرتى شواهد كثيرة تشير إلى معرفة الكثيرين من المصريين بهذه اللغة ، وانتشرت فى دواوين الحكومة ، وأصبح لها من الأهمية أضعاف ما كان لها فى العصر العثمانى ذاته ، وهذه حقيقة يخطىء فى تصويرها بعض المؤرخين والكتاب، فهم يفترضون أن اللغة التركية كانت ذات دولة وشأن كبير فى العهد السابق لمحمد على لأنه كان عهداً عثمانياً ، ولأن مصر كانت فى أثنائه ولاية عثمانية ، ولكن البحث الصحيح يثبت لنا أن اللغة التركية انتشرت فى عصر محمد على انتشارا لم تعرفه فى العصر العثمانى ، وتفسير هذا واضح فيما نرى ، فإن الحكم فى مصر فى العصر العثمانى لم يكن وقفاً على العثمانيين ، بل كان يشارك فيه المماليك ، وهؤلاء وأولئك كانت تعنيهم أمور البلد الحربية والمالية ، أما الدواوين الحكومية فقد كانت تتولاها طوائف من الكتاب المصريين ، وكان كل ما فيها يكتب ويسجل باللغة العربية ، أما فى عصر محمد على فقد أصبح الوالى هو المسيطر على كل شؤون الدولة ، وهو وحده الذى يصدر الأوامر ، وهو يريد دائما أن يطلع على كل صغيرة وكبيرة ، ولغة هذا

الوالى الأصلية التى يفهمها هى اللغة التركية ، فلا عجب إذن أن انتشرت هذه اللغة فى عهده وأصبحت اللغة الأولى ، يتقنها ويكتب بها رجال الحكومة والجيش ، والصفوة من المصريين .

وفى عصر محمد على أيضا اعتنى بعض العناية باللغة الشرقية الثالثة — اللغة الفارسية — فكان يعرفها ويستعملها بعض المصريين والأتراك ولكنها كانت محدودة الاستعمال جدا إذا قورنت باللغتين العربية والتركية ، وسيزيد انتشارها كلما تقدمت السنون فى عصر محمد على ، فقد فرض تعليمها على تلاميذ معظم المدارس الجديدة .

هذه هى اللغات الثلاث كما كانت تسمى فى ذلك العصر ، أما اللغة الفارسية فلم يكن هناك ما يبرر انتشارها الواسع ، ويمهد لغلبتها ، فظلت لغة العلية من المثقفين يتعلمونها ليشبعوا شغفهم وروحهم الأدبى فحسب . وأما اللغة التركية فقد زاحمت العربية فأصبحت لغة الصفوة كما ذكرنا ، وترجمت إليها معظم الكتب التى ترجمت فى عشر السنين الأولى من تاريخ الحركة ، (١٨٢٢ — ١٨٣٢)، وذلك لأنها كانت كتبا حربية ، غير أن اللغة التى استطاعت أن تخفى لغة الشعب المصرى بأسره بعد الفتح العربى بنحو قرنين من الزمان ، وتصبح هى اللغة الأصلية ، والتى استطاعت أن تتغلب على اللغة التركية قرونا ثلاثة سابقة ، لم يكن ليعجزها رغم ضعفها أن تنتصر هذه المرة أيضا . يقول الأستاذ شفيق غربال بك : (وانتشرت التركية فى مصر انتشارا جديدا تبعاً لأنها لغة ولى الأمر ، ولغة الحكومة ، ولغة (الصفوة) من القوم ، إلا أن تأثير ذلك فى الثقافة المصرية كان ضئيلا ، فلم تتأثر العربية بالنماذج التركية تأثيرا يعتد به ، اللهم إلا فى الرسائل ، واستمر الكتاب على اتصالهم القديم بالنماذج العربية الأصيلة ، ولما ابتدأوا التطلع إلى غيرها من المناهل اتجه نظرهم إلى باريس لا إلى القسطنطينية)[1] .

أجل اتجه المصريون بنظرهم إلى باريس ، والذى وجههم هو محمد على .

وقد بدأت اللغة التركية بدءاً طيبا لأن التنظيمات العسكرية احتفظ فيها بشىء من الروح والتعليمات ، والنداءات ، والرتب العثمانية ، ولهذا ترجمت الكتب الحربية الأولى إلى اللغة التركية ، فلما افتتح محمد على المدارس الأخرى كالطب والهندسة والزراعة والألسن الخ . وكان جل تلاميذها إن لم يكن كلهم من المصريين ولغة هؤلاء المصريين هى اللغة العربية ، ومن هنا بدأت اللغة العربية نهضتها الجديدة .

حقيقة أن العصر العثمانى فى مصر كان يشعر فى نهايته بنهضة جديدة لهذة اللغة ، ففى هذه النهاية وضع السيد مرتضى الزبيدى قاموسه « تاج العروس » فى مصر ، وفى هذه النهاية عنى بعض شيوخ الأزهر بالأدب — نثره وشعره — كالشيخ الشبراوى والشيخ اسماعيل الخشاب . وفى شعرهما رقة وحلاوة جديدتان لم يعرفهما شعر العصر العثمانى ، وفيها أيضا ظهر عالم كالشيخ العطار ، ومؤرخ كالجبرتى يعنيان بغير ما كان يعنى به علماء عصرهما .

(١) شفيق غربال ، محمد على الكبير ، ص ٧٩

غير أن هذه جهود فردية لم تكن لتستطيع النهضة باللغة العربية كما نهضت بها حركة الترجمة ، التي شملت فنوناً وعلوما كثيرة مختلفة ، والتى زودت المكتبة العربية بعشرات الكتب الجديدة ، ونقلت اليها ألوف المصطلحات والألفاظ التى لم تكن تعرفها .

وهناك أمر آخر له أهميته ، ذلك أن حركة الترجمة تبعتها عناية كبيرة بالقواميس فى مختلف اللغات الشرقية والغربية ، فترجمت إلى اللغة العربية قواميس إيطالية وفرنسية وفارسية وتركية ، وهذه محاولة قيمة جدا لها أهميتها وخطرها فى تعريب العلوم الأوربية الحديثة وتسهيل الصعاب أمام القائمين بالترجمة ، وتزويد اللغة بثروة عظيمة من الألفاظ والمصطلحات .

وحركة القواميس الأجنبية استدعت العناية بالقواميس العربية القديمة ، فى عصر محمد على بدأ التفكير فى طبع القاموس المحيط ، وفى سبيل طبعه روجع مراجعة دقيقة على نسخ مخطوطة كثيرة . وعلى النسخة التى طبعت قبل هذا العصر فى كلكتا ، وفى هذا العصر أيضا ، وفى القاهرة ، ترجم مستر « لين » هذا القاموس إلى اللغة الانجليزية ، ولكنه فى سبيل أن تخرج ترجمته صحيحة مضبوطة اضطر إلى مراجعة كثير من القواميس والمعاجم العربية القديمة كالجمهرة لابن دريد . والتهذيب للأزهرى ، والصحاح للجوهرى والمحكم لابن سيده ، والأساس للزمخشرى ، ولسان العرب لابن منظور . وتهذيب التهذيب للتنوخى ، والمصباح للفيومى ، وتاج العروس للزبيدى الخ . . الخ [1]

فالترجمة اذن أفادت اللغة العربية فائدتين — مباشرة وغير مباشرة — أما الفائدة المباشرة فكانت بنقل الكتب الكثيرة فى العلم والفنون المختلفة اليها ، وأما الفائدة غير المباشرة فكانت بالعناية بالقواميس الأجنبية والعربية جميعا ، وضاعف من هاتين الفائدتين وجود المطبعة ، فإن طبع آلاف النسخ من هذه الكتب والقواميس ساعد على انتشارها وتداولها بين أكبر عدد ممكن من القراء ، وبهذا بدأت اللغة العربية أولى خطواتها فى سبيل النهضة الجديدة . فأخذ الأسلوب ينطلق شيئا فشيئا من قيوده البديعية القديمة ، ويصطنع لنفسه طرقا جديدة يعنى فيها بالمعنى دون اللفظ ، وبالجوهر دون العرض ، ومنذ ذلك العصر خطا المصريون خطواتهم الموفقة فى سبيل النهضة باللغة العربية خطوة بعد خطوة إلى أن وصلوا إلى الأوج فى عصرنا هذا ، ولولا ذلك البدء ما كانت هذه النهاية .

٧ — تأثير الترجمة فى المجتمع المصرى :

ذكرنا فى أول هذا الباب أغراض الترجمة فى هذا العصر ، وعرفنا أن هذه الأغراض كان تزويد المدارس والتلاميذ والمدرسين بالكتب فى مختلف العلوم والفنون الجديدة التى يراد نقلها عن أوربا ، ولهذا ترجمت الكتب الكثيرة فى الطب والهندسة ، والكيمياء والطبيعة ، والرياضيات ، والجغرافيا والتاريخ والعلوم والفنون الحربية ، وقد كان تقليد العصر أن يطبع من كل كتاب ألف نسخة ، كان العدد الأكبر

(١) أنظر مقدمة قاموس المستر « لين » Lane's Arabic— English Lexicon.

منها يوزع على تلاميذ المدارس . فالترجمة فى معظمها كانت تتجه اتجاهاً علمياً ، وكانت دائرتها محدودة لاتتعدى جدران المدارس ، حقيقة كانت هناك دائرة علمية أخرى هى دائرة الأزهر بعلمائه وطلابه ، ولكن استفادة هؤلاء بالكتب الجديدة كانت محدودة ، فلم يقبل منهم على قراءتها إلا نفر قليلون ، وخاصة طائفة المصححين والمحررين الذين شاركوا مشاركة فعلية فى نقل هذه الكتب ، وعدد آخر قليلون من أمثال الشيخ حسن العطار شيخ الجامع الأزهر ، يقول عنه تلميذه رفاعة إنه « كان يطلع دائماً على الكتب المعربة من تواريخ وغيرها ، وكان له ولوع شديد بسائر المعارف البشرية . . » [1] .

أما الغالبية العظمى من شيوخ الأزهر وطلابه فقد وقفوا من هذه الحركة موقفاً سلبياً ، بل لا نغالى إن قلنا أنهم وقفوا منها موقفاً عدائياً فى بعض الأحيان ، فكانوا يسخرون من المعربين الذين تعلموا فى أوربا ويقولون أنهم تعلموا تعليما سطحياً ، « وهم كالطائر الذى يحجل ويتهادى فى مشيته ، دون أن يحسن الطيور » [2] ولم يكن الدافع لهم على أن يقفوا هذا الموقف الدين الإسلامى ، أو شيئاً من تعاليمه كما فهم بعض الكتاب الأوروبيين ، بل كان الدافع الحقيقى — فيما نرى — نوعاً من الضيق فى التفكير أنتجه جهل القرون السالفة ، وعشق غريب للمحافظة على القديم ، واعتداد أغرب بما درسوا من كتب ، وما كان أقلها ، وأما كان تفهها ؟ ؟

والآن لنستمع إلى ما وصف به مستشرق فرنسى عاش فى مصر فى عصر محمد على موقف هذه الغالبية من شيوخ الأزهر من الكتب المترجمة فى المدارس الجديدة ، هذا المستشرق هو الدكتور « برون » ، كتب إلى صديقه « جول مول » سكرتير الجمعية الآسيوية خطاباً عن مدارس محمد على ومطبعته قال فيه : « وهل تعتقد ياصديقى أنهم (أى شيوخ الأزهر) يقرأون كتبنا (أى الكتب المترجمة) ؟ لا — فإنهم يتحاشونها ، ولكن من السهل أن يتهم الانسان قبل أن يستمع ، وكتبنا هذه مثلها كمثل التوراة والإنجيل ، فالشيوخ يتحدثون دائماً عنها ، وليس بينهم من قرأ منها سطراً واحداً » .

ثم روى « برون » أنه كان مرة فى ضيافة الشيخ الجوهرى ، وفى صحبته صديقه وأستاذه الشيخ محمد عمر التونسى ، وكانت المائدة تضم عدداً آخرين من شيوخ الأزهر ، وفى هذا الاجتماع دارت بين « برون » والشيوخ مناقشة طريفة حول رأيهم فى الكتب المترجمة ننقلها كما رواها « برون » نفسه ، قال : « وبعد تناول العشاء ، وبين القهوة والشبك ، تحدثنا عن الدراسة والمدارس ، فقال شيخى التونسى بعض كلمات عن الكتب التى يراجعها فى مدرسة الطب ، فسألنى شيخ من الحاضرين عن ماهية الكيمياء الحالية فى أوربا ، لأنهم هنا لا يفهمون من لفظة « كيمياء » إلا فن تحويل المعادن إلى ذهب . . . وقد حدثتهم عن الكيمياء حديثاً مختصرا ، فانبرى واحد من الشيوخ وقال : وما فائدة هذه العلوم الدنيوية ، لتخش الله ، هذا كل مايجب على الانسان . وكأن هذا الشيخ كان يريد بهذه الكلمات أن يزيد فى قيمة ورعه ، ويبرز شخصيته التقية الدينية ، فاتخذت لهجة الجد ، وقلت له وماذا تعنى بهذه الكلمات البعيدة عن الدين ؟ ولم تهين هؤلاء العلماء الحاضرين بيننا ، وكل العلماء الذين يعتز بهم الإسلام منذ ظهر فى العالم ؟ إنك ترى أن دراسة العلوم غير الدينية جهد لا طائل تحته .

(١) رفاعة ، مناهج الألباب ، ص ٣٧٦ .

(٢) Eno. Isl. Art. Azhar.

وإذن فدراسة الشعراء العرب القدامى وأخبار الجاهلية أمر لا فائدة فيه ، بل هى دراسة خطرة ، إنى أقدم لك ثنائى الخالص لأنك تجيد مدح الجهل ، وأنت أيضاً — فوق ماتظن — تلميذ من تلاميذ الجاهلية قل لى ، أتعرف ما هو الله ؟ أليس الله سبحانه هو المعرفة كل المعرفة ؟ وهل تتكرم فتقول لى أيضاً ، أيهما أقرب للذات الإلهية ، الجاهل أم العالم ؟ فأجاب الشيخ : « ولكن دراسة العلوم الإنسانية تقود إلى الإثم » فقال « برون » : « إن دراسة العلوم الإنسانية تؤدى بالانسان المفكر إلى الاعجاب بأفعال الخالق ، وإلى إكبار عجائب العالم والعقل الانسانى ، ترى هل أضاع علماء الاسلام وقتهم ، وارتكبوا إثما عند ماتوفروا على دراسة الشعراء الجاهليين لكى يصلوا إلى تفسير القرآن ؟ إنهم إن ظلوا مثلك ، وحكموا حكمك ، فمن منكم كان يستطيع فهم القرآن اليوم ؟ . . . وذلك العالم الذى كان يحمل اسماً شبيهاً لاسم ضيفنا المبجل ، والذى قضى — على الأقل — عشر سنوات من حياته متنقلا بين القبائل العربية فى الصحراء لجمع مفردات اللغة العربية ، وفى إنشاء قاموسه « الصحاح » . هذا الجوهرى ، هل كان مجنونا ، أو كان غـــير مسلم ، أو غير مؤمن ؟ ثم ختم « برون » حديثه بجملة خطابية فقال : « سادتى . إنى أنصحكم أن تقلدوا هذا الشيخ فى خوفكم وخشيتكم من الله ، وعند ذلك يمكنكم أن تتأكدوا أن انحلال الاسلام سيخطو خطوات سريعة ، إن مدح الجهالة هو أخطر علامة على التأخر الاجتماعى[(١)] . »

وأخيراً ذكر (برون) ، أن مضيفه الشيخ الجوهرى أبدى سروره بهذا الحديث فكان يرمق مناظره فى ابتسام ، دون أن يقول كلمة واحدة ، أما هذا المناظر فلم يعقب على حديث (برون) بكلمة واحدة ، بل انتقل إلى آخر المجلس ، ثم انسحب دون أن يشعر أحد بانسحابه .

قد يكون (برون) مبالغاً فى وصف ما حدث وقد يكون فى حديثه غلو فى اتهام الشيوخ وفى اعتداده بنفسه وبعلمه ، بل إننا نتهمه بهذه المبالغة وهذه المغـالاة فقد كتب فى خطاب آخر لصديقه يحدثه عن تفكيره فى طبع القاموس المحيط فى مطبعة بولاق ، وهنا انتهز الفرصة أيضاً فبالغ فى وصف شيوخ الأزهر بالجهل الشديد : (فقال وليس هناك فى القاهرة ولا فى مصر كلها عشرة علماء يقتنون هذا القاموس بل ليس هناك عشرة علماء يعرفون كيف يستعمل القاموس) ثم ختم خطابه بجملة فيها تهكم مرير ، فقال فلنعط إذن قاموساً للعلماء : . Donnons donc un dictionnaire aux Ulémas.

وهذه مبالغة من (برون) ، ينكرها الواقع نفسه ، فهو عندما وفد على مصر تتلمذ على شيخين جليلين من شيوخ الأزهر ، هما الشيخ محمد عياد الطنطاوى ، والشيخ محمد عمر التونسى ، وبفضلهما تقدمت معرفته فى اللغة العربية ، وعندما فكر فى طبع القاموس كان كل اعتماده فى المراجعة على الشيخ التونسى ، وعند ما فكر المستشرق الانجليزى (لين) فى ترجمة القاموس للانجليزية ، لم يجد من يعينه على فهمه ومراجعته على القواميس والمعاجم الأخرى غير شيخ من شيوخ الأزهر ، هو الشيخ إبراهيم الدسوقى ، وهذا هو الشيخ

(١) نقلنا هذا الحديث فى إيجاز وتلخيص عن :
Perron, Lettre sur les écoles et l'imprimerie du Pacha d'Egypte, Journal Asiatique, 1843, pp. 9 — 12.
(١) Artin Pacha, Lettres du Dr. Perron, 29, 90 — 92, etc

العطار وتلاميذه كانوا من المعجبين بالحركة ، القارئين لكتبها ، بل لقد كان أنبغ من ظهر من تلاميذ المدارس والبعثات هم من أخذوا من تلاميذ الأزهر وشيوخه . وطائفة المحررين والمصححين للكتب المترجمة كانت كلها من شيوخ الأزهر ، ولم يكن انحراف المشايخ عن المدارس الحديثة تاما كما وصفه (برون) ، بل لقد ابتعد بعض الشيوخ بأولادهم عن الأزهر ، وأدخلوهم المدارس ، فادخل الشيخ سالم عوض القنياتى ابنه سالم سالم (الدكتور سالم باشا سالم فيما بعد) مدرسه الطب ، وصحب الشيخ نصر الهورينى ابنه سعيدا (الدكتور سعيد باشا نصر فيما بعد) معه فى بعثة سنة ١٨٤٤ إلى فرنسا .

هذه أمثلة مختلفة لاتنفى اتهام « برون » ، ولكنها تخفف من حدته ، ونستطيع أن نستخلص مما سبق أن الدائرة العلمية القديمة ، ونعنى بها الأزهر وشيوخه ، لم تقبل على الكتب المترجمة الاقبال الكافى ، بل لقد أقبلت فئة قليلة من الشيوخ على قراءة بعض هذه الكتب وتفهمها ، وأعرضت الفئة الكثيرة عنها إما حذرا ، وإما كرها — شأن الانسان فى كل مجتمع ، ونظرته إلى كل جديد واعتداده بكل قديم — بل لعلنا نستطيع أن نتلمس لهؤلاء المعرضين العذر من أن العدد الأكبر من الكتب المترجمة كان كتباً علمية بحتة ، تبحث فن التشريح ، أو الأمراض وعلاجها ، أو الهندسة الوصفية ، أو الكيمياء الحديثة .. الخ وفهم هذه العلوم كان يحتاج إلى أسس من المبادىء الأولية لم تتح الفرصة لشيوخ الأزهر لتلقيها .

وهنا قد يدفعنا البحث إلى التساؤل ، هل كان محمد على محقا عند ما ترك معاهد العلم القديمة كما هى ، وأنشأ إلى جانبها المدارس الحديثة انشاء جديداً ؟ وإذا كان محقا فى تصرفه هذا ، فهل كان محقاً أيضاً عند ما ترك التعليم القديم على قدمه ، أم كان من الأفضل أن يحاول تطعيمه بشىء من البرامج والدراسات الجديدة حتى تستطيع هذه المعاهد القديمة أن تقترب — مع مضى الزمن — شيئا فشيئا من المعاهد الجديدة ، وحتى يأتى يوم يتقابل فيه القديم والحديث ؟

وأخيراً هل كان ينجح محمد على لو حاول واحدة من هاتين المحاولتين ؟

هذه ألوان من الأسئلة يثيرها البحث ، ولكننا نجد الاجابة عليها عسيرة ، لأن هذه الاجابة تتطلب البحث فيما يجب أن يكون ، لا فى ما كان .

وغاية ما نستطيع أن نقرره ، أن هذا الجمود من شيوخ الأزهر وقف بهم وبعهدهم عن السير مع القافلة ، فتركزت العناية بالعلوم الحديثة ، وبالكتب المترجمة فى المدارس الجديدة ، وتلاميـــذها ومدرسيها وخريجيها ، وبدأو بهذا يحتلون مقام الزعامة الفكرية فى مصر ، يقول الدكتور (برون) « والآن تنبثق من بين تلاميذنا قوة علمية ، هذه القوة لو استمرت تحيا بعض الوقت ، فإنها تستطيع أن تتغلب على معتقدات العلماء العلمية وأن تقضى على طريقتهم المدرسية العتيقة ، وتلاميذنا الآن — نتيجة للثقة التى أكسبتهم إياها دراساتهم التجريبية فى العلوم الصحيحة — يحاربون الكتب القديمة ، وآراء العلماء البالية ، الذين يعتقدون — فى قرارة أنفسهم — إن الرأى القاطع فى العلوم ، هو ما ورد فى كتبهم العربية »[(١)] .

(1) Dr. Perron. Lettre sur les écoles et l'imdrimerie du Pacha . . . . etc. j.a. 1843. q P.
وأنظر أيضا تعليقات نفس الكاتب على: Voyage au Darfour. Tradict. Française. PP. 448—9.

مهدت إذن المدارس الجديدة — وحركة الترجمة بوجه خاص — السبيل «للافندية» كى يخلفوا «المشايخ» فى الزعامة الفكرية فى مصر ، فماذا فعل «الأفندية» لنشر الثقافة بين الشعب ؟

عاشت حركة الترجمة فى عصر محمد على نحو العشرين عاماً ، كان الجهد فى خلالها متجهاً كله إلى الترجمة فقط ولم يجد تلاميذ المدارس ومدرسوها ، وخريجوها الفراغ الكافى ليستجيبوا للثقافات التى تلقوها ، فيؤلفون، كذلك كانت ترجمتهم تصطبغ بالصبغة الرسمية ، فهم — إن صح التعبير — كانوا مترجمين محترفين لا هاوين ، يترجمون ما يؤمرون بترجمته ، لا ما يريدون ترجمته ، وما يؤمرون بترجمته كان علما خالصا ، لا يستطيع القراء العاديون — على ندرتهم — أن يقرأوه ، أو يتذوقوه ، وهم إن فكروا فى قراءته لا يستطيعون فهمه.

كان الواجب إذن أن يؤلف «الأفندية» للشعب ، أو يترجموا له ؛ ولكنهم لم يفعلوا للأسباب السابق ذكرها ، ولهذا كان تأثير الترجمة — فى عصر محمد على — فى المجتمع المصرى ضئيلا جداً إن لم يكن منعدما حقيقة لقد خطا محمد على خطوة واحدة فى هذا السبيل عند ما أشار بتأليف وترجمة كتابى « كنوز الصحة ويواقيت المنحة » و « الدرر الغوال فى معالجة أمراض الأطفال » لتثقيف الشعب ثقافة طبية ، وقد رأينا كيف أقبل المصريون على قراءة هذين الكتابين حتى أعيد طبعهما مرات، ولكنه لم يتبع هذه المحاولة بمحاولة أخرى . وعند ما أنشئت مدرسة الألسن، كانت كتبها التى ترجمت فى العلوم الاجتماعية المختلفة من تاريخ ورحلات، وجغرافيا وأدب أقرب إلى ذهن القارىء العادى وفهمه ، وكان من الممكن أن تؤثر هذه المدرسة وخريجوها التأثير الطيب فى ثقافة الشعب المصرى لو امتد بها العمر ، ولكنها ألغيت بعيد موت محمد على ، وتشتت خريجوها موظفين فى المصالح والدواوين المختلفة ، وكانت نكسة شملت عصرى عباس وسعيد ، ولكن الأثر الأول للمدرسة لم يخمد ، ولم يمت ، بل كان مستقرا مستجنا فى نفوس تلاميذها ، فلما استؤنفت النهضة فى عهد اسماعيل كان هؤلاء التلاميذ هم عدتها وعمدها ، فانطلقوا يترجمون من جديد، بل لقد خطوا الخطوة الثانية الطبيعية ، فانطلقوا يؤلفون ، وعاد إليهم أستاذهم رفاعة فانضووا تحت لوائه يعمل ويعملون من جديد ، فترجموا معاً « قانون نابليون » ، وترجم وألف أبو السعود ، وخليفة محمود ، وصالح مجدى فى التاريخ والجغرافيا ، وترجم عثمان جلال فى الأدب ، وألف قدرى باشا كتبه الخالدة فى القانون ، وأنشأ أبو السعود أول صحيفة مصرية أهلية ، وهى « وادى النيل »

وفى عهـــد اسماعيل أيضا وضع رفاعة كل مؤلفاته ، « كمناهج الألباب العصرية فى مباهج الآداب المصرية » و « المرشد الأمين فى تربية البنات والبنين » و « أنوار توفيق الجليل فى أخبار مصر وتوثيق بنى اسماعيل » و « التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية » الخ . . الخ . .

التاريخ ، الأدب ، القانون ، الصحافة ، هذه هى الطرق التى يستطيع قادة الفكر دائما أن ينفذوا من خلالها إلى نفوس الشعب وعقوله ، فينشرون فيها الثقافة العامة ، ويخلقون فيها الروح القوية ، وقد قام بهذا الواجب تلاميذ الألسن القدماء ولكن فى عصر اسماعيل — لا فى عصر محمد على — ، فهذا الأثر فى الواقع — وإن تأخر به الزمن — هو أثر الترجمة فى عصر محمد على ، بل لعله أقوى آثارها .

الملاحـــــق

مهدت إذن المدارس الجديدة — وحركة الترجمة بوجه خاص — السبيل «للافندية» كى يخلفوا «المشايخ» فى الزعامة الفكرية فى مصر ، فماذا فعل «الأفندية» لنشر الثقافة بين الشعب ؟

عاشت حركة الترجمة فى عصر محمد على نحو العشرين عاماً ، كان الجهد فى خلالها متجهاً كله إلى الترجمة فقط ولم يجد تلاميذ المدارس ومدرسوها ، وخريجوها الفراغ الكافى ليستجيبوا للثقافات التى تلقوها ، فيؤلفون ، كذلك كانت ترجمتهم تصطبغ بالصبغة الرسمية ، فهم — إن صح التعبير — كانوا مترجمين محترفين لا هاوين ، يترجمون ما يؤمرون بترجمته ، لا ما يريدون ترجمته ، وما يؤمرون بترجمته كان علما خالصا ، لا يستطيع القراء العاديون — على ندرتهم — أن يقرأوه ، أو يتذوقوه ، وهم إن فكروا فى قراءته لا يستطيعون فهمه .

كان الواجب إذن أن يؤلف «الأفندية» للشعب ، أو يترجموا له ، ولكنهم لم يفعلوا للأسباب السابق ذكرها ، ولهذا كان تأثير الترجمة — فى عصر محمد على — فى المجتمع المصرى ضئيلا جداً إن لم يكن منعدما حقيقة لقد خطا محمد على خطوة واحدة فى هذا السبيل عندما أشار بتأليف وترجمة كتابى « كنوز الصحة ويواقيت المنحة » و « الدرر الغوال فى معالجة أمراض الأطفال » لتثقيف الشعب ثقافة طبية ، وقد رأينا كيف أقبل المصريون على قراءة هذين السكتابين حتى أعيد طبعهما مرات، ولكنه لم يتبع هذه المحاولة بمحاولة أخرى . وعندما أنشئت مدرسة الألسن ، كانت كتبها التى ترجمت فى العلوم الاجتماعية المختلفة من تاريخ ورحلات ، وجغرافيا وأدب أقرب إلى ذهن القارىء العادى وفهمه ، وكان من الممكن أن تؤثر هذه المدرسة وخريجوها التأثير الطيب فى ثقافة الشعب المصرى لو امتد بها العمر ، ولكنها ألغيت بعيد موت محمد على ، وتشتت خريجوها موظفين فى المصالح والدواوين المختلفة ، وكانت نكسة شملت عصرى عباس وسعيد ، ولكن الأثر الأول للمدرسة لم يخمد ، ولم يمت ، بل كان مستقرا مستجنا فى نفوس تلاميذها ، فلما استؤنفت النهضة فى عهد اسماعيل كان هؤلاء التلاميذ هم عدتها وعمدها ، فانطلقوا يترجمون من جديد ، بل لقد خطوا الخطوة الثانية الطبيعية ، فانطلقوا يؤلفون ، وعاد إليهم أستاذهم رفاعة فانضووا تحت لوائه يعمل ويعملون من جديد ، فترجموا معاً « قانون نابليون » ، وترجم وألف أبو السعود ، وخليفة محمود ، وصالح مجدى فى التاريخ والجغرافيا ، وترجم عثمان جلال فى الأدب ، وألف قدرى باشا كتبه الخالدة فى القانون ، وأنشأ أبو السعود أول صحيفة مصرية أهلية ، وهى « وادى النيل »

وفى عهـــد اسماعيل أيضا وضع رفاعة كل مؤلفاته ، « كمناهج الألباب العصرية فى مباهج الآداب المصرية » و « المرشد الأمين فى تربية البنات والبنين » و « أنوار توفيق الجليل فى أخبار مصر وتوثيق بنى اسماعيل » و « التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية » الخ . . الخ . .

التاريخ ، الأدب ، القانون ، الصحافة ، هذه هى الطرق التى يستطيع قادة الفكر دائما أن ينفذوا من خلالها إلى نفوس الشعب وعقوله ، فينشرون فيها الثقافة العامة ، ويخلقون فيها الروح القوية ، وقد قام بهذا الواجب تلاميذ الألسن القدماء ولكن فى عصر اسماعيل — لا فى عصر محمد على — ، فهذا الأثر فى الواقع — وإن تأخر به الزمن — هو أثر الترجمة فى عصر محمد على ، بل لعله أقوى آثارها .

الملاحـــــق

مقدّمة

كان إدخال المطبعة إلى مصر حادثاً فذاً أثر فى تاريخها ونهضتها ــ منذ بدء القرن التاسع عشر حتى الآن ــ أثراً واضحاً قوياً، وقد ظل علماء الغرب المعنيون بالبحث فى شئون مصر والشرق يرقبون هذا الأثر ويثبتون نتائجه طول النصف الأول من القرن التاسع عشر . فكانت كلما مرت سنوات على المطبعة بادر واحد منهم بإحصاء المطبوعات التى تم طبعها فيها .

نشرت أول قائمة لهذه الكتب فى : « تاريخ الامبراطورية العثمانية . الجزء السادس عشر » تأليف هامر[1] «Hammer» وفيها احصاء للكتب التى طبعت فى بولاق منذ أنشئت المطبعة (١٨٢١ — ١٨٢٢) إلى سنة ١٨٣٠ وعدتها ٣٨ كتاباً .

وفى سنة ١٨٣١ نشر المستشرق الفرنسى «رينو[2] Reinaud» قائمة ثانية فى المجلة الاسيوية (عدد أكتوبر سنة ١٨٣١) وعددها ٥٥ كتاباً . وقد قدم لها « رينو » بمقدمة بسيطة تحدث فيها عن المطبعة وأثرها ، ثم ذكر الكتب التى طبعت بعد أن قسمها إلى ثمانى مجموعات : الأولى وعددها ١١ كتاباً فى النحو العربى (الأجرومية) ، والثانية وعددها ثلاثة كتب فى القواميس . والثالثة وعددها ثلاثة كتب فى التاريخ (وكلها بالتركية) ، والرابعة وعددها أربعة كتب فى الدين الاسلامى (منها ٣ بالتركية وواحد بالعربية) ، والخامسة وعددها أربعة كتب فى الأدب والشعر (منها اثنان بالعربية واثنان بالفارسية)، والسادسة وعددها ٣ كتب فى المعارف العامة ، والسابعة وعددها ستة كتب فى الرياضيات (منها ٣ بالتركية و ٣ بالعربية) ، والثامنة وهى كتابان فى العلوم الطبية وهما بالعربية ، ثم بقيت مجموعة أخيرة وعددها ١٩ كتاباً فى الفنون المختلفة كالزراعة والفنون الحربية والبحرية . فجعلها مجموعة وحدها .

أحصت القائمة السابقة الكتب التى طبعت فى بولاق فى مدى عشر سنوات من إنشاء المطبعة وعددها ٥٥ كتاباً منها نحو العشر كتب مترجمة فقط . ولكن النشاط تضاعف فى العشر سنوات التالية .

وفى سنة ١٨٣٧ — ١٨٣٨ زار الدكتور « بورنج »[3] مصر وكتب تقريره عنها وعن جزيرة كريد الذى نشر فى لندن سنة ١٨٤٠ . وقد أورد فى هذا التقرير قائمة بالكتب التى طبعت فى بولاق حتى

---

(1) Hammer. Histoire de l'Empire Ottoman. t. XVI, pp. 409 - 414.

(2) Reinaud. Notice des ouvrages arabes, persans et turc, imprimés en Egypte. J. A. 2me serie, Octobre, 1831, pp. 333 - 344.

(3) Bowring, Op. Cit, pp. 142 - 144

سنة ١٨٣٨ وعددها ٧٦ كتاباً، ثم أردفها بقائمة أخرى للكتب التى ترجمت ولم تطبع والتى بدىء فى ترجمتها ولم تتم بعد وعددها ٢٩ كتاباً، فيكون المجموع ١٠٥ كتاباً .

وفى سنة ١٨٤٢ أرسل « جول مول Jules Mohl » سكرتير الجمعية الأسيوية فى باريس إلى صديقه « الدكتور برون Dr. Perron » ناظر مدرسة الطب المصرية يطلب منه أن يعد قائمة جديدة للكتب التى طبعت فى بولاق حتى سنة ١٨٤٠ لنشرها فى المجلة الأسيوية ؛ وأعد « برون » القائمة غير أنه قصرها على الكتب العربية والتركية والفارسية القديمة التى طبعت ولم يضمنها الكتب التى ترجمت ، ثم أرفقها بمقال طريف عن مدارس محمد على ومطبعته . وفى نفس الوقت وصلت إلى المجلة الأسيوية قائمة كاملة بالكتب التى طبعت فى بولاق (منشورة ومترجمة) حتى سنة ١٨٤٢ . كتبها وقدم لها المستشرق الفرنسى « بيانكى Bianchi » ، فأهمل « جول مول » القائمة الأولى لنقصها واكتفى بنشر خطاب[1] « برون » عن المدارس والمطبعة ثم ألحقه بالقائمة التى أعدها[2] « بيانكى » وعددها ٢٤٣ كتاباً ومنها يتبين أن نشاط المطبعة بلغ فى العشر سنوات الثانية أربعة أمثال ما كان فى العشر سنوات الأولى .

وقد لاحظت أن قائمة « رينو » قد تضمنت ما نشر فى قائمة هامر ثم زادت عليها، وكذلك قائمة بيانكى قد تضمنت ما نشر فى قائمة « برون » ثم زادت عليها ، غير أن أحداً غير هؤلاء فى الغرب أو فى الشرق لم يحاول إحصاء الكتب التى طبعت فى بولاق بعد ذلك . كما أن المطبعة نفسها وحكومة محمد على لم تحاولا أبداً طبع قائمة بما طبع فى ذلك العصر .

فلما اعتزمت وضع هذه القائمة اعتمدت أولا على القوائم السابق ذكرها جميعاً فاخترت من بينها الكتب التى ترجمت فى عصر محمد على فقط . وأهملت الكتب القديمة التى نشرت والكتب التى سبق أن طبعت فى الاستانة ثم أعيد طبعها فى بولاق . ثم وجدت أن ما اخترته ناقص . لأن القوائم السابقة لم تكن وافية لأسباب كثيرة أهمها :

١ — أنها لم تعتمد على وثائق رسمية تثبت كل ما طبع فى بولاق فكان الجهد فيها شخصياً واجتهادياً .

٢ — أنها وقفت بالإحصاء عند سنة ١٨٤٢ . وقد امتد حكم محمد على حتى سنة ١٨٤٩ وقد ترجمت فيما بين هاتين السنتين كتب كثيرة طبع بعضها فى عهد محمد على ولم يتم طبع البعض الآخر إلا فى عهد عباس الأول .

(1) Lettre sur les écoles et l'imprimerie du Pacha d'Egypte. par M. A. Perron à M. J. Mohl. J. A. 4eme serie. 2. 1843. pp. 5 - 23.

(2) Bianchi. Catalogue général des livres arabes, persans et turc, imprimé à Boulac en Egypte depuis l'introduction de l'imprimerie dans ce pays. J. A. 4me serie, 2, 1843. pp. 24 - 61.

٣ — إن هذه القوائم عنيت بإحصاء الكتب التى طبعت فقط ، وليس فيها بيان بالكتب التى ترجمت وظلت مخطوطة لم تطبع .

ولهذا سعيت لإكمال هذا النقص ، فراجعت فهارس دار الكتب المصرية — القديمة والجديدة — وفهارس مكتبة البلدية باسكندرية ، ومعجم سركيس للكتب العربية والمعربة المطبوعة[1] ، وقرأت هذه الفهارس وهذا المعجم صفحة صفحة وسطراً سطراً ، واستخلصت منها ما ينقص القوائم السابقة — وهو كثير — ثم رتبت ما عثرت عليه فى قائمتين : جعلت الأولى منها (وهى المذكورة فى الملحق الأول) شاملة للكتب التى ترجمت فى جميع العلوم والفنون ما عدا الفنون الحربية والبحرية ، وهى التى تتضمنها القائمة الثانية فى الملحق الثانى .

وقد عنيت فى هذين الملحقين بالتعريف أوضح التعريف بكل ما يتصل بهذه الكتب ، فكنت أذكر اسم الكتاب بعد ترجمته ، واسمه قبل الترجمة[2] إن وفقت للعثور عليه ، واسم المؤلف إن وجدته ، واسم المترجم ، وأسماء المحررين والمصححين ، واللغة التى ترجم عنها واللغة التى ترجم إليها ، والمكان الذى طبع فيه ، وسنة الطبع ، والثمن الذى كان يباع به ، وعدد أجزائه وصفحاته ، والفن أو العلم الذى يتناوله كل كتاب .

وقد اضطررت — لإثبات هذه البيانات — أن أرجع إلى الكتب المترجمة ذاتها ، فرجعت إلى كل ما استطاعت أن تصل إليه يدى ، ومع هذا فأنا لا أدعى أن هذه القائمة كاملة ، ولكنى أستطيع أن أقول إنها أقرب ما تكون إلى الكمال والشمول ، وذلك لأنى عثرت على نصوص مختلفة فى المراجع التى أفدت منها تشير إلى كتب ترجمت فى ذلك العصر ، ولكنها غير موجودة ، لأنها لم تطبع ، أو لأنها طبعت ثم نفدت نسخها فليس فى دور الكتب نسخة واحدة منها ؛ ومع هذا فقد رأيت — إتماماً للفائدة — أن أخصص لهذه الكتب ملحقاً ثالثاً ذكرت فيه هذه النصوص وما تضمنته .

وقد راعيت فى الملحقين الأول والثانى أن أرتب الكتب ترتيباً زمنياً حسب سنى الطبع ليسهل تتبع الحركة وتطورها واتجاهاتها، ثم أعقبتها أخيراً بتطبيقات إحصائية .

(١) رجعت أيضا إلى كتب التراجم التى أرخت لحياة المترجمين ، وأخذت عنها أسماء بعض الكتب مما لم أجده فى القوائم والفهارس سالفة الذكر .

(٢) الأسماء الفرنسية للكتب المترجمة ، والتى ذكرتها فى الملحقين الأول والثانى ليست كلها الأسماء الأصلية لهذه الكتب ، بل نقلت بعضها كما ذكر فى قائمة « بيانكى » ، وكانت عادته إذا أعوزه الاسم الأصلى أن يذكر أن الكتاب « رسالة فى كذا . . . « Traité de . . . »

الملحق الأول

قائمة بالكتب التى ترجمت فى عصر محمد على

فى جميع المواد ما عدا الفنون

الحربية والبحرية

الرقم	اسم الكتاب	المؤلف	المترجم	المصحح	اللغة من	اللغة الى	مكان الطبع	سنة الطبع	الفن	الثمن	الأجزاء الصفحات	ملاحظات
١	ترجمة مظهر التقديس بخروج طائفة الفرنسيس	الشيخ عبد الرحمن الجبرتى	السيد احمد عاصم افندى	—	العربية	التركية	مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٨٨٥٤ بفهرس الكتب التركية	فرغ من ترجمته فى غرة ربيع الاول سنة ١٢٣٥	تاريخ	—	١—١١٥ صفحة	
٢ *	قاموس إيطاليانى وعربى	الأب أنطون رفاييل زاخور راهبة		—	الإيطالية	العربية	بولاق	١٢٣٨ (١٨٢٢)	قاموس	—	١	يتكون من قسمين : قسم للكلمات مرتبة أبجديا . وقسم للاسماء والأفعال التى تعين على درس اللغتين
٣ *	كتاب فى صناعة صباغة الحرير . L'art de la teinture en soie.	ماكير Macquer	الأب أنطون رفاييل زاخورراهبة	—	الفرنسية	العربية	بولاق	٢٦ ذى القعدة سنة ١٢٣٨ (٤ اغسطس ١٨٢٣)	كيمياء	١٠ قروش و٢٠ بارة	١	طبع ثانية فى بولاق سنة ١٢٥٢ (١٨٣٧)
٤ *	الأمير فى علم التاريخ والسياسة والتدبير . Il Principe'	ماكيا قللى Machia-velli	الأب أنطون رفاييل زاخور	—	الإيطالية	العربية	مخطوط بخط المؤلف، دار الكتب المصرية رقم ٤٣٥ تاريخ	١٢٣٩—١٢٤٠ ١٨٢٤—١٨٢٥	سياسة ونظم حكم	—	١	ترجم ليطلع عليه محمد على باشا، وقد ترجمه ترجمة أخرى الأستاذ محمد لطفى جمعة، وطبع فى القاهرة سنة ١٩١٢
٥	التلخيصات المتعلقة بتدبير أمور سلطنة الدولة العلية العثمانيـــة	الأمير قوجه مصطفى بك الكوروجه لى	عبدالله افندى عزيز بن خليل كاتب ديوان محمد على	—	التركية	العربية	مخطوط بدار الكتب المصرية	تم تحرير الترجمة سنة ١٢٤١	سياسة ونظم حكم	—	١ ٣٤ ورقة	كان المؤلف من رجال السلطان مراد الرابع وقد ألف هذه الرسالة وقدمها للسلطان حين وقع الاختلال وظهرت الفتن فى أول سلطنته ، وقد رفع المترجم الترجمة العربية الى محمد على وجعل لها مقدمة فى صورة عرضحال .
٦ *	كتاب فى قواعد الأصول الطبية المحررة عن التجارب لمعرفة كيفية علاج الأمراض الخاصة ببدن الإنسان) Elements des sciences médicales.	فرانشسكوفاقا Francesco Vacca الاستاذ بجامعة بيزا Pisa	لم يذكر وأرجح أنه من ترجمة رفاييل زاخور (انظر الرسالة)	—	الإيطالية	العربية	بولاق	آخر ربيع الثانى ١٢٤٢ (نوفمبر ١٨٢٦)	طب	—	٢	
٧	قترينه تاريخى Histoire de l'Impératrice Catherine II de Russie, Précédée d'un court aperçu de l'histoire de la Russie depuis son origine.	كاسترا Castera	جاكوفاكى ارجيروبولو Jacovaki Argyropoulo	—	الفرنسية	التركية	بولاق	رمضان ١٢٤٤ مارس (١٨٢٩)	تاريخ	١٥ قرشا	١	طبع ثانية فى بولاق سنة ١٢٤٦ (١٨٣١) تحت عنوان : ايكنجى قترينه نام روسية اعبر اتريجه نك تاريخى ، بعد أن راجعه وصححه ســعد الله آمدى افندى .
٨	تاريخ نابليون بونابرته Extrait du Mémorial de Sainte-Hélène.	وهو جزء من مذكراته التى كتبها بيده حين كان منفيا فى سانت هيلانه	؟	—	الفرنسية	التركية	بولاق	١٢٤٧ (١٨٣٢)	تاريخ	٤ قروش	١	أرجح أنه من ترجمة حسن افندى .
٩	ترجمة سير الحلبى (وهو ترجمة السيرة الحلبية)		سعيد أحمد يلم	—	العربية	التركية	بولاق	١٢٤٨ (١٨٣٣)	تاريخ	٢٥ قرشا	١	
١٠ *	القول الصريح فى علم التشريح Anatomie du corps humain.	بايل Bayle واضاف اليه كلوت بك زيادات	يوحنا عنحورى	الشيخ محمد الهراوى والشيخ احمد الرشيدى	الفرنسية	العربية	مطبعة مدرسة الطب بأبى زعبل	١٢٤٨ (١٨٣٣)	طب	٣٧ قرشا و ٢٠ بارة	٢ فى مجلد واحد من ٤٥٩ صفحة	ذكر بيانكى خطأ انه فى جزء واحد ثم ذكر فى قائمته كتابا آخر ترجمه عنحورى بعنوان تشريح بشرى وطبع فى بولاق سنة ١٢٤٨ ، فلعله هذا .

الرقم	اسم الكتاب	المؤلف	المترجم	المصحح	اللغة من	اللغة إلى	مكان الطبع	سنة الطبع	الفن	الثمن	الأجزاء الصفحات	ملاحظات
١١ *	قانون الصحه Des Régles de l'hygiéne et de la médecine appliquée du corps humain.	الدكتور برنار Dr. Bernard	جورجى فيدال	الشيخ محمد الهراوى	الفرنسيه	العربيه	بولاق	١٢٤٨ (١٨٣٣)	طب	٤٠ قرشا	١	ذكر بيانكى أنه طبع سنه ١٢٤٩ (١٨٣٤)
١٢	المجالة الطبية فيما لا بد منه لحكماء الجهادية .	كلوت بك Clot Bey	اوغسطين سكاكينى	؟	الفرنسية	العربية	مطبعة مدرسه الطب بابى زعبل	١٢٤٨ (١٨٣٣)	طب	؟	١	طبع ثانية فى بولاق سنه ١٢٥٦ (١٨٤٠ – ١٨٤١)
١٣ *	المعادن النافعة Traité des mines.	فرارد Ferard	رفاعة الطهطاوى	—	الفرنسية	العربية	بولاق	شوال ١٢٤٨ فبراير ١٨٣٣	معادن كيمياء	٥ قروش	٤٧ صفحه	يسميه بيانكى فى قائمته «رسالة المعادن» وقد ترجمه رفاعة وهو فى باريس باشارة مسيو «جومار»
١٤	ترجمة تاريخ إيطاليا (الجزء الأول) Histoire d'Italie. t.I	بوتا Botta.	عبد الله افندى عزيز ابن خليل وحسن افندى	—	الفرنسية	التركية	مطبعة سراى رأس التين بالإسكندرية	١٢٤٩ (١٨٣٤)	تاريخ	٣٠ قرشا وذكر بورنج فى قائمته ان ثمنه كان ٣٢½ قرشا	٢ الأول ١٣١ص والثانى ١٥٤ص	ذكر بيانكى خطأ انه فى جزء واحد وانه من ترجمة حسن افندى فقط. المترجمان كانا موظفين بالديوان الخديوى .
١٥	تاريخ نابليون بونابرته (الجزء الأول) Mémoires du Duc de Rovigo.	الدوق دى روفيجو Duc de Rovigo	حسن افندى وعزيز افندى	—	الفرنسية	التركية	مطبعة سراى رأس التين بالإسكندرية	١٢٤٩ (١٨٣٤)	تاريخ	٢٠ قرشا	١ فى ٣٣١ صفحه	
١٦ *	قلائد المفاخر فى غريب عوائد الأوائل والأواخر Mœurset usage des nations.	دبنج Depping.	رفاعة الطهطاوى	—	الفرنسية	العربية	بولاق	شعبان ١٢٤٩ (ديسمبر ١٨٣٣)	اجتماع	١٥ قرشا	١ ١١٢ صفحة	ترجمه وهو فى باريس . وفى آخره قاموس أبجدى فى سبع صفحات لشرح الكلمات الغريبة .
١٧	رسالة فى علم البيطرية Traité de l'art vétérinaire	؟	يوسف فرعون	الشيخ مصطفى كساب	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٤٩ (١٨٣٤)	طب بيطرى	٧قروش و٣٧ بارة	١	
١٨ *	التوضيح لألفاظ التشريح Traité d'anatomie vétérinaire.	جيرار Girard	يوسف فرعون	الشيخ مصطفى كساب	الفرنسية	العربية	بولاق	غرة صفر ١٢٤٩ (٣٠ يونية ١٨٣٣)	طب بيطرى	٣٠قرشا	١ ٢٩٢ صفحة	تمت ترجمته فى ١٩ شعبان ١٢٤٧ (٢٣ يناير ١٨٣٢) ولكنه طبع بعد سنتين وقد قابله على الاصل رفاعة الطهطاوى والبكباشى هرقل
١٩ *	المنحة فى سياسة حفظ الصحة	الدكتور برنار Dr.Bernard	جورجى فيدال	الشيخ محمد الهراوى	الفرنسية	العربية	بولاق	رمضان ١٢٤٩ (يناير ١٨٣٤)	طب	؟	١	ثالث كتاب طبع من كتب الطب البشرى المترجمة .
٢٠ *	مبادىء الهندسة	؟	رفاعة الطهطاوى	—	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٤٩ (١٨٣٣ – ١٨٣٤)	هندسة	؟	١	طبع ثانية فى ١٢٥٩ وثالثة فى ١٢٧٠ فى مطبعة المهندسخانة وقام بتنقيح الاخيرة برعى أفندى وصححها الشيخ الدسوقى

الرقم	اسم الكتاب	المؤلف	المترجم	المصحح	اللغة عن	اللغة الى	مكان الطبع	سنة الطبع	الفن	الثمن	الأجزاء والصفحات	ملاحظات
٢١	رسالة فى علم جر الأثقال Traité de mécanique	؟	أدهم بك	—	الفرنسية	التركية	بولاق	١٢٤٩ (١٨٣٤)	ميكانيكا	٢٥ قرشا	١	
٢٢ *	منتهى الأغراض فى علم شفاء الأمراض .	بروسيه وسانسون	يوحنا عنحورى	الشيخ محمد الهراوى	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥٠ (١٨٣٥)	طب	؟	٢ ١=٤٤٤ ٢=٢٦٣	رابع كتاب طبع من كتب الطب نقله دفينو إلى الإيطالية وعنها ترجمه عنحورى ثم راجعه على الأصل الفرنسى هيبة والهراوى .
٢٣	بتولوجية يعنى رسالة فى الطب البشرى . Traité de pathologie.	بايل Bayle	عنحورى	؟	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥٠ (١٨٣٥)	طب	٥٤ قرشا	١	
٢٤	رسالة فى الطاعون La Peste. Traité sur les Quarantines	كلوت بك	؟	؟	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥٠	طب	٣٠ بارة	١	كراسة صغيرة
٢٥	رسالة فى علاج الطاعون	كلوت بك	؟	؟	الفرنسية	العربية	مطبعة الجهادية	١٢٥٠	طب	؟	١	أقر طبعها أرباب المشورة الطبية .
٢٦	رسالة فى علم الطب البيطرى Traité de medecine vétérinaire.	؟	يوسف فرعون	؟	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥٠	طب بيطرى	٨ قروش ١٠ بارة	١	
٢٧	قانون نامهٔ بيطارى Traité des règles de l'art vétérinaire.	؟	يوسف فرعون	؟	الفرنسية	التركية	بولاق	١٢٥٠	طب بيطرى	٣ قروش	١	
٢٨ *	التعريبات الشافية لمريد الجغرافيا	؟ عن كتب مختلفة	رفاعة	—	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥٠	جغرافيا	١١ قرشا	١ ٣٠٢ ص	طبع ثانية فى ١٢٥٤ وهو قسم عن الجغرافيا وقسم عن القسموغرافيا وفى نهايته معجم ولوحتان .
٢٩ *	الجغرافيا العمومية Géographie Universelle	ملطبرون MalteBrun.	رفاعة	اشترك فى تبييض جا الشيخ محمد هدهد	الفرنسية	العربية	بولاق	؟	جغرافيا	؟	١=٢٠٣ ٣=٢٦٨ قطع كبير	ارجح أن جا طبع بعد ١٢٥١ وج ٣ بعد ١٣٦٢ (أنظر الرسالة)
٣٠ *	كتاب التشريح العام	كلار	عيسوى النحراوى	—	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥١ (١٨٣٥)	طب	؟	١=٤٥٣	فى آخره ملحق للمصطلحات فى ٣٤ صفحة وقد طبع ثانية فى ١٢٦١
٣١	رسالة فى ما يجب اتخاذه لمنع الجرب والداء الافرنجى عن عساكر الجهادية ونسائهم Du traitement de la gale	كلوت بك	؟		الفرنسية	العربية	مطبعة الجهادية	١٢٥١ (١٨٣٦)	طب	٣٠ بارة	١	كراسة صغيرة ذكرها بيانكى فى قائمته بعنوان (رسالة فى علاج الجرب)
٣٢ *	مبلغ البراح فى علم الجراح	كلوت بك	عنحورى	الشيخ الهراوى	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥١	طب	؟	١	
٣٣ *	التحفة الفاخرة فى هيئة الأعضاء الظاهرة . Traité de médecine vétérinaire	؟	يوسف فرعون	الشيخ مصطفى كساب	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥١ (١٨٣٦)	طب بيطرى	٦ قروش و ٣٠ بارة	١	ذكره بيانكى باسم «الهيئة الظاهرة أو علم الطب البيطرى»
٣٤	رسالة فى الهندسة Traité de Géométrie.	لعلها تأليف ؟ لوجاندر Legendre	أدهم بك	—	الفرنسية	التركية	بولاق	١٢٥٢ (١٨٣٧)	هندسة	٢٨ قرشا و ٥ بارة	١	
٣٥	مقالات الهندسة Axiomes deCéométrie	؟	أدهم بك	—	الفرنسية	التركية	بولاق	١٢٥٢	هندسة	٦ قروش و ٣٦ بارة	١	

الرقم	اسم الكتاب	المؤلف	المترجم	المصحح	اللغــة عن	الى	مكان الطبع	سنة الطبع	الفن	الثمن	الأجزاء الصفحات	ملاحظات
٣٦ *	المقالة الأولى (كذا) من الهندسة Axiome élémentaire sur la Géométrie.	؟	عصمت افندى	—	التركية	العربية	بولاق	١٢٥٢ (١٨٣٧)	هندسة	٢ ق و٣٠ ب	١	هى المقالة الاولى من كتاب لوجاندر ترجمه أدهم إلى التركية ثم ترجمها عصمت عنه إلى العربية
٣٧	الهندسة الوصفية Géométrie Descriptive	دوشين Duchesne	بيومى افندى	—	الفرنسية	العربية	بولاق	١ = ١٢٥٢ ٢ = ١٢٦٣	هندسة وصفية	١ = ٥ق و١٢ ب	٢	فى اخره ١٨ لوحة إيضاحية
٣٨	نبذة فى تطعيم الجدرى Inoculation de la vaccine	كلوت بك	احمد حسين الرشيدى	—	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥٢	طب	٣٠ ق	١	طبع ثانية فى ١٢٥٩
٣٩ *	دستور الأعمال الاقرباذينية لحكماء الديار المصرية Pharmacopée, ou Traité de la préparation des remèdes.	أعضاء المشورة الطبية كلوت ودبياجى ودوتوش	يعقوب؟	الشيخ الهراوى	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥٢	صيدلة	٢٢ ق و٢٠ ب	١ = ١٣١ + جداول	قوبل بجمع من المترجمين وبعض اهل العلم المصححين
٤٠ *	أسعاف المرضى من علم منافع الأعضا	سوسون	على هيبة	الشيخ محمد محرم	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥٢	طب	١٠ ق و٣٠ ب	١	سادس كتاب طبع من كتب الطب قابله على اصل ايطالى عنحورى والدسوقى ثم صححه الهراوى
٤١ *	تحفة القلم فى أمراض القدم	جان جيرار	محمد عبدالفتاح	رفاعة	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥٢	طب بيطرى	؟	١ = ٢١٩	فى سركيس وتقويم النيل ٢ — ٢٠٤ انه فى طبع ١٢٥٨ فلعلها طبعة ثانية

الرقم	اسم الكتاب	المؤلف	المترجم	المصحح	اللغات عن	الى	مكان الطبع	سنة الطبع	الفن	الثمن	الأجزاء	مـلاحظات
٤٢	تاريخ الفلاسفة اليونانيين Histoire des anciens philosophes.	؟	عبدالله أفندى حسين المصرى	رفاعه	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥٢	تاريخ فلسفة	١٥ ق	١ = ١٦٥	يبدأ بطاليس وينتهى بزينون، ذكر بيانكى خطأً أنه من ترجمة رفاعة. طبع فى الأستانة فى ١٣٠٢ والقاهرة فى ١٣٢٨.
٤٣	كتاب الاقراباذين	؟	يعقوب	؟	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥٣ (١٨٣٧)	صيدلة	؟	١	
٤٤ ٤٥ ٤٦ *	نبذة فى الفلسفة الطبيعية نبذة فى التشريح العام نبذة فى التشريح المرضى	كلوت بك	الدكتور ابراهيم النبراوى	الشيخ محرم والشيخ الهراوى	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥٣	طب	٨ ق و٢٠ ب	١	فى مجلد واحد
٤٧ *	الدراسة الأولية فى الجغرافيا الطبيعية Géographie naturelle	فيلكس لامروس	أحمد الرشيدى	رفاعه	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥٤ (١٨٣٨)	جغرافيا	١٦ ق	١ = ٢٣٦	طبع ثانية فى الأستانه سنة ١٣٠١.
٤٨ *	بداية القدماء وهداية الحكماء.	؟	مصطفى الزرابى وأبو السعود ومحمد عبد الرازق	رفاعه	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥٤	تاريخ	؟	١	به تكملة من أبى الفداء عن العرب القدماء. كتب مقدمته رفاعة وطبع ثانية فى ١٢٨٢ ببولاق.

الرقم	اسم الكتاب	المؤلف	المترجم	المصحح	اللغة عن	اللغة إلى	مكان الطبع	سنة الطبع	الفن	الثمن	الأجزاء الصفحات	ملاحظات
٤٩	تنوير المشرق بعلم المنطق	دى مرسية Dumarsais	خليفة محمود	رفاعة	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥٤	منطق	٥ ق و٥ ب	١ = ٥٩	ذكر سركيس ويانكى خطأ أنه من ترجمة رفاعة
٥٠ *	الأزهار البديعة فى علم الطبيعة	دكتور برون Dr. Perron	عنحورى بمساعدة المؤلف	الشيخ الهراوى	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥٤	طبيعة	٢٩ق	٢	فى نهايته ١٥ لوحة، طبع ثانية فى بولاق ١٢٦٩
٥١	الاربطة الجراحية Traité des bandages employés en Chirurgie	؟	ابراهيم النبراوى	الهراوى	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥٤	طب	١٤ق و٣٠ ب	١ = ٣٦٥	
٥٢	كنز البراعة فى مبادىء فن الزراعة	؟	خليل محمود	—	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥٤	زراعة	؟	١	
٥٣	تحفة الرياض فى كليات الأمراض	؟	يوسف فرعون	الشيخ كساب	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥٥ (١٨٣٩)	طب بيطرى	٨ ق	١	
٥٤ *	نزهة الانام فى التشريح العام Traité général d'antomie vétérinaire	لافارج	فرعون	الشيخ كساب	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥٥	طب بيطرى	٦٠ق و٣٠ ب	١	تم طبعه فى ٢٥ يوما (١ — ٢٥ جمادى الأول) سادس كتاب طبع من كتب الطب البيطرى
٥٥	المادة الطبية البيطرية	؟	فرعون	الشيخ كساب	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥٥	طب بيطرى	١٧ق	١	
٥٦ *	غاية المرام فى أدوية الاسقام	جرجوار ولابتو	فرعون	الشيخ كساب	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥٥	طب بيطرى	؟	١ = ٢١٠	خامس كتاب من كتب الطب البيطرى انتهى من ترجمته فى ١٦ جمادى الأولى ١٢٥٤ وتم طبعه فى سلخ جمادى الأولى ١٢٥٥
٥٧ *	أصول الهندسة	لوجاندر	محمد عصمت أفندى	—	التركية	العربية	بولاق	١٢٥٥	هندسة	٢١ ق	١	ترجمه إلى التركية أدهم بك وعنها إلى العربية عصمت تمت ترجمته فى ١٢ ربيع الأول وتم طبعه فى ١٥ ربيع الثانى . طبع ثانية فى آخر ذى الحجة ١٢٨٢
٥٨	سفارت نامه رفاعة بك	رفاعة	رستم أفندى بسيم	—	العربية	التركية	بولاق	١٢٥٥	رحلات	١٩ ق و٥ ب	١ — ٢٥٩	ترجمه لرحلة رفاعة إلى باريس باشارة محمد على باشا
٥٩ *	ضياء النيرين فى مداواة العينين	الدكتور لورانس	أحمد الرشيدى	—	عن ترجمة فرنسية	العربية	بولاق	١٢٥٦ (١٨٤٠)	طب	٣٠ ق	١ — ٤٦٥	أصله بالانجليزية وترجمه عن ترجمة فرنسية وأضاف إليه زيادات
٦٠ *	منتهى البراح فى علم الجراح	برنس Dr. Prince	يوسف فرعون	الشيخ مصطفى كساب	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥٦	طب بيطرى	؟	١	ثامن كتاب . تمت مراجعته فى ٨ ذى الحجة سنة ١٢٥٥ وتم طبعه فى رجب سنة ١٢٥٦
٦١	الأمراض الظاهرة فى الطب	؟	يوسف فرعون	الشيخ مصطفى كساب	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥٦	طب بيطرى	٢٠ ق	١	
٦٢ *	روضة الاذكيا فى علم الفسيولوجيا Traité de physiologie vétérinaire	لافارج	يوسف فرعون	الشيخ مصطفى كساب	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥٦	طب بيطرى	١٠ ق	١ — ١٣٢	تاسع كتاب من كتب الطب البيطرى

الرقم	اسم الكتاب	المؤلف	المترجم	المصحح	اللغات عن	اللغات الى	مكان الطبع	سنة الطبع	الفن	الثمن	الأجزاء	ملاحظات
٦٣	شرح قصيدة البردة	؟	أحمد مصطفى	—	العربية	التركية	بولاق	١٢٥٦	أدب	١٣ ق	١	
٦٤ *	كتاب الجبر والمقابلة Cours d'algebre complet.	مايرMayer	محمد بيومى	الشيخ ابراهيم الدسوقى	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥٦	جبر	٤٥ ق	١	فى آخره ١٣ لوحة إيضاحية
٦٥ *	نزهة المحافل فى معرفة المفاصل	ريجو Rigo	محمد عبد الفتاح	الشيخ كساب	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥٧ (١٨٤١)	طب بيطرى	؟	١=٨٠	قابله على الاصل رفاعة
٦٦	الدر اللامع فى النبات وما فيه من الخواص والمنافع	الدكتور أنطوان فيجرى بك	حسين غانم الرشيدى	الشيخ محمد عمر التونسى	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥٧	نبات	٢٠ ق و٢٠ ب	١=٣٩٨	ذكر سركيس خطأ أنه من ترجمة التونسى. وذكر بيانكى كتابا فى النبات ترجمه عنحورى وذكر خطأ فى تقويم النيل ٢ — ٦٠٨ أن المؤلف هو تيتو أنطوان فيجرى
٦٧	زيود يزيه أى فن أعمال الخرط العظيمة. Traité dé Géodésie.	؟	ابراهيم رمضان	؟	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥٧	رسم خرط	؟	١	
٦٨	ميكانيقة أى علم جر الأثقال Mécanique	تركم Terquem	محمد بيومى و أحمد طايل	؟	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥٧	ميكانيكا	؟	١	

الرقم	اسم الكتاب	المؤلف	المترجم	المصحح	اللغـة من	اللغـة الى	مكان الطبع	سنه الطبع	الفن	الثمن	الاجزاء الصفحات	ملاحظات
٦٩	تركيب آلات Construction des Machines.	؟	أحمد طايل	؟	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥٧	ميكانيكا	؟	١	طبع حجر
٧٠	مثلثات مستوية وكروية Trigonométrie rectiligue et sphérique	؟	أحمد دقله	؟	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥٧	هندسة	؟	١	
٧١	ايدروليك أى علم حركة وموازنة المياه Traité de l'Hydraulique.	دوبويسون d'Aubuisson.	أحمد دقله	؟	الفرنسية	العربيه	بولاق	١٢٥٧	هيدور ليـكا	؟	١	
٧٢ *	الاقوال المرضية فى علم بنية الكرة الارضية Géologie Populaire	بوبيه Boubée	أحمد فايد	الشيخ الدسوقى	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥٧	جيولوجيا	؟	١	فى بيانكى، كتاب الجيولوجيا، وفى تقويم النيل ٢ — ٦٠٥، فى طبيعة الكرة الارضية، قابله على الاصل مصطفى بهجت ورفاعة.
٧٣ *	نظم اللآلى فى السلوك فى من حكم فرنسا من الملوك. Histoire des rois de France, et Synchrenisme de l'histoire Mahométane.	؟	عبد الله أبو السعود	رفاعة	الفرنسيه	العربية	بولاق	١٢٥٧	تاريخ	؟	١	فى نهاية جدول لمقابلة التاريخين الهجرى والميلادى من أول الهجرة إلى ١٣٠٠.

الرقم	اسم الكتاب	المؤلف	المترجم	المصحح	اللغة		مكان الطبع	سنة الطبع	الفن	الثمن	الأجزاء والصفحات	ملاحظات
					عن	الى						
٧٤ *	مطالع شموس السير فى وقائع كرلوس الثانى عشر Histoire de Charles XII.	فولتير Voltaire	محمد مصطفى البياع	رفاعة	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥٧	تاريخ	؟	١ — ٣٧٨	فى نهايته تذييل عن كتاب « راغوان » فى تاريخ ملوك اسوج إلى سنة ١٨٤٠
٧٥	طالع السعادة والإقبال فى علم الولادة وأمراض النساء والأطفال	؟	على هيبة	أحمد الرشيدى	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥٨ (١٨٤٢)	طب	؟	١	
٧٦ *	نزهة الرياض فى علم الأمراض	؟	يوسف فرعون	الشيخ كساب	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥٨	طب بيطرى	؟	١	
٧٧ *	الجواهر السنية فى الأعمال الكيماوية	دكتور برون	برون	الهراوى والتونسى	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥٨ — ١٢٦٠	كيمياء	؟	الأول ٦٧٦ والثانى ٤٩٤ والثالث ٤٤٠	فى آخره ذيل لأسماء المواد والآلات مرتب على المعجم وملحق لشرح١٨لوحةإيضاحية
٧٨ *	إتحاف الملوك الالبا بتقدم الجمعيات فى بلاد أوربا (وهو مقدمة تاريخ شارل الخامس)	روبرتسون Robertson	خليفة محمود	رفاعة	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥٨	تاريخ	؟	١	فى آخره ذيل لشرح الكلمات الغريبة . موضوعه تاريخ أوربا من انقراض الدولة الرومانية إلى أوائل ق١٦ . عن ترجمةفرنسية للكتاب

الرقم	اسم الكتاب	المؤلف	المترجم	المصحح	اللغة		مكان الطبع	سنة الطبع	الفن	الثمن	الأجزاء الصفحات	ملاحظات
					عن	الى						
٧٩ *	روضة النجاح الكبرى فى العمليات الجراحية الصغرى	عن كتب مختلفة	محمد على البقلى	الشيخان التونسى والقناياتى	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥٩ (١٨٤٣)	طب	؟	١=٢٤٦	تم طبعه فى ١٠ القعدة ١٢٥٩
٨٠	رسالة فى مرض الحمى	كلوت بك	؟	؟	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥٩	طب	؟	١	
٨١	أحسن الأغراض فى التشخيص ومعالجة الأمراض	؟	الدكتور محمد الشافعى	؟	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥٩	طب	؟	٢	
٨٢ *	الطب العملى	واتيل	محمد عبد الفتاح	الشيخ كساب	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥٩	طب بيطرى	؟	١=٢١٤	
٨٣	ترجمة مبادىء العلوم	ترجمة رفاعة إلى العربية	محمد عصمت افندى	—	العربية	التركية	بولاق	١٢٥٩	هندسة	؟	١=١٣٣	
٨٤ *	افاضة الأذهان فى رياضة الصبيان	؟	محمد الشيمى	—	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥٩	حساب	؟	١=١٥٤	مقالتان فى الحساب والهندسة . ترجم لأولاد وأحفادمحمدعلى وتلاميذ المبتديان
٨٥	ترجمة إفاضة الاذهان فى رياضة الصبيان	؟	على افندى جيزه لى	—	العربية	التركية	بولاق	١٢٥٩	حساب	؟	١=١٧٩	فى نهاية لوحتان
٨٦	رضاب الغانيات فى حساب المثلثات	؟	أحمد دقلة	؟	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥٩	حساب مثلثات	؟	١	فى آخره لوحة بها أشكال
٨٧	أجل الأسباب فى أحل الاكتساب	طايو الانجستانى	فرعون	الشيخ نصر أبو الوفا الهورينى	الفرنسية	العربية	مخطوط	بخط الهورينى ١٢٥٩	زراعة	—	١	بدارالكتب رقم٨٥زراعة.فرغ الهورينى من كتابته فى ١٠ رمضان

الرقم	اسم الكتاب	المؤلف	المترجم	المصحح	اللغة من	اللغة الى	مكان الطبع	سنة الطبع	الفن	الثمن	الاجزاء الصفحات	ملاحظات
٨٨ *	قرة النفوس والعيون بسير ما توسط من القرون .	؟	مصطفى سيد أحمد الزرابى	رفاعه و الشيخ قطه العدوى	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٦٠ (١٨٤٤)	تاريخ	؟	١ — ٢٦٨ ٢ — ٣٥٩	تاريخ للعصور الوسطى تكملة لكتاب بداية القدماء .
٨٩	بهجة الرؤساء فى أمراض النساء .	؟	احمد الرشيدى		الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٦٠	طب	؟	١	
٩٠	مشكاة اللائذين فى علم الاقرباذين .	لابتوت	محمد عبد الفتاح	؟	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٦٠	طب	؟	١	فى تقويم النيل ٢ — ٦٠٣ « مشكاة الأندية فى علم الاقرباذين » .
٩١ *	كنوز الصحة ويواقيت المنحة .	كلوت بك	محمد الشافعى	الشيخ التونسى و دكتور برون	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٦٠	طب	؟	١=٢٧٩	
٩٢ *	الدرر الغوال فى معالجة أمراض الأطفال . Maladie des Enfants.	كلوت بك	محمد الشافعى	الشيخ التونسى	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٦٠	طب	؟	١	
٩٣	ترجمة تربية الأطفال (ترجمة تركية للكتاب السابق)	كلوت بك	مصطفى رسمى الجركسى	—	العربية	التركية	بولاق	١٢٦٠	طب	؟	١= ١٣٥	ترجم بإشارة أدهم بك

الرقم	اسم الكتاب	المؤلف	المترجم	المصحح	اللغة عن	اللغة الى	مكان الطبع	سنة الطبع	الفن	الثمن	الاجزاء الصفحات	ملاحظات
٩٤	رسالة فى الطب البيطرى	؟	فرعون	الشيخ كساب	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٦٠	طب بيطرى	؟	١	
٩٥ *	البهجة السنية فى أعمار الحيوانات الأهلية	دكتور جيرار Dr. Girard	محمد عبدالفتاح	الشيخ كساب	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٦٠	طب بيطرى	؟	١=١١١	أنتهت الترجمة فى ١٣ ربيع الاول . والطبع فى أوائل رجب
٩٦ *	مختصر علم الميكانيكا	؟	أحمد فايد	صالح مجدى	الفرنسية	العربية	مطبعة المهندسخانة	١٢٦٠	ميكانيكا	؟	١=٢٩٦	طبع حجر
٩٧ *	القانون الرياضى فى فن تخطيط الأراضى	؟	إبراهيم رمضان	—	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٦٠	مساحة	؟	١	فى آخره ٩ لوحات
٩٨ *	تهذيب العبارات فى فن أخذ المساحات	لوكوه	السيد عمارة	بيومى أفندى والشيخ قطه العدوى ورفاعة	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٦٠	مساحة	؟	١=١٧٢	فى آخره ١٤ لوحة متقنة الطبع والتلوين
٩٩ *	اتحاف ملوك الزمان بتاريخ الامبراطور شرلكان (أنظر الكتاب رقم ٧٨ فهو مقدمة لهذا)	روبرتسون	خليفة محمود	رفاعة	ترجمة فرنسية للكتاب	العربية	بولاق	١ = ١٢٦٠ ٢ = ١٢٦٢ ٣ = ١٢٦٦	تاريخ	؟	١=٢٦٩ ٢=٢٤٩ ٣=٢٧٢	فى آخره ذيل لشرح الكلمات الغريبة

الرقم	اسم الكتاب	المؤلف	المترجم	المصحح	اللغة		مكان الطبع	سنة الطبع	الفن	الثمن	الأجزاء والصفحات	ملاحظات
					عن	الى						
١٠٠ *	كشف رموز السر المصون فى تطبيق الهندسة على الفنون	؟	عيسوى زهرن صالح مجدى محمد الحلوانى	؟	الفرنسية	العربية	بولاق	١=١٢٦٢ ٢—١٢٦٢ ٣—١٢٦٨	هندسة	؟	٣	فى آخره ٤ لوحات بها أشكال
١٠١	ترجمة كنوز الصحة (ترجمة تركية للكتاب رقم ٩١)	كلوت بك	مصطفى رسمى الجركسى	—	العربية	التركية	بولاق	١٢٦١ (١٨٤٥)	طب	؟	١—٤٢٩	ترجم باشارة أدهم بك
١٠٢ *	نزهة الاقبال فى مداواة الأطفال	؟	أحمد الرشيدى	—	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٦١	طب	؟	١	
١٠٣ *	اللآلى البهية فى الهندسة الوصفية	؟	ابرهيم رمضان	الشيخ دسوقى	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٦١	هندسة وصفية	؟	١	
١٠٤	الروضة البهية فى مداواة الأمراض الجلدية	؟	أحمد الرشيدى	—	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٦٢ ١٢٦٣	طب	؟	٢	
١٠٥	نخبة الأمائل فى علاج تشوهات المفاصل	؟	أحمد الرشيدى	—	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٦٢ ١٢٦٣	طب	؟	١	طبع مع الكتاب السابق كملحق له يكون الجزء الثالث
١٠٦	قانون الصحة البيطرية	لويس غرونيه	محمد عبد الفتاح	—	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٦٢ (١٨٤٦)	طب بيطرى	؟	١—٢٦٥	
١٠٧ *	المنحة لطالب قانون الصحة	غرونيه	محمد عبد الفتاح	؟	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٦٢	طب بطرى	؟	١	أنتهت ترجمته فى شعبان ١٢٦١
١٠٨ *	سياحة فى امريكا	هنرى مركام	سعد نعام	رفاعة وقطة	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٦٢	رحلات	؟	١—١١٩	أمر بترجمته ديوان المدارس

الرقم	اسم الكتاب	المؤلف	المترجم	المصحح	اللغة		مكان الطبع	سنة الطبع	الفن	الثمن	الأجزاء والصفحات	ملاحظات
					عن	الى						
١٠٩	ترجمة رسالة فى بيان حدود وأحوال وكيفية أهالى أمريقا (ترجمة تركية للكتاب السابق)	هنرى مركام	عبد الله أفندى العينتابى	—	العربية	التركية	الاستانة	؟	رحلات	؟	١—١٣٩	امر بترجمته ديوان المدارس
١١٠	غاية المرام فى الادوية والأسقام	؟	فرعون	الشيخ كساب	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٦٣ (١٨٤٧)	بيطرى	؟	١	
١١١	ثمرة الاكتساب فى علم الحساب	؟	بيومى	الدسوقى	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٦٣	حساب	؟	١—٤٠٠	
١١٢ *	تعريب الامثال بتهذيب الاطفال	؟	عبد اللطيف أفندى	—	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٦٣	تربية	؟	١—١٣٢	
١١٣	ترجمة كلستان سعدى	سعدى	جبرائيل يوسف مخلع	—	الفارسية	العربية	بولاق	١٢٦٣	أدب	؟	١—١٨٢	طبع النص الفارسى فى بولاق فى ١٢٤٤ و ١٢٥٧ وكان ثمنه ١٢
١١٤	التنوير فى قواعد التحضير	؟	محمد الشباسى	؟	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٦٤ (١٨٤٨)	طب	؟	١	
١١٥ *	مجمع الغرر فى سياسة البقر	يوسف روبنيه	عطية افندى	الشيخ كساب	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٦٤	بيطرى	؟	١	تم تصحيحه فى ٢ صفر وطبع فى ١٢ شعبان ١٢٦٤
١١٦ *	علم تحرك السوائل	بيلانجيه	احمد فايد	الدسوقى	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٦٤	هدروليك	؟	١—٢٣٠	قابله على الاصل صالح مجدى
١١٧	جامع الثمرات فى حساب المثلثات	؟	بيومى	—	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٦٤	ح مثلثات	؟	١	فى آخره لوحة واحده بها أشكال
١١٨ *	تاريخ ملوك فرنسا (من مبدأ ملكهم إلى الملك لوى فيليب)	مونيقورس	حسن قاسم	رفاعة وقطة	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٦٤	تاريخ	؟	١—٣٧٩ +٦٨ المعجم	على طريقة السؤال والجواب وينتهى بتاريخ فرنسا إلى ٨٤٠

الرقم	اسم الكتاب	المؤلف	المترجم	المصحح	اللغـــة		مكان الطبع	سنة الطبع	الفن	الثمن	الأجزاء وصفحات	ملاحظـــات
					من	الى						
١١٩ *	سياحة الهند	أوبين ثرولد	ابراهيم البياع	الشيخ فرغلي ورفاعه	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٦٥ (١٨٤٩)	رحلات	؟	١ــ١٦٣	رحلة المؤلف إلى الهند فى ١٨٣٧ .
١٢٠ *	التنقيح الوحيد فى التشريح الخاص الجديد	كروو ليه	محمد الشباسى	القنباق والتونسى	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٦٦ (١٨٥٠)	طب	؟	٣= ١٣٣٠	
١٢١ *	الروض الأزهر فى تاريخ بطرس الأكبر Histeire de l'Impire de Russie sous Pierre Le Grand	فولتير Voltaire	أحمد عبيد الطهطاوى	رفاعه وقطه	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٦٦	تاريخ	؟	١=٣٤٨	
١٢٢ *	الروضة الزهرية فى الهندسة الوصفية	؟	ابراهيم رمضان ومنصور عزمى	الدسوقى	الفرنسية	العربية	المهندسخانة	١٢٦٨ (١٨٥٢)	هندسة وصفية	؟	٣=١٥٨	مجلد واحد . طبع حجر
١٢٣	المنحة اللدنية فى الهندسة الوصفية	؟	ابراهيم رمضان	؟	الفرنسية	العربية	«	١٢٦٩ (١٨٥٣)	ه . وصفية	؟	١	الجزء الأول فقط. طبع حجر
١٢٤	النخبة الحسابية للمدارس العسكرية	؟	صالح مجدى	—	الفرنسية	العربية	«	١٢٦٩	حساب	؟	١	
١٢٥	الدرة السنية فى الحسابات الهندسية	؟	؟	؟	الفرنسية	العربية	«	١٢٦٩	هندسة	؟	١	
١٢٦ *	الدر المنثور فى الظل والمنظور	اختيار ابراهيم رمضان بالفرنسية	صالح مجدى	—	الفرنسية	العربية	«	١٢٦٩	هندسة	؟	١	انتهت الترجمة فى ٥ رجب ١٢٦٥
١٢٧	حساب التمام والتفاضل Calcul Intégral et différentiel.	؟	محمود أحمد	؟	الفرنسية	العربية	؟	؟	حساب	؟	١	

الرقم	اسم الكتاب	المترجم	اللغـــة		مكان الطبع	سنة الطبع	الثمن	الأجزاء والصفحات	ملاحـــظات
			عن	الى					
١٢٨ *	وصايانامه سفرية (وهى وصايا فردريك الأكبر الحربية لقواده فى ١٧٦٠)	شانى زاده محمد عطاء الله	الفرنسية	التركية	بولاق	أرجح أن تكون ١٢٣٨	؟	١ = ١٤٥ قطع صغير	ترجمه فى ١٢٢٠ « الطبع ردىء » والحروف معتلة مما يرجح طبعه فى ١٢٣٨ . قارنه بكتاب الصباغة
١٢٩ *	ترجمة قوانين العساكر الجهادية	شانى زاده محمد عطاء الله	الفرنسية	التركية	بولاق	١٢٣٨ (١٨٢٢ — ١٨٢٣)	؟	١	فرغ من ترجمته فى سنة ١٢٢١
١٣٠	قانون نامه احمد افندى Règlements Militaires.	احمد افندى؟	الفرنسية	التركية	بولاق	رجب ١٢٣٨ مارس ١٨٢٣	؟	١	طبع ثانية فى شوال ١٢٤٥ (مارس سنة ١٨٣٠)
١٣١ *	قانون نامه عساكر بيادكان جهادية	احمد خليل افندى	الفرنسية	التركية	بولاق	رجب ١٢٣٨	؟	١ = ١٩٨ قطع صغير	ترجم بأمر محمد على وطبع ثانية فى ١٢٤٥ لنفاد الطبعة الأولى
١٣٢	تعليم نامه بيادكان Ecole du fantassin.	؟	الفرنسية	التركية	بولاق	القعدة ١٢٣٩ (يوليو ١٨٢٤)	؟	١ = ١٩٠	
١٣٣	القانون الثانى فى درس العسكرى Seconde règle des leçons militaires.	؟	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٣٩	؟	١	
١٣٤	تلخيص الأشكال Exposition des figures,	حسين رفقى	الفرنسية	التركية	بولاق	١٢٣٩	؟	١	
١٣٥	آلاى تعليمى Ecole du régiment et évolution de ligne.	؟	الفرنسية	التركية	بولاق	١٢٤٠ (١٨٢٤)	؟	١	

الملحق الثانى

قائمة بالكتب الحربيـــة والبحرية

التى ترجمت فى عصر محمد على

ملاحظات عامة :

١ ــ معظم هذه الكتب ترجم عن الفرنسية إلى التركية . والنادر منها ترجم إلى العربية .

٢ ــ لم يذكر على كتاب منها اسم المؤلف ، وهذا راجع إلى أن جلها . أن لم يكن كلها . كتب قوانين وتعليمات مما تضعه الحكومات لا الأفراد .

٣ ــ كذلك لم يذكر على هذه الكتب اسم مترجميها إلا فى النادر . كبعض الكتب التى ترجمها عثمان نور الدين أو أحمد خليل .

٤ ــ كانت اللوحات الايضاحية الملحقة بهذه الكتب تنشر كما هى فى الأصل أى بأرقامها وبياناتها الفرنسية . ولكنها منذ سنة ١٢٥٢ أصبحت تنشر والأرقام والبيانات مكتوبة بحروف عربية .

الرقم	اسم الكتاب	المترجم	اللغات عن	اللغات الى	مكان الطبع	سنة الطبع	الثمن	الأجزاء والصفحات	ملاحظات
١٣٦ *	قانون رابع أورطة تعليمى بيانندەدر	؟	الفرنسية	التركية	بولاق	المحرم ١٢٤٠	؟	١=٢٣٠	
١٣٧ *	تعليم نامهٔ عساكر بيادكان (القانون الخامس . جلداول)	؟	الفرنسية	التركية	بولاق	١٢٤٠ والملحق فى ١٢٤١	؟	١=٢٣٠ + ملحق لشرح ٤٠ شكلا إيضاحيا	اللوحات الأخيرة فيها دليل كاف على ان هذه القوانين ترجمت عن الفرنسية . إذ عليها كلمات وأرقام بهذه اللغة .
١٣٨	لغم رسالهٔ سى Traité des mines on usage à la guerre	؟	الفرنسية	التركية	بولاق	١٢٤١	؟	١	فى آخره أشكال ايضاحية
١٣٩ *	قانون نامهٔ طوبجيان بحريهٔ جهادية Règlements d'artillerie de la marine militaire	أحمد خليل أفندى	الفرنسية	التركية	بولاق	(شعبان ١٢٤٢ فبراير ١٨٢٧)	؟	١ + ٤ لوحات	ترجم باشارة محمد على
١٤٠	أصول المعارف فى تصنيف سفاينٔ دونناوفن تدبيرٔ حركاتها Traité de l'alignement des vaisseaux de guerre et de leurs manouvres.	؟	الفرنسية	التركية	بولاق	ربيع آخر ١٢٤٢ (نوفمبر ١٨٢٦)	؟	١	
١٤١	مفتاح الداوريه فى اثبات القوانين الدرية	؟	؟	العربية	بولاق	ربيع آخر ١٢٤٢	؟	١	
١٤٢	قانون نامهٔ بحريهٔ جهادية	أحمد خليل أفندى	الفرنسية	التركية	بولاق	١٢٤٢	؟	١=١٤٢ قطع صغير	

الرقم	اسم الكتاب	المترجم	اللغة عن	اللغة الى	مكان الطبع	سنة الطبع	الثمن	الاجزاء الصفحات	ملاحظات
١٤٣	سياسة نامهٔ جهاديهٔ بحرية Code de discipline pour les troupes de le marine,	عثمان نور الدين	الفرنسية	التركية	بولاق	١٢٤٢	؟	١	
١٤٤	ترجمة قانون نامهٔ سفاين بحريهٔ جهادية	عثمان نور الدين	الفرنسية	التركية	بولاق	رجب ١٢٤٣ (فبراير ١٨٢٨)	؟	١=٢٥٦	ترجم باشارة محمد على
١٤٥	تعليم نامهٔ عساكر بيادكان	عثمان نور الدين وأحمد خليل	الفرنسية	التركية	بولاق	١٢٤٥ (١٨٢٩ — ١٨٣٠)	؟	١=١٧٩+٢٠ لوحة	
١٤٦ *	قانون نامهٔ عساكر سواريان جهادية	عثمان نور الدين	الفرنسية	التركية	بولاق	١٢٤٥	؟	١=٢٨٨	
١٤٧	خدمت الاونباشية Le service du Caporal	؟	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٤٦ (١٨٣٠ — ١٨٣١)	؟	١	
١٤٨ *	تعليم نامهٔ طوبجيان جهاديهٔ برية	؟	الفرنسية	التركية	بولاق	١٢٤٦	؟	١=٤٩٦	كتاب ضخم يشتمل على القوانين الخمسة للطوبجية
١٤٩	«طوبجية بغير أشكال» Le manuel de l'artilleur sans figures.	؟	الفرنسية	التركية	بولاق	١٢٤٦	٢٤ق و١٢ ب	١	
١٥٠	طوبجية بأشكال	؟	الفرنسية	التركية	بولاق	١٢٤٦	٤٥ق و١٤ب	١	الكتاب السابق وبه أشكال ايضاحية
١٥١	تعليم نامهٔ عساكر سواريان جهادية Réglement pour la Cavaleries	؟	الفرنسية	التركية	بولاق	١٢٤٦	١٨ ق	١=٤٢٨	

الرقم	اسم الكتاب	المترجم	اللغة عن	اللغة إلى	مكان الطبع	سنة الطبع	الثمن	الاجزاء والصفحات	ملاحظات
١٥٢ *	عساكر پيادكان خفيفة نك سفرده أولان فريضة ذمة وخدمتلرينى مبين	؟	الفرنسية	التركية	بولاق	جماد أول ١٢٤٧ (أكتوبر ١٨٣١)	؟	١ = ٣٠ + ٣ لوحات	رسالة صغيرة
١٥٣ *	قانون رابع أورطة تعليمى بياننده در (جلد ثانى)	؟	الفرنسية	التركية	بولاق	شعبان ١٢٤٨ (ديسمبر ١٨٣٢)	؟	١=٢٢٢+٤٨ صفحة لشرح ١٨ لوحة	قطع متوسط
١٥٤ *	تعليم نامهٔ سونكى	؟	الفرنسية	التركية	بولاق	١٢٤٨	؟	١=٢٤+٢١ لوحة	
١٥٥	فى تعليم الحربة والمزراق Théorie du maniement de la baionnette et de la lance	؟	الفرنسية	التركية	بولاق	١٢٤٨	١٥ ق	١	
١٥٦ *	تعليم نامهٔ عساكر پيادكان	؟	الفرنسية	التركية	بولاق	١٢٤٨	؟	١=١٩١ ٢=٢٢٣ ٣=٢٢٦	فى آخر الأول ١٤ لوحة و ج ٢ ٣٨ لوحة ، ج الثالث ٤١ لوحة
١٥٧ *	تعليم النفر والبلك (ج ١ من تعليم نامهٔ المشاة)	؟	التركية	العربية	مطبعة الجهادية	١٢٤٩ (١٨٣٣—١٨٣٤)	؟	١=٩٦	ترجم عن الفرنسية وعنها الى العربية فى آخره ٤٤ لوحة و ١٩ صفحة لتفسيرها
١٥٨ *	قانون أول تعليم نامهٔ آلاى	؟	الفرنسية	التركية	»	صفر ١٢٥٠ (يونيو ١٨٣٤)	؟	١=١٩١	فى آخره ١٤ لوحة . طبع ثانية فى بولاق فى ١٠ صفر ١٢٥٤
١٥٩	قوماندارى سوارى Commandement de la Cavalerie.	؟	»	»	بولاق	١٢٥٠	٢٥ ق	١	
١٦٠ *	قانون الباورد Traité de la fabrication de la poudre	؟	»	»	م . الجهادية	١٢٥٠	١٤ ق و ٣٠ ب	١=١٤٦	قطع صغير ، ترجم باشارة محمد على

الرقم	اسم الكتاب	المترجم	اللغات من	اللغات الى	مكان الطبع	سنه الطبع	الثمن	الاجزاء الصفحات	ملاحظات
١٦١ *	قانون پيادة داخلية	؟	الفرنسية	التركية	مطبعة الجهادية	١٢٥٠	؟	١=٢٠٨	فى آخره ٧ لوحات . ترجم بإشارة محمد على
١٦٢	طوبخانة وجبخانة De l'arsenal et des munitions de guerre.	؟	»	»	بولاق	١٢٥١ (١٨٣٥—١٨٣٦)	١٢ ق و ٢٠ ب	١	
١٦٣	قانون أول وثانى سوارى Premier et seconde Règlements pour l'instruction de la Cavalerie.	؟	»	»	بولاق	١٢٥١	١٦ قرشا و ٢٠ بارة	١	
٦٤	قانون رابع وخامس سوارى Quatrieme et cinquieme Règlements pour l'instruction de la Cavalerie.	؟	»	»	بولاق	١٢٥١	١٨ ق	١	
١٦٥	قواعد حربية Principes de l'Art Militaire	؟	»	»	بولاق	١٢٥١	١٥ ق	١	
١٦٦	أشكال سوارى Planches ou Fiures pour l'instruction de la Cavalerie'	؟	»	»	بولاق	١٢٥١	٤٠ ق	١	

الرقم	اسم الكتاب	المترجم	اللغة عن	اللغة الى	مكان الطبع	سنة الطبع	الثمن	الأجزاء والصفحات	ملاحظات
١٦٧ *	قانون ثالث سوارى أو تعليم نامهٔ عساكر سوارياندن قانون ثالى Troisiéme Réglement pour l'instruction de la Cavalerie.	كانى بك Kany Bey	الفرنسية	التركية	بولاق	١٢٥١	؟	١=٢٧٨	قطع متوسط
١٦٨	تحفهٔ الضابطان Le manuel dee officiers, théorie de l'infanterie et de la cavalerie.	كانى بك	الفرنسية	التركية	بولاق	١٢٥١	١١ ق	١	
١٦٩ *	تعليم نامهٔ بيادكان (قانون خامس)	؟	الفرنسية	التركية	بولاق	١٢٥٢ (١٨٣٦ — ١٨٣٧)	؟	١=٢٥٤	فى نهايته ٦٤ لوحة ، وفيه بدئ بكتابة بيانات اللوحات بحروف عربية
١٧٠ *	قانون رابع آلاى تعليمى بيان ايدر	؟	الفرنسية	التركية	بولاق	٢٦ المحرم ١٢٥٢	؟	١=١١٢	فى نهايته ٤٧ جدولا
١٧١	كتاب عمل البارود	سليم أفندى	الفرنسية	العربية	بولاق	١٢٥٢	؟	١	المترجم عضو بعثة ١٢٤١
١٧٢ *	تعليم نامهٔ بيادة (جلد أول)	؟	الفرنسية	التركية	بولاق	١٢٥٤ (١٨٣٨)	؟	١=١٩١	قطع صغيرة ، فى نهايته ١٤ لوحة
١٧٣	نفرو بلك Soldat et Compagnie.	؟	الفرنسية	التركية	بولاق	١٢٥٤	١٨ ق	١	
١٧٤	تريف نامهٔ يعنى كتاب فى ترتيب العساكر Enseignement et Organisation Militaire.	؟	الفرنسية	التركية	بولاق	١٢٥٤	٦٢ ق و ٣ ب	١	

الرقم	اسم الكتاب	المترجم	اللغة عن	اللغة الى	مكان الطبع	سنة الطبع	الثمن	الأجزاء والصفحات	ملاحظات
١٧٥	تعليم آلاى Exercice de l'infanterie	؟	الفرنسية	التركية	بولاق	١٢٥٥ (١٨٣٩ — ١٨٤٠)	٢٥ ق	١	
١٧٦	تعليم أورطة Exercice de l'infanterie par compagnie.	؟	»	»	»	١٢٥٥	٣٠ ق	١	
١٧٧	تعليم الأورطة	؟	التركية	العربية	»	١٢٥٥	١٧ ق	١	الكتاب السابق مترجم الى العربية
١٧٨	لائحة مواعيد المهمات فى قواعد مهمات الجهادية Des approvisiennements et des munitions de guerre	؟	الفرنسية	التركية	»	١٢٥٥	١٥ ق و ٣٠ ب	١	
١٧٩ *	تعليم نامهٔ عساكر بيادكان (القانون الخامس . جلد ثالث)	؟	الفرنسية	التركية	»	١٢٥٦ (١٨٤٠)	؟	١ = ٢٥٤	فى نهايته ٤٣ لوحة
١٨٠	قانون الطوبجية الجديد Réglement pour la nouvelle artillerie à cheval.	؟	؟	»	»	١٢٥٧ (١٨٤١)	؟	١	
١٨١	تعليم آلاى عربى Ecole du régiment pour l'infanterie.	؟	»	العربية	»	١٢٥٧	٤ ق و ٢٠ ب	١	
١٨٢ *	قانون نامهٔ فى بيان خدامات القلعة والقشلاق	؟	»	»	»	١٢٥٨ (١٨٤٢)	؟	١ = ٢٤٢	

الرقم	اسم الكتاب	المترجم	اللغة عن	اللغة إلى	مكان الطبع	سنة الطبع	الثمن	الأجزاء والصفحات	ملاحظات
١٨٣	قانون السفرية	رمضان عبدالقادر	الفرنسية	التركية	بولاق	١٢٥٩ (١٨٤٣)	؟	١	
١٨٤	قانون نامه فى بيان عملية الترع والجسور بالاقاليم المصرية	؟	التركية	العربية	»	١٢٦٠ (١٨٤٤)	؟	١=٢٠	رسالة صغيرة ومعها النص التركى
١٨٥	قانون نامه بيان قصاصات الكورنتينة والنظافة	؟	الفرنسية	»	»	١٢٦٠	؟	١	
١٨٦ *	تعليمات العساكر السوارية على الخيل (قانون خامس جلد ثان)	؟	»	التركية	»	١٢٦٤ (١٨٤٨)	؟	١=٦٤	فى نهايته ٤ لوحات
١٨٧	تعليم عساكر خفيفة Instruction pour l'infanterie légére.	؟	»	»	»	؟	٩ ق	١	هذا الكتاب وما يليه بدون تاريخ فآثرت اثباتها فى الآخر .
١٨٨	فى تعمير الأسلحة De la réparation et de l'entretion des armes	؟	»	»	»	؟	١٨ق	١	
١٨٩	ترتيب اوردو Organisation et disposition des camps,	؟	»	»	»	؟	١٢ق و٢٠ب	١	
١٩٠ *	قانون نامه عساكر بيادكان جهادية	أحمد خليل أفندى	»	»	»	؟	؟	١=١٩٩	قطع صغير
١٩١ *	تعليمات البيادة ومنوراتها (كذا)	البكباشى احمد عبيد أفندى	»	العربية	»	؟	؟	١=٣٦٥	قطع صغير . فى نهايته ٢٧ صفحة لشرح ٤ لوحات . و٢٤ نوته موسيقية لادوار سير الجند .

تعقيبات وتطبيقات احصائية

« بنيت هذه التطبيقات الاحصائية على الجدوالين السابقين . وفيهما كل ما استطعت الوصول اليه من بيانات عن الكتب التى ترجمت ولا تزال موجودة ، أما ان ظهرت هناك كتب أخرى ، فانه يجب اضافتها وبالتالى يجب تعديل هذه الاحصاءات » .

١ — بيان ما ترجم عن كل لغة والى كل لغة فى كل علم وفن

العلم أو الفن	ط.ع	ف ع	ف ت	ع.ت	ت.ع	فا.ع	الجملة
قواميس	١						١
أدب				١		١	٢
تربية		١					١
منطق		١					١
تاريخ فلسفة		١					١
تاريخ		٨	٤	٢			١٤
جغرافيا		٣					٣
رحلات		٢		٢			٤
جيولوجيا		١					١
رسم خرط ومساحة		٣					٣
اجتماع		١					١
سياسة ونظم حكم	١				١		٢
طب بشري	١	٣١		٢			٣٤
طب بيطري		٢١	١				٢٢
صيدلة		٢					٢
طبيعة		١					١
كيمياء ومعادن		٣					٣
زراعة ونبات		٣					٣
هندسة		٥	٢	١	٢		١٠
هندسة وصفية		٤					٤
جبر		١					١
حساب		٤		١			٥
حساب مثلثات		٢					٢
ميكانيكا		٣	١				٤
هدروليكا		٢					٢
فنون حربية وبحرية		٨	٥٣		٣		٦٤
الجملة	٣	١١١	٦١	٩	٦	١	١٩١

ط : ايطالي ع : عربي ف : فرنسي ت : تركي فا : فارسي

يتضح من هذا الجدول أن أكثر الكتب التي ترجمت كانت فى الفنون الحربية والبحرية ، فقد ترجم فيها ١١١ كتابا ، وهذا أمر بدهى لا يحتاج إلى تعليل ، فالجهود الحربية استنفدت معظم وقت وعناية محمد على وحكومته ؛ ويلى هذه الفنون الطب البشرى فقد ترجم فيه ٣٤ كتابا . وذلك للصلة الوثيقة بين مدرسة الطب والجيش . ولأن هذه المدرسة كانت أول مدرسة خصوصية أنشئت فى عصر محمد على ، وقد كان لنظارها جميعا عناية خاصة بالترجمة . أما الطب البيطرى فقد ترجم فيه ٢٢ كتابا . والعلوم الرياضية بفروعها المختلفة ترجم فيها ٣١ كتابا .

أما الدراسات الأدبية فلم تلق من العناية قدر ما لقيت العلوم والفنون العملية ، ومع هذا فقد كان التاريخ أكثرها حظا فترجم فيه ١٤ كتابا ، وتليه الجغرافيا وما يتصل بها من علوم ، كالرحلات ، والجيولوجيا ، وترجمت فيها ٨ كتب .

وكانت العلوم النظرية البحتة أقل حظا من غيرها ، فترجم فى الأدب كتابان ، وفى المنطق كتاب ، وفى الاجتماع كتاب ، وهذا أمر طبيعى تفسره روح العصر ، غير أنه لو كان قد امتد الأجل بمدرسة الألسن لكان نصيب هذه العلوم أكبر من هذا النصيب .

كذلك نلاحظ من هذا الجدول أن العدد الأكبر من الكتب المترجمة نقل عن الفرنسية إلى العربية . وتفسير هذا راجع إلى أن طلبة المدارس الخصوصية — عدا المدارس الحربية والبحرية فى سنيها الأولى — كانوا مصريين ، فكان لا بد أن تترجم لهم الكتب إلى اللغة العربية ، ويلى هذا الكتب المترجمة عن الفرنسية إلى التركية وعددها ٦١ كتابا ، وذلك لأن معظم الكتب الحربية والبحرية قد نقلت إلى اللغة التركية .

وترجم عن اللغة العربية إلى التركية ٩ كتب ، وكلها ترجمات عن الفرنسية إلى العربية ثم أعيد ترجمتها عن العربية إلى التركية . ليسهل على من لا يفقه العربية من رجال الدولة أو تلاميذ المدارس أو المواطنين استعمالها

كذلك نقلت ستة كتب من التركية إلى العربية ، اثنان منها ترجما أصلا عن الفرنسية إلى التركية ، ثم أعيدت ترجمتها عن التركية إلى العربية لنفس الغرض السابق .

وهناك ٣ كتب نقلت عن الايطالية إلى العربية ، أولها قاموس ، وثانيها فى السياسة ، وثالثها فى الطب ، وكلها من ترجمة الأب رفاييل زاخور . وترجع للسنين الأولى من تاريخ الحركة .

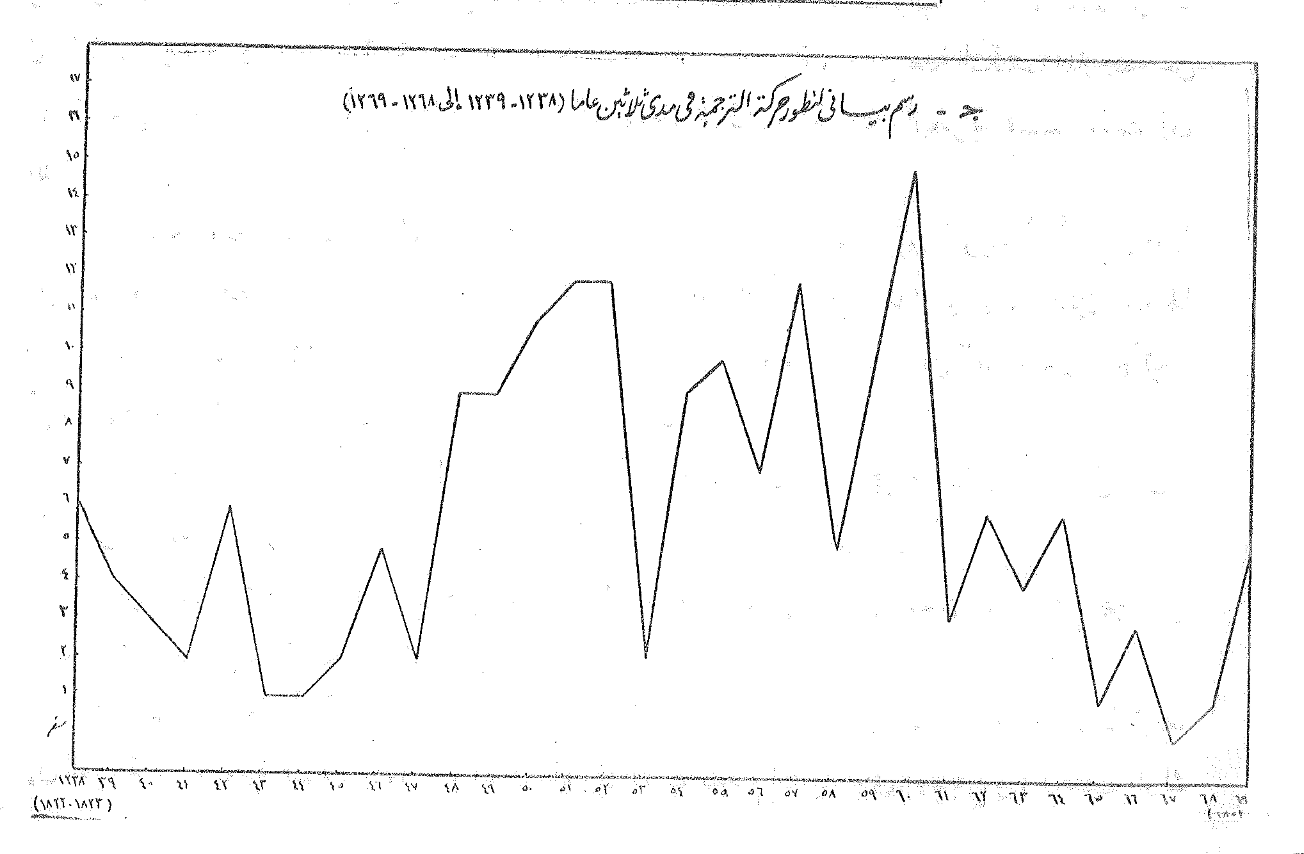
وأخيرا هناك كتاب وحيد ترجم عن الفارسية إلى العربية ، وهو كلستان سعدى ، وترجمه جبرائيل يوسف مخلع بدافع من نفسه لا بدافع من الحكومة .

وفى النهاية نلاحظ أن كتابين من الكتب التاريخية كانا فى الأصل باللغة الانجليزية ولكنهما ترجما إلى العربية عن ترجمة فرنسية ، وهما : (اتحاف الملوك الالبا بتقدم الجمعيات فى أوربا) و (اتحاف ملوك

الزمان بتاريخ الأمبراطور شارلكان) ، ويشبههما فى هذا كتاب من كتب الطب هو « ضـــياء النيرين فى مداواة العينين » .

ب – بيان ما هو مخطوط وما طبع فى المطابع المختلفة من الكتب المترجمة

مخطـــوط	٤
مطبعة بولاق	١٧١
« ديوان الجهادية	٦
« مدرسة المهندسخانة	٥
« مدرسة الطب بأبى زعبل	٢
« سراى رأس التين باسكندرية	٢
« الاســـتانة	١
المجموع	١٩١


جـ - رسم بيـانى لتطور حركة الترجمة فى مدى ثلاثين عاما (١٢٣٨-١٢٣٩ الى ١٢٦٨-١٢٦٩)

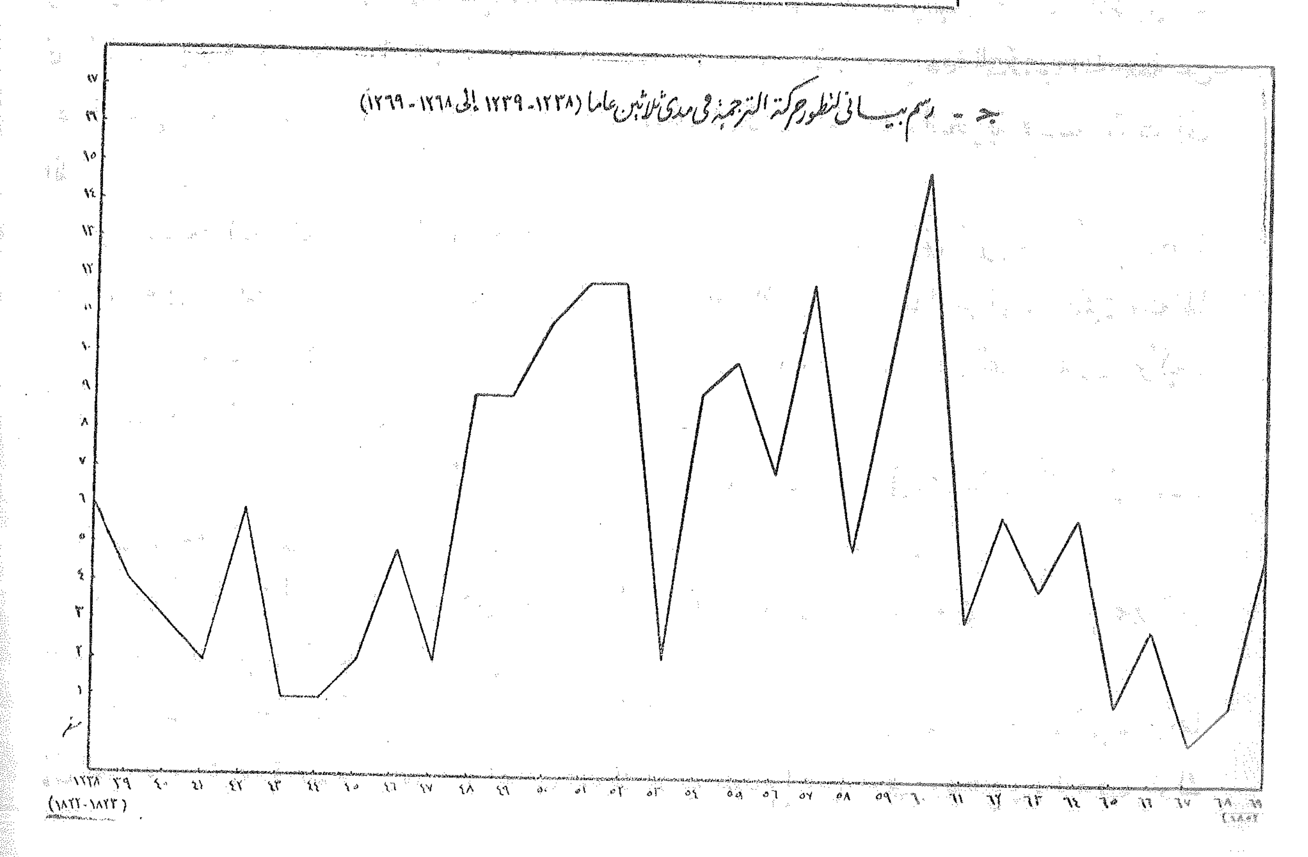
الملحق الثالث

نصوص مختلفة تشير إلى كتب ترجمت فى عصر محمد على غير ما ذكر فى الملحقين الأول والثانى . ولم يرد ذكرها فى فهارس دور الكتب أو معاجم الكتب المطبوعة .

الزمان بتاريخ الأمبراطور شارلكان) ، ويشبههما فى هذا كتاب من كتب الطب هو « ضـــياء النيرين فى مداواة العينين » .

ب — بيان ما هو مخطوط وما طبع فى المطابع المختلفة من الكتب المترجمة

مخطـــوط	٤
مطبعة بولاق	١٧١
« ديوان الجهادية	٦
« مدرسة المهندسخانة	٥
« مدرسة الطب بأبى زعبل	٢
« سراى رأس التين باسكندرية	٢
« الاســـتانة	١
المجموع	١٩١


جـ - رسم بيانى لتطور حركة الترجمة فى مدى ثلاثين عاما (١٢٣٨-١٢٣٩ إلى ١٢٦٨-١٢٦٩)

الملحق الثالث

نصوص مختلفة تشير إلى كتب ترجمت فى عصر محمد على غير ما ذكر فى الملحقين الأول والثانى . ولم يرد ذكرها فى فهارس دور الكتب أو معاجم الكتب المطبوعة .

١ — كتاب اللغات [1] الخمس — (سريوس افندى) .

« قرر مجلس الجهادية فى ٢٥ رجب ١٢٤٧ (١٨٣٢) بناء على التماس سريوس افنـــدى المترجم طبع الكتاب المشتمل على اصطلاحات اللغات الخمس السابق صدور أمر سعادة افندينا ولى النعم بطبعه بعد ترجمته واصلاحه بشرط أن يقوم المترجم بمباشرة طبعه وأن يذهب بذاته لمراجعة تصحيحه بالمطبعة ، ويكون بمعيته رجل خبير باللغات الثلاث » (الوقائع المصرية العدد ٣٤٨ . فى رمضان ١٢٤٧) .

٢ — تعليمنامة [2] الفرسان — (كانى بك . اسطفان افندى) .

« فى ٢٩ ربيع الثانى ١٢٤٨ (١٨٣٢) قرر مجلس الجهادية إرسال كانى بك أمير الآلاى ليكون فى معية أفندينا رئيس المعسكر المنصور . وأيضا القائمقام يعقوب أغا من النخيلة . وتعيين بدلها من يرى فيهم الكفاءة من رجال الجهادية ويحال على اسطفان افندى بقية ترجمة كتاب تعليمنامة الفرسان لمهارته فى اللغتين الفرنسية والتركية التى كان مكلفا به كانى بك . وترجم معظمه . وأن يسرع فى إتمامه » .
(الوقائع المصرية . العدد ٤٣٧ . فى ٩ جمادى الأولى ١٢٤٨)

٣ — ترجمة بقية أجزاء [3] تاريخ نابليون — (عزيز افندى) .

١ — فى ٢١ رمضان ١٢٤٨ أرسل ابراهيم باشا إلى سامى بك يوجب على عزيز افندى القائم بطبع كتاب نابليون بونابرت الجد والنشاط لإخراج الأجزاء الباقية .
(وثائق عابدين ، محفظة ٢٤٣ رقم ١٥٣ مكرر . انظر أسد رستم بيان بوثائق الشام . المجلد الثانى . ص ٢٥٢)
ب — فى ٨ شوال ١٢٤٨ أرسل زكى افندى إلى إبراهيم باشا يفيد أنه أرسل اليه ثلاثة أجزاء أخرى من كتاب تاريخ بونابرت الذى طبع حديثاً بمعرفة عزيز افندى .
(عابدين . دفتر ٢١٠ رقم ٤٠١ ، انظر أسد رستم ، المرجع السابق . م ٢ . ص ٢٦٨ و ٣٥٢ .

٤ — ترجمة تاريخ نابليون إلى اللغة العربية — (حسن افندى التتار) .

وفى الدفتر السابق (٢١٠) تحت رقم ٤٠٢ « اشارة إلى أن حسن افندى التتار نقل هذا الكتاب إلى اللغة العربية » (أسد رستم ، المرجع السابق م ٢ . ص ٢٦٨)

٥ — ترجمة أطلس جغرافى عن الفرنسية إلى العربية . (الشيخ رفاعة) .

صدر أمر من محمد على باشا إلى وكيل الجهادية فى ٥ ذى الحجة ١٢٤٩ . يشير بطبع ألف نسخة من كتاب [4] الجغرافيا المترجم من الفرنسية إلى العربية ، وكذلك ألف نسخة من الأطلس بعد اتمام ترجمته

(١) أرجح أن يكون المقصود باللغات الخمس : اللغات الثلاث العربية والفارسية والتركية ثم اللغتان الفرنسية والايطالية .
(٢) ترجمت لتعليم السوارى كتب أخرى كثيرة . انظر الملحق الثانى . الأرقام : ١٦٣ و ١٦٤ و ١٦٦ و ١٦٧ .
(٣) كان قد ترجم الجزء الأول من هذا الكتاب وهو المذكور فى الملحق الأول رقم ١٥ .
(٤) هو كتاب التعريبات الشافية . أنظر الملحق الأول . رقم ٢٨ . أما الأطلس فلم أعثر على ما يفيد أنه طبع إلا أن يكون هو الأطلس الذى أشار إليه Lord Lindsay فى كتابه Letters on Egypt, Edom and the Holy Land v. 1, P.50 فقد قال هناك : « ربما كان أنفع كتاب طبعه الباشا هو الأطلس العربى المنقول عن أطلس سبق أن وضعته الارساليات الدينية فى مالطة
Perhaps the most useful work the. Pasha has published is an atlas in arabic, copied from one the missionaries have executed at Malta,"

بمعرفة المذكور لما فى هذين الكتابين من المنفعة الكلية التى تعود على تلامذة المدارس .
(أمين سامى باشا . تقويم النيل . ج ٢ . ص ٤١٩) .

٦ — كتاب علاج الحيوان .

صدر أمر من محمد على باشا إلى وكيل الجهادية فى ٤ ربيع الثانى ١٢٥٠ . بطبع ألف نسخة من كتاب علاج الحيوان المختصة بصنعة البيطرية الذى صار ترجمته من اللغة الفرنسية إلى العربية حسب انهاء سليمان باشا للمجلس لما فيه من الفائدة والمزايا (تقويم النيل . ج ٢ . ص ٤٢٥)

٧ — قانون المستشفيات .

صدر أمر من محمد على باشا إلى وكيل الجهادية فى ١٦ جمادى الأول ١٢٥٠ بطبع مقدار وافر من قانون المستشفيات الذى تمت ترجمته بعد تنقيحه وموافقته لأصول الحكومة (تقويم النيل . ج ٢ . ص ٤٢٦)

٨ — كتاب المناورات الحربية . جمع وتأليف سليمان باشا الفرنساوى . ترجمة (كانى بك) .

(ا) صدر أمر من محمد على باشا إلى سليمان باشا الفرنساوى فى ٦ جمادى الآخرة ١٢٥٠ بأنه صار ممنوناً جدا من اهتمامه بجمع وتأليف كتاب المناورات الحربية من كتب أوربا الشاملة لذلك بقصد بث هذا الفن بين عساكره الجهادية . إذ أن ذلك مما كان فى حيز فكره . لأنه من الأمور المهمة الصالحة الخيرية . ولما كان مرغوب سعادته اعطاءه كاتبا ومترجماً من المستعدين قد صدر أمره إلى وكيل الجهادية وباتمام هذه الخدمة يتضاعف رضاه عليه فيرجوه الاهتمام فى ذلك . (تقويم النيل . ج ٢ . ص ٤٢٨)

(ب) صدر أمر من محمد على باشا إلى وكيل الجهادية فى ٦ جمادى الآخرة ١٢٥٠ بتعيين مترجم وكاتب لسليمان باشا الفرنساوى لترجمته كتاب المناورات الحربية الذى جمعه من عدة كتب . ويشير بتعيين كانى وحسن افندى القزنجى لانتفاع الآلايات المصرية بانتشار هذا الكتاب (تقويم النيل ج ٢ ص ٤٢٧)

٩ — كتاب نظامات وترقيات العساكر .

صدر أمر من محمد على باشا إلى سليمان باشا الفرنساوى فى ٢٨ ذى الحجة ١٢٥٠ . بأنه علم من إفادته وورود أمر من سر عسكر باشا إلى وكيل الجهادية باستصواب ترجمة الكتاب الفرنسى الخاص بنظامات وترقيات العساكر وبناء عليه يشير بأن تكون ترجمة هذا الكتاب من الأمور المهمة المستعجلة يلزم جمع التراجمة . وحل حبكته . واعطاء كل مترجم كراس منه لسهولة ترجمته فى أقرب وقت .
(تقويم النيل . ج ٢ . ص ٤٣٤ .)

١٠ — ترجمة كتاب التعريبات الشافية لمريد الجغرافية عن العربية إلى التركية .

قال رفاعة الطهطاوى فى مقدمة الترجمة العربية لهذا الكتاب : « وإن شاء الله يترجم من اللغة العربية إلى اللغة التركية حيث تكون ثمرته عامة جلية » (الكتاب السابق . ص ٤)

١١ — مختصر فى صناعة الطباعة بالحجر . عن الفرنسية إلى العربية (الشيخ أحمد العطار)

قال رفاعة الطهطاوى عند كلامه عن تقرير اللجنة التى امتحنته هو والشيخ العطار أحد المبعوثين معه

فى سنة ١٢٤١ (١٨٢٦) : « والمطار . . . يشتغل بالطباعة على الأحجار . . . وكان حاضرا فى المجلس فقدم لأهل المجلس عدة عينات مطبوعة بيده على الحجر من تصوير وكتابة عربية وفرنساوية ... ولكنه جاء فى فرنسا كبير السن فلم يمكنه أن يصور تصويرا صحيحا خاليا من جميع العيوب ... وقد ترجم مختصرا فى صناعة الطباعة بالحجر وكتبها على الحجر وطبعها بيده . وكانت نسخة منه موضوعة على باشتختة مسيو جومار »

(رفاعة الطهطاوى . تخليص الابريز . ص ١٩٤ — ١٩٥ ، وقد كان هذا الامتحان فى ١٢٤٦=١٨٣١)

١٢ — رسالة فى التوليد . عن الفرنسية إلى العربية .

« وقد تعلم عدد عظيم منهن (أى من تلميذات مدرسة الولادة) القراءة والكتابة باللغة العربية على وجهها الصحيح ، ولم يغفلن دراسة رسالة مؤلفة فى التوليد ترجمت إلى هذه اللغة »

(كلوت بك . لمحة إلى مصر . ج ٢ . ص ٦٣٦ — ٦٣٧)

١٣ — ترجمة كتاب تنوير المشرق بعلم المنطق عن العربية إلى التركية (خليفة محمود)

« . . . وترجمت تأليفا عزيزا . وأن كان وجيزا سميته : تنوير المشرق بعلم المنطق ، طبع ونشر ، وبالقبول ظفر ، وترجم أيضا من العربية إلى التركية »

(اتحاف الملوك الألباء ترجمة خليفة محمود ص ٤ . المقدمة)

١٤ — قانون السفرية الجديد (اسطفان أفندى) .

صدر أمر من محمد على باشا إلى وكيل الجهادية فى ١٥ ربيع الثانى ١٢٥٠ «باحالة ترجمة قانون السفرية الجديد على المدعو اسطفان أفندى والتأكيد عليه بالبدء ، فى ترجمته بعد فراغه من ترجمة كتاب التاريخ السابق إحالة ترجمته عليه من قبل (وهو كتاب روضة العمران) » (تقويم النيل . ج ٢ . ص ٤٢٥)

١٥ — كتاب روضة العمران .

ازمع محمد على باشا حوالى سنة ١٢٥٠ هـ نشر كتاب باللغة العربية . وترجمة له فرنسية . يتضمن بيانات وإحصاءات رسمية عن جهود حكومته فى الاصلاح الجديد ، وقد ذكر أمين سامى باشا فى كتابه تقويم النيل أن هذا الكتاب طبع فى بولاق باللغتين العربية والفرنسية فى سنة ١٢٥٣ . ولو صح ماذكره لكان هذا الكتاب المثل الوحيد للترجمة عن العربية إلى الفرنسية فى عصر محمد على ، وقد بحثت كثيرا فلم أوفق للعثور عليه أو على ما يثبت وجوده . ثم أرسلت إلى أستاذنا العلامة شفيق غربال بك استفتيه الخبر اليقين ، فذكر لى فى خطاب خاص أنه لا يعرف شيئا عن هذا الكتاب . ولكنه يرجح أن يكون قد أفاد من هذه البيانات والإحصاءات الرسمية كل من الدكتور « بورنج » فى تقريره عن مصر وكريت . والدكتور « كلوت بك » فى كتابه لمحة عامة عن مصر . وفيمايلى نصوص مختلفة تشير إلى الأوامر الصادرة من محمد على باشا بجمع مادة هذا الكتاب وبترجمته إلى اللغة الفرنسية .

(ا) صدر أمر من محمد على باشا إلى خير الله أفندى ناظر الفابريقات فى غرة شعبان ١٢٥٠ « بتحرير كشف ببيان محال فابريقات البصمخانة والورق . ومعمل الكيمياء بمصر القديمة التى تحت إدارته

مع إيضاح العملة والاجزاجية . ورجال المعمل الكيماوى ، وما هياتهم ، وكيفية تشغيلها وإرساله لدرجه فى (تاريخ روضة العمران) »

(ب) صدر أمر من محمد على باشا إلى ناظر مصلحة الحرير فى غرة شعبان ١٢٥٠ « بتحرير كشف ببيان فابريقات الحرير . وورش الصرمخانة وديوان الحرير . وبيان مقدار الشغالة . وكيفية أعمالهم . لدرجه (بتاريخ روضة العمران) » (تقويم النيل . ج ٢ . ص ٤٢٩)

(ج) صدر أمر محمد على باشا إلى محافظ دمياط فى غرة شعبان ١٢٥٠ « بتحرير كشف بالعزب وقلاعها . والجبخانات . ودوائر الأرز . والمدقات . والرصيف . التى صار إنشاؤها فى عصره . واضح به المقاس طولا وعرضا . وإرساله لضرورة درج ما ذكر (بتاريخ روضة للعمران) »

(المرجع السابق ، نفس الصفحة)

(د) صدر أمر من محمد على باشا إلى نظر الكيلار فى غرة شعبان ١٢٥٠ « بتحرير كشف بمعمل الشمع ، وعماله الكائن ببولاق ، بكيفية صناعة وعمل هذا النوع ، وإرساله لطرفه لذكر ذلك فى التاريخ الجارى تأليفه (روضة العمزان) » (المرجع السابق نفس الصفحة)

(هـ) صدر أمر منه إلى فاتح أفندى ناظر المطبعة فى ١٥ صفر ١٢٥١ « بتحرير كشف ببيان الكتب الجارى طبعها وبعدد الملازم التى تنتهى يوميا . والأنفار الشغالة التى تشتغل فى طبعها ، مبينا بها العملة الشغالة بالمقاولة أو بالماهية ، مع بيان ماهيات المصححين لضروروة ذلك بطرفه »

(المرجع السابق . ج ٢ . ص ٤٣٨)

(و) صدر أمر منه إلى حبيب أفندى فى ١١ جمادى الآخرة ١٢٥١ « بجمع حاكيكيان أفندى وأرتين أفندى ويوسف أفندى واسطفان أفندى وكانى بك . ومختار بك مدير المدارس . وإجراء ترجمة أربعة أجزاء من كتاب روضة العمران من اللغة العربية إلى اللغة الفرنسية » (المرجع السابق ص ٤٥١)

(ز) صدر أمر منه إلى مختار بك فى ١٧ المحرم ١٢٥٣ « قد اطلعت على عبارات ونكت الجزء الشامل للباب الثانى من روضة العمران . وانه لتباين تلك العبارات لأسلوب السير المتخذ فى هذا الوقت . وكذلك لعدم عذوبة عباراته بلغاتنا مثل عبارة « محب النجاح » يرى منه أنها لغة أجنبية . فلذلك يرى أن طبع وتمثيل ذلك قابل للاعتراض ، فلهذا ألزم باعادته لأجل إدخال العبارات السلسة . وإحالة ذلك إلى جناب نوبار . وافادته بما يتراءى . وبعد إجراء ما يلزم يجرى إعادته لطرفنا ثانيا . إذ بدا بأن تلك العبارات لا يتلاحظ منها مساس . وان ما أبديناه يترتب عليه عدم فهم كل من اطلع عليه لرقة عباراته . وعمق نكته وحيث أن تلك الكتب والعبارات واضحة الغاية لأربابها . وانه سيقع هذا الكتاب فى يد الأورباوين ونكته وعباراته لا يخفى فهمها عليهم . وعلى كل يلزم دقة الالتفات لمنع حصول اللغط فى هذا الأمر على ما سبق توضيحه » (المرجع السابق . ص ٤٨٣)

(ح) وقال أمين سامى باشا عن هذا الكتاب . « أهم كتاب طبع بمطبعة بولاق سنة ١٢٥٣ (١٨٣٦) هو كتاب روضة العمران باللغتين العربية والفرنسية شاملا كل التفصيلات التى يعلم منها كيف تأسست

إدارات ومصالح القطر المصرى كتأسيس المدارس والجندية البرية والبحرية . وإنشاءات السفن والمعامل على اختلاف أنواعها . وإنشاء فروع فى أنحاء القطر المصرى للأقسام الهندسية والمكاتب الصحية حتى استؤصل الجدرى والطاعون » (المرجع السابق . ص ٥٧٩)

(ط) وقد ذكر فيما سبق أسماء مترجمى هذ الكتاب . وجاء فى المرجع السابق . ص ٦٠٠ أن رفاعة رافع الطهطاوى اشترك أيضا فى ترجمته .

١٦ — ترجمة الباقى من كتاب تاريخ ايطاليا [1] — (حسن افندى) .

أرسل حسن افندى — المترجم — إلى ابراهيم باشا فى ٩ جمادى الآخرة ١٢٥١ « يعرض أنه أنجز الباقى من ترجمة كتاب تاريخ إيطالية » .

(عابدين . محفظة ٢٥٢ . رقم ٢٠ ، انظر أسد رستم ، بيان وثائق الشام . م ٣ . ص ٥٢)

١٧ — كتاب فى مناورات الطوبجية والسوارى والبيادة .

بعث ابراهيم باشا إلى سامى بك فى ٧ شوال ١٢٥١ رسالة « تبحث فى ترجمة كتاب افرنسى فى مناورات الطوبجية والسوارى والبيادة »

(عابدين . محفظة ٢٥٢ . رقم ١٠٩ — ٢٠٣ مكرر ، انظر أسد رستم . المرجع السابق . م ٣ . ص ٨٣)

١٨ — كتاب الفنون البحرية .

« صدر أمر إلى موطش باشا فى ١٤ ربيع الثانى ١٢٥٣ بأنه بناء على طلبه قد صدر أمره (محمد على باشا) لناظر المدارس بطبع ١٠٠٠ نسخة من الكتاب الحاوى لفنون البحرية . وإرسال ذلك عند ختام الطبع إليه لتوزيعه على أربابه بالثمن » (تقويم النيل . ج ٢ . ص ٤٨٦)

ذكر الدكتور « بورنج Bowring » فى ص ١٤٤ من تقريره المطبوع فى لندن ١٨٤٠ (١٢٥٥) أن الكتب الآتية قد تمت ترجمة بعضها . وبدىء فى ترجمة البعض الآخر :

١٩ — كتاب فى الحساب (ترجمة ايديه وحنا مسرة) .

Arithmatic, translated by : M.M. Aidé et Hanna Massara.

٢٠ — كتاب فى الطبيعة (يترجمه فايد) .

Physique de Peclet, 2 vols.

٢١ — كتاب فى الميكانيكا تأليف « لوس » و « بيتانكور » (يترجمه أحمد طايل) .

Mécanique de Laus et Betancourt. 1 vol.

٢٢ — موجز فى الطوبغرافيا تأليف « توليه » (يترجمه ابراهيم رمضان) .

Manuel de Topographie de Thiellet, 1 vol.

٢٣ — كتاب فى المنشآت تأليف « نافيه » (يترجمه أحمد دقلة) .

Cours de Construction, de Navier, 1 vol.

٢٤ — مقتبسات من كتاب « دوماس » فى الكيمياء (يترجمه أحمد فايد) .

Chimie de Dumas (extracts) 6 vols.

[1] ترجم الجزء الأول من هذا الكتاب عزيز افندى وطبع فى بولاق سنة ١٢٤٩ ، انظر الملحق الأول ، رقم ١٤ .

٢٥ — الجغرافيا الطبيعية تأليف « لاكروا » (يترجمه أحمد دقلة)

La Croix, Géographie Plysique, 1 vol.

٢٦ — قطع الصخور تأليف « دويو » (يترجمه محمد بيومى)

Duillet, Coupe de Pierres, 1 vol.

٢٧ — كتاب فى الفحم الحجرى تأليف « ديو » (يترجمه محمد بيومى)

Duillet, Charpente, 1 vol.

٢٨ — رسالة فى الحرارة تأليف « بيتيه »

Traité de la Chaleur, de Pietot, 2 vols.

٢٩ — رسالة فى الضوء تأليف « بيتيه »

Traité de l'Eclairage, de Pietet, vol. 1

٣٠ — رسالة فى حفر المناجم تأليف « برار »

Traité d'Exploitation des mines, par Brard, 1 vol.

٣١ — كتاب فى التطبيق العددى تأليف « جريمييه » (يترجمه أحمد دقلة)

Cours d'Application Numérique, par Gremilliet, 1 vol.

٣٢ — كتاب فى الكيمياء تأليف « تونار »

Chimie de Thonard.

٣٣ — كتاب فى الكيمياء تأليف « شابتال »

Chimie de Chaptal.

٣٤ — كتاب فى الكيمياء تأليف « جراى »

Chimie de Gray.

٣٥ — جريدة المعارف العامة أو المتداولة

Journal des Connaissances Usuelles.

٣٦ — موجز فى المنتجات الكيمائية

Manuel des Produits Chimiques

٣٧ — موجز فى صناعة الفحم الحجرى

Manuel de Charpentier

٣٨ — صناعة الحديد تأليف « كارستون »

Metallurgie du Fer (Karston)

٣٩ — علم الخراطة

Science du Tourneur

("Bowring, Op. Cit. p. 144.")

٤٠ — رسم محاربة نابليون (باقى بك) عن الفرنسية إلى العربية

صدر أمر من محمد على باشا إلى باقى بك فى ١٧ جمادى الآخرة ١٢٥٦ بترجمة رسم محاربة نابليون من الفرنساوى للعربى بنفسه ، والرسم المذكور من وضع المسيو « بون قور » (تقويم النيل ج ٢ . ص ٥٠٨)

٤١ — ترجمة التقرير المرافق للرسم السابق إلى التركية (كانى بك)

صدر أمر منه إلى كانى بك فى ١٧ جمادى الأولى ١٢٥٦ « بما أنه سيرسل له المسيو « بون قور » رسم محاربة نابليون فيلزم ترجمة التقرير الذى يرسل مع ذلك الرسم إلى اللغة التركية بنفسه دون أن يأمر أحداً بترجمته ، ويرسل سريعا لطرفه » (تقويم النيل . ج ٢ . ص ٥٠٧)

وذكر مسيو « بيانكى » فى مقدمة قائمته أن الكتب الآتية كانت تحت الترجمة فى سنة ١٨٤٢ (١٢٥٨)

٤٢ — ترجمة عربية لمجموعة مؤلفات « منتسكيو »

Une traduction en arabe des oeuvres complètes de Montesquieu.

٤٣ — كتاب فى التشريح الوصفى تأليف « كروفييه » يترجمه الشباسى .
L'Anatemie Descriptive de Cruveillier.

٤٤ — فن التشريح تأليف « لوت » يترجمه الشباسى
L'art de disséquer, par Lauth.

٤٥ — الجزء الرابع من قاموس القواميس الطبية تأليف « فابر »
La quatrième livraison du Dictionnaire des Dictinnaires de Médscine, par Fabre.

٤٦ — كتاب عطار الملوك (عثمان جلال)

« وكنت قبل هذه السنة (١٢٦١) ترقيت إلى قلم الترجمة ، وترجمت فيها كتاباً يسمى « بعطار الملوك » وهو فى العطريات من مياه وزيوت وأدهان وخلاصات »

(من حديث عثمان جلال عن نفسه — الخطط التوفيقية — ج ١٧ ص ٦٣)

كتب ترجمها صالح مجدى بين سنتى ١٢٦٠ و ١٢٦٥ هـ

قال على مبارك باشا : « وكنت قد تعينت فى سنة ستين التى التحق هو (أى صالح مجدى) فيها بتلك المدرسة (المهندسخانة) للسفر مع عدة من أمثالى إلى مملكة الفرنسيس لتكميل العلوم الرياضية . . . فلما رجعت إلى مصر بعد خمس سنين وجدته قد وصل إلى رتبة يوزباشى ، وأخبرنى أنه أحرزها سنة اثنين وستين ، وأنه عرب فى هذه المدة عدة كتب فى فروع الرياضيات منها :

٤٧ — كتاب ميكانيكا نظرية . ٤٨ — كتاب ميكانيكا عملية
٤٩ — « ادروليكا ٥٠ — « حساب الآلات
٥١ — كتاب طبيعة ٥٢ — « هندسة وصفية
٥٣ — « فى حفر الآبار
٥٤ — رسالة فى الأرصاد الفلكية تأليف الشهير « أرجو »

(«على مبارك » الخطط التوفيقية . ج ٨ . ص ٢٣)

كتب ترجمها صالح مجدى بين سنتى : ١٢٦٦ و ١٢٧٠ :

قال على مبارك باشا « ولما أحيلت على عهدتى نظارة المهندسخانة ومامعها سنة ست وستين . . كان لى المترجم (أى صالح مجدى) رفيقا . . وقد ترجم فى تلك المدة عدة كتب فى الرياضة منها :

٥٥ — كتاب فى الحساب ٥٦ — كتاب فى الجبر
٥٧ — « فى تطبيق الجبر على الأعمال الهندسية ٥٨ — « فى حساب المثلثات
٥٩ — « فى الهندسة الوصفية ٦٠ — « فى قطع الأحجار والأخشاب

وهى كتب جار عليها العمل إلى الآن فى المدارس . إلخ

(المرجع السابق ص ٢٣ — ٢٤)

كتب ترجمها عبد الله أبو السعود :

٦١ — وله كتاب فى الكيمياء الزراعية
٦٢ — وبعض رسالة فى الزراعة

٦٣ — وأخرى من قصة « جليبلاس المشهور (؟) » (المرجع السابق ج ١١ ص ٦٩)

كتب ترجمها أو كان يترجمها تلاميذ مدرسة الألسن[1] فى أواخر سنة ١٢٦٠ هـ :

٦٤ — كتاب تطبيق فنون للكيمياء (المترجم : واطى مصطفى درويش افندى وسيد حفناوى افندى وعلى عمر افندى ومصطفى حسين افندى وعطا على افندى

٦٥ — تاريخ الدولة العربيــة : (سيد حفناوى افندى وعلى عمر افندى ومصطفى حسين افندى وعطا على افندى)

٦٦ — انقلابات الكرة الأرضية : (حسن المصرى افندى)
٦٧ — الرحلة الحبشية : (سعد نعام افندى ومحمد زيور افندى)
٦٨ — تربية الحيوانات : (محمد زيور افندى)
٦٩ — كتاب المعامل : (سيد عمارة افندى)
٧ — تاريخ القرون المتأخرة : (مصطفى سيد احمد افندى)
٧١ — الأدبيات العملية : (مصطفى رضوان افندى)
٧٢ — سكان البادية : (حسن على جلبى افندى)
٧٣ — كتاب الزراعة : (عبد اللطيف افندى)
٧٤ — الرحلة إلى الجهات : (احمد صفى الدين افندى)
٧٥ — كتاب التاريخ القديم : (لاظ محمد افندى)
٧٦ — عجائب الجهات (الدنيا) (محمد الطيب افندى)
٧٧ — فهرست الأزمنة : (سيد عمارة افندى)
٧٨ — سياحة انكرسيس جـوان فى بلاد اليونان : (عبد الرحمن افندى وابراهيم مرزوق افندى ومنصور عرام افندى ومصطفى سيد احمد افندى وابراهيم البياع افندى ومصطفى رضوان افندى وحسن على جلبى افندى وابراهيم ستوت افندى وعبد اللطيف افندى واحمد صفى الدين افندى ومحمد الطيب افندى وعلى سلامة افندى)

كتب ترجمت فى الفنون البحرية :

٧٩ — فن الحرب البحرى : (ترجمة جركس محمود قبودان « محمود نامى باشا »)
٨٠ — مقياس السفائن : (ترجمه عبد الحميد الديار بكرلى بك)
٨١ — قانون البحرية : (محمد شنان افندى « بك »)

(سرهنك باشا ، حقائق الأخبار ج ٢ ص ٤٨)

(١) انظر تفصيل توزيع هذه الكتب على المترجمين فى الملحق الرابع .

٨٢ — رسالة تشتمل على مفردات اللغات الثلاث ، العربية والتركية والفارسية ، (محمود خليفة افندى).

نشر فى الوقائع المصرية مايلى : « إن اليوزباشى محمود خليفة افندى المتخرج من مدرسة الألسن بالأزبكية قد ألف رسالة تشتمل على مفردات اللغات الثلاثة العربية والتركية والفارسية . فصدر الأمر بطبع ما يلزم منها على نفقة الميرى وأعطاء الأفندى الموى إليه ربحها ليحصل بذلك على السرور وينال الحظ الموفور » (الوقائع المصرية . العدد ١٢٢ . بتاريخ ٩ شعبان ١٢٦٤)

٨٣ — الشذور الذهبية[1] فى المصطلحات الطبية

حوالى سنة ١٨٤٠ أحضر « كلوت بك » قاموس القواميس الطبية تأليف « فابر » وأمر جماعة من الأطباء المصريين بترجمته . ثم قام على تصحيحه وتحريره بعض المشايخ المصححين ، ثم أضاف إليه الشيخ محمد عمر التونسى الألفاظ والمصطلحات الواردة فى كتب الطب العربية القديمة تنفيذاً لإشارة الدكتور « برون » ونسخة هذا الكتاب الخطية لازالت محفوظة فى المكتبة الأهلية بباريس ، ومنها صورتان شمسيتان فى دار الكتب الملكية بالقاهرة .

وحوالى سنة ١٩١٠ عهدت وزارة المعارف العمومية إلى الدكتور احمد عيسى بك بطبع هذا القاموس فطبع منه فى سنة ١٩١٤ مائة صفحة فقط ثم تركه فبقى حتى اليوم ينتظر من يعنى بنشره

٨٤ — ترجمة تقرير الدكتور بورنج :

أرسل محمد على إلى ابنه ابراهيم باشا رسالة وجيزة بتاريخ ٧ جمادى الآخرة سنة ١٢٥٦ « تفيد أن ترجمة بقية كتاب الدكتور بورنج تمت ، وأنها أرسلت إلى السر عسكر ليطلع عليها[2] »

٨٥ — ترجمة مقدمة ابن خلدون إلى اللغة التركيه[3] :

عنى بترجمتها ابراهيم باشا لتدرس لأولاده ؛ كتب يوحنا بحرى بك إلى حسين باشا ينوه « بأهمية تاريخ ابن خلدون ، ويذكر المساعى التى أمر الجناب العالى ببذلها لاستنساخه عن نسخ المغرب ونقله إلى التركية ، ثم يرجو التفضل بإرسال ماترجم منه إليه كى يمرن أولاده عليه ويعلمهم أصوله »[4]

٨٦ — ترجمة مجموع الشيخ الجزائرلى فى مذهب أبى حنيفة إلى اللغة التركية : (ترجمة زائد أفندى)

قال محمد عثمان جلال فى ترجمته لنفسه : « ندبت سنة ١٢٦١ لتعليم اللغة الفرنساوية لرجل فى الديوان الخديوى يسمى زائد أفندى ، كان العزيز قد استخدمه لترجمة مجموع الشيخ الجزائرلى فى مذهب أبى حنيفة بالتركية »[5]

---

(١) انظر تفصيل الكلام عن هذا القاموس فى الفصل الخاص بالقواميس والمعاجم .

(٢) وثائق عابدين دفتر ٢١٤ ؛ أنظر : (أسد رستم ، بيان بوثائق الشام ، المجلد الرابع ، ص ٤٢٦) .

(٣) انظر الحديث عن محاولة محمد على ترجمة هذا الكتاب فى ص ٨٠ من الكتاب .

(٤) عابدين ، محفظة ٢٥٩ رقم ٥٧ بتاريخ ٧ صفر ١٢٥٦ ؛ أنظر : (أسد رستم ، المرجع السابق ص ٣١٧) .

(٥) على مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج١٧ ، ص٦٣ .

الملحق الرابع

نموذج لتوزيع الكتب على المترجمين فى مدرسة الألسن نقلا عن (وثائق عابدين. دفتر ٢٠٩٨ رقم ٢٤ و ٢٥ ، الحجة سنة ١٣٦٠[1])

---

(١) انتهز الفرصة فأقدم الشكر الجزيل لصديق الدكتور احمد عزت عبد الكريم . فقد تفضل وأعارنى هذه الوثيقة

« من مدرسة الألسن إلى ديوان المدارس .

ترجم الأفندية المذكورون الكتب الموضحة . وأتموا ترجمتها فى المواعيد المحــددة . وجار الآن تصحيح بعض هذه الكتب ومراجعتها . ولذلك وزعت كتب أخرى على الأفندية لترجمتها بالمواعيد المذكورة .

كشف ببيان أسماء الأفندية الذين أتموا ترجمة ما بأيديهم من الكتب ، واستلموا كتباً غيرها لترجمتها:

واطى مصطفى درويش افندى : أتم ترجمة الجزء الأول من كتاب تطبيق فنون الكيمياء وسلم الجزء السادس من الكتاب المذكور بميعاد محدد مدته ١٤ شهرا .

سيد حفناوى افندى : أتم ترجمة الجزء الثانى من الكتاب المذكور ، وسلم كتاب تاريخ الدولة العربية لترجمته بميعاد تسعة أشهر .

على عمر افندى : أتم ترجمة الجزء الثالث من كتاب الكيمياء المذكور وسلم الجزء الرابع من كتاب تاريخ الدولة العربية لترجمته بميعاد عشرة أشهر .

مصطفى حسين افندى : أتم ترجمة الجزء الرابع من الكتاب المذكور ، ويسلم الجزء الثانى من كتاب تاريخ الدولة العربية لترجمته بميعاد عشرة أشهر .

عطا على افندى : أتم ترجمة الجزء الخامس من الكتاب المذكور . وسلم الجزء الثالث من كتاب الدولة العربية لترجمته بميعاد عشرة أشهر .

حسن افندى المصرى : سلم « انقلابات الكرة الأرضية » لترجمته بميعاد خمسة أشهر ونصف .

عبد الرحمن افندى : سلم الجزء السادس من تاريخ سياحة انكرسيس جوان فى بلاد اليونان لترجمته بميعاد سبعة أشهر ونصف شهر .

ابراهيم مرزوق افندى : سلم الجزء الثالث من الكتاب المذكور لترجمته بميعاد ثمانية أشهر

منصور عرام افندى : سلم الجزء الرابع من الكتاب المذكور لترجمته بميعاد أحد عشر شهراً .

سعد نعام أفندى : أتم ترجمة كتاب الرحلة الأمريكية . وسلم الجزء الأول من كتاب الرحلة الحبشية بميعاد عشرة أشهر .

محمد زيور أفندى : أتم ترجمة كتاب تربية الحيوانات . وسلم الجزء الثانى من كتاب الرحلة الحبشية بميعاد ١٠ أشهر .

سيد عمارة أفندى : أتم ترجمة الجزء الأول من الكتاب الخاص بالمعامل . وسلم فهرست الازمنة لميعاد ١٤ شهرا .

مصطفى سيد أحمد أفندى : أتم ترجمة الجزء الثانى من تاريخ القرون المتأخرة . وسلم الجزء الثانى من كتاب تاريخ رحلة أنكرسيس جوان لبلاد اليونان لميعاد خمسة أشهر .

ابراهيم أفندى البياع : أتم كتاب رحلة بلاد الهند . وسلم الجزء الثانى من كتاب انكرسيس جوان المذكور لميعاد ستة أشهر .

مصطفى رضوان أفندى : أتم كتاب الأدبيات العملية . وسلم الجزء الأول من كتاب أنكرسيس جوان المذكور لميعاد خمسة أشهر .

حسن على جلبي أفندى : أتم ترجمة الكتاب الذى يبحث عن سكان البادية (الفلوات) . وسلم الجزء الأول من كتاب أنكرسيس جوان .

ابراهيم ستوت أفندى : سلم الجزء الرابع من كتاب أنكرسيس جوان لميعاد خمسة أشهر .

عبد اللطيف أفندى : أتم ترجمة الجزء الأول من كتاب الزراعة . وسلم الجزء الخامس من كتاب أنكرسيس جوان لميعاد ستة أشهر .

أحمد صفى الدين أفندى : أتم ترجمة الرحلة إلى الجهات . وسلم الجزء الخامس من كتاب أنكرسيس جوان لميعاد خمسة أشهر .

لاظ محمد أفندى : أتم ترجمة الجزء الأول من كتاب التاريخ القديم وسلم الجزء الخامس من الكتاب المذكور لميعاد ثمانية أشهر .

محمد الطيب أفندى : أتم ترجمة كتاب عجائب الجهات (الدنيا) . وسلم الجزء الرابع من كتاب تاريخ رحلة أنكرسيس جوان لبلاد اليونان بميعاد ثمانية أشهر .

على سلامة أفندى : سلم الجزء الثالث من كتاب أنكرسيس جوان بميعاد عشرة أشهر .

الملحق الخامس

بعض السنوات الهجرية وما يوافق أوائلها فى التقويم الميلادى

١٢١٣ — ١٢٧٠ = ١٧٩٨ — ١٨٥٣

السنة الهجرية	ما يوافق أولها فى التقويم الميلادى	السنة الهجرية	ما يوافق أولها فى التقويم الميلادى	السنة الهجرية	ما يوافق أولها فى التفويم الميلادى
١٢١٣	١٥ يونيو ١٧٩٨	١٢٣٣	١١ نوفمبر ١٨١٧	١٢٥٣	٧ ابريل ١٨٣٧
١٢١٤	٥ « ١٧٩٩	١٢٣٤	٣١ أكتوبر ١٨١٨	١٢٥٤	٢٧ مارس ١٨٣٨
١٢١٥	٢٥ مايو ١٨٠٠	١٢٣٥	٢٠ « ١٨١٩	١٢٥٥	١٧ « ١٨٣٩
١٢١٦	١٤ « ١٨٠١	١٢٣٦	٩ « ١٨٢٠	١٢٥٦	٥ « ١٨٤٠
١٢١٧	٤ « ١٨٠٢	١٢٣٧	٢٨ سبتمبر ١٨٢١	١٢٥٧	٢٣ فبراير ١٨٤١
١٢١٨	٢٣ ابريل ١٨٠٣	١٢٣٨	١٨ « ١٨٢٢	١٢٥٨	١٢ « ١٨٤٢
١٢١٩	١٣ « ١٨٠٤	١٢٣٩	٧ « ١٨٢٣	١٢٥٩	١ « ١٨٤٣
١٢٢٠	١ « ١٨٠٥	١٢٤٠	٢٦ أغسطس ١٨٢٤	١٢٦٠	٢٢ يناير ١٨٤٤
١٢٢١	٢١ مارس ١٨٠٦	١٢٤١	١٦ « ١٨٢٥	١٢٦١	١٠ « ١٨٤٥
١٢٢٢	١١ « ١٨٠٧	١٢٤٢	٥ « ١٨٢٦	١٢٦٢	٣٠ ديسمبر ١٨٤٥
١٢٢٣	٢٨ فبراير ١٨٠٨	١٢٤٣	٢٥ يوليو ١٨٢٧	١٢٦٣	٢٠ « ١٨٤٦
١٢٢٤	١٦ « ١٨٠٩	١٢٤٤	١٤ « ١٨٢٨	١٢٦٤	٩ « ١٨٤٧
١٢٢٥	٦ « ١٨١٠	١٢٤٥	٣ « ١٨٢٩	١٢٦٥	٢٧ نوفمبر ١٨٤٨
١٢٢٦	٢٦ يناير ١٨١١	١٢٤٦	٢٢ يونيو ١٨٣٠	١٢٦٦	١٧ « ١٨٤٩
١٢٢٧	١٦ « ١٨١٢	١٢٤٧	١٢ « ١٨٣١	١٢٦٧	٦ « ١٨٥٠
١٢٢٨	٤ « ١٨١٣	١٢٤٨	٣١ مايو ١٨٣٢	١٢٦٨	٢٧ أكتوبر ١٨٥١
١٢٢٩	٢٤ ديسمبر ١٨١٣	١٢٤٩	٢١ « ١٨٣٣	١٢٦٩	١٥ « ١٨٥٢
١٢٣٠	١٤ « ١٨١٤	١٢٥٠	١٠ « ١٨٣٤	١٢٧٠	٤ « ١٨٥٣
١٢٣١	٣ « ١٨١٥	١٢٥١	٢٩ ابريل ١٨٣٥		
١٢٣٢	٢١ نوفمبر ١٨١٦	١٢٥٢	١٨ « ١٨٣٦		

كلمة عن المراجع

لازال الكثير من وثائق عصر محمد على موْدعاً فى سراى عابدين . وقد كنت أتمنى أن تتاح لى الفرصة كى أرجع بنفسى إلى هذه الوثائق . لولا وجودى فى الاسكندرية أثناء قيامى بهذا البحث ، ومع هذا فأنا لم أهمل الرجوع إليها . بل أفدت منها ولكن بطريق غير مباشر . ذلك أن الكثيرين من الباحثين نشروا العدد الأكبر من هذه الوثائق . كما فعل المرحوم أمين سامى باشا فى تقويم النيل . والدكتور أسد رستم فى مجلداته الأربع الموسومة باسم « بيان بوثائق الشام » ، كذلك أفاد الدكتور أحمد عزت عبد الكريم من هذه الوثائق فى كتابه عن « تاريخ التعليم فى عصر محمد على » . ونقل فيه فقرات كثيرة منها .

وأنا باستعانتى بهذه الكتب . اعتبر أنه لم يفتنى الكثير مما يخدم الموضوع أو يعين على كتابة البحث .

وقد رجعت أيضا إلى الكتب العامة — عربية أو معربة أو أجنبية — التى أرخت لعهد الحملة الفرنسية أو لعهد محمد على فى نواحيهما العامة أو الخاصة .

وكان أكثر اعتمادى فيها على كتاب « عجائب الآثار » للجبرتى . وخاصة عند كتابة تاريخ الترجمة فى عهد الحملة . وكتب الدكتور احمد عزت عبد الكريم عن تاريخ التعليم فى عصور محمد على وعباس وسعيد واسماعيل . فقد أفدت منها الكثير جداً للصلة الواضحة بين موضوعى التعليم والترجمة .

وعند التأريخ للمترجمين والمحررين كان عمدتى الأول كتاب الخطط التوفيقية الجديدة لعلى مبارك باشا ولا غرو فهو مؤرخ معاصر للحركة ورجالها . ولمخطوطة « حلية الزمن بمناقب خادم الوطن » — رغم صغرها — قيمة كبيرة جداً لكل من يريد الترجمة لرفاعة وتلاميذه . وذلك لأن مؤلفها — السيد صالح مجدى بك — كان من أقرب تلاميذ رفاعة إليه . وهو أيضاً من أنبغ خريجى الألسن ومن أكثرهم انتاجاً فى الترجمة .

وقد كان للمقالات والأبحاث التى نشرت فى المجلات العلمية المختلفة أثر كبير فى ايضاح كثير من نواحى البحث الغامضة . وأهم هذه الأبحاث البحث الذى نشره « المستر دن » فى مجلة الجمعية الأسيوية بلندن (عدد يوليو ١٩٤٠) عن الطباعة والترجمات فى عصر محمد على . وهو — فيما أعلم — الكاتب الوحيد الذى سبقنى إلى الكتابة عن هذا الموضوع . غير أن ما كتبه — رغم قيمته — قليل — كما وكيفا — كما أنه قنع بالرجوع إلى المصادر الثانوية كجرجى زيدان وسركيس ومقالات أسكاروس فى الهلال . ولهذا خرج بحثه وبه بعض الأخطاء التى ما كان يقع فيها لو أنه رجع إلى الكتب المترجمة نفسها .

وللأستاذ شارل بشاتلى مقال قيم ترجم فيه للأب روفائيل زاخور ترجمة وافية ، وقد أعتمدت عليه اعتماداً كبيراً عند كتابى عن جهود هذا الرجل فى الترجمة .

وللوقائع المصرية اهمية كبيرة لكل من يؤرخ لأى ناحية من نواحى عصر محمد على، فهى سجل لكثير من أوامر الباشا وإصلاحاته . وقد رجعت للأعداد الموجودة منها مابين سنتى ١٢٤٤ و ١٢٦٤، وأخذت عنها الشىء الكثير .

وأنا اعتقد أننى لو قنعت بكل هذه المراجع ، وأقمت عليها بحثى ، لخرج هذا البحث ناقصاً مشوهاً ، لأن المصادر الأولى لمثل هذا البحث — فى نظرى — هى الكتب التى ترجمت فى تلك العصر ؛ ولهذا كانت الخطوات الأولى من عملى هى البحث عن هذه الكتب ، والاطلاع عليها ، وقد عانيت فى هذا السبيل كثيراً لضياع الكثير منها ، غير أننى لم أترك كتاباً عثرت عليه منها إلا تصفحته وأخذت عنه ، وقد كان للمقدمات والخاتمات التى كتبها الشيوخ المحررون لهذه الكتب قيمة كبيرة جدا فى بيان الكثير من أغراض الترجمة وأسماء المؤلفين والمترجمين ، والمصححين ، وسنوات الطبع ، ومكانه ، وطريقة الترجمة . إلخ

وهناك كتب كثيرة مما ترجم فى عصر محمد على لازالت مخطوطة . أهم هذه الكتب ترجمة الأب رفائيل لكتاب الأمير . وهى محفوظة فى دار الكتب المصرية . وقد رجعت إليها عند الكتابة عن هذا الكتاب والأسباب الدافعة لترجمته . ورأى محمد على فيه . وقد سبقتنى بالاطلاع على هذه المخطوطة الآنسة «ماريا نللينو» ولها مقال طيب نشرته فى المجلة الإيطالية «الشرق الحديث» (سنة ١٩٣١) . وقارنت فيه بين ترجمتى رفائيل والأستاذ لطفى جمعة بهذا الكتاب . وقد جاءت فى مقالها هذا بمعلومات جديدة قيمة أفدت منها كثيراً عند كتابة البحث .

وأخيراً رأيت أن بحثاً كهذا يعتبر أبتر ناقصاً إذا لم يلحق به ثبت كامل للكتب التى ترجمت فى ذلك العصر . وقد بذلت الجهد لكى يكون إحصائى شاملا بقدر الامكان . فرجعت للمحاولات القليلة التى سبقتنى فى هذا السبيل . كقوائم : «هامر» و «رينو» و «بورنج» و «بيانكى» ، واضطررت لاكمال مابها من نقص أن أراجع معجم سركيس . وفهارس المكتبة البلدية بالاسكندرية ، وفهارس دار الكتب المصرية — القديمة والجديدة — ورقة ورقة ، وسطراً سطراً ، وقد كان فى هذا من الجهد المضنى مافيه .

ومع هذا فقد عثرت على نصوص تشير إلى كتب ترجمت فى عصر على ، غير أننى لم أوفق للعثور على هذه الكتب، فاكتفيت بإثبات النصوص ومراجعها فى ملحق خاص بها .

ولإيضاح تيارات الحركة ، وموجهاتها المختلفة فرّغت هذه القوائم فى جدول واحد يبين عدد الكتب التى ترجمت فى كل علم وفن ، وعن كل لغة إلى كل لغة ، ثم اتبعته برسم بيانى يشير إلى تطور الحركة، وعدد الكتب التى ترجمت فى كل سنة من سنى عهد محمد على

مراجع البحث

١ — المراجع العربية والمعربة :

(ا) كتب مخطوطة .

(ب) وثائق مطبوعة .

(حـ) مراجع عامة مطبوعة .

(ى) القواميس والمعاجم والفهارس .

(هـ) مقالات فى صحف ومجلات .

٢ — المراجع الأجنبية :

(ا) وثائق مطبوعة .

(ب) مراجع عامة .

(حـ) القواميس والمعاجم

(ى) مقالات فى صحف ومجلات .

٣ — الكتب التى ترجمت فى مصر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر .

اطلعت على الكثير من هذه الكتب ، وأفدت منها ، ولكننى اكتفيت — خشية التكرار — بوضع علامة * أمام كل كتاب رجعت إليه فى الملحقين الأول والثانى

١ ـ المراجع العربية والمعربة

ا — كتب مخطوطة

١ — أبو السعود (عبد الله افندى)

منحة أهل العصر بمنتق تاريخ محى مصر. وهى قصيدة طويلة فى ألف بيت. مخطوط (بدون تاريخ. ولعله بخط المؤلف). مكتبة البلدية باسكندرية. رقم ٤٦٤٠ ج.

٢ — برنار.

ترجمة تاريخ الديار المصرية فى عهد الدولة المحمدية العلوية. وهو القسم الثالث من الكتاب المسمى «فوائد جغرافية وتاريخية على الديار المصرية». ترجمه إلى العربية أبو السعود افندى. مخطوط بمكتبة البلدية باسكندرية. رقم ٣٣٤٤ (نسخة مكتوبة بخط النسخ الجميل فى ١١ ربيع آخر سنة ١٢٩٢. وكتبت خصيصاً للشيخ على الليثى الشاعر المشهور فى عصر اسماعيل).

٣ — الشيال (الدكتور جمال الدين).

العلاقات السلمية بين الإسلام والمسيحية فى العصور الوسطى (بحث لم ينشر بعد).

٤ —

قائمة تشتمل على بيان الكلف المأخوذة من البلاد الأطفيحية لاحتياج العسكر الفرنساوى المطارد لمراد بك · ابتداء من يوم الأربعاء ٢١ جمادى الآخرة سنة ١٣١٤ لغاية يوم ١٠ رجب سنة ١٢١٤. وهى جداول مبين فيها ما أخذ من الأغنام والبقر وغيرها من كل بلدة من البلاد المذكورة. ورقة واحدة مكتوبة من وجهيها. وفى أحدهما ترجمة باللغة الفرنسية. دار الكتب المصرية رقم ١٦١٩ تاريخ.

٥ — مجدى (السيد صالح بك).

حلية الزمن بمناقب خادم الوطن (رفاعة الطهطاوى). مخطوط بدار الكتب الملكية بالقاهرة. رقم ١٠٢٦ تاريخ.

٦ — ميكافللى

الأمير فى علم التاريخ والسياسة والتدبير. ترجمه عن الايطالية إلى العربية بأمر محمد على باشا الأب رفائيل انطون زاخور الراهبة، مخطوط بخط المترجم فى دار الكتب الملكية رقم ٤٣٥ تاريخ.

ب — وثائق مطبوعة

٧ — رستم (الدكتور أسد).

بيان بوثائق الشام. وما يساعد على فهمها. ويوضح مقاصد محمد على الكبير (عن المحفوظات الملكية المصرية بعابدين) ٤ مجلدات.

المجلد الأول (١٢٢٥ — ١٢٤٧ = ١٨١٠ — ١٨٣٢) المطبعة الأمريكية، بيروت ١٩٤٠.

المجلد الثانى (١٢٤٨ — ١٢٥٠ = ١٨٣٢ — ١٨٣٥) المطبعة الأمريكية، بيروت ١٩٤١.

المجلد الثالث (١٢٥١ — ١٢٥٤ = ١٨٣٥ — ١٨٣٩) المطبعة الأمريكية، بيروت ١٩٤٢.

المجلد الرابع (١٢٥٥ — ١٢٥٦ = ١٨٣٩ — ١٨٤١) المطبعة الأمريكية، بيروت ١٩٤٣.

٨ — سامى (أمين باشا).

تقويم النيل وعصر محمد على. الجزء الثانى. مطبعة دار الكتب. القاهرة ١٣٤٦ (١٩٢٨).

٩ — غربال (الأستاذ محمد شفيق بك).

مصر عند مفترق الطرق (١٧٩٨ — ١٨٠١). المقالة الأولى. ترتيب الديار المصرية فى عهد الدولة العثمانية كما شرحه حسين افندى أحد أفندية الرزنامه فى عهد الحملة الفرنسية، القاهرة ١٩٣٨ (بحث مستخرج من مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول).

١٠ — قرألى (الخورى بولس).

السوريون فى مصر. الجزء الأول (عهد المماليك) القسم الثانى، الوثائق الخطية (١٧٥٠ — ١٨٠٥) مطبعة جريدة العلم. بيت شباب. لبنان ١٩٣٣.

١١ —

مجمع التحريرات المتعلقة إلى ما جرى باعلام ومحاكمة سليمان الحلبى قاتل صارى عسكر كلهبر بمصر القاهرة. بمطبعة الجمهور الفرنساوى. فى سنة ٨ من اقامة الجمهور.

ج — مراجع عامة مطبوعة

١٢ — أمين (الأستاذ أحمد بك)
فجر الاسلام . مطبعة الاعتماد . القاهرة ١٣٤٧ (١٩٢٨)

١٣ — ضحى الإسلام ٣ أجزاء . القاهرة ١٣٥٢ — ١٣٥٥ (١٩٣٤ — ١٩٣٦)

١٤ — الباشا (الخورى قسطنطين)
محاضرة فى تاريخ طائفة الروم الكاثوليك فى مصر (ألقاها فى النادى الكاثوليكى فى القاهرة فى ٢٧ شباط ١٩٣٠) . مطبعة القديس بولس . حريصا . لبنان ١٩٣٠

١٥ — البتانونى (محمد لبيب)
تاريخ كاوت بك . القاهرة . المطبعة الطبية الدرية ١٣٠٨ (مترجم عن الفرنسية)

١٦ — بريك (الخورى ميخائيل الدمشقى)
تاريخ الشام (١٧٢٠ — ١٧٨٢) عنى بنشره والتعليق عليه الخورى قسطنطين الباشا . مطبعة القديس بولس . حريصا (لبنان) ١٩٣٠

١٧ — بتولا (الدكتور فردريك بك)
مصر والجغرافيا ، ترجمه إلى العربية أحمد زكى باشا . بولاق ١٣١٠

١٨ —
تراث الإسلام — ألفه جماعة من المستشرقين . الترجمة العربية للجنة الجامعيين لنشر العلم . القاهرة . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٦

١٩ — الترك (المعلم نقولا)
ذلك تملك جمهور الفرنساوية الأقطار المصرية . والبلاد الشامية ، باريس ، دار الطباعة السلطانية ١٨٣٩

٢٠ — التونسى (الشيخ السيد محمد عمر بن سليمان)
رحلة دارفور (النص العربى) طبع حجر ، باريس ١٨٥٠ ، كتبه بخطه ونشره الدكتور « برون » وبه خريطة وصور إيضاحية

٢١ — الجبرتى (الشيخ عبد الرحمن)
عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، ٤ أجزاء ، المطبعة الأهلية ، القاهرة ١٣٢٢

٢٢ — جوان (إدوار)

مصر فى القرن التاسع عشر ، ترجمه عن الفرنسية محمد مسعود ، القاهرة ١٣٥٠ (١٩٣١)

٢٣ — جيرا (يوسف)
تاريخ دراسة اللغة العربية بأوربا (بدون تاريخ)

٢٤ — الخشاب (السيد أبو الحسن اسماعيل — الشاعر)
ديوان الخشاب ، جمعه بعد وفاته صديقه الشيخ حسن العطار ، مطبعة الجوائب ، الاستانة ١٣٠٠

٢٥ — الرافعى (الأستاذ عبد الرحمن بك)
تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر ، الجزء الأول ويتناول القسم الأول من تاريخ الحملة الفرنسية فى مصر ، القاهرة ١٣٤٧ (١٩٣٩)

٢٦ —
الجزء الثانى « من إعادة الديوان فى عهد نابليون إلى ارتقاء محمد على أريكة مصر بادارة الشعب القاهرة ١٣٤٧ (١٩٢٩)

٢٧ —
الجزء الثالث « عصر محمد على » ، القاهرة ١٣٤٩ (١٩٣٠)

٢٨ —
عصر اسماعيل ، جزءان ، القاهرة ، ١٣٥١ (١٩٣٢)

٢٩ — الرشيد (الدكتور أحمد حسن)
عمدة المحتاج فى علمى الأدوية والعلاج (ويعرف بالمادة الطبية) ٤ أجزاء ، بولاق ١٢٨٣

٣٠ — زيدان (جورجى)
تاريخ آداب اللغة العربية ، الجزء الرابع ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٣٧ .

٣١ — زيدان (جورجى) .
تاريخ التمدن الاسلامى ، ٥ أجزاء . القاهرة ١٩٠٢ — ١٩٠٦ .

٣٢ —
تاريخ اللغة العربية باعتبار أنها كائن حى نام خاضع لنواميس الارتقاء ، القاهرة ، مطبعة الهلال ١٩٠٤

٣٣ —
تراجم مشاهير الشرق فى القرن التاسع عشر ، جزءان ، مطبعة الهلال ، القاهرة ١٩٠٢ — ١٩٠٣

٣٤ — سامى (أمين باشا) .
التعليم فى مصر . مطبعة المعارف . القاهرة ١٣٣٥ (١٩١٧) .

٣٥ — شكرى (الدكتور محمد فؤاد) .
الحملة الفرنسية وظهور محمد على . القاهرة . مطبعة المعارف (بدون تاريخ) .

٣٦ — الشيال (الدكتور جمال الدين)
رفاعة رافع الطهطاوى — مجموعة أعلام الإسلام — ، القاهرة ، ١٩٤٥ .

٣٧ — تاريخ الترجمة فى مصر فى عهد الحملة الفرنسية ، القاهرة ، ١٩٥٠ .

٣٨ — شيخو (الأب لويس) .
الآداب العربية فى القرن التاسع عشر . جزءان . مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٠٨ — ١٩١٠

٣٩ — الصباغ (ميخائيل) .
مسابقة البرق والغمام فى سعاة الحمام . نشرة ديساسى مع ترجمته إلى الفرنسية . باريس ١٨٠٥ .

٤٠ — الطهطاوى (الشيخ رفاعة رافع بك) .
تخليص الابريز إلى تلخيص باريز ، القاهرة ١٣٢٣ (١٩٠٥)

٤١ —
مناهج الألباب المصرية فى مباهج الآداب العصرية . مطبعة شركة الرغائب . القاهرة ١٣٣٠ (١٩١٢)

٤٢ — طوسون (الأمير عمر باشا) .
البعثات العلمية فى عهد محمد على ، ثم فى عهدى عباس الأول وسعيد . الاسكندرية ١٣٥٣ (١٩٣٤) .

٤٣ —
صفحة من تاريخ مصر فى عهد محمد على . الجيش المصرى البرى والبحرى . القاهرة ١٣٥٩ (١٩٤٠)

٤٤ — عبد الكريم (الدكتور احمد عزت) .
تاريخ التعليم فى عصر محمد على . القاهرة ١٩٣٨ .

٤٥ — عبد الكريم (الدكتور احمد عزت) .
تاريخ التعليم فى عصر عباس وسعيد (١٨٤٨ — ١٨٦٣) ، القاهرة ، ١٩٤٦

٤٦ —
تاريخ التعليم فى عصر اسماعيل وأوائل حكم توفيق (١٨٦٣ — ١٨٨٥) ، القاهرة ، ١٩٤٦

٤٧ — عبده (الدكتور ابراهيم) .
أعلام الصحافة العربية . القاهرة ١٩٤٤ .

٤٨ — عبده (الدكتور ابراهيم) .
تاريخ الوقائع المصرية . بولاق ١٩٤٢ .

٤٩ — عيسى (الدكتور احمد بك) .
التهذيب فى أصول التعريب . القاهرة ١٣٤٢ (١٩٢٣) .

٥٠ — غربال (الأستاذ محمد شفيق بك) .
الجنرال يعقوب والفارس لاسكاريس . ومشروع استقلال مصر فى ١٨٠١ . مطبعة المعارف ١٩٣٢ .

٥١ —
محمد على الكبير . القاهرة ١٩٤٤ . (مجموعة أعلام الإسلام)

٥٢ — فنلون .
مواقع الافلاك فى وقائع تليماك . ترجمه عن الفرنسية رفاعة الطهطاوى ، بيروت (بدون تاريخ) .

٥٣ — قدرى (محمد باشا) .
تعليمات جغرافية وتاريخية خاصة بمصر . القاهرة ١٨٦٩ .

٥٤ — قرألى (الخورى بولس) .
السوريون فى مصر . الجزء الأول (عهد المماليك) القسم الأول . علاقات سوريا ومصر من أول التاريخ إلى محمد على . المطبعة السورية . مصر الجديدة ١٩٢٨ .

٥٥ — قورتنبير .
الدرس المختصر المفيد فى علم الجغرافيا الجديد . ترجمه عن الفرنسية أبو السعود افندى . مطبعة وادى النيل . القاهرة ١٢٨٦ .

٥٦ — كلوت (الدكتور أنطوان بك) .
لمحة عامة عن مصر . ترجمه محمد مسعود . مطبعة أبى الهول . القاهرة (بدون تاريخ) .

٥٧ — مبارك (على باشا) .
الخطط التوفيقية الجديدة . عشرون جزءا . بولاق ١٣٠٤ — ١٣٠٦ .

٥٨ — مجدى (السيد صالح بك) .
ديوان السيد صالح مجدى بك . بولاق ١٣١١ (وقام على نشره بعد وفاته ابنه محمد مجدى) .

٥٩ — المعلوف (عيسى اسكندر) .
دوانى القطوف فى تاريخ بنى المعلوف . المطبعة العثمانية فى بعبدا (لبنان) ١٩٠٧ — ١٩٠٨ .

٦٠ — مكيافللى .
كتاب الأمير . ترجمه إلى العربية الأستاذ محمد لطفى جمعة بك ، القاهرة ١٩١٢ .

٦١ — مؤنس (الدكتور حسين) .
الشرق الاسلامى فى العصر الحديث . القاهرة ١٩٣٨ .

٦٢ — النديم (السيد عبد الله) .
مقالات النديم . القاهرة ١٣٢٧ (١٩٠٩) — جمعها محمد بن محمد منتصر .

د — القواميس والمعاجم والفهارس

٦٣ — أبو علي (الشيخ أحمد) .
فهارس المكتبة البلدية بالاسكندرية . ٧ أجزاء . شركة المطبوعات المصرية بالاسكندرية ١٣٤٣ — ١٣٤٧ (١٩٢٥ — ١٩٢٩) .

٦٤ — بقطر (اليوس) .
قاموس فرنسي عربي . باريس ١٨٢٨ (أنظر قائمة المراجع الأجنبية) .

٦٥ — بهجت (علي بك) .
قاموس الأمكنة والبقاع التي يرد ذكرها في كتب الفتوح . مطبعة التقدم . القاهرة ١٣٢٤ (١٩٠٦)

٦٦ — التونسي (الشيخ محمد عمر بن سليمان) .
الشذور الذهبية في المصطلحات الطبية . وقف على تصحيحه وترجمته إلى الفرنسية والانجليزية الدكتور أحمد عيسى بك . طبع الجزء الأول منه في ١٠٠ صفحة على نفقة دار الكتب الخديوية (الملكية) ، مطبعة المقتطف ١٣٣٢ (١٩١٤) - (النسخة الخطية الكاملة لهذا القاموس موجودة في المكتبة الأهلية بباريس . وتوجد لها صورتان شمسيتان في دار الكتب المصرية ، أنظر الفصل الخاص بالقواميس)

٦٧ — راهبة (الأب رفاييل انطون زاخور)
قاموس إيطالياني وعربي ، بولاق ١٢٣٨ (١٨٢٣) - أنظر قائمة المراجع الأجنبية

٦٨ — الزركلي (خير الدين)
الاعلام ، ثلاثة أجزاء ، القاهرة ١٣٤٧ (١٩٢٨)

٦٩ — زكي (أحمد باشا)
قاموس الجغرافيا القديمة ، بولاق ١٣١٧ (١٨٩٩)

٧٠ — سركيس (يوسف اليان)
معجم المطبوعات العربية والمعربة ، القاهرة ، مطبعة سركيس ١٣٤٦ (١٩٢٨)

٧١ — عيسى (الدكتور أحمد بك)
معجم الأطباء - من ٦٥٠ هـ إلى يومنا هذا - (وهو ذيل عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة) ، القاهرة ١٣٦١ (١٩٤٢) ، من مطبوعات كلية الطب بجامعة فؤاد الأول

٧٢ —
فهرست الكتب العربية المحفوظة بالكتبخانة الخديوية ، ٧ أجزاء (وهو الفهرس القديم) القاهرة ، ١٣٠٨ .

٧٣ —
فهرس الكتب العربية الموجودة بدار الكتب المصرية ، ٧ أجزاء (وهو الفهرس الجديد وبه زيادات كثيرة) مطبعة دار الكتب ، القاهرة ١٣٤٨ — ١٣٥٧ (١٩٢٩ — ١٩٣٨) .

٧٤ —
فهرس الكتب التركية المحفوظة بالكتبخانة الخديوية المصرية ، المطبعة العثمانية . القاهرة ، ١٣٠٦ .

٧٥ — الفيروزابادي (الشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي) .
القاموس المحيط . أشرف على طبعه الشيخ نصر أبو الوفا الهوريني . جزءان . الطبعة الأولى . بولاق ١٢٧٢ .

٧٦ — لين (ادوارد وليم) .
مد القاموس . عربي انكليزي . لندن ، ١٨٦٣ — انظر قائمة المراجع الأجنبية —

٧٧ — مختار (اللواء محمد باشا) .
التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الافرنكية والقبطية . بولاق ، ١٣١١ .

هـ — مقالات في صحف ومجلات

٧٨ — اسكاروس (توفيق) .
شيء من التاريخ والأدب في بدء النهضة الطبية المصرية ، البلاغ الأسبوعي ، الأعداد ٩٦ — ١٠٨ ، يناير — ابريل ١٩٢٩ (١ مقالات نشرت بمناسبة انعقاد المؤتمر الطبي الدولي في مصر)

٧٩ —
تاريخ الطباعة في وادي النيل ، مجلة الهلال ، الجزء الثاني ، السنة ٢٢ ، نوفمبر ١٩١٣ ، ص ١٠٥ — ١٢٢ ؛ الجزء الثالث ، السنة ٢٢ ، ديسمبر ١٩١٣ ، ص ١٩٨ — ٢٠٤ الجزء السادس ، السنة ٢٣ ، مارس ١٩١٤ ص ٤٢٦ — ٤٣٣

٨٠ — أمين (الأستاذ احمد بك) .
الشيخ رفاعة الطهطاوي . الثقافة . السنة الخامسة . الاعداد ٢٣٠ — ٢٣٥ .

٨١ —
الشيخ الدسوقي ومستر لين . الثقافة . السنة الثالثة . العددان ١٢٦ و ١٢٧ .

٨٢ — الباشا (الخورى قسطنطين) .

ترجمة الأب روفائيل زخور . المجلة البطريركية . السنتان السابعة والثامنة (١٩٣٢) ص ٤٨٦ — ٤٨٨ و ٥٦١ — ٥٦٤ .

٨٣ —

وصف قنداق قداس يونانى قديم . المسرة . السنة ١٩ . ج ٣ (١٩٣٣) ص ١٥٩ — ١٦١ .

٨٤ — تيمور (احمد باشا) .

الشيخ محمد عياد الطنطاوى . مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق . م ٤ . ج ٩ . عدد ايلول ١٩٢٤ . ص ٣٨٧ — ٣٩١

٨٥ — حسين (الأستاذ محمد الصادق بك)

رفاعة بك ، السياسة الأسبوعية ، السنة الثانية ، العدد ٦٤ ، ٢٨ مايو ١٩٢٧

٨٦ — الخطيب (محب الدين)

الشيخ محمد عياد الطنطاوى ، مجلة الزهراء . م . ١ . ج ٧ عدد رجب ١٣٤٣ ، ص ٤١٧ — ٤٢٨

٨٧ — الشيال (الدكتور جمال الدين)

الدكتور برون والشيخان محمد عياد الطنطاوى ومحمد عمر التونسى (صورة من الاتصال العلمى بين الشرق والغرب فى عصر محمد على) مجلة كلية الآداب ، جامعة فاروق الأول ، العدد الثانى ، ١٩٤٤ .

٨٨ —

الذكاء والوراثة ، مجلة العلوم (التى تصدرها جمعية المعلمين) السنة السادسة ، العددان ٥ و ٦ ، مايو ويونيو ١٩٣٩ ، ص ٤٤١ — ٤٤٥

٨٩ —

مصر وطريق الهند فى القرن الثامن عشر ، المقتطف . م ٩٨ . العدد الخامس ، مايو ١٩٤١ ، و م ٩٩ ، العدد الأول يونيو ١٩٤١ ، والعدد الثالث أغسطس ١٩٤١ (٣ مقالات)

٩٠ — عبد المجيد (عبد العزيز)

أول مدرسه مصرية فى السودان ، الثقافة ، السنة الخامسة ، العددان ٢٢٤ و ٢٢٥ .

٩١ — كراتشكوفسكى (المستشرق الروسى اغناطيوس)

تصحيحات لمقال تيمور باشا عن الشيخ الطنطاوى ، مجلة المجمع العلمى العربى ، م ٤ . ج ١٢ . عدد كانون الأول ١٩٢٤ و ص ٥٦٢ — ٥٦٤

٩٢ —

الوقائع المصرية . السنوات من ١٢٤٤ إلى ١٢٦٤ (صدر العدد الأول فى ٢٠ جمادى الأولى ١٢٤٤ (٢٨ نوفمبر ١٨٢٨) .

٢ — المراجع الأجنبية

ا — وثائق مطبوعة

Artin (Yacoub Pacha).
= Lettres du Dr. Perron, du Caire et d'Alexandrie à M. Jules Mohl, à Paris (1838-1854), Le Caire, 1911.

Bowring.
= Report on Egypt and Candia, London, 1840.

Cattaui (René).
= Le règne de Mohamed Aly d'après les Archives Russes en Egypte. t.I. (Rapports Consulaires de 1819 à 1833), Le Caire, 1931.

——= Corresponbances de Napoléen ler., t. IV,V,X, Paris, 1860.

Deny (Jean).
Sommaire des Archives turques du Caire, Le Caire, 1830.

Douin.
= l'Egypte de 1802 à 1804. Le Caire, 1925.
=Une Mission Militaire Française auprès de Mohamed Ali, Le Caire, 1923.
——= Pièces relatives à la Procédure et au jugement de Soleyman El-Haleby, assassin du General en Chef Kleber. Le Caire, an VIII.

(انظر قائمة المراجع العربية) .

ب — مراجع عامة

Arnold (Sir Thomas).
= The Preaching of Islam. London, 1935.

Artin (Yacoub Pacha).
= l'Instruction Publique en Egypte, Paris, 1890.

Bainville (M. Jacques).
l'Expédition Française en Egypte. (Précis de l'histoire d'Egypte. t.III, Le Caire, 1933).

Brocchi (G.B.)
= Giornale delle asservazioni fatte ne'viaggi in Egitto, nella Siria e nelle Nubia. Bassano. 1841, t. I & II.

Carra De Vaux (Baron).
= Les Penseures de l'Islam, t.V. Paris, 1926.

Driault (Ed.).
= Mohamed-Aly et Ibrahim. (Précis de l'histoire d'Egypte. t.III, Le Caire, 1933.)

Ghorbal (Prof. Shafik Bey).
= The Beginning of the Egyptian Question and the Rise of Mehemet Ali, London 1928.

Hammer (J. de).
=Histoire de l'Empire Ottoman, Vol. XVI, Paris, 1834.

Hamont.
= l'Egypte sous Mohamed Ali, 2 ts. Paris, 1843.

Homsy (G.)
= Le Général Jacob et l'Expédition de Bonaparte en Egypte (1798 — 1801), Marseille 1921.

Hoskins.
= British Routes to India. New-York. 1928.

Kinght (Rex).
= The Intellingence and Intelligence Tests, London, 1933.

Kantorowicz (Ernst).
= Frederick II. (1194—1250). Glasgo. 1931.

Lane (Ed, William).
= The Manners and Customs of Modern Egyptians, London, 1860 (Everman's edition).

Lindsay (Lord).
= Letters on Egypt, Edom and the Holy land, 2 vols, 2nd edition, London 1839.

Poole (Sophia).
= The English woman in Egypt, 2 vols. London, 1844.

Rigault (G.)
= Le général Abdallah Menou et la dernière phase de l'éxpédition d'Egypte. Paris,1802

Rousseau (M.F.)
= Kléber et Menou en Egypte depuis le départ de Bonaparte, Paris, 1900.

Roux (Charles).
= Autour d'une Route.
= Bonaparte Gouverneur d'Egypte. Paris, 1936.

Sabbagh (M.)
= La colombe messagère, plus rapide que l'éclair, plus prompte que la Lune. (Texte Arabe et trad. Française par De Sacy), paris, 1805.

Saint-John (James Augustus).
= Egypt and Mehemet Ali. 2 vols, London. 1834.

Sammarco (Angelo).
= Les Régnes de Abbas, de Sa'id et d'Ismail. (1848—1879). (Précis de l'histoire d'Egypte, t. IV.), Le Caire, 1835.

El—Tounsy (Le Cheykh Mohammed Ebn Omar, Réviseur en chef à l'Ecele de médecine du Caire).
= Voyage au Darfour, traduit de l'arabe en française, par Dr. Perron, publié par les soine de M. Jomard. paris, 1855.

El—Turk (Nakoula).
= Histoire de l,Expédition des Français en Egypte publiée et traduite par M. Desgranges Ainé paris, 1839.

(أنظر قائمة المراجع العربية)

ج - القواميس والمعاجم

Boctor (Elios).
= Dictionnaire Français Arabe, Paris, 1828.

Haig (lt. Colonel Sir Wolseley).
= Comparative Tables of Muhammadan and Christian Dates. London 1932.

Lane (E. W.).
= Arabic English Lexicon, London 1863.
——= Notice Historique sur l'Ecole Spéciale des Langues Orientales Vivantes. paris, 1883.

Rahiba (Pére Raphael Zakhour).
= Dizionario Italiano e Arabo. Boulac, 1822.

Al-Tounsy (Muhammad Ibn Omar).
= Al-Schoodhoor-Al-Dhahabieh, Dictionary of technichal terms "ancient and modern" used in the medical, natural and veterinary sciences; edited and translated into french and english by Dr, Ahmed Issa Bey, V.I, Caire, 1914.

(أنظر قائمة المراجع العربية)

د - مقالات فى صحف ومجلات

Artin (Yacoub pacha).
= Lettres Inédites du Dr, perron a M. J. Mohl, (Bulletin de l'Institut Egyptien, 5me serie t. III 1909, pp. 137-152).

Bachatly (Charles).
= Un manuscrit autographe de Don Raphael. (Bulletin de l'Institut d'Egypte t. XIII, 1931, pp, 27-35).
= Un Membre Oriental du premier Institut d'Egypte — Don Raphael — (1759-1831) (Bulletin de l'Institut d'Egypte, t, XVII, 1934-1935, pp, 237-260).

Bianchi.
= Catalogue Général des livres arabes, persans et turc, imprimés à Boulac en Egypte depuis l'instruction de l'imprimerie dans ce pays. (Journal Astiatique, 4e. serie, 2, 1843, pp. 24-61).

Canivet (R. G.)
= l'Imprimerie de l'Expedition d'Egypte, les Journaux, les procès verbeaux de l'Institut. (Bull. de l'Institut Egyptien, 5e. serie, t, III, 1909, pp. 1-26).

Dunne (J. Heyworth).
= Printing and Translations under Muhammed Ali of Egypt, The Foundatian of Modern Arabic. (Journal of the Royal Asiatic Society, part III, July, 1940 pp. 325-349).

Geiss.
= Histoire de l'imprimerie en Egypte. (Bull, de l'Institut d'Egypte. 5e, série, t. I. 1907, pp, 133-157; t. II. 1908, pp. 195-320).

Maria Nallino.
= Interno a Due Tradusioni Arabe Del "Principe" Del Machiavelli, (Oriente Moderno. 1931, pp, 604-616).

Perron (Dr,)
= Lettre sur les écoles et l'imprimerie du pacha d'Egypte — a M,J,Mohl. a paris, Kaire 22 Octobre 1842.— (Journal Asiatique, 4e, série, 2, 1843, pp, 5-23),

Reinaud.
= Notice des ouvrages arabes, persans et turc. imprimés en Egypte, (Journal Asiatique, 2me série, Octobre 1831, pp, 333-344).

١ — فهرس الأعلام

٢ — فهرس البلدان والاماكن

فهرس الصور واللوحات الايضاحية

تصويب

صفحة	سطر	الصيغة المراد اثباتها	صفحة	سطر	الصيغة المراد إثباتها	صفحة	سطر	الصيغة المراد إثباتها
١٢	٢٦	L'Instruction	٦١	٤	L'Institut	١٠٥	٦	ترجم
١٣	١٥	ليبثون	٦١	١٥	أو قبلها	١١١	٥	بقصر
١٣	٢٦	Une ; jomard	٦١	٢٤	Caussin de Perceval	١١٢	١٠	Berard
١٤	٢٦	يستدعيه إلى مصر	٦١	٢٤	Artin	١٢٦	٨	الشهيرة
١٨	١	تنشأ	٦٣	١٩	ومطبعة	١٢٦	٢٤	عنوان
١٩	١٨	باللغتين	٦٣	٣٦	Alexandrie	١٢٨	١٤	مأخوذة
٣٠	٤	(١٨٢٢ م)	٦٤	١٨	يحول	١٢٨	١٦	روزنامة
٢٨	٨	١٨٥٤	٦٤	٢٧	Museum	١٣١	٢١	بالمدرسة
٢٨	١٥	١٢٤٧	٦٥	١٣	توربورن	١٣٢	٧	Koenig
٣٨	١١	١٨٣٤	٦٥	٢٤	فى علماء	١٣٧	٢	تصرف
٣٨	٢٢	للتلاميذ	٦٦	٢٤	مراجعتها	١٣٨	٩	ليقوم
٣٩	١	قليل	٧٠	١٨	محمد على	١٤٠	١٥	أثر كبير
٤٢	٦	١٨٣٩	٧١	٢٦	قصر	١٤٠	١٨	تحرير
٤٢	٨	يحوز	٧٤	٢٣	France	١٤٠	٢٦	ناظراً لمدرسة
٤٢	١٥	أنشىء بها قسم ثان	٧٦	٢٤	Mayeux, d'après	١٤٢	٢٠	لثقتهما
٤٢	٧	الغرفة	٧٧	١٦	Don	١٤٦	٧	موجودة
٤٤	٣	الخرطوم	٧٧	٢٦	Osservazioni	١٦٤	٢٦	قصر العينى
٤٦	٢٥	Med Ali	٧٨	١١	منتصف	١٦٥	٢٨	الكتاب
٤٦	٢٦	(٢)	٨٠	٢٧	which	١٧١	١٢	الأقاليم
٤٦	٢٧	(3)	٨٠	٢٩	General	١٧٤	٨	أو أسير
٤٦	٢٨	Une Mission Militaire	٨١	١٩	,At	١٧٧	٦	وخمسون
٤٧	١٢	التى صرفت	٨١	٢٠	"plunder", and "Kill"	١٧٧	١٣	حسين غانم
٤٨	٢٤	Brocchi	٨١	٢١	unfavourable	١٧٨	١	الحماسة
٤٩	١٤	Castera	٨٢	٤	الفصول	١٧٨	٥	Frahn
٥٠	٢٤	١٢٤٩	٨٢	٢١	Concludendo, adunque	١٧٨	٢٤	وتيمور باشا
٥٢	٨	معلمى	٨٢	٢٢	ostinati	١٧٩	٣	الشيخ القناياتى
٥٢	٢٤	السيد حسين	٨٢	٢٧	de sa fondation	١٨٥	١٨	ما عانت
٥٣	٢٢	١٢٥٠	٨٧	٢١	Bernard	٢٠٢	٧	ويحب
٥٣	٢٣	الجرب	٩١	٣١	مالطية	٢٠٢	١١	الديوان
٥٥	٢٥	Recherches	٩٢	١٧	المصرية	٢٠٥	١	نلقى
٥٦	١٣	الدرر الغوال	٩٥	١٦	واحداً من	٢١٤	١٣	سمينا « الشمبر
٥٧	٢٤	وظهر	١٥	٢٦	Le	٢٣٤	٨	وحركة
٥٨	١٣	طبع	٩٦	٢	المغفور	٣٢٥	٩	يحسن الطير
٥٩	٥	استنار بدره	٩٧	٢١	Dante	٣٢٥	٢٣	فسألنى
٥٩	١٧	إلى العربية	١٠٤	١٨	ندبوا			